

الكاتبة الفائزة بجائزة السان بوكر الآسيوية ٢٠١١

سأكون مكتبة هناك #916

كيونج سوك شين

الترجمة عن الكورية: محمد نجيب

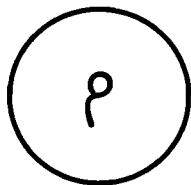
أدب كوري معاصر

رواية



المكرهسة

إهداء لـ..



مكتبة | سُرَّ مَنْ قَرَأَ
سَأَكُونُ هُنَاكَ

عنوان الكتاب: سأكونُ هناك
어디선가 나를 찾는 전화벨이 울리고

المؤلفة: كيونج سوك شين

ترجمة: محمد نجيب

مراجعة لغوية: محمود شرف

٢٠٢٢ ٨ ١٠

مركز
المحرسة

للنشر و الخدمات الصحفية و المعلومات

قطعة رقم 7399 ش 28 من ش 9 - المقطم - القاهرة

ت، ف:- 002 02 28432157



mahrousaeg



almahrosacenter



almahrosacenter



www.mahrousaeg.com



info@mahrousaeg.com



mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة: فريد زهران

مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإيداع: ٢٠٢١ / ١٠٤٣٧

الترقيم الدولي: 978-977-313-845-5

جميع حقوق الطبع والنشر باللغة العربية

محفوظة لمركز المحرسة

2021

어디선가 나를 찾는 전화벨이 울리고 I'LL BE RIGHT THERE

Copyright © Kyung-sook Shin, 2010

"This book is published with the support of the Literature
Translation Institute of Korea (LTI Korea)"

سَأَكُونُ هُنَاكَ

مكتبة

t.me/t_pdf

كِيُونَج سُوْكَ شِيْن

مكتبة | سُر مَن قَرَأ

ترجمة

محمد نجيب

رواية

#916

مكتبة
t.me/t_pdf



مركز المكتبة والنشر
مركز المكتبة والنشر
مركز المكتبة والنشر

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

كيونج، سوك شين .

سَأَكُونُ هُنَاكَ: رواية/ كيونج سوك شين؛ ترجمة: محمد نجيب.- ط1
القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2021

369 ص؛ 21.5×14.5 سم

تدمك 5-845-313-977-978

1 - القصص الكورية

أ-نجيب، محمد (مترجم)

ب- العنوان

895.73

رقم الإيداع 2021/10437

مَنْ ذَاكَ الْبَاكِي هُنَاكَ
إِنْ لَمْ تَكُنْ الرِّيحَ؟

مَنْ ذَاكَ الْبَاكِي هُنَاكَ
فِي هَذَا الزَّمَنِ الْوَحِيدِ
الَّذِي يَلْمَعُ بِالْمَاسِ بَرَّاقٌ؟

مَنْ ذَاكَ الْبَاكِي قَرِيبًا جَدًّا مِنِّي،
أَنَا الَّتِي عَلَى وَشِكِ الْبُكَاءِ؟

بول فاليري⁽¹⁾
(بَارِكُ الشَّابَّةِ)

مكتبة
t.me/t_pdf

(1) بول فاليري (1871 - 1945): شاعر وكاتب مقالات وفيلسوف فرنسي. من دواوينه الشهيرة: سهرة مع السيدة تيس، وبارك الشَّابَّة، وفاوست.

استهلال

أَيُمْكِنُنِي الْقُدُومُ إِلَيْكَ؟

كانت أول مكاملة أتلّقها منه منذ ثماني سنوات. تعرّفت على صوته في الحال. بمجرد أن قال "مرحبًا"، سألته "أين أنت؟" لم يقل أي شيء. ثماني سنوات فترة زمنية ليست بالقصيرة. حين تحسبها بالساعات، سيكون الرقم كبيرًا جدًّا، بحيث يصعب تصوُّره. أقول، لقد مضت ثماني سنوات، لكن في الحقيقة أننا قد توقّفنا عن الحديث قبل ذلك حتى ذات مرة خلال تجمُّع مع الأصدقاء، تجنّب كلُّ منّا النظر في عيني الآخر طيلة الوقت، و فقط عندما استعدّ الجميع للرحيل، صافحنا بعضنا البعض باقتضاب من دون أن يلاحظ الآخرون ذلك، وهذا كل شيء.

لا أتذكّر أين كنّا. أتذكر فقط أن الوقت قد تجاوز منتصف ليلة صيفية، وأننا كنّا نقف أمام درجات سلّمٍ منحدر في ركن خفي من

المدينة. لا بُدَّ أنه كان يوجد كشك فاكهة في الجوار. تفوح رائحة في الهواء الرطب ذكَّرتني بالتهام ثمرة برقوق. إمساكي بيده ثم تركها كانت طريقتي لقول "وداعًا". لم أعرف فيما كان يفكر، لكن بالنسبة إليَّ تَجَمَّعت كل الكلمات التي أردتُ أن أقولها له داخلي مثل حَبَّات لؤلؤ. لم أستطع حمل نفسي على قول "وداعًا" أو "أراك لاحقًا". لو فتحت فمي لأنطق بكلمة واحدة، فسوف تتبعها كل الكلمات الميَّنة بداخلي وتنسكب على الأرض كما لو كان الخيط الذي يمسكها جميعًا معًا قد انقطع. لأنني لا أزال أتشبث بذكري كيف أننا قد كبرنا ونضجنا معًا، فقد أزعجتني فكرة أنني لن أمكِّنَ من التحكُّم بمشاعري بمجرد أن أحرَّرها. لكن خارجيًا، تظاهرتُ برباطة الجأش. ما رغبت أن أفسد الذكريات التي اعتدنا فيها أن يعتمد كلُّ منا على الآخر.

الزمن ليس عادلاً ولا سهلاً مع أي أحد- لا الآن ولا قبل ثماني سنوات. عندما سألته بهدوء، أين هو، رغم أنني لا أعرف أي شيء عنه خلال كل ذلك الوقت، أدركت أن الكلمات التي لم أستطع قولها له حينها، لم تُعد مكبوتةً بداخلي، وأنني لم أعد أحتاج إلى التظاهر أنني على ما يُرام كي أخفي أي مشاعر عاصفة بداخلي. أعني الأمر حقًا حين أقول إنني سألته ذلك السؤال بهدوء. ما مصير تلك الكلمات التي دفعتني يومًا إلى أن أتجوَّل بلا هدف، وذهني يعجُّ بالشك والحزن؟ تلك المشاعر المريرة؟ تلك الأوجاع التي كانت تطعن قلبي كلما كنتُ وحيدة؟ أين انجرفت بعيدًا تلك المشاعر التي كان يفترض أن أتشبث بها جيدًا الآن؟ هل هذه هي الحياة؟ أهذا هو سبب أن حقيقة أن الزمن يمضي سريعًا ومن دون شفقة، مُوسِّفٌ ورحيمٌ في الوقت نفسه؟ في الماضي عندما كنتُ عالقةً في دوامة، لا أستطيع أن أسبح خارجة منها، أخبرني أحدهم (قد نسيتَه): "سوف يمرُّ هذا أيضًا كما يمرُّ كلُّ شيء". أعتقد أن هذا كان برهانًا على صدق ما أخبرني به. تنطبق تلك

النصيحة على مَنْ يعاني، ومَنْ ينعم بحياة مليئة بالرفاهية، فهي تمنح للأول القوة للتحمّل، وللآخر القوّة ليكون متواضعًا.

طال الصمت بيننا. فات الأوان، أدركت أن الأمور قد خرجت عن السيطرة. كان ينبغي أن أقول له "مرحبًا" أولًا. كان غريبًا. شعرت أن قول أشياء مثل "لقد مضى وقت طويل من دون أن نتحدّث" أو "ما الجديد في حياتك؟" سيكون مُربكًا جدًّا. خَمَنْتُ أنه ربما تَفَاجَأَ من الطريقة التي سألته بها مباشرة أين هو. لم أكن مرتاحة بالقدر الكافي بعدُ لأسأله كيف حاله. أن تسأل أحدهم أين هو في اللحظة التي تجيب فيها على الهاتف ليس منطقيًّا إلا إذا كنتما تقضيان الكثير من الوقت سوياً. لكن ها نحن، هو على إحدى طرفي الخطِّ وأنا على الطرف الآخر، لأوّل مرّةٍ منذ ثماني سنوات.

الزمن يباغتنا دائماً. مع هذا هل كانت الأشياء لتكون مختلفة، لو فهمت في شبابي أننا لا نستطيع أن نعيش نفس اللحظة مرّتين؟ هل لو فهمتُ ذلك، ما كنتُ لأقول وداعاً لأي شخص، ولربما ظلّ شخصٌ آخر على قيد الحياة؟ لو عرفت فقط أنه في اللحظة التي أعتقد فيها أن كل شيء انتهى، يبدأ شيء جديد. التفت لأنظر خارج النافذة.

بينما يتواصل الصمت بيننا، ينتشر ضوء صباح شتوي ببطء عبر النافذة. ذكّرت النشرة الجوية بالأمس أن الثلج سيهطل اليوم، لكن لا أعتقد ذلك. لا يزال الوقت مبكراً، ولا يزال ضوء الفجر عالقاً في الأجواء. الفجر، ذلك الوقت من اليوم الذي تتردّد فيه عادة قبل أن تتصل بشخصٍ ما ليس فرداً من عائلتك، ولا مُقرباً جدًّا منك. المكالمات الهاتفية في مثل هذا الوقت عاجلة أو تحمل أخباراً سيئة.

"الأستاذ في المستشفى" قال أخيراً.

"الأستاذ يون؟"

"اعتقدتُ أنني يجب أن أخبرك".

طَرَفْتُ بعيني وَأَشَحْتُ ببصري بعيدًا عن النافذة. كلماته -اعتقدتُ أنني يجب أن أخبرك- حامت أمام عيني كُنْدَفِ الثلج. رَكَزْتُ في صوته، كما لو كنتُ أَتَشَبَّثُ به، وَضِيَّقْتُ عيني المشوَّشَتَيْنِ. لدهشتي، كانت نُدْفُ الثلج تلقي بظلالها على الستائر.

"إنه في المستشفى منذ ثلاثة أشهر الآن."

لم أكن أملك أدنى فكرة.

"لا أعتقد أن أمامه الكثير من الوقت."

ثلاثة شهور؟ تنهدتُ بعُمِّي. تراكم إحساسي بالضغينة تجاه الأستاذ يون بداخلي، ثم انحسر. لم أره منذ ثلاث سنوات. بينما تتدهور صحته، أصرُّ الأستاذ يون على أن يبقى وحيدًا ورفض أي زيارة -تمامًا كما فعلتُ أمي. كان كيانًا وحيدًا في حجرة لا يمكن الوصول إليها إلا من خلال عبور عددٍ لا يُحصَى من الأبواب المغلقة. أراد أن يكون وحيدًا بشكل صادق وصارم في مواجهة الموت.

في وقت مُبَكَّرٍ من صباح شتوي قبل ثلاث سنوات، انطلقتُ لزيارة الأستاذ يون لكن لم أنجح في ذلك. لم أحاول زيارته بعدها ثانية. في ذلك الصباح، في أول أيام السنة الجديدة، شعرت برغبة في زيارته خلال العطلة. على الرغم من علمي بأنه يعاني من مشاكل في التنفُّس، ولا يمكنه الجلوس لفترات طويلة، أردتُ أن أقابله وجهًا لوجه، حتى لو كان لقاءً مقتضبًا. كانت السماء داكنةً ذلك الصباح حيث أخذتُ نُدْفُ ثَلْجٍ ضخمة في التساقط. لم أكن ماهرةً في قيادة السيارة. أفترض عادةً أنه خطئي كلُّما حدثت مشكلة في السيارة. أضحي هطول الثلج كثيفًا وكانت الرياح تهب من الشمال. بدأت السيارة تنزلق قبل أن تنغرس في ربوة جليدية. لم يكن بيت الأستاذ يون بعيدًا؛ لذا تَرَكْتُ السيارة في مكانها وقَطَعْتُ باقي الطريق مشيًا. تجمَّد خَدَّاي من البرد، وتدلَّت كُتْلُ ثَلْجِيَّة صغيرة من حاشية بنطلوني. بينما أمشي، التفتُّ إلى الورا

ووقَّعت عيناى على سفوح الجبال وقد تغطَّت بالأبيض. كانت الرياح تقذف أكوام الثلج في الهواء ثم تدفعها إلى أسفل في داخل ثنايا الجبال. تزداد الرؤية صعوبة. أخبرت نفسي أن أوصل التَّقْدُم لكن تَسَلَّل الخوفُ إليّ. في كل مرة أسمع صوت انكسار فرع شجرة مُثْقَلٍ بالثلج، تغوص مَعِدَتِي في مكانها. أخيراً، عندما لم تستطع شجرة عتيقة ضخمة أن تتحمَّل ثِقَل الثلج فانهارت بدويّاً صاحب، التفَّت إلى الورا بقلب مُنهزم.

ما الذي أوقفني عن الوصول إلى بيته؟ ما كانت العودة أسهل.

بعد أن استسلمت في تلك الليلة، لم أملك الشجاعة أبداً كي أحاول ثانية. كلما فكَّرتُ فيه، غَزَت رأسي فكرةٌ أنني لن أتمكَّن من التواصل معه ثانية كظُلِّ مُقيم. بدا أنني لست الوحيدة التي لا تستطيع ذلك. أخبرني صديق لي أنه قاد سيارته إلى منزل الأستاذ يون في منتصف الليل، لكن بينما يقترب منه، لم يَقوَ على حمل نفسه على متابعة الطريق وقاد إلى أعلى التل بدلاً من ذلك، حيث نظر إلى أسفل نحو أنوار المنزل قبل أن يعود إلى بيته. قال إنه دار حول البيت عدة مرات قبل أن يغادر وهو يعضُّ على شفثيه طيلة الطريق. لماذا لم نَسْتَطِع أن ندخل إلى بيت الأستاذ يون بلا دعوة كما كُنَّا نفعل في الأيام الخوالي؟ لا تزال سَمَاعَةُ الهاتف في يدي. أنهض من على المكتب وأتَّجه إلى النافذة. أزيح الستائر.

تندفع النُدْف البيضاء إلى أسفل في الخارج.

لم أندهِش لسماع أنه يحتضر. لقد كنتُ أتوقَّع بعصبيَّة أن أتلقَّى ذلك الخبر في أي يوم. لكن لم أكن أعرف فقط أنه اليوم. كان هطول الثلج في البداية خفيفاً جداً لدرجة أنني كنت أستطيع عدَّ ندْف الثلج، لكن سرعان ما بات كثيفاً بينما أقف عند النافذة. في باحة المنزل المقابل لمنزلي، اكتست شجرة أرز هيمالايا ظلَّت خضراء مورقة

حتى في الشتاء، بالأبيض الآن. لا أحد في الخارج. تشقُّ حافلة الحي المحلية التي لم أركبها ولو مرةً واحدة خلال السنوات الأربع التي عشتها هنا، طريقها عبر الشوارع الجانبية، تنزلق بحَذَرٍ على امتداد الطُرُق الجليدية.

على الرغم من أنني أنزع إلى الخلط بين الأشياء التي حدثت بالأمس، والأشياء التي حدثت منذ عشر سنوات، وأني كثيراً ما أقف أمام الثلجة المفتوحة، أحاول تذكُّر ما أبحث عنه، فقط كي أغلق بابها بارتباك بعد أن يلفني هواؤها البارد، إلا أنني لا يزال بوسعي تذكُّر لقائي الأول بالأستاذ يون بعد كل تلك السنين كأنه الأمس. كنتُ حينها في العشرين. في ذلك الوقت كنت أستطيع النظر إلى عنوان كتاب فيخطر ببالي عشرة كتب أخرى لها علاقة به. في أول أيام الجامعة، كانت أشعَّةُ شمس مارس تتدفَّق داخل قاعة المحاضرة عندما خطا الأستاذ يون إلى الداخل. كنت أضع رأسي على منضدة الدراسة عندما تجاوزني. لمحت عيناي حذاءه. كان حذاؤه ضخماً جداً، لدرجة أن كعبه كانا ينزلقان خارج مؤخِّرة حذائه مع كل خطوة. بدا كأنه يرتدي حذاء شخصٍ آخر. تملَّكني الفضول، فرفعت رأسي وشعرت بالخجل في الحال. كيف يمكن أن يكون أحدهم هزيباً هكذا؟ لم تكن المشكلة في الحذاء، فما كان لأي حذاء في العالم أن يناسبه. بدا كهيكلي عظميٍّ من الجبس.

نظرتُ إلى أعلى نحو عينيه. كانتا تلمعان بقوةٍ من وراء نظاراته. التفت لينظر إلى خارج النافذة. هتاف الطلبة المتظاهرين في الخارج كان يُفسدُ صفو المحاضرات. اندفعت قبلة غازٍ مُسيل للدموع إلى داخل الحجرة، تحملها رياح مارس التي لا تزال باردة. قبل أن تبدأ المحاضرة، وقف الأستاذ يون أمام النافذة لبرهة طويلة، يراقب المتظاهرين، بينما يبذل أحدهم قصارى جهده ليغلق مصراعِي النافذة. لم يتحرَّك من مكانه فانضممنا إليه تدريجياً عند النافذة. كان رجال

شرطة مكافحة الشغب يطاردون مجموعة من الطلبة. عبرت غيومٌ بيضاء فوق رؤوسهم في الهواء الفاتر. لم يقل الأستاذ يون لنا في ذلك اليوم سوى شيءٍ واحدٍ: ما فائدة الفن في يوم وعصر كهذا؟ لم أستطع أن أحدد إذا كان يوجّه سؤاله إلينا أم إلى نفسه، لكن رأيت عينيه المتوقّدتين تتلويان من الألم. في تلك اللحظة التي بدأت أركّز في عينيه، وخز قلبي ألمٌ حادٌ غير مألوف. وقتها، كيف كان بإمكانني أن أعرف ما يُخبئه القدر لنا؟ أو أن تلك الوخزة الغريبة التي شعرت بها ذلك اليوم ستلازمني حتى بعد كل تلك السنين؟ قد تكون ذكرياتي عن تلك الفترة قد بهتت وفقدت بريقها، إلا أن عينيه لا تزالان تطاردانني. في كل مرة أتصوّرهما، يعاودني الألم ذاته. يخترق الألم قلبي في ألف موضع، وينفجر عبر جلدي، ويمطرني بالسؤال نفسه: "ماذا تفعلين بحياتكِ؟".

عندما كنتُ في العشرين، في كل مرة كنت أطرح فيها هذا السؤال على نفسي، كنت أغادر حرم الجامعة وأمشي لساعات حول المدينة، عيناى تدمعان من لسعة الغاز المسيل للدموع العالق في الجو. هل تغيّر أي شيء منذ ذلك الوقت؟ الآن حتى، كلّما أتصوّر عينيه؛ أضطرُّ إلى مغادرة البيت والمشي - أختار أي طريق وأسير فيه حتى نهايته. لا أنا ولا المجتمع قد تغيّرنا إلى الأحسن. أصبحنا غير مثاليين بشكل أكبر وبطرقٍ مختلفة. حين انهيار الجسر الممتدّ فوق النهر والذي يشقُّ المدينة، وغاصت حافلةٌ كانت تُقلُّ الفتيات إلى المدرسة داخل مياهه، حين شاهدت طائرة تصطم بناطحة سحاب شاهقة، حين جلستُ أمام التلفاز في اليوم الأول من السنة الجديدة، وشاهدتُ غير مُصدّقةٍ لساعات، بينما تلتهم النيران بوابة سُنجيْمُن، سألتُ نفسي السؤال نفسه: ماذا تفعلين بحياتكِ؟ قُدتُ سيارتي في دوائر حول ما تبقى من بوابة المدينة المحترقة في منتصف الليل، حتى شعرت بقدرتي على العودة إلى البيت ثانية. الآن لا يختلف كثيراً عن ذلك الوقت. كلّما شعرت بأنني سأستسلم، أمشي في أرجاء المدينة. تطفو الفكرة نفسها

من جديد عبر الاكتتاب والوحدة، لو كان فقط هنا... مَنْ مِنَّا الذي بدأ بالتخلي أولاً؟

عند نقطة ما، أدركت أن عليّ الحياة من دونه. كنتُ مُتَوَثِّرةً وخائفة، لكن الوقت قد حان بالنسبة إليّ كي أمضي في الحياة بمفردي. لكن حتى بعد ذلك، تشبَّت صُورُهُ بذاكرتي ورفَّضت أن تتركني. مثل تلك الليلة التي قضيناها في قريةٍ مُلاصِقةٍ للبحر على جزيرة نائية. كيف تمكَّنَّا من المشي معًا طوال الليل وسط وابل من المطر؟ ركبنا عبَّارة من إنشيون عميقًا داخل البحر، ومع هذا فقد نسيْتُ تمامًا اسمَ القرية. لم نُخطِّط للذهاب إلى هناك. وجدنا أنفسنا نقفز فقط في قطار خطِّ الأنفاق الأول في محطة سول لسببٍ ما. كونه كان الخطُّ الأول لم يكن له أي معنى. لكنني أفترض أننا ذهبنا إلى هناك على متن قطار الأنفاق لأنني أتذكَّر توقُّفنا في محطة بتشون. ارتدى قميصًا أبيضَ بأكمام قصيرة؛ ممَّا يعني أننا ربما كُنَّا في منتصف الصيف. كان قطار الأنفاق مزدحمًا جدًّا لدرجة أنه كان من الصعب الوقوف ثابتًا في مكانك. كنتُ مُتعبَةً، ولا بُدَّ أنه كان أحد تلك الأيام التي لم أكن في مزاج يسمح لي بالكلام. في كل مرة يتوقَّف القطار، يندفع حشدٌ جديد من البشر إلى الداخل، ليملاً العربة برائحة العرق. بينما يقف هناك مُترنِّحًا، وقد قطَّب جبينه، قال لي، "دعينا نذهب إلى مكان ما بعيد". على الأقل كانت فكرته كما أتذكَّر. هبطنا من قطار الأنفاق في إنشيون، واستقللنا الحافلة إلى موقف العبَّارات. لم نهتم بوجهة العبَّارة طالما كانت أبعد ما يمكن عن المرفأ. حملتنا العبَّارة عبر البحر. بينما نقف عند حافة المركب ونستنشق نسيم الليل، مهما كان ذلك الشيء الذي كان يستهلكني من الداخل، فقد بدا غير مهمٍّ في تلك اللحظة. تأملنا البحر. لم أذهب بعيدًا هكذا عن الساحل من قبل. لأنه ترعرع في بلدة شاطئية؛ فرمًا كانت التجربة بالنسبة إليه مُختلفةً عني. استغرقت رحلة العبَّارة ساعتين، وعندما بلغنا الجزيرة، كان المد آتياً

إلى عمق البحر؛ مما جعل من المستحيل أن نشقَّ طريقنا إلى الشاطئ. أحضر أحدهم زورقًا آليًا صغيرًا من مرسى القرية إلينا في الخارج. بعد أن نزل الجميع، ركبنا الزورق حتى الجزيرة. شاهدت أطفالًا يصطادون السمك عميقًا في الماء. تَجَهَّمْتُ قَلِقَةً من أن يجرفهم الماء بعيدًا في أي لحظة، لكن أخبرني أحدهم أنهم يقفون فوق سدٍّ ولم يكونوا في الماء فعليًا، وأنني سأستطيع رؤية السد بمجرد أن ينحسر المدُّ. نزلنا فوق سدٍّ آخر مغمور تحت الماء. رفعت تَنُورِي لأعلى وشَمَّر هو بنظولونه حتى ركبتيه، وخضنا في الماء بطول السد حتى سطح الجزيرة.

في تلك الليلة مشينا في أرجاء الجزيرة إلى أبعد مسافة يمكننا المشي إليها. لا بُدَّ أنه كان موسمَ المطر؛ فقد كان عدد الناس الجالسين على الشاطئ يفوق هؤلاء الذين يسبحون في الماء، وكلما ابتعدنا عن المرسى، قلَّ عَدَدُ الناس الذين نصادفهم في الطريق. أمكننا شمُّ رائحة الملح في الهواء، واهتَزَّ صَفٌّ من الشجر بجوار الشاطئ بعنف في قلب الرياح. وقفنا على الشاطئ وقد وضع كلُّ مِنَّا ذراعه حول الآخر، بينما تنزلق شمس الغروب إلى داخل البحر. في لمح البصر، اختفى القرص القرمزي للشمس وراء الأفق. بعد ذلك، أصبح مزاجيًّا. على الرغم من أنه لم يتوقَّف عن محاولته لإبهاجي بينما أشعر بالاكتئاب، أضحى هو الآن من لا يتفوَّه بكلمة. سَكَّتْ بدوري. بينما نمشي معًا في صمت، صادفنا نورسًا مَيِّتًا حمله الجَزْرُ إلى الشاطئ.

"طائر!" تَمَّتْ. شرع في حفر حفرة في الرمل ليدفنه.

"ما جدوى ذلك" سألتُه "سوف يجرفه المدُّ معه على أيَّة حال".

"لا فَرْقَ!"

حين أفكَّر في الطريقة التي قال بها ذلك، لا أستطيع منع نفسي من الابتسامة. ذلك التعبير يُدْغِرني به. مهما كان الموقف، كان يقول:

"لا فَرَقَ، مع ذلك، الأمر أفضل على هذا النحو!" لِيُعَبَّرَ عن إصراره على قراره من دون أن يبدي اعتراضه على كلامي. يخرج مفكِّرةً من حقيبته ويُمزِّق ورقةً منها ويكتب، "عزيزي الطائر، انهَضْ من جديد" ثم يلفُّ الورقة حول عصا ويغرسها أمام قبر الطائر.

هل أكلنا أي شيء تلك الليلة؟ لا أتذكَّر تناولنا أي شيء ولا أتذكَّر أننا كُنَّا جائعين. مشينا تلك الليلة حتى عَمَّ الظلام الجزيرة بِرُمَّتِهَا كما لو كُنَّا نحاول أن نكتشف أين ستنتهي المياه. ربما كانت تلك هي أول مرة أشاهد فيها البحر يَسْوَدُّ مع انسداد الظلام. زحفت المياه السوداء شيئاً فشيئاً حتى وصلت إلى أقدامنا قبل أن تتقهقر.

"جونج يون!" كَلَّمَا ناداني باسمي الكامل، فإن ذلك يعني أن ثَمَّة شيئاً ما يختمر في رأسه.

مكتبة

t.me/t_pdf

"ما الأمر؟"

"دعينا نتذكَّر هذا اليوم إلى الأبد."

"هذا كل ما أردت قوله؟" مَتَمَّتْ بصوت منخفض، غير متأثرة بما قاله، لو أَرَدَت أن تتذكَّر شيئاً، فيجب عليك أن تملك تذكَّاراً يُدْكَرُكُ به. سمعت خشخشة في الظلام. أخرجَ مُفكِّرةً يوميَّاته من حقيبته ثم وضعها بين يدي.

"أسمِّيها المفكرة البُنِّيَّة. اعتدت أن أدوِّن فيها أفكاري. أريدك أن تحسلي عليها."

يضع يده حول خصري ويجذبني نحوه. أدَّعُه يضع ذراعيه حولي. سحب يدي ووضعها فوق عُضْوِه، وقال: "يُمْكِنُكَ أن تحسلي على هذا، أيضاً."

بدا جاداً جداً، لكن لم أستطع إلا الضحك. شعرت -ويدي فوق مُفكِّرَتِه، والأخرى فوق عُضْوِه- بحُزْنٍ غريب يغمرنِي. همستُ في أذنه،

"أَيْمِكُنَّا الذَّهَابَ إِلَى مَكَانٍ أَبْعَدُ؟" لَكِنِّي كُنْتُ أَعْرِفُ أَلَّا مَكَانَ أَبْعَدَ مِنْ هَذَا.

مَنْ يُمْكِنُهُ التَّنَبُّؤُ بِأَيَّامٍ لَمْ تَأْتِ بَعْدُ؟ يَتَسَارَعُ الْمُسْتَقْبَلُ وَلَا تَمْلِكُ سِوَى صَنْعِ الذِّكْرِيَّاتِ وَالتَّقَدُّمِ إِلَى الْأَمَامِ حَامِلِينَ تِلْكَ الذِّكْرِيَّاتِ مَعَنَا. لَكِنِ الذَّاكِرَةُ تَحْتَفِظُ فَقَطُ بِمَا تَرِيدُهُ. تَتَنَاقَرُ صُورٌ مِنَ الذِّكْرِيَّاتِ عَلَى مَدَارِ حَيَاتِنَا، لَكِنِ لَا يَعْنِي ذَلِكَ أَنَّ ذِكْرِيَّاتِنَا أَوْ ذِكْرِيَّاتِ الْآخَرِينَ هِيَ الْوَاقِعُ الَّذِي حَدَثَ حَقًّا. عِنْدَمَا يُصْرُّ أَحَدُهُمْ عَلَى أَنَّهُ قَدْ رَأَى شَيْئًا بِأَمِّ عَيْنِيهِ، فَإِنِّي أَتَلَقَى كَلِمَاتِهِ بِتَحْفُظٍ حَكِيمٍ، عَلَى اعْتِبَارِ أَنَّهُ مَا يَرِيدُ أَنْ يُؤْمِنَ بِهِ لَا الْحَقِيقَةَ الْمَوْكُودَةَ. عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الذِّكْرِيَّاتِ شَيْءٌ غَيْرُ كَامِلٍ؛ لَا يَخْلُو مِنَ الثُّغَرَاتِ فَإِنِّي كَلَّمَا وَاجَهْتُ ذِكْرِي، لَا أُسْتَطِيعُ مَنَعَ نَفْسِي مِنَ الْاسْتِغْرَاقِ فِي التَّفَكِيرِ. خَاصَّةً حِينَ تُذَكِّرُنِي الذِّكْرِيَّاتِ بِشُعُورِ أَنَّ أَكُونُ تَائِهَةً، وَمَتَأَخَّرَةً بِخَطْوَةٍ دَائِمًا. لِمَاذَا كَانَ مِنَ الصَّعْبِ جَدًّا عَلَيَّ أَنْ أَفْتَحَ عَيْنِي كُلَّ صَبَاحٍ؟ لِمَاذَا كُنْتُ أُرْتَعِدُ خَوْفًا مِنْ بِنَاءِ عِلَاقَةٍ مَعَ أَيِّ أَحَدٍ، وَلِمَاذَا بِالرَّغْمِ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ، كُنْتُ قَادِرَةً عَلَى هَدْمِ الْجُدْرَانِ الَّتِي أَحَطْتُ بِهَا نَفْسِي، وَالْعَثُورِ عَلَيْهِ؟

فِي عَامِي الْأَوَّلِ فِي الْجَامِعَةِ، اعْتَدْتُ عَلَى التَّحْدِيقِ نَحْوَ بَوَّابَةِ الْجَامِعَةِ الْأَمَامِيَّةِ كُلِّ صَبَاحٍ، وَالتَّسَاوُلِ إِذَا كَانَ يَجِبُ عَلَيَّ الدَّخُولُ إِلَى الْجَامِعَةِ أَمْ لَا. كَثِيرًا مَا كُنْتُ أَتَلَفْتُ، وَأَمَشِي هَابِطَةً التَّلِ الَّذِي صَعِدْتَهُ مِنْذُ قَلِيلٍ. حَتَّى الْآنَ لَا يُمْكِنُنِي أَنْ أَقُولَ مَاذَا كَانَ خَطْبِي حِينَهَا. لِثَلَاثَةِ شُهُورٍ فِي نَهَايَةِ عَمْرِ التَّاسِعَةِ عَشْرَةَ وَبَدَايَةِ الْعَشْرِينَ، أَبْقَيْتُ نَافِذَةَ الْحِجْرَةِ الصَّغِيرَةِ فِي الشَّقَّةِ الَّتِي عِشْتُ فِيهَا مَعَ ابْنَةِ عَمِّي الْكَبِيرِ الْمَتَزَوِّجَةِ حَدِيثًا، مُغَطَّاهَ بِوَرَقِ مُقَوَّى أَسْوَدٍ. كَانَتْ مَجْرَدَ وَرْقَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطُ، لَكِنَهَا جَعَلْتُ حِجْرَتِي مُظْلِمَةً كَاللَّيْلِ. فِي ذَلِكَ الظَّلَامِ، تَرَكْتُ نُورَ الْحِجْرَةِ مُضَاءً، وَقَطَعْتُ الْوَقْتَ فِي الْقِرَاءَةِ. لَمْ يَكُنْ لَدَيَّ سَبَبٌ مُحَدَّدٌ لِلْقِرَاءَةِ. لَمْ أَكُنْ أَمْتَلِكُ فَقَطُ شَيْئًا آخَرَ لِأَفْعَلَهُ، وَلَمْ أَرْغَبْ فِي فَعْلِ أَيِّ شَيْءٍ. قَرَأْتُ مَجْمُوعَةَ أُدْبِيَّةِ (أَنْطُولُوجِيَا) مُكَوَّنَةً مِنْ سِتِينَ

مجلدًا بالكامل، يحتوي كل مُجلد منها على أكثر من عشرين قصة قصيرة مطبوعة بحروف أصغر حجمًا من بذور السمسم. عندما انتهيتُ منها، نظرت خارج النافذة لأكتشف أننا في شهر مارس. عندما أفكر في الأمر الآن، يبدو كأنَّ زمنًا طويلًا جدًّا قد مضى على ذلك. أفكر أن وجود حجرة مظلمة كالليل في بيت عريسين جديدين لا بُدَّ كان أمرًا غريبًا! عندما خرجت أخيرًا من تلك الحجرة، كان ذلك من أجل حضور احتفال استقبال الطلبة الجُدد في الجامعة. الجامعة التي كانت أكثرَ مكان تحرُّرًا أرتاده في هذه المدينة.

الآن الأستاذ يون في المستشفى، وميونجسو يعيش حياةً لا علاقة لها على الإطلاق بي، وهناك ثالثٌ لن أراه ثانيةً أبدًا. لكن لو لم ألتق أولئك الأشخاص في ذلك المكان والزمان، كيف كنتُ لأتمكّن من تجاوز تلك الأيام؟

شاهدتُ نُدْف الثلج تزداد كثافةً، بينما أجمع أفكارٍ في رأسي. ذكّرتُ نفسي أن السبب الوحيد للاتصاله بي بعد ثمانية أعوام هو إخباري بأن الأستاذ يون يحتضر. تمّمتُ إلى نفسي ألا أتناسى تلك الحقيقة. أحتاج أولاً وقبل كل شيء إلى الذهاب إلى المستشفى. ثمة أشخاص يتقاطع طريقنا معهم في الحياة باستمرار، سواء أدركنا ذلك أم لم ندرِكه. استمرتُ ذكريات منسية في الظهور على نحوٍ غير متوقَّع، ومفاجأتي مثل سحب عود هزيل من البطاطا يبرز على السطح بعد المطر لتكتشف عناقيد عديدة من حبّات البطاطا تَبْرُزُ خارجةً من أعماق التربة. حتى لو لم أفكر فيه أو أسمع عنه ثانية، فإن حقيقة أننا كُنَّا في علاقة -مهما كانت مُقتَضِبَة- لا تزال تُحزِنني.

قطع الصمت. أمسكتُ بالسَّماعة غيرَ قادرةٍ على التّفوّه بكلمة بينما يخبرني عن الأستاذ يون. ثم سألني، "أيمكِنني القدوم إليك؟".

في هذه الساعة؟ ظننتُ أن الأمور بيننا قد انتهت، لكنه يسألني هكذا بشكل عرضي، "أيمكنني القدوم إليك؟" كم مضى من الوقت منذ آخر مرة سمعت فيها تلك الكلمات؟ في الماضي حين كُنَّا في علاقة، كان يقول لي تلك الكلمات عبر الهاتف طوال الوقت. أيمكنني القدوم إليك؟ كان حتى يُهاتفني من كابينة الهاتف ليقول لي: "أنا في طريقني إليك". كانت تلك الكلمات تتردد بيننا في كلِّ يوم من علاقتنا، سواء كان يومًا مطيرًا أو عاصفًا أو غائمًا. حينها، كان كلُّ مِنَّا ينتظر الآخر دائمًا. لم يكن الوقت متأخرًا أبدًا في الليل بالنسبة إليه كي يأتي لرؤيتي، وما كان هنالك حدودٌ لمتى يمكنني أن أراه. كان كلُّ مِنَّا يخبر الآخر أنه قادمٌ في أي وقت، نهارًا كان أم مساءً.

يُمنح كلُّ مِنَّا حياة واحدة، حياته. نصارع خلالها، كلُّ مِنَّا بطريقته الخاصة؛ كي نمضي قُدُمًا، كي نعشق، كي نحزن، كي نخسر أحبَّتنا لحساب الموت. لا استثناءات لأي أحدٍ: لا لي، ولا للرجل الذي هاتَّفني، ولا للأستاذ يون. فقط حياة واحدة.. فقط فرصة واحدة، وهذا كل شيء. لو كان الشباب شيئًا يمكننا أن نعيشه من جديد، لَمَا كُنْتُ أقف هنا اليوم، أجيء على هاتفي، وأستمع إلى صوته لأوَّل مرَّةٍ خلال ثماني سنوات. تردَّدتُ للحظة ثم قُلْتُ، "لا، سأكتشف الأمر بنفسي". تنهَّدتُ، ثم أغلق الخطَّ.

أشعرتني كلماتي الأخيرة إليه بالوحدة. بدت كلماتي مع هذا غريبةً بالنسبة إليّ. كان يجب عليّ أن أخبره أنني سأقابله في المستشفى. كان ما قلُّته قاسيًا. قال لي الكلمات نفسها ذات مرَّةٍ قبل عدَّة سنوات. وقتها كُنَّا قد تخطَّينا المرحلة التي كُنَّا نعرف فيها دائمًا أين يتواجد الآخر وماذا يفعل. كنتُ قد سألته ماذا يخطط لأن يفعل بشأن شيء ما فثار في وجهي قائلاً: "سأكتشف الأمر بنفسي". يبدو أن الذاكرة -سواء كُنَّا نعي ذلك أم لا- تحمل خنجرًا بين طياتها. لم أركز في كلماته

طوال ذلك الوقت، وقد مضى وقت أكثر من كافي كي أنسى ما قاله تمامًا، لكن في لحظة، استعاد عقلي الباطن كلماته واستخدمها ضده. لم تكن من طبيعتي أن أصدّد صديقًا بتلك الطريقة. ولو تحدّث شخصٌ كُنْتُ أعتقد أنه مُقَرَّبٌ إليّ، معي بتلك الطريقة، فسأبدأ غالبًا بإبعاد نفسي عنه. ظلّلت الكلمات تحوم بداخلي طوال ذلك الوقت، مثل قطع أحجية مفقودة قبل أن تجد طريقها عائدةً إليّ. عُدْتُ إلى مكتبي وقضيتُ اليوم مُتَسَمِّرَةً في مقعدي. بعد أن انحسرت الذكريات المؤلمة أخيرًا، بدأتُ أشعر بنسمة باردة.

هل كان ذلك في أغسطس أم سبتمبر؟ كُنَّا نَمْلَأُ سَلَّةً بِتَفَّاحٍ مستأنس من شجرة تنمو في فناء منزل الأستاذ يون، عندما هبّت علينا نسمة باردة. ضحكنا. كانت الشجرة الضئيلة - بالكاد طويلة بالقدر الكافي كي تلقي نظرة من فوق الجدار - مُثْقَلَةً بِثَمَارِ التَّفَّاحِ. راقبنا الأستاذ يون من حجرة المعيشة بينما نَمْلَأُ السلة. نسيت لماذا تجمّعت وزملاء الجامعة لقطف التفاح، لكن لا بُدَّ أنَّا كُنَّا نشعر بالسعادة والسلام حينها، حين أفكر في الطريقة التي انفجرنا بها ضاحكين.

" هل ستعود هذه الأيام ثانية؟".

قالها صديقي بشكلٍ ارتجاليّ، لكن تعليقه لمس وترًا حسّاسًا.

" لن تعود نفس الأيام" قال أحدهم بحزن.

انقطع ضحكنا الذي انفجر بسهولة قبل لحظات قليلة، والتفتنا إلى الأستاذ يون الذي يُحدِّقُ خارج النافذة نحونا كي نتجنّب النظر إلى بعضنا البعض وقد استغرق كلٌّ مِنَّا في أفكاره الخاصة. ربما كُنَّا بالفعل قد تنبّأنا بالمستقبل. بعد أن فرغنا من قطف الفاكهة، عُدنا إلى حجرة المعيشة وجلسنا في حلقة. كان الأستاذ يون قد استغرق في النوم، وكتاب فوق ركبته. وضع أحدنا الكتاب فوق المائدة بحرص. انتابني الفضول لأعرف ما كان يقرؤه، فالتقطت الكتاب. كان كتاب

"عالم الصمت". بدا عتيقًا؛ الصفحات مُصفرّة ومثنيّة. حدّقتُ إلى جوارب الأستاذ يون المتدلّية بتراخٍ فوق قدمه شديدة النحول، بينما لا تزال يدي فوق الكتاب.

على الرغم من أنني كنت أعرف أن عليّ الذهاب إلى المستشفى، لم أستطع حمل نفسي على مغادرة المقعد. شعرتُ كأنني أطفو. غلبني النعاس عدّة مرّاتٍ. عندما استطعت الجلوس باعتدال فوق الكرسي أخيرًا وتفحصتُ مكتبي، كان الوقت ظهرًا بالفعل. تبعّرتُ الكتب التي كنتُ أقرؤها فوق المكتب، ورقد دفتر مذكّراتٍ مقلوبًا تحت بعض الأوراق التي كنتُ أنقّحها. يقبع قلم رصاص على نحو مائل داخل مقلّمة اشتريتها من مُتحف بيكاسو في الحي القوطي في برشلونة. تأملتُ الحمامة التي تحمل ورقةً في منقارها، المنقوشة على جانب المقلّمة قبل أن أشرع بتوضيب المكتب. أغلقتُ كُتُبَ الشّعر التي كانت مفتوحة، وأعدتُ الأقلام المبعثرة إلى المقلّمة. جعّدتُ الأوراق المستعملة المليئة بخطوط التحديد، وألقيتها في سلّة المهملات، ثم أزلتُ ثُقالة الورق من فوق الكتب السميكة التي نَحَيْتها جانبًا أثناء القراءة، ثم أرجعت الكتب إلى رفوفها.

يُذكّرني توضيب المكتب بالموت دائمًا لسببٍ ما. بمجرد أن فرغت من التوضيب، وكنتُ أهمُّ بمغادرة الحجرة، وجدت نفسي ألتفتُ وألقي نظرة على المكتب المرتّب. داهمني خوفٌ مفاجئ؛ فعُدتُ وبعبّرتُ الأشياء فوق المكتب من جديد.

التقدّم في العمر لا يجعلنا أفضل -بأي شكل كان- في حبّ الآخر أو فهم معنى الحياة أو الموت، ولا تأتي المعرفة مع مرور الوقت. حين أقارن ذاتي الآن بذاتي حين كنتُ صغيرةً، أجد أنني الآن أسوأ في حبّ شخصٍ آخر، ولا تزال أخبار الموت غير المتوقّع لشخصٍ تفاجئني وتصدمني في كل مرة. مع هذا، أتمنى حين يأتيني الموت، أن أكون

مُسْتَغْرِقَةً فِي الْكِتَابَةِ أَوْ قِرَاءَةِ كِتَابٍ عَلَى مَكْتَبِي فِي وَقْتٍ مَتَأَخَّرٍ مِنْ لَيْلَةٍ يَهْطَلُ فِيهَا الثَّلْجُ، وَأَنْ أَضَعُ رَأْسِي بِبَسَاطَةٍ عَلَى الْمَكْتَبِ وَأَغْلِقُ عَيْنِي إِلَى الْأَبَدِ. أُرِيدُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ هُوَ آخِرُ صُورَةٍ لِي عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ. نَفَضْتُ آثَارَ الْمَوْتِ الَّتِي تَعَلَّقُ فِي أَطْرَافِ أَصَابِعِي فِي كُلِّ مَرَّةٍ أَضَعُ فِيهَا كِتَابًا عَلَى الرَّفِّ وَأَنْتَهِي مِنَ التَّوْضِيحِ. أَسْتَعِدُّ لِلذَّهَابِ إِلَى الْمَسْتَشْفَى. أَدَعُّ يَدِي بِالصَّابُونِ وَأَغْسِلُ وَجْهِي وَأُرْتَدِي ثِيَابًا نَظِيفَةً، وَأَتَفَقَّدُ انْعِكَاسِي فِي الْمِرْآةِ. عِنْدَ خُرُوجِي مِنَ الْبَابِ، أَتَوَقَّفُ بِشَكْلِ غَيْرِ إِرَادِيٍّ وَأَلْقِي نَظْرَةً سَرِيعَةً عَلَى الْمَكْتَبِ.

كما لو كان ينتظرنِي، يَرِنُ الْهَاتِفُ مُجَدِّدًا.

1

فِراق

عندما بلغتُ العشرين، عدتُ إلى المدينة ثانية، ووعدتُ نفسي
بخمسة أشياء:

ابدئي القراءة من جديد.

اكتبي الكلمات الجديدة التي تُصادفُكِ، ومعناها.

احفظي قصيدة شعرية في الأسبوع.

لا تذهبي إلى قبر أمكِ قبل إجازة التشوسوك.

امشي في أرجاء المدينة لمدة ساعتين على الأقل كل يوم.

تُوفِّيت أُمِّي قبل نهاية الفصل الدراسي الأول في الجامعة.

أول شيء فعلته بعد أن اكتشفت مرضها هو إرسالني كي أعيش مع ابنة عمي الكبرى في المدينة. كنتُ في المدرسة الإعدادية وقتها. كان إرسالني بعيدًا - في نظر أُمِّي - طريقَتها الخاصة لحُبِّي. قالت إنني صغيرة جدًّا كي أُقَيَّد بجانب أُمِّ مريضة، وأن لديَّ الكثير جدًّا كي أعيش من أجله. أن على الجميع أن يقول وداعًا في النهاية، أخبرتني؛ لذا ربما عليَّ البدء في الاستعداد لوداعها وتقبُّل حياة من دونها. لا أستطيع القول إنها كانت مُحِقَّة. أعتقد أنه إذا كان علينا جميعًا أن نقول وداعًا في النهاية، فإن أفضل شيء يمكننا فعله هو أن نحاول البقاء معًا لأطول وقت ممكن. لكن لم يكن إحدانا مُحِقًّا والآخر مُخْطِئًا. الأمر فقط أننا كُنَّا نرى الأشياء بشكل مختلف.

قبل أن يتفاقم مرضها، اعتدْتُ على أن أستلم دواءها من أجلها من مستشفى كبرى في المدينة، حيث أقامت لفترة هناك ذات مرة. كل يوم أربعاء، كنت أقدم الروشَّة في الصيدلية، وأجلس في حجرة الانتظار، وأترقَّب ظهور الرقم المكتوب على قصاصة الورق التي أعطوني إياها، على الشاشة الإلكترونية. عندما يظهر رقمي على الشاشة مصحوبًا برنين، أدفع قصاصة الورق عبر النافذة، ثم بعد انتظار قصير، تُدفع نحوي سلَّة صغيرة بها ما يكفي أسبوعًا من علاج أُمِّي. كررتُ الرحلة إلى الصيدلية كل يوم أربعاء لأصرف دواء أُمِّي وأرسله إليها بالبريد. في كل مرة أهاثُها لأخبرها أن الدواء في طريقه إليها بالبريد، كانت تقول، "تلك هي ابنتي!" دائمًا بنبرة الصوت نفسها التي لا تتغيَّر أبدًا، "أحسننت يا ابنتي! شكرًا يا ابنتي!".

قبل موتها بأربعة أيام، أرسلت أُمِّي إليَّ حزمةً. كانت تحوي خاتمًا كانت ترتديه دائمًا وبعض كيمتشي أوراق البيرلا.

"كيتمشي أوراق البيريلا هو المفضل لديك" بدت مبتهجة عبر الهاتف. "كنت أتطلع دومًا لأن أترك لك ذلك الخاتم!".

لم أعرف أنها ستموت قريبًا جدًا.

كلّما فكّرتُ في حقيقة أنها حزمت كيتمشي أوراق البيريلا من أجلي ثم خلعت خاتمها ولفّته في ورقة وأرسلته إليّ قبل موتها، أدعكُ عيني بقوة كما لو كنتُ أرغب في انتزاعهما من محجريهما. ما عاد يوجد دواء كي أذهب لجلبه من صيدلية المستشفى كل أربعاء، مع هذا في كل صباح أربعاء، كنتُ أجد نفسي جالسًا في حجرة انتظار تلك المستشفى، كان جزءًا من روتين يوم الأربعاء. ما عدتُ أملك رقمًا لأنتظر ظهوره، لكن في كل مرة يرنُّ جهاز الاستدعاء، أرفع عيني وأشاهد الرقم على شاشة العرض يتغيّر. بعد فترة من الانتظار، أخبر نفسي أن الوقت قد حان كي أذهب إلى المحاضرة فأغادر حجرة الانتظار. لكن قبل أن أدرك ما فعلتُه، أجد نفسي أتوجّه إلى محطة القطار عوضًا عن الجامعة، وأصعد على متن قطار. في بعض الصباحات، أصل حتى الطريق المنحدر الذي يقود إلى الجامعة فقط كي ألتفت وأتجه إلى محطة القطار. هناك أشتري تذكرة على متن أول قطار مغادر.

كان هناك دائمًا مقاعد خالية في القطار في منتصف اليوم. يمكنني الجلوس أينما شئتُ بغضّ النظر عن رقم المقعد المطبوع على تذكرتي. في بعض الأيام كنتُ الشّخص الوحيد داخل عربة القطار بأكملها. كنتُ أشخص ببصري خارج النافذة حتى يعلن مُحصّل التذاكر وصول القطار إلى المحطة في البلدة الصغيرة حيث وُلدتُ. حين يظهر النهر من نافذة القطار المنطلق، ألتفت برأسي وأحدّق إليه حتى لا يمكنني رؤيته بعد الآن، وتتسلّل الجبال البعيدة إلى مجال رؤيتي، فأنحنى إلى الوراء في مقعدي. ذات مرة، ظهر سربٌ من الطيور من العدم، وحلّق عبر حقل. راقبْتُها حتى دخل القطار إلى نفق. حينها أغلقتُ عينيّ

بإحكامٍ رغم عدم وجود أي شيء كي أراه بعد الآن في عتمة النفق. كنت أتصورُ جوعًا دائمًا عندما يتوقف القطار أخيرًا. أتناول صحن حساء شعيرية في متجرٍ أمام المحطة. في تلك اللحظة أدرك أين أنا، وأتمم إلى نفسي، " لقد عدتُ يا ماما".

ما كان موت أمي السَّبَبَ الوحيد لقراري بأن آخذ عُطْلَةً من الجامعة. كنت أدرس في جامعة للفنون. كان يسود حرم الجامعة أجواءٌ مُتحررة، مميّزة لكليات الفنون. بعض الناس ينسجمون معها، بينما يُنبذُ غير المتأقلمين. كنت أُنتمي إلى المجموعة الأخيرة. أشكُّ أن أي أحد هناك كان يعرف كيف يبدو صوتي. كان الطلبة الذكور مهتمّين بالاحتجاج وشرب الكحول أكثر من حضور المحاضرات، والطالبات كُنَّ مشغولات بالتأنيق أو الدخول في نوبات اكتئاب حادّة. كانت الجامعة ذلك المكان الذي يمكنك أن تذكر فيه إذ فجأة في خِصْمٍ محادثة عادية مقولة لهاملت أو أوفيليا، ولن يجد أي أحد الأمر شاذًا. هناك كان يعتبر الغناء من دون انقطاع أو الجلوس في بقعة ما والتحديث إلى شخص من دون أن تطرف عيناك علامةً على التمييز. حتى لو لم تكن تحاول بشكل خاص أن تلتقط بعينيك شخصًا يفعل شيئًا غير عادي، فسوف يلفت انتباهك أحدُهم في نهاية المطاف. بمظهري العادي، شعرتُ كما لو أنني وحيدة دائمًا. كل شيء يقولونه بدًا لي أشبه بلُغَةٍ أجنبية من بلاد بعيدة جدًّا. لكن لم يكن ذلك هو دافعي الوحيد كي أقرُّ أخذَ أذن بالتغيّب عن الجامعة. حينها، كنتُ دائمًا الغريبة الأطوار أينما تواجدتُ.

ذات يوم اختفى أحدُ زملاء فصلنا الذكور. كان شخصًا ودودًا يدعو الجميع بـ "دواسة"؛ لأنه يمشي بنشاطٍ جعله يبدو دائمًا كأنه يُركب دواسة في ساقه. في آخر يوم قبل انقطاعه عن القدوم إلى الجامعة، أتى إليّ مهرولاً حيث أجلس على مقعد خشبي. أخبرني أن أخاه الأصغر في المدينة وأنه يحتاج إلى إرسال المال معه إلى القرية على الفور.

تمكّن من إقناعي بأن أمنحه كل النقود التي كنتُ أحملها معي ذلك اليوم. أخذ مني حتّى كتاب قصائد -مجموعة قصائد إيميلي ديكنسون⁽¹⁾- أهداه إليّ داهن، صديق طفولتي، عندما غادرتُ بلدي. لاحقًا اكتشفتُ أن "دواسة" قد اقترض المال وقلم حبر وكُتِبًا ومُفكّراتٍ من أكثر من عشر فتيات أخريات في اليوم نفسه، ثم اختفى من دون أثر. اكتشفنا بعد فوات الأوان أنه لم يكن حتى طالبًا مُسجّلًا في الجامعة. بينما ينفجر زملائي في الفصل غضبًا، قائلين إنه لا يمكن تصديق أنه كان يحضر المحاضرات معنا لعدّة شهور وهو غير مُقيّد في الجامعة، وأنه ينبغي عليهم فعل شيء حيال الأمر، غادرتُ لأقدم على إجازة غياب.

في الليلة التي أهداني فيها داهن كتابَ القصائد، ظهر أمام بوابة منزلنا الأمامية ونادى على اسمي. تسلّلنا عبر الأزقة المعتمة لبلدتنا حيث تركنا مئات الآلاف من آثار أقدامنا في الوحل، ومشينا إلى حقلٍ مفتوح على حافة البلدة. جلسنا بجوار بعضنا البعض إلى جانب قضبان السكة الحديدية. قرّرتُ مُحركُ قطار اندفع ليتجاوزنا. ومَضَ الضوء المنبعث من كل عربة من عربات القطار. لولا قرقرة المحرك، لظنّنا أنها مجرد نوافذ مضيئة تتسابق في الظلام، "يجب علينا أن نذهب إلى الجامعة" بدا داهن كأنه يقطع عهدًا على نفسه.

كنتُ مُتفاجئةً للغاية كي أردّ عليه.

"سوف أصبح فنّانًا" قال. شعرت أنني سأنفجر. هَبَّ نسيم الليل تجاهنا فوق الحقل، وبدا أنه يحمل أمانينا معه، ويرحل أمام أعيننا إلى زمن بعيد. عندما افترقنا تلك الليلة، ناولني كتابَ قصائد بغلاف

(1) إيميلي ديكنسون (1830-1886): شاعرة أمريكية لم تتلقَ أي تقدير أدبيّ خلال حياتها، لكنها حظيت بشهرةٍ طاغية بعد مماتها. تُعتَبَرُ أهم شاعرة أمريكية في القرن التاسع عشر.

ورقيّ. قال إنه انتهى للتو من قراءته وأنه يهديه إليّ. كان الظلام شديداً لأتمكّن من قراءة العنوان.

"قالوا إنها عندما ماتت، تركت أكثر من سبعمائة قصيدة مُخبّأة في درج" قال. "نُشِرت أول مجموعة قصائد لها بعد أربع سنوات من موتها".

"مَن هي؟"

"إيميلي ديكنسون".

"إي-مي-لي-دي-كن-سون". حتى بعد أن نطق مقاطع اسمها كلاً على حدة، لم أتعرف على اسمها أيضاً. عرف داهن دائماً منذ عمر صغير ما أراد فعله. كان يفكر بعمق في الأشياء، ويتصرّف بشكل مختلف عن أقرانه. كان يقرأ كتباً مختلفة ويمتلك أشياء مختلفة ولديه طريقة مختلفة في الحديث.

"تبدو كأنها ترى أشياء ليست من هذا العالم" قال داهن.

"ليست من هذا العالم؟"

"أشياء لا يمكننا رؤيتها. مثل الموت مثلاً... وغيره".

كانت أول مرة أسمع فيها أحدهم في مثل سنّي يتحدث عن الموت أو أشياء "ليست من هذا العالم". ربّما لهذا بدا داهن دائماً كأنه أكبر من عمره الحقيقي بعدة سنوات. عندما أعود إلى البيت وأفتح أول صفحة من الكتاب، كان أول ما رأيته هو كتابة بخط يد داهن.

بدأتُ في المشي بنعومة.. البشر المساكين لا يجب أن يُزعجوا عندما يستغرقون في التفكير.

رينيه ماريا ريلكه (مُفكّرات لوريدس بريجي)⁽¹⁾

(1) مذكّرات مالتى لوريدس بريجي: من أهم الأعمال النثرية للشاعر الألماني رينيه ماريا

أعجبتُ بخطَّ يدِ داهِن. بدا أشبهَ بالخربشة، لكن طريقته في الكتابة مُفعمّة بالنشاط، لدرجة ذكّرني بحوافر حصان سباق عدو. تأملتُ المقولة وأدركتُ أنها وداع. وضعت الكتاب في قاع حقيبتِي.

لأنني لم أستطع التوقُّف من أجل الموت،
توقَّف الموتُ من أجلي بلطفٍ.
وهكذا لم تحمل العرْبَةُ سوانا والخلود.

عندما أقرأ شِعْرَ ديكنسون؛ أتصوّر وجه أمي. أردت أن أتذوّق القصائد؛ لذا رُحْتُ أقرؤها ببطء، وأعيد قراءة كل قصيدة عدّة مرّات. عندما فرغت من الكتاب، ركبت على متن أول قطار أنفاق إلى متجر كُتُبٍ ضخّم في شارع جونجنو، متشبّثة بالطوق طوال الوقت كيلا أهايل. أول كتاب اشتريه في هذه المدينة كان مذكّرات لوريدس بريجي من دون أن أملك أدنى فكرة عن محتواه. اخترته لأنه كان العنوانَ الذي كتبه داهِن بخط يده في الكتاب. على متن قطار العودة، فتحت الصفحة الأولى.

هنا، إذًا، حيث أتى الناس ليعيشوا.

بينما أحدّق ببلاهة إلى العبارة الأولى، انحدرت دَمعةٌ يتيمة من عيني، دمعةٌ أبّت أن تخرج من عيني حتى حين غادرت المنزل إلى

ريلكه، وتعدُّ الرواية الوحيدة التي كتبها ريلكه، عام 1910، أثناء تواجده في باريس، وهي تُعتَبَرُ سيرةً شبه ذاتية.

المدينة. هل أنا أيضًا أحد هؤلاء الذين أتوا ليعيشوا؟ هذه المدينة لم تكن رحيمَةً معي. بها مبانٍ شاهقةٌ، وبيوت عديدة، وعددٌ لا حصر له من الناس، لكن لا أحد يُحييني بامتنان أو يمسك بيدي. الكثير جدًا من الشوارع الواسعة والضيقة، والتي كانت تجعلني أضلُّ طريقي على نحوٍ مُتكرِّر. ولم يكن لديَّ بدوري أي نيةٍ للتعرُّف على الناس في هذه المدينة. تعودت على عدم إلقاء التحية على الناس حين أقابلهم. كنت أتصرف كمُغترِبةٍ شابةٍ.

كانت ابنة عمي التي عِشتُ معها في المدينة وصيَّتي القانونية حتى انتهائي من المدرسة الثانوية. تزوجت قُربَ الوقت الذي بدأتُ فيه الجامعة. عند زواجها، كان من المنطقي أن أنتقل للعيش خارج بيتها، لكن ما كان لديَّ مكانٌ آخر للذهاب إليه. على الرغم من أن أمي أرسلتني بعيدًا عنها، لكنها لم تُردِّ أن أعيش بمفردي. مكثتُ مع ابنة عمي كي أطمئنَ أمي التي كانت لا تزال تصارع مرضها. لكن بمجرد أن ماتت، أضحى مكوثي هناك أصعب بالنسبة إليَّ. كان زوجها طيارًا، وهو ما عني أنه كان غائبًا عادة في رحلات طويلة إلى أماكن مثل باريس ولندن، لكن لم يكن غائبًا طوال الوقت، ولم أرغب في أن أكون دخيلةً. كنت لأفضل البقاء مع أمي حتى لو لفترة قصيرة قبل بداية الجامعة، لكنها رفضت السماح لي بذلك. في ذلك الوقت لم تتبقَّ خُصلةٌ شعْرٍ واحدةٍ في رأس أمي.

السَّطر الثاني في مذكرة لوريديس بريجي "لكنني فكَّرتُ فيه أكثر كمكانٍ أموت فيه". كان يتردَّد في رأسي عندما قدَّمت على إجازة التَّغْيِب من الجامعة، ولم يكن قد انتهى الفصل الدراسي الأول بعد. لم أكن أملك أصدقاء؛ لذا لم يكن هنالك أحدٌ لأودَّعه قبل أن أعود إلى بيت والديَّ في الريف. عندما انتقلتُ من شقة ابنة عمي، حدَّجتني بنظرةٍ أسفٍ، وسألتنني إذا كان يجب عليَّ حقًّا أن أرحل.

"آسفة"، قُلْتُ. لم تكن الطريقة المثلى للإجابة على سؤالها.

"آسفة؟ آسفة على ماذا؟".

" كل شيء". عَنَيْتُ ما قُلْتُهُ. شعرت بالأسف بشكل خاصّ تجاه ابنة عمي. كنتُ آسِفَةً لأنني لم أبتسم أكثر، لأنني لصقت ورقًا أسود فوق نافذة في بيت عروسين جديدين، لأنني لم أكن أكثر لطفًا. كنتُ آسِفَةً لأنني أجبرتها على الاعتناء بي بعد موت أمي. كنتُ ألاحظ الشفقة التي تُومض في عينيها كلما نَظَرَت إليّ. عشنا معًا أكثر من أربع سنوات. أَلَحَّت عليّ أن أبقى، وأخبرتني أن أعيد التفكير في الأمر. أخبرتها أنني قد حَسَمْتُ قراري بالفعل. سألتني ثانيةً إذا كان ثمة احتمالٌ أن أُغَيِّر رأيي فَهَزَزْتُ رأسي بـ "لا". عانَقْتَنِي عناقًا طويلًا، وقد اعترت وجهها نظرةٌ حزن.

" عودي في أي وقت إذا باتت الأمور صعبة".

فاحت من جسد ابنة عمي رائحة طازجة لعروس جديدة. رائحتها أشبه برائحة فراولة أو أوراق شجر أو خوخ. عندما التقطت أنفي تلك الرائحة الحلوة، عرفتُ أنني قد اتَّخَذْتُ القرار الصحيح، فعلى الرغم أنني قد شَعَلْتُ فقط حُجْرَةً واحدة صغيرة داخل الشقة، كان لا يزال مَنْزِلُ عروسَيْنِ جديدين. التفكير في تغطية نوافذ الحجرة بالأسود، وإرغامي لهما على التفكير قبل أن يَضْحَكَا أو يبتسما من حولي. التفكير أن ابنة عمي لم تعبس في وجهي أبدًا ولو مرّةً واحدة؛ كل ذلك كان يؤكِّد لي أن وقت رحيلي قد أزف. ذات مرة سألتني زوجها "أليست الحجرة مُظْلَمَةً جدًّا؟"، فقلْتُ له إنها تُناسِبُنِي هكذا. لم يذكر الأمر ثانية.

كان العام الذي قضيته في منزل العائلة بالريف باهتًا ومُمِلًا. كان داهن قد غادر بدوره إلى الجامعة، وكان يعيش في مدينة أخرى، ولم يتغيَّر روتين أبي اليومي، سواء كنتُ هناك أم لا. تَبَدَّلَت الفصول:

تَفْتَحَتْ براعم جديدة، وعبرت أعاصير، واكْتَنَزَتْ ثمار الكاكي، وسقطت أمطار غزيرة. في خلال سنة، أصبح ظَهْرُ أبي أكثر انحناء، وتحوَّل إلى رَجُلٍ مُسَنَّ. كان قد تَعَوَّدَ على الاعتناء بنفسه أثناء مرض أمي الطويل؛ لذا لم تكن الأمور أصعب عليه بعد رحيل أمي. مع هذا، شاخ بسرعة وبات كتومًا قليل الكلام. تَسَاءَلْتُ أحيانًا إذا كان وجودي يُشعره بعدم الارتياح. كنت أخلِّدُ إلى النوم متأخرًا، وأجد صعوبة في الاستيقاظ في اليوم التالي. في أثناء ذلك، كان أول شيء يفعله كل صباح هو زيارة قبر أمي. كان يضع طبقةً جديدة من التربة فوق قبرها. استخرج حتى شجرة تمر حنَّة المفضَّلة إلى أمي التي كانت تنمو في فناء بيتنا، وأعاد زراعتها قرب قبرها. رافَقَتْهُ مرَّاتٍ قليلة، لكن كنت أتجنَّب الذهاب معه عادةً.

بينما أسير وراء أبي في الطريق إلى ضريح أمي، كان يبدو كبيتٍ مُتداعٍ؛ لهذا رَتَّبْتُ أن تكون زيارتي إلى قبر أمي في منتصف اليوم أو عند غروب الشمس. بتلك الطريقة، لم يكن هنالك أي فرصة لأن أصادفَه. لم تكن أمي خائفةً من أن تموت، بل كانت آسفةً.

أمطرت بشكلٍ متواصل لعدَّة أيام، ثم توقَّف المطر. عند توقُّفه، حدث شيئا.

عاد أبي من البلدة ذات يوم، وخلع قميصه وقذفه فوق الشرفة، ثم بينما لا يرتدي سوى قميصٍ تحتيِّ بلا أكمام، التقط جاروفًا وغادر ثانية عبر البوابة الأمامية. كانت قد سقطت من القميص الذي ألقاه أبي، علبة سجائر. أمسكت بالسجائر وعثرت على قَدَّاحَةٍ، وذهبت خلف البيت. انتشرت أوراق القلقاس، واليقطين في الباحة الخلفية. جلست القرفصاء وتأملتُ أوراق القلقاس الخضراء التي باتت مفرودةً بعد المطر. أخرجت سيجارة من العلبة ووضعتها في فمي. أشعلت القَدَّاحَةَ ورفعتهَا نحو السيجارة. استمرت في الالتفات حولي بعصبية

خشيةً أن يلمحني أحدُهم، لكن ظهر أبي إذ فجأةً من خلفي. لم يكن هنالك وقتٌ لإخفاء ما كنتُ أفعله. التفتت عينا أبي بعينيٍّ تمامًا كما لامس اللهب السيارة. تسمَّر في مكانه ورمقني بنظراته للحظة ثم التفت ومشى بعيدًا من دون أن ينطق بكلمة. جهَّزْتُ نفسي لتوبيخ لاذع. فكَّرتُ حتى أننا لو تجادلنا، فقد يكسر ذلك الصمت والعزلة اللذين شيَّدا حاجزًا ثقيلًا بين أب وابنته. لكن لدهشتي، لم يَقُلْ أبي أي كلمة على مائدة العشاء. فكَّرتُ أن رؤيته لي أشعل سيجارة كان أمرًا مؤلمًا وأنه اختار أن يتظاهر بأنه لم يَرَ أيَّ شيء بدلًا من مواجهتي. تنامى غضب غريب بداخلي. أردت منه أن يوبِّخني. بتلك الطريقة، يمكنني أن أدخِّن من دون الشعور بالندم. بدأت أنظف المائدة بعد العشاء لكنه سألني -إذ فجأةً- إذا كنتُ أرغب في طلاء أظافري.

"طلاء أظافري؟".

"لا أعلم إذا كنتِ تتذكَّرين ذلك، لكن ذات مرَّة -حين كنتِ صغيرةً- طلبتُ أظافركِ بزهور البلسم".

هل فعَلَ ذلك؟ نظَّرتُ إلى أسفل نحو يديَّ اللَّتَيْنِ مُسَكَان بصينية العشاء.

"عندما اكتشفتِ الطلاء البرتقالي على أصابعكِ في الصباح، صرختِ، (أظافري تنزف!)، ثم رَكَضتِ إلى البئر ووَضعتِ يديكِ في المياه الباردة. كنتِ صغيرةً جدًّا...".

في ليالي الصيف، حين كانت أُمِّي مريضة، كان أبي يسحق بتلات البلسم ويضعها على أظافرها، ثم يلفُّها بالمشمع ويُنَبِّتُه بخيط. طلبت أُمِّي منه أن يفعل ذلك من أجلها. قال إنه تساءل إذا كان البلسم هو السبب أن المخدَّر لم يعمل بشكل جيِّد خلال جراحاتها. بعد أن نظَّفتُ مائدة العشاء، راقبته وهو يضع أزهار البلسم المسحوقة

فوق أظافري. سألته بصوت خافت "هل طلاء الأظافر بالبلسم يمنع التخدير من العمل حقًا يا بابا؟".

غمغم "لست متأكدًا".

عندما تذكّرتُ أمي، فكّرتُ، أنا آسفة يا ماما، لن أدخّن ثانية يا ماما.

في تلك الليلة ربطت خيطًا حول أظافر أصابعي، وذهبت مع داهِن إلى الحقل عند حدود البلدة. عاد داهِن إلى القرية في زيارة من المدينة الجنوبية حيث جامعته. مَشِينا فوق قضبان السكة الحديدية في الظلام.

منذ انتقاله جنوبًا من أجل الجامعة، أضحى داهِن كتومًا مثل أبي، وبدأت جبهته مقطبّةً طوال الوقت. ذقنه غير حليقة، ويرفض أن يتسم كما لو كان قد اتَّخذ قرارًا ألا يكون لطيفًا مع أي أحد. ولا حتى أنا.

"داهِن" قلتُ وأنا أدير كتفه ليواجهني في الظلام. كان يفصل بيننا عددٌ لا نهائي من قضبان السكة الحديد السوداء. "أترغب في رؤية قبر أمي؟".

لم أعتقد أنه سيوافق ببساطة هكذا. أومأ برأسه في الحال، وقال إنه سيمرُّ على بيته أولاً ليحضِرَ كَشَافَ الرأس الخاص به. "كشاف الرأس؟".

"أستخدِمُه أثناء التمشية ليلاً أو في أي وقت أخرج فيه للمشي في وقت متأخِر من الليل".

"تعني ذلك الشيء الذي يستخدمه عمال المناجم؟".

"تلك خوذة حقًا. كشافي أصغر حجمًا. أجد صعوبة في النوم؛ لذا استخدمه في مَهَجَعِ الطَّلَبَةِ لرسم. لو تركت مصباح الحجرة مُضاءً،

فلن يستطيع شريكى في الحجرة النوم. أبقى الكشافَ في حقيبتى دومًا، وأستخدمه في الخارج أيضًا كما ذُكرتُ".

هل قال حقًا للتو أنه يرتدي كشافَ رأسٍ في منتصف الليل كي يرسم؟ بدا داهن الذي يتحدث عن الرسم على ضوء كشاف الرأس لأنه يعجز عن النوم- شخصًا غريبًا بالنسبة إليّ. غادرنا قضبان السكة الحديدية ومشينا إلى منزله في صمت. تقاطع ظلّانا على الجدار. انسلّ داهن إلى داخل منزله وعاد يحمل كشاف الرأس. حاول أن يثبتته على رأسي.

"لا، ارتدّه أنتَ" قلتُ. "امشِ أمامي".

أشعل داهن ضوء الكشاف. عندما ومض الضوء فوق جبهته، بدا شخصًا مختلفًا. شَقَقْنَا طريقنا عبر حقل قبل أن نتوجّه إلى الجبل حيث دُفِنَت أُمِّي.

"لقد أَحَسَنْتِ التَّعَامَلَ مع الأمر".

"أي أمر؟".

"موت أُمِّكَ".

شعرت بوخزة مفاجئة في صدري فَلَفَفْتُ إحدى أصابعي التي لا تزال مُحاطَةً بخيوط القطن، حول خنصر داهن. بعد موت أُمِّي، انقطعت عن القراءة. اتَّصَلْتُ بي ابنة عمي وحاولت أن تقنعني بالذهاب إلى الكنيسة، لكن لم أرغب في الاستماع إلى أي أحد. لم أفعل أي شيء طيلة العام. في الأيام التي كان المطر ينهمر فيها أو حين أشعر أنني أشبه بثمرة بطاطا قد قُطِفَتْ من تعريشتها، أذهب إلى وسط المدينة وأنسلُّ إلى داخل قاعة سينما تعرض فيلمين متعاقِبَيْن، أغوص في مقعدي وأعود إلى البيت مباشرةً بعد انتهاء العرض. أَبْقَيْتُ خاتم أُمِّي -الذي يتَّخِذ شكل لؤلؤة أشبه بدمعة- في جيبي طوال الوقت.

كنتُ أستيقظ مفزوعةً في منتصف قيلولة، وأدسُ يدي بعُجالةٍ داخل جيبِي بحثًا عن الخاتم. أسترخي بمجرد أن تلامس إصبعي اللؤلؤة، لكن يشعُرني ذلك أيضًا بالندم على الطريقة التي عامَلتُ بها أُمي. ذات مرَّة بعد أن مرضت، دخلنا في مجادَلَةٍ، ورَفَعْتُ صوتِي في وجهها. كنتُ أشعر بغضب ومرارة شديدين نحوها لدرجة أنني تخيَّلْتُ أنني ميِّتة، وتصوَّرتُها تنظر إلى جُثَّتِي بحزن لا يمكن مواساته. ذكَّرني الخاتم بذلك. لن أستطيع أن أترجع عمَّا بدر مني في تلك اللحظة. شعرت بالحزن وكرهت نفسي لأنني تَمَنَيْتُ لها الألم ولو للحظة. لكن لم أستطع حمل نفسي على ارتداء الخاتم. بدا ارتداؤه اعترافًا بأنها ميِّتة، وكنتُ خائفة من الاعتراف بذلك.

عندما بلَّغنا قَدَمَ الجبل، انكمش داهِن إلى الوراء.

"ماذا هناك؟" سألته.

"عناكب".

كي نصل إلى القبر، علينا أن نسلك معبرًا جبليًّا، وبطول ذلك المعبرِ المُظلم، تبني العناكب شباكها في الهواء أو تنتظر حابِسَةً أنفاسها على الأرض تحت الأقدام أو زاحفة فوق الصخور.

"تخاف من العناكب؟".

اهتزَّ ضوء كَشَّاف رأس داهِن لأعلى وأسفل في الظلام.

"تخيفني العناكب أكثر من شرطة مكافحة الشغب!".

لم أتمالك نفسي وقهقهت. رجلٌ بالغٌ يخاف من العناكب.

"لا تضحكي. تستخفِّين بها الآن لكن سوف تندمين. ألم تسمعي عن العناكب العملاقة آكلَةَ الطيور التي هاجَمَت قرية في أستراليا؟".

"لا".

مكتبة

t.me/t_pdf

لم أسمع عن ذلك حقًا. لكن منذ أن قرأت عن العناكب الصغيرة التي تتغذى على جسم أمها بينما تكبر، أصبحتُ عاجزةً عن حب العناكب. كان الاستماع إلى أسماء العناكب التي تخرج من بين شفطي داهن مدهشًا وغريبًا: العنكبوت الذئب، عنكبوت الرُّتِيلاء، عنكبوت السَّلطعون، عنكبوت النَّاسِكِ البُنِّيِّ، عنكبوت سيدني قُمعِي الشَّبَكَة.

"العناكب قمعية الشبكة هي الأقوى".

بمجرد أن يبدأ الحديث عن العناكب، لا يتوقَّف. أخبرني أن العناكب انحدرت من سلالة المفصليات ثلاثية الفصوص التي عاشت في العصر الكابري في الحقبة اليايوزية (حقبة الحياة القديمة)، وأن العناكب عاشت تحت الأرض لفترة طويلة جدًا قبل أن تصعد فوق الأرض بدءًا من حقبة الحياة الوسطى حتى حقبة الحياة الحديثة. أضاف أن عدد سلالات العناكب قد ازداد باطرادٍ خلال تلك الفترة، والآن بات من الصعب استيعاب عدد سلالات العناكب الموجودة.

هل يتشارك الخوف والحبُّ الجذورَ نفسها؟ تساءلتُ إذا كان داهن يخاف حقًا من العناكب. عرف داهن كل شيء يمكن معرفته عن العناكب، بنفس الطريقة التي يهتم بها شخصٌ بشيء ما بعمقٍ لأنه يحبه كثيرًا جدًا.

"متى بدأتَ تخاف من العناكب؟" سألته.

"منذ وقت طويل".

"لكن كيف لم أعلم بذلك؟".

"ما كنتَ لتستطيعي معرفة ذلك".

"لماذا؟ هل كان سرًّا عظيمًا تحاول إخفاءه؟".

"لأنك لا تحبينني.... لهذا لم تعرفي".

حَدَّقْتُ إِلَيْهِ بَيْنَمَا يَمْشِي أَمَامِي فِي الظَّلامِ رَغْمَ ذَعْرِهِ مِنْ مِصادِفَةِ
عَنْكَبُوتٍ.

اصْطَدَمْتُ بِـي كُلِّ كَلِمَةٍ تَفَوَّهَ بِهَا- لِأَنَّكَ لَا تَحْبِينِنِي، كَمَا تَتَساقَطُ
قَطراتُ المَطَرِ مِنْ عَلى أَوْرَاقِ الشَّجَرِ.

"هَلْ حَدِثَ شَيْءٌ سَيِّئٌ جَعَلَكَ تَخافُ العِناكِبَ؟"

"لا، لَيْسَ حَسَبَ ما أَتَذَكَّرُ."

"إِذاً ما الأَمْرُ؟ لِمَ إذا العِناكِبُ مِنْ بَينِ كُلِّ الأَشْياءِ؟"

"لِمَ إذا؟" أَضَفْتُ، "مِنْ بَينِ كُلِّ الأَشْياءِ؛ بَعْدَ العِناكِبِ؟". "هَلْ سَيَكُونُ
الأَمْرُ مِختَلِفاً لَوْ قَلْتُ لَكَ إِنِّني أَخافُ مِنَ البُومِ أَوْ السِناجِبِ؟"

يَبْدُو أَنَّ حَدِيثِي عَنِ العِناكِبِ قَدْ أَثارَ تَوَثُّراً داهِناً، لَكِنْ كانَ لَدَيْهِ
وَجْهَةٌ نَظَرٍ.

"يَجِبُ أَنْ تَحاولَ التَحديقَ إِلى عَنكَبُوتٍ مِباشِرَةٍ وَعِيناكَ مِفتوحَتانِ
عَنْ آخِرِهِما... رَها سَوفَ تَتَغَلَّبُ عَلى خَوفِكَ".

"لَقَدْ جَرَّبْتُ ذَلكَ. أَخَبَرَنِي أَحَدُهُم أَنَّ كُلَّ ذَلكَ كانَ فِي رَأسِي فَقطَ،
وَأَنَّ عَليَّ الذَّهابَ إِلى مُتَحَفِ عِناكِبِ فِي نَاميانِجِجُو، وَمِواجِهةَ بَعْضِ
العِناكِبِ الضَّخِمةِ، وَأَنَّ نَظَرَ إِليها مِباشِرَةٌ. لَكِنْ رَؤيةَ العِناكِبِ المُحَنِّطَةِ
فَقطَ جَعَلَنِي أَشعَرَ بِحِكْمَةٍ تَسري في جِسدِي كَلى، حَتى الجِلدِ تَحْتِ
أَظافِرِ أَصابعِ أَقدامِي. شَعَرْتُ أَنَّ دَمِي يَتَدفَّقُ إِلى الوِراءِ، وَأَنَّ جِسدِي
كَلى يَتورَّمُ كَبِثْرَةً كَبيِرةً.

"الأَمْرُ بِذَلكَ السَوءِ؟"

"إِنَّه كَذلكَ حَقًّا".

حَرَّرْتُ إِصْبَعِي مِنْ إِصْبَعِ داهِنٍ وَنَظَرْتُ فِي عَينِيهِ مِباشِرَةً.

وَقَفَ سَاکِناً فِي مِكانِهِ كَرَجُلٍ يَنتَظِرُ حُكْماً ضَدَّهُ. فَتَحَتِ ذِراعِي وَعانَقَتَهُ.

"لا تَخَفْ". كنت أقول تلك الكلمات لي أيضًا. "سنكون بخير. سنكون على ما يرام".

سقط ضوء كَشَاف رأس داهن الذي كان يمسح الأرض بحثًا عن العناكب، على وجهي.
"أيمكنني أن أُقَبِّلِكَ؟".

لم أقل أي شيء. لامست شفطا داهن خدي بِتَرَدُّد، ثم جبهتي. بعد لحظة، أدنا شفتيه من شفتي. كانتا دافئتين وجميلتين.

"لم أفكر أنك ستكونين قُبَلْتِي الأولى" قال داهن. لم أستطع منع نفسي من أن أضحك ضحكة قصيرة. كما لو أنني كان بإمكانني أن أعرف أيضًا أنه سيكون قُبَلْتِي الأولى، وأن قُبَلْتِي الأولى ستكون في أجواء غير مثيرة للغاية. في مقابل سماء الليل، بدا هيكل الجبل أشبه بحيوان ضارٍ. ظلُّه الأسود الذي يشبه وحشًا أسودًا ضخماً يرقد على بطنه، وفمه مفتوح، يبتعد أكثر فأكثر. بينما تقترب من الجبل، بدأ الخوف يتسلل إليّ. اقترحتُ أن نعود من حيث أتينا. لكن على الرغم من ارتجافه خوفًا من العناكب التي ما كان ليعرف مكانها من دون كَشَاف الرأس، كان مُصمِّمًا على أن نتابع طريقنا إلى قبر أمي. حلقت الطيور الليلية مُتَنَقِّلَةً من شجرة إلى أخرى، كما لو كان صوت جدالنا بين أن نعود أدراجنا وأن نمضي قُدُمًا قد أفرعها. كان داهن منشغلًا جدًا بتوجيه ضوء الكشاف صوب المَعْبَرِ وفي الهواء ليتفقد العناكب، لدرجة أنه كان يجد صعوبة في تحريك قدميه. ظل يمشي إلى الأمام بينما يَصِفُّ لي كيف تنهار ركبتاه لمراى عنكبوتٍ، وكيف تسري بجسده رعشات باردة لمجرد مشاهدة عنكبوت في وَضَح النهار، حتى لو من على مبعده. فكَرْتُ إذا كان خائفًا، فإن بإمكانه أن يتجنَّب النظر إليها فحسب. لماذا هذه الرغبة التي لا تُقهر في أن يطارد العناكب بكشاف رأسه؟ ماذا لو رأى واحدًا بالفعل؟ ربما كان

البحث عنها بأم عينيه هو طريقته للتعامل مع خوفه. إذًا هذا هو الشخص الذي أتحوّل إليه الآن، فكُرتُ وقد عرفت شيئًا جديدًا عن داهن. أخيرًا أرشدني داهن عبر الظلام إلى قبر أمي، مُحاربًا العناكب المُخيفة بطول الطريق.

"لقد وصلنا".

بمجرد أن وصلنا إلى القبر، أطلق داهن تنهيدة عميقة. كانت تنهيدةً بهجةٍ شخصٍ قد قهر خوفه.

"فلننحني" قال.

"في هذا الوقت من الليل؟".

"ألم نأتِ لفعل ذلك؟".

"لا" قلت.

أخبرته ألا يفعل، لكن داهن انحنى على أية حال، وكشاف رأسه لا يزال في مكانه. عندما انتهى من ذلك، وجّه ضوء الكشاف على شجرة التمر حنةً وغمغم "إذًا هذا هو المكان حيث نقل والدك الشجرة".

ذهب إلى الشجرة، وأخرج سيجارةً وأشعلها. في أثناء ذلك انفكّ الخيط الذي ربطته حول إصبعي. تساقط معجون زهور البلسم المسحوقة أمام القبر مرتطمًا بدويًا مكتوم. ومضت سيجارة داهن في الظلام. لا بُدَّ أنه كان يدعكُ وجهه بيده والسيجارة لا تزال بين أصابعه؛ لأن جذوة السيجارة كانت تتراقص في العتمة كيراعة. قبضت على حفنة من التربة أمام قبر أمي واعتصرتُها في يدي ككُرةٍ من الأرز ووضعتها في جيبي. ربما تلامس التربة الآن خاتم أمي في جيبي. اجتاحني إحساس بالفراغ جعلني أرغب في التشبُّث بأي شيء، فنظرت إلى داهن حيث كان يتململ أسفل شجرة التمر حنةً، والكشاف على رأسه والسيجارة في فمه، عاجزًا عن وضع قدمه في أي مكان بارتياح

خشية أن يكون هنالك عنكبوت أسفل الشجرة أيضًا. كِدْتُ أن أسأله "هل تحبني؟ لو كنت قد سألته، فربما كنَّا لنفترق عن بعضنا فراقًا لا رَجعة فيه. ابتلَعْتُ كلماتي وحدَّقتُ إلى قبر أُمي. في تلك اللحظة أمام قبر أُمي، قرَّرتُ أن الوقت قد حان كي أعود إلى المدينة.

"يتظاهر الطلبة في جامعتي كلَّ يوم" قال داهن.

كوَّرتُ المزيد من تربة قبر أُمي في يدي ودَسَّستها داخل جيبي.

"لقد أبرحت أحدَ أصدقائي ضربًا" قال.

"فَعَلتَ ذلك؟"

"كان شخصًا التقيته في سنتي الأولى في الجامعة. كان يحب الأكل. كان يمتلك تلك القدرة على جعل أي شيء يأكله حتى لو لم يكن طعامًا مميَّزًا، يبدو كأنه أفضل طعام يتذوَّقه في حياته كلها. مجردُ مشاهدته تجعلك تجوعين بدورك. أقمنا حفلة وداع من أجله لأنه قال إنه سينضم إلى الجيش، لكن انتهى به الحال ملتحمًا بقوات مكافحة الشغب. أرسلوه إلى جامعتنا لقمع مظاهرة. صدقةٌ عجيبة، أليس كذلك؟ أن يُرسلَ إلى جامعتي من بين كل الأماكن... كلما مشيت أمام حرس مكافحة الشغب، رأيته يقف هناك، يتصبَّب عرقًا في الشمس الحارقة. رأيته عدَّة مرَّات يجلس على الأرض بجوار حافلة الشرطة، حافلة بنوافذ مُسيَّجة بأسلاك شائكة، بينما يحشو كمية كبيرة من الأرز داخل فمه. في كل مرَّة أفكر فيها في الطريقة التي يتناول بها الطعام بنهمٍ شديد، يتنامى بداخلي شعور ما. ثم ذات يوم، كان ورفقاؤه يطاردون بعض الطلاب حين سقطَ على الأرض. كنتُ أنا وهو فقط. لا أعرف لماذا فعلتُ ذلك. حين رأيته يسقط ويتخلف عن رفائه، لحقتُ به. دار ليواجهني. تعرَّفَ عليَّ. لم يبتسم أيُّ منَّا. تصارَعنا- لا أعرف من بادر بذلك، وبدأنا تبادل اللكمات، في البطن والأطراف بشكل أعمى... حاول الركض عائدًا لمجموعته، لكنني لحقت

به وجثوثٌ فوقه، ومنعته من الذهاب إلى أي مكان، وأوسعته ضرباً ثانية".

"لماذا فعلتَ شيئاً كهذا؟".

"لا أعرف. شعرتُ أنني قد جُننتُ. لم أستطع تَحْمُلَ الأمر".

"تحمل ماذا؟".

"نفسي.. نحن.. موقفي.. أعني موقفنا".

استمعتُ إليه بهدوء.

"فقط لأنني من هاجمه، لا يعني أنني كنتُ الوحيد الذي يكيل الضربات. ضربتُ بدوري. لكمني في رأسي، وتسبب في اسوداد عيني. حاول دفعي بعيداً عنه لكنني لم أسمح له بالفرار. طارده ثم طاردني هو ثم طارده أنا ثانية. كان كل شيء ضبابياً. كل ما تبقي بداخلي هو رغبة في التدمير. كل مرة حاول فيها الفرار، كنتُ ألحق به كي أضربه مُجدِّداً. لم أستطع التوقُّف. عندما عدتُ إلى رشدي، كنتُ أرقد في حجرة مهجَع الجامعة. لا بُدَّ أن شخصاً ما قد حملني إلى هناك".

أردتُ أن أقول له شيئاً لكن لم أستطع التفكير في أي شيء كي أقوله.

"لا أستطيع النوم. لا أستطيع فعلَ أي شيء". بات صوته خفيضاً جداً، بالكاد أستطيع سماعه.

"كنتُ أفكر في ترك الجامعة والالتحاق بالجيش".

لم يكن هنالك أي شيء يمكنني فعله كي أجعله يشعر شعوراً أفضل. لا شيء سوى الذهاب إليه وإمساك يده، ومرجحتها في الظلام إلى الأمام والخلف.

عندما أخبرت أبي أنني سوف أعود إلى الجامعة، أعطاني دفتريْن بنكيَّين تَرَكتَهُما أُمِّي من أجلي. أحدهما يحوي مالَ بوليصةِ تَأْمِينِ أُمِّي على حياتها، والآخر كان لحسابِ بنكيٍّ كانت تحتفظ به أُمِّي قبل مرضها. أخبرني أن أعثر على مكانٍ خاصٍ بي لأعيش فيه في المدينة. كان اسمي مطبوعاً داخل دفتري البنك. فتحت الدفتر البنكي الثاني. بداخله قائمة بالمال الذي ادَّخَرته أُمِّي قبل أن تمرض. كانت تُودِعُ مبلغاً ضئيلاً من المال كل يوم دون انقطاع. كيف لم يصرف أبي أي شيء من ذلك المال؟ حاولتُ أن أعيد إليه مال بوليصة التأمين على الحياة لكنه أصرَّ أن أُمِّي أرادت أن أحصل أنا عليه. قال: "أنتِ بالغة الآن؛ لذا عليك أن تعتني بنفسك". بينما أحزم أغراضي للعودة إلى المدينة، وضعت دفتري البنك في قاع حقيبتي. أخرجتها عدَّة مرَّاتٍ على متن القطار، وحاولت أن أحسب مقدار المال الذي كانت تُودِعُهُ كُلَّ يوم. في بعض الأيام، كانت تودع عشرة آلاف وون، وفي أيام أخرى ثلاثين ألف وون، وأحياناً ثمانين ألف وون... ثم ذات يوم، لا بُدَّ أن شيئاً قد حدث؛ فقد أودَعَت مائتي ألف وون دفعة واحدة.

سَحَبْتُ بعض النقود، واستأجرت حجرة استوديو -كوخاً بالأحرى- فوق سطح بناية، في ضاحية فوق تَلٍّ قُرْبَ شَقَّةِ ابنة عمي. أول شيء أخرجته من الحقيبة كانت التربة التي أخذتها من قبر أُمِّي، لا تزال مُتَماسِكَةً مَعًا ككُرَّةِ أرز. ارتديت حذاء رياضياً ومشيت إلى متجر الكتب في شارع جونجنو لأشتري نسخة من شعرِ إيميلي ديكنسون، وأطلس يحوي خرائط مفصَّلةً للمدينة، في طريق عودتي، مرَّرتُ على دكَّان زهور، واشتريتُ أصيصَ زهور. وَصَعْتُ التُّرْبَةَ من قبر أُمِّي في الأبيص وفتحت الأطلس.

بعد عودتي إلى هذه المدينة بعد مرور سنة، قرَّرتُ أن الوقت قد
حان كي أتعرِّف عليها. كي أفعل ذلك؛ قرَّرتُ أن استكشف كل ركن فيها
على قدمي.

مذكرات ميونجسو

المفخرة البنيّة "1"

-1-

لم أذهب إلى الجامعة منذ أيام. سجّلت اسمي في عدّة فصول، لكن لم أشعر برغبة في الذهاب إلا إلى محاضرة الأستاذ يون. لا تزال الجامعة مسرح شغب. وصلتُ هناك مبكرًا نصف ساعة كي أتمكّن من المرور على متجر الكتب. لم أمرّ عليه منذ مدة طويلة. بدا الرجل الذي يعمل هناك سعيدًا لرؤيتي، "لا تزال أعزب، أليس كذلك؟". يظهر عليّ حقًا أنني لا أملك حبيبة؟ سألته كيف يمكنه معرفة إذا كنتُ أواعدُ أحدهم أم لا.

"وجهك يفضحك!" قال.

"اعدُرني؟!"

"يمكنني أن أعرف بمجرد النظر إلى وجهك أنه قد مضى وقت طويل على آخر قبلة لك".

صفعني على ظهري برقعة. طُفْتُ ببصري عبر أكوام الكتب الدراسية، والمجلات والكتب الجديدة، لكن انتهى بي الأمر أشترى مفكرةً اليوميّات البُنْيَّة الصغيرة ذات الغلاف الجلدي التي أكتب فيها الآن. أحب لونها وملمسها في يدي. سوف استخدمها لأدوّن أفكارى وأحداث يومي. أفكر أنها ستضيع مني في النهاية. لقد نسيت حقيقتي في قطار الأنفاق من قبل. في مرّةٍ أخرى، خَلَعْتُ حذائي الرياضي في حانة ونسيته هناك تحت المائدة. لقد فقّدت كلّ المذكرات التي ملأتها بالخرابيش في المدرسة الثانوية. بدا كأن كل أفكارى ومشاعري التي دوّنتها قد ضاعت مع المذكّرات التي احتوتها. لكنني جمعت شتات نفسي وقررت أن أشرع في الكتابة ثانية. أردت أن أمنح يوميّاتي عنواناً لأخلد هذا الحدث. فكّرتُ في تسميتها "مذكّرات سا". "سا" تعني "جديد"، ويمكن أن تعني "بين" وكذلك "طائر". طائر يُحلّق بحرية في الجنة... مذكرات طائر؟ يبدو الاسم غريباً. "مذكّرات الرياح؟". "مذكّرات الربيع؟". "برهان الوجود؟". قضيت ساعتين أفكّر مليّاً في أسماء مختلفة قبل أن أستقرّ على اسم. "المفكرة البُنْيَّة" لأن الغلاف بُنِّي. أعرف أنه اختيار مُملّ. لماذا أكتب هذا حتى؟ لا أملك أي فكرة. لكن أتمنى فقط أن ما سأكتبه هنا، مُقارنَةً بيوميّاتي السابقة، سيكون دليلاً على نُضجِي ومُويّ الفكرِي.

أخذت حصصًا خاصّةً في التصوير الفوتوغرافي في المدرسة الثانوية. عثرت ذات يوم على كتاب لرولان بارت⁽¹⁾، كتب فيه:

"الكتابة تتطوّر مثل بذرة".

كان الأمرُ أشبهَ بمصادفة نافذة مفتوحة على عالم جديد. لاحقًا، اكتشفتُ أن بارت قد كتب عن التصوير الفوتوغرافي أيضًا. قرأتُ كتابه "العُرْفَة المضيئة، تأملات في الفوتوغرافيا"؛ وهو ما جعلني أرغب في البدء بالتقاط الصور. امتلك أبي كاميرا، لكن لم أره يستخدمها يومًا. كان يُخرجها مرّةً كُلّ فترة ويلمسها بيده ويتحدّث كيف أنه لو لم يترك جَدِّي الحمامَ العمومي له ليديره، لكان قد صار مُصوّرًا وطاف العالم. أردتُ أن أُجرّب كاميرا أبي بنفسي. لكن عندما التحقت بفصل التصوير، لم يكن هنالك شيء لأتعلّمه. لم يكن أيُّ أحدٍ هناك قد سمع بالستوديوم أو البونكتوم⁽²⁾، وهما مصطلحان قد التقطتهما من قراءة بارت. لم يسمعوا حتى باسم بارت من قبل. ملّكتُ من نادي التصوير. ذات يوم، كان المعلّم يشرح كيفية التقاط البوتريهات. كنتُ عَصبيًا، ولم أستطع تَحَمُّل الأمر أكثر من هذا. حاولتُ أن أتسلّل خارج الفصل من دون أن يلاحظني أحدٌ، لكنّ المعلّم صرخ باسمي وأوقَفني.

"لي ميونجسو! أين تظنُّ أنك ذاهب؟".

(1) رولان بارت (1915-1980): فيلسوفٌ وناقد أدبي ومُنظّر اجتماعي فرنسي ينتمي لتيّار ما بعد الحداثة.

(2) الستوديوم: هو الاستقبال والتأويل اللغوي والمعرفي للصورة، بينما البونكتوم هو الاستقبال والتأثر الشخصي بالصورة (صدرت ترجمة عربية لكتاب العُرْفَة المضيئة- تأملات في الفوتوغرافيا، عن المركز القومي للترجمة، سنة 2010، بترجمة هالة النمر).

أخبرته أنني يجب أن أذهب إلى الطبيب.

قال: "ما الخطب؟".

لم أكن مريضاً حقاً، ولم يكن عليّ الذهاب فعلاً. رغبت فقط في مغادرة المكان.

"قلتُ ما الخطب؟" صاح المعلمُ من جديد.

لم أعرف ماذا أقول. تردّدتُ، ثمّ اندفعتُ قائلاً، "قلبي مُحطّمٌ".

حتى أنا صُدمتُ كيف بدوتُ فجأً. فكّرتُ أنني سأصبح الآن أضحوكة. سوف يجعلني أركض حول مضمار السباق عشر أو ربما عشرين مرّة كعقاب. يدرّسُ معلّمُ التصوير الفوتوغرافي مادة العلوم أيضاً. كلما عصاه طالبٌ في الفصل، يجعله يزحف على بطنه أو يضربه بالعصى أو يجعله يركض حول مضمار السباق في الشمس الحارقة حتى يسقط من الإنهاك. استسلمتُ لحقيقة أنني سأعاقب، لكن ردّة فعل المعلم فاجأتني.

"قلبكُ مُحطّمٌ؟" حدّقُ إليّ بذهولٍ من خلال نظّاراته. "من الأفضل أن تُسرِعَ إذاً. ولا تتأخّرُ على الحصة القادمة".

-3-

غادرتُ حرم المدرسة وتسلّقتُ التل خلفها. هناك، رقدت فوق قبرٍ بدا ألاً مالِكٌ له، وحدّقتُ إلى سحابة بيضاء رقيقة تطفو في السماء مثل جزيرة قبل أن أتوجّه في النهاية عائداً إلى حصة الفوتوغرافيا. بعد ذلك اليوم، لم أفوتُ حصّةً واحدة. أصبحتُ حتى مهتمّاً أكثر بمادّة العلوم التي لم أؤدّ فيها جيّداً من قبل أبداً. إذا لم أصدق إلى القبر فوق

التل خلف المدرسة وتأمّلتُ السحابة ترتحل في السماء، فرمما كنتُ لأعيد الكاميرا إلى أبي وأتوقّف عن تَعَلُّم التصوير.

-4-

مظاهرات عارمة اليوم.

ذهبتُ هذا الصباح لألقي الجريدة في الخارج، لكن لفّنت انتباهي صورة بعض الكلاب ففتحت الجريدة ثانية. كانت قصة عن كلبين منبوذَيْن. أحد الكلبين أعمى. أينما ذهبنا، كان الكلب سليم النظر يقبع بجانب الكلب الأعمى مباشرة ليحميه. عندما يعبران شارعًا أو يتوقّفان لشرب الماء، يقف الكلب البصير يراقب، بينما يشرع الكلب الأعمى في العبور أو الشرب. تذكّرُ المقالة أن الكلبين قد شوهدا حتى وكلّ منهما يستند برأسه إلى رأس الآخر أو بطنه عندما يعتريهما التعب. حين يتوقّف الكلب الأعمى عن السير، يتوقّف الكلب البصير أيضًا.

أكان ذلك نتاج تدريب أم محض غريزة؟

علميًا لا يمكن للكلب أن يرشد بمحض إرادته كلبًا آخر أعمى، مع ذلك مثل هذا الكلب موجود. فما معنى ذلك؟

تواصلت الأيام العاصفة. أشعر كما لو أنني منعزلًا في المدرسة، وفي الشوارع كما لو أن عينيّ معصوبتان. أهدق طويلًا وبشدة في صورة الكلبين كأنني أحسدهما.

-2-

عَابِرُ الْمِيَاهِ

قبل موعد المحاضرة بساعتين، ارتديتُ حذائي الرياضي وغادرتُ حجرتي. كنت سأمشي إلى الجامعة بدلاً من ركوب الحافلة. في طريقي إلى الخارج، توقفتُ لألقي نظرة على تربة قبر أمي التي وضعتها في الأبيض وفكرتُ في الزهرة التي سأزرعها فيها. على الرغم من أنني قد تفقدتُ الطريق على الخريطة قبل مغادرتي، كان مساراً ملتويًا وغير مألوف. صادفتُ طريقاً مسدوداً أجبرني على العودة إلى الوراء. سلكتُ معبراً علوياً للمشاة عوضاً عن ذلك. فوق المعبر، توقفتُ واستندتُ إلى الدرابزين والتفتُ حولي. بدا كلُّ شيء مختلفاً من أعلى. يمكنني أن أرى الأسطح وقمم الأشياء والأزقة الضيقة التي تتفرع من الشارع الرئيسي. كان هنالك نوافذ وسيارات وصفائح قمامة وأسطح بنايات ومصابيح شارع ومدخنة حمام عمومي، وعلى مبعده، تراءت

رؤوس الناس وهي تروح وتجيء. رؤية العالم من زاوية مختلفة جعله يبدو غريبًا وحيويًا، كما لو كنتَ أشاهده لأول مرة: أشجار الجميز والجنكة المزروعة بطول الطريق، وبساتين الزهور الصغيرة الخجولة المظهر، ولوحات إعلانات قاعة السينما المرسومة باليد. من فوق المعبر، وخاصَّةً من خلال خطوط الكهرباء المتشابكة الكثيفة، بَدَتِ السماء شاسِعَةً وممتدَّةً إلى ما لا نهاية. اعتدت دائمًا على النظر إلى أعلى نحو المعبر الفوقي، لكن لم أنظر من قبل أبدًا من فوقه. بَدَتِ قِمَمُ السيارات مُسطَّحَةً ومسالمة، والأشجار كثيفة جدًّا وخصبة بأفرعها التي تلامس شرفات الأبنية. بينما أوصل المشي، صادفتُ نفقًا مُروريًا واسعًا. أُلقيت نظرة بداخله وفكَّرتُ في السير عبره. لكن لم أستطع أن أحدِّد إلى أي مدى يمتدُّ النفق، ولم تكن هنالك لافتات تذكر أنه مفتوح للمُشاة أيضًا. ضَيِّقْتُ عينيَّ وحاولتُ أن أرى أين ينتهي النفق المظلم والعميق، لكن غيَّرتُ رأبي ومشيت عائدةً إلى موقف الحافلات. هناك ركبت الحافلة ما تبقي من الطريق إلى الجامعة.

كانت الجامعة تمامًا كما تركتها. لا يزال الطلاب المتخصِّصون في الدراما يقفون كما لو كانوا في انتظار جودو⁽¹⁾، وطُلابُ التصوير الفوتوغرافي يركضون في الأنحاء حاملين حقائب الكاميرا الثقيلة، وطالبات الموسيقى الكورية التقليدية يتزاحمن داخل المسرح الصغير، مُمسِكَاتٍ بآلات الجاياجم⁽²⁾ الوترية، وحواجبهن مُحدَّدة بأقلام مكياج وشعرهن قد عُصص على هيئة كعكةٍ، ووجوههن تعلوها تعابير رقيقة. فكَّرتُ كيف كنتُ أختلس النظرات عبر البوابة الأمامية -الحَرَم نفسه ينضح دائمًا بإثارة عرضِ يوشك أن يبدأ- وأفكَّرتُ إذا كان عليَّ الدخول أم

(1) في انتظار جودو: مسرحية للكاتب الإيرلندي صمويل بيكيت، تدور حول زَجَلَيْنِ يُدْعيان فلاديمير واستراجون، ينتظران شخصًا يدعى جودو.

(2) آلة الجاياجم: آلة موسيقية كورية تقليدية، تنتمي إلى الآلات الوترية، ويعود أصلها إلى سنة 500 ميلادية.

لا. لكن بدلاً من أن تجعلني تلك الذكريات أتردد، شجعتني، ووجدت نفسي أخطو بخفة خطوات واسعة إلى داخل الجامعة. بالكاد تعرفت على أي أحد. لا بد أن الفتيان القلائل في قسمي، الذين كنت لأتعرّف عليهم، يكملون أداء خدمتهم العسكرية، وحتى الفتيات اللاتي ارتدن الفصل معي قد جعدن شعورهنّ أو بدان يضعن مساحيق التجميل ويرتدين أطناناً من الإكسسوارات، أو فعَلن شيئاً في عيونهنّ جعل من الصعب عليّ التّعرّف عليهن. في طريقي إلى قاعة المحاضرة، بحثت عن الأشياء التي لم تتغيّر: المكتبة، ومتجر الكتب في حرم الجامعة، ومكتب البريد والمقاعد الخشبية أمام بركة اللوتس حيث اعتدت أن أجلس. تنهدت تنهيدة ارتياح عندما وقّعت عيناها عليها. رائحة الغاز المسيل للدموع لم تتغيّر أيضاً.

المحاضرة الأولى هي محاضرة الأستاذ يون.

كما لو كان قدراً، كانت قاعة المحاضرة نفسها حيث حضرت أول محاضرة له قبل عام تقريباً. دخلت وجلست في مؤخرة القاعة حيث تجمّع الجميع في مجموعات. على الرغم من أنني قد وعدت نفسي بالأجلس بمفردي، شعرت بعدم الارتياح من النظر إلى مؤخرة رأس فتى على بُعد إنشات قليلة مني؛ لذا انتقلت إلى مقعد آخر قرب النافذة. في الصّف الأخير جلس فتى وفتاة متجاورين كما لو كانا ثنائياً. أكان طالباً يعيد السنّة؟ بدا أكبر من بقيتنا. لم أتعرّف عليه، لكن بدا مألوفاً لي بغرابة. كان طويلاً جداً لدرجة أنه بدا محشوراً في مقعده. عيناه مثبتتان على وجه الفتاة بجواره، لا تتحرّكان أبداً أثناء حديثهما. التفت إذ فجأة لينظر إليّ. تظاهرت بدعك وجهي، والتفت بعيداً عنه. لكن شيئاً ما جعلني ألتفت لأنظر إليهما مجدداً. شيء

متعلّق بالفتاة استمرّ في جذب انتباهي. ملّت إلى الأمام كي أحظى بنظرة سريعة على وجهها، لكن حتى مع ملامسة خَدّي للمنضدة عملياً، لم أستطع أن ألقى نظرة جيدة عليها. انسدل شعرها الأسود الطويل إلى الأمام وأخفى وجهها عن ناظري. لم أمتلك أدنى فكرة عمّا يقوله لها، لكنها كانت تخفض وجهها في كلِّ مرّة يتحدث فيها.

"لي ميونجسو."

"هنا!".

فقط حين بدأ الأستاذ يون ينادي على الحضور، اكتشفتُ أن اسمه ميونجسو.

امتزج الماضي بالحاضر.

كان الأستاذ يون نحيلاً كما كان، لم يتغيّر كدرجات السُّلم الحجرية أمام المكتبة. حتى عيناه العميقتان والحادّتان اللتان تَلَوّتا من الأمّ عندما وقف أمام النافذة ونظر إلى الطلبة المحتجّين، لم تتغيّرا. خلال عام الإجازة كلما كنتُ وحيدة وحاولت التذكر، كانت ذكرياتي ضبابيّة وغير واضحة دائماً. لكن الآن مع عودتي إلى قاعة الفصل نفسها، باتت ذاتي القديمة مُتّقّدة الذهن وواضحة المعالم كما لو كانت تجلس أمامي مباشرةً. نادى الأستاذ يون على كل اسم بالتتابع. عندما وصل إلى اسم ميونجسو، رفع عينيه عن ورقة الحضور.

"ألا يفترض أن تكون قد تخرّجت الآن؟" طرح السؤال وهو يبتسم إلى ميونجسو من فوق نظّاراته.

حكّ ميونجسو رأسه وابتسم. كانت ابتسامه خجلى، لكنها امتدّت من إحدى أذنيه إلى الأخرى. ابتسامه تدفّعت عندما تراها إلى مُبادلتيه الابتسامه. مع هذا أبقت الفتاة بجانبه رأسها مُنخفّضة. أردت أن

أعرف أسمها. استمعتُ بحرصٍ بينما يقرأ الأستاذ يون بقية الأسماء في ورقة الحضور. هل فوّته؟ أنهى مناداة الحضور لكنه لم ينادِ على اسمها. عندما وضع ورقة الحضور جانبًا، التفتُ لأنظر إليهما ثانية.

لي ميونجسو، دَوْنْتُ اسمه. متى كانت آخر مرّة كتبت فيها اسم شخص ما في مفكّرتي؟ استمررت في النظر إليهما من حين إلى آخر خلال المحاضرة. في كل مرة ألاحظ شيئًا مختلفًا: شعره المجعّد، وبنيته القوية، والطريقة التي يبرم بها قلمه الرصاص- لكن لم أعرف أي شيء عنها. جَلَسْتُ في الوضعية نفسها طوال الوقت، ولم ترفع رأسها أبدًا. كل ما أمكنني رؤيته هو لمحة من أنفها من الخلف وراء ستارة شعرها الطويل. شعرت بفضول شديد لمعرفة اسمها ورؤية عينيها. كان ثمة شيء بشأنها جعلني أرغب في معرفة المزيد عنها. لا بُدَّ أن الأستاذ يون قد شعر بالشيء نفسه؛ لأن نظراته ظلّت تنحرف إليها أثناء محاضرتة.

لأنه كان اليوم الأول في الفصل الدراسي، توقّعنا أن تكون المحاضرة نظرة عامّة على المنهج الدراسي. أخبرنا الأستاذ يون عن المراجع اللازمة للدراسة والكتب التي يُرشّحها للقراءة، ثم ذكر قائمة بالأشياء التي يجب أن نُبقيها في بالنا أثناء حضور محاضرتة، معظمها كان يرتقي إلى مستوى التهديد، على سبيل المثال: لو تأخّر طالب عن محاضرتة أكثر من عشر دقائق، فيجب ألا يفكر حتى في دخول الفصل، ولو فشلنا في تسليم ثلاثة بحوث أو أكثر على التوالي، فسوف نحصل على تقدير راسب بشكل آلي. قدّم العديد من الأساتذة الآخرين الخطبة نفسها؛ لذا بدأ الضجّر يَغشى عيون الجميع. ظنّ بعض الطلّبة حتى أن المحاضرة توشك على الانتهاء وراحوا يحزمون أقلامهم ودفاترهم.

عدّل الأستاذ يون من وضعية نظاراته وحدّق خارج النافذة. اقتحم هتاف الطلبة المتظاهرين في الخارج حُجْرَةَ المحاضرة. لم يتغيّر أي شيء منذ السنة الماضية. جال الأستاذ يون بنظراته في أرجاء الحجرة.

"هل سمع أي منكم عن رجل اسمه كريستوفر؟"

كريستوفر؟ ذكّرني الاسم بكتاب قرأته في المدرسة الثانوية، كان اسمه، "جان كريستوف" لرومان رولان⁽¹⁾. كان كتابًا مُتَخَيَّلًا من عشر مُجلّدات عن حياة بيتهووفن. كان الكتاب الوحيد الذي شاهدت ابنة عمي تقرؤه؛ لذا قرأته بدوري. تأثرتُ كثيرًا بالشخصية الرئيسية، التي تسلّحت بالإيجابية في مواجهة الإحباط المتزايد. فَبَغَضُ النظر عمّا يحدث، لم يَتَخَلَّ أبدًا عن مسعاه نحو كمال الذات. غمرني إحساس بالإعجاب والمحبة تجاه الشخصية الرئيسية، فقرأت كلَّ مُجلّدٍ تحت تأثير المشاعر الطاغية التي تملّكتني، وأبقيتُ تلك الكتب المصفرة العتيقة المطبوع عليها اسمه قريبة من قلبي. أردتُ حتى أن أزور نهر الراين ذات يوم لأن الشخصية الرئيسية وُلِدَت في بلدة صغيرة على ضفاف ذلك النهر. تساءلت إذا كان الأستاذ يون يشير إلى الشخص نفسه، لكن لم أكن واثقةً بالقدر الكافي كي أرفع يدي وأقول إنني قد سمعت به. اعتدلت في جلستي وثبّتُ عينيّ على الأستاذ يون. بدا كأن جدران الفصل قد تلاشت وخلّفتنا وراءها، الأستاذ والطلاب، واقفين وسط حقل مفتوح حيث تهبُّ الرياح علينا. لم يتفوّه أي أحدٍ بكلمة؛ لذا استطرد الأستاذ يون.

"كريستوفر هو اسم قديس أوروبي من القرون الوسطى. لا بُدَّ أن بعضكم يرتاد الكنيسة. ألم يسمع أيُّ منكم به؟"

رَفَعَت طالبة يدها بتردد. تَلَعَّمَت قائلة: " لا أعرف لكن...".

(1) رومان رولان (1866-1944): أديب فرنسي اشتهر بمناهضته للحرب، ويعتبر من أوائل الحاصلين على نوبل في الآداب سنة 1915.

"إِذَا أَخْبَرْنَا بِمَا تَعْرِفِينَهُ... قَالَ الْأُسْتَاذُ يُونُ بِسُخْرِيَّةٍ.

قَهَقَهُ الْجَمِيعُ. وَقَفَّتِ الْفَتَاةُ وَقَالَتْ إِنَّهَا سَمِعَتْ قِصَّةً مِنْ مَعْلَمٍ قُدَّاسِ الْأَحَدِ فِي الْكَنِيسَةِ عِنْدَمَا كَانَتْ صَغِيرَةً؛ وَلِهَذَا لَا تَتَذَكَّرُ بوضوحٍ، لَكِنَّهُ كَانَ يَتَحَدَّثُ عَنِ الرَّجُلِ الَّذِي أُنْقِذَ لِأَنَّهُ حَمَلَ الْمَسِيحَ عِبرَ نَهْرٍ. كَانَ مَا قَالَتْهُ سُؤْلاً أَكْثَرَ مِنْهُ جَوَابًا. أَوْمَأَ الْأُسْتَاذُ يُونُ. عِنْدَمَا عَاوَدَتْ الْفَتَاةُ الْجُلُوسَ، تَنَحَّنِحَ الْأُسْتَاذُ يُونُ، وَجَالَ بِبَصَرِهِ فِي أَرْجَاءِ الْقَاعَةِ وَقَالَ بِصَوْتٍ خَفِيضٍ، إِنَّهُ ثَمَّةَ أُسْطُورَةٍ بِالْفِعْلِ تَدُورُ حَوْلَ هَذَا الْاسْمِ. حَدَّقَ الطَّلَبَةُ الَّذِينَ ظَنُّوْا أَنَّ الْمَحَاضِرَةَ عَلَيَّ وَشَكَ الْإِنْتِهَاءَ، وَبَدَؤُوا فِي إِزَالَةِ أَشْيَائِهِمْ عَنِ مَنَاضِدِهِمْ، نَحْوِ الْأُسْتَاذِ يُونِ الَّذِي اعْتَلَى الْمَنصَّةَ وَبَدَأَ مَحَاضِرَتَهُ الْفَعْلِيَّةَ.

"إِلَيْكُمْ حِكَايَةُ الْقَدِيسِ كْرِيسْتُوفِرٍ. وَفَقًّا لِأُسْطُورَةٍ، كَانَ كْرِيسْتُوفِرٌ كِنْعَانِيًّا. قَالَ الْبَعْضُ إِنَّهُ كَانَ عَمَلِقًا. رَجُلًا ذَا قُوَّةٍ جَبَّارَةٍ لَا يَخْشَى شَيْئًا. قَرَّرَ الْقَدِيسُ كْرِيسْتُوفِرُ أَلَّا يَخْدُمَ سِوَى أَعْظَمِ وَأَقْوَى رَجُلٍ فِي الْعَالَمِ. لَكِنْ أَيْنَمَا نَظَرَ، لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَجِدَ شَخْصًا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُكْرَسَ حَيَاتُهُ لخدمته. أَحْبَبْتُهُ الْجَمِيعُ. مَعَ مَرُورِ الْوَقْتِ، أَصَابَهُ التَّعَبُ مِنَ الْعَثُورِ عَلَى هَذَا الشَّخْصِ الَّذِي يَسْتَحِقُّ خِدْمَتَهُ، وَصَارَ قَانِطًا مَكْتَتِبًا. لَكِنْ هُنَا، سَوْفَ أَوْفِّرُ عَلَيْكُمْ التَّفَاصِيلَ الْمُهِمَّةَ وَأَتَطَرَّقُ مَبَاشِرَةً إِلَى الْجِزَاءِ الْأَكْثَرَ أَهْمِيَّةً. بَنَى كْرِيسْتُوفِرُ بَيْتًا لِنَفْسِهِ عَلَى ضِفَافِ نَهْرٍ وَبَاتَ يَكْسِبُ قُوتَ يَوْمِهِ مِنْ حَمَلِ الْمَسَافِرِينَ عِبرَ الْمِيَاهِ. كَانَ قُوِيًّا جَدًّا. كَانَ يَمْتَلِكُ وَتَدًّا وَاحِدًا لَكِنَّهُ اسْتَخْدَمَهُ لِيشقُّ طَرِيقَهُ عِبرَ أَعْتَى التِّيَارَاتِ وَيَحْمِلُ النَّاسَ بِأَمَانٍ إِلَى الضَّفَّةِ الْأُخْرَى. كَانَ الْأَمْرُ مَجْرَدَ تَسْلِيَةٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ. كَانَ بَحَارًا بِلَا قَارِبِ. كَانَ جَسَدُهُ هُوَ الْقَارِبُ الَّذِي يَنْقَلُ بِوَأَسْطَتِهِ النَّاسَ عِبرَ الْمِيَاهِ."

بَدَأَ كَأَنَّ الْعَالَمَ قَدْ تَوَقَّفَ. فِي فَصْلِ يَمْتَلِئُ بِثَلَاثِينَ أَوْ رُبَمَا أَرْبَعِينَ طَالِبًا، سَادَ سَكُونٌ تَامٌ.

"ذات ليلة، استغرق كريستوفر في النوم سريعًا عندما سمع صوتًا خافتًا ينادي على اسمه. تساءل مَنْ يمكن أن يكون المنادي في ذلك الوقت من الليل، فتح الباب. لكن ما كان أيُّ أحدٍ هناك. الظلام فقط. أغلق الباب وخلد إلى فراشه ثانية، لكن الصوت عاد. كريستوفر! فتح الباب مُجددًا، لكن كالسابق: ظلام فقط. في المرة الثالثة التي سمع فيها الصوت، بدا كأنه آتٍ من جانبه مباشرة. نظر حوله لكنه لم يَرَ أحدًا. فكَّر كريستوفر كم أن الأمر غريب، التقط وتده وتوجَّه إلى النهر. هناك في الظلام بجوار النهر وجد طفلًا صغيرًا. أخبره الطفل أنه يجب عليه الوصول إلى الضفة الأخرى قبل انقضاء الليل، وطلب من كريستوفر أن يحمله عبر النهر. كان الطفل صغيرًا جدًّا، وكان رجاؤه صادقًا جدًّا، لدرجة أن كريستوفر وافق على مساعدته رغم الساعة المتأخرة. وضع الطفل فوق كتفيه وولج النهر. لكن في اللحظة التي خطا فيها داخل النهر، بدأ الماء في الصعود. في لحظة، بلغ الماء رأس كريستوفر العالية، تقريبًا. ولم يَكُن هذا كلُّ شيء. ازداد ثَقُلُ الصبي -الذي كان خفيفًا في البداية- على نحوٍ غريب كلما ارتفع مستوى المياه. كان الوزن الأشبه بوزن قطعة هائلة من الحديد لدرجة لا تُصدِّق بالنسبة لطفل صغير، يضغط على كتفي كريستوفر. ارتفعت المياه شبرًا تلو الآخر بينما يضغط الطفل على كريستوفر بوزنه المهول. بدأ كريستوفر -الذي كان يومًا شديد الثقة بنفسه- يرتعش خوفًا لأول مرة في حياته من احتمال أن يغرق. شقَّ كريستوفر طريقه عبر الماء حاملاً الصبي على كتفه وهو بالكاد يستطيع الحفاظ على توازنه بواسطة الوتد، حتى تمكَّن بشقِّ الأنفُس أن يبلغ الضفة الأخرى. بينما يُنزل الطفل أرضًا، قال كريستوفر (لقد ظننتُ أنني سأموت بسببك. على الرغم من أنك صغيرٌ جدًّا، فقد كنتَ ثَقيلًا جدًّا، لدرجة أنني شعرت كأنني أحمل وزن العالم بأكمله على كتفي). لقد حملت الكثيرين عبر هذا النهر، لكن لم أحمل أبدًا شخصًا بمثل

ثَقَلِك). في تلك اللحظة تلاشى الطفل وتَجَسَّد المسيحُ أمامه، محاطًا بهالة ضوء ساطعة. قال المسيح: (كريستوفر! مَنْ حَمَلْتَهُ لِلتَّوُّ لَمْ يَكُنْ طِفْلًا. كَانَ أَنَا، الْمَسِيحُ. عِنْدَمَا عَبَّرْتَ ذَلِكَ النَهْرَ، كُنْتَ بِالْفِعْلِ تَحْمِلُ الْعَالَمَ بِأَكْمَلِهِ فَوْقَ كَتْفَيْكَ)".

سكت الأستاذ يون وجال ببصره في الحجرة. اعتقدتُ بادئ الأمر أنه يحاول أن يستشفَّ إذا كُنَّا قد فهمنا القصة. لكن فكرت أيضًا أنه ربما اكتشف شيئًا جديدًا، شيئًا قد نسيه بخصوص القديس كريستوفر. تَوَاصَلَ صمته للحظات قبل أن يتابع:

"إِذَا دَعَوْنِي أَطْرَحُ عَلَيْكُمْ هَذَا السُّؤَالَ، هَلْ أَنْتُمْ هُنَا الْيَوْمَ تَمَثَّلُونَ كَرِيستوفر؟ أَمْ أَنْكُمْ الطِّفْلُ الَّذِي حَمَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ؟".

بدأت قصة الأستاذ يون كقطرة مطر وسط هرج ومرج الطلبة الذين يتأهبون لانتهاء المحاضرة، لتحوَّل إلى زخَّات مطر مفاجئة في منتصف اليوم تنهمر بغزارة فوقنا. تسلَّل شعاعٌ صافٍ من ضوء شمس أواخر الصيف إلى الداخل عبر نافذة قاعة الفصل التي أغلقها أحدهم بإحكام.

تأمَّل الأستاذ يون وجوهنا بترقب لكن لم يقدم أي طالب أي إجابة على سؤاله. تبعت شعارات الطلبة المتظاهرين في الخارج أشعة الشمس عبر النافذة، وشقَّت طريقها بيننا. توقَّفت عينا الأستاذ يون من فوق نظاراته عند كل واحد منَّا قبل أن تنتقل إلى آخر.

"كل واحد منكم هو كريستوفر، والطفل الذي يحمله على ظهره في الوقت نفسه. كُلُّ منكم يصنع طريقه الخاص عبر مِحْنِ هَذَا الْعَالَمِ الصَّعْبِ خِلَالَ عِبُورِهِ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرَ مِنَ النَهْرِ. لَمْ أَخْبِرْكُمْ بِهَذِهِ الْقِصَّةِ كِي نَتَحَدَّثُ عَنِ الدِّينِ. نَحْنُ جَمِيعًا مَسَافِرُونَ، نَعْبُرُ مِنْ هَذِهِ الضِّفَّةِ إِلَى تِلْكَ، مِنْ هَذَا الْعَالَمِ إِلَى السَّعَادَةِ الْمَطْلَقَةِ. لَكِنْ الْمِيَاهُ قَاسِيَةٌ. عَلَيْنَا أَنْ نَعْتَمِدَ عَلَى شَيْءٍ مَا كِي نَنْجِحَ فِي الْعِبُورِ. قَدْ يَكُونُ ذَلِكَ الشَّيْءُ

هو الفن أو الأدب الذي تطمحون إلى إبداعه. سوف تعتقدون أن الشيء الذي ستختارونه سيكون القارب أو الطوف الذي سيحملكم إلى الضفة الأخرى. لكن لو فكّرتم بعمق في الأمر، فربما ستدركون أنه لا يَحْمِلُكم بل أنتم الذين تحملونه. ربما الطالب الذي سيستوعب هذا التناقض، هو فقط من سيتمكن من العبور بسلام. ليس الأدب ولا الفن ما سوف يحملكم ببساطة، بل هما أيضًا ما يجب أن تقدّموا حياتكم من أجلهما، ما يجب أن تبذلوا الكثير من الجهد والوقت في سبيلهما وتحملوهما على أكتافكم لما تبقى من حياتكم".

كل العيون مُثَبَّتة على الأستاذ يون. لا ينظر أيُّ أحد خارج النافذة. حتى الفتى في الصَّف الخلفي توقَّف عن بَرَمِ قلمه الرصاص. الفتاة أيضًا قد رفعت رأسها وراحت تستمع بإنصات.

"أنتم القديس كريستوفر. أنتم من سيعبر بالطفل النهر. إنه قدركم أن تتحدّوا المياه المتضخّمة. ربما ترتفع المياه، لكن يجب ألا تتوقّفوا حتى يبلغ الطفل الجانب الآخر. إذا كيف نعبّر هذا النهر؟".

كان سؤالاً، ولم يكن كذلك في الوقت نفسه. انخفض صوت الأستاذ يون، ثم بات أقوى وهو يتابع، "نعبّر بأن يكون كلُّ منّا القديس كريستوفر للآخر. بأن نحمل الصبي عبر النهر معًا. لا اختلاف بين الشخص الذي يعبر، والشخص الذي يساعد آخر كي يعبر. أنتم لستم فقط القديس كريستوفر الذي يحمل وتده داخل المياه المتصاعدة. أنتم العالم وأنتم خالقوه، كلُّ واحدٍ منكم. أحيانًا أنتم القديس كريستوفر، وأحيانًا أخرى أنتم الطفل- يحمل كلُّ منكم الآخر عبر النهر. لا بُدَّ أن تعتزّوا بأنفسكم وتتشبّثوا ببعضكم البعض".

انتشرت الثقة التي تنامت بداخل كلِّ منّا، عبر قاعة المحاضرة. لو انكسر زجاج إحدى النوافذ في تلك اللحظة، ما كان لصوت تَهَشُّمِ الزجاج ليفسد السكون الرقيق المخيم.

"إِذَا أُيِّهَ الْقَدِيسُونَ الصَّغَارُ! ذَلِكَ كُلُّ مَا لَدِينَا الْيَوْمَ. لَكِنْ قَبْلَ أَنْ تَغَادِرُوا، أَحْتَاجُ إِلَى مَتَطَوُّعٍ. شَخْصٌ كِي يَنْسَخُ مَخْطُوطَةَ الْمَقْرَّرِ الدِّرَاسِي عَلَى الْآلَةِ الْكَاتِبَةِ مِنْ أَجْلِي".

لَمْ يَقُلْ أَيُّ أَحَدٍ أَيِّ شَيْءٍ.

"أَيُّ أَحَدٍ؟".

القديس كريستوفر، الطفل، النهر، قَدْر، نحن... كُنْتُ قَدْ شَرَعْتُ فِي تَدْوِينِ مَلَاخِظَاتٍ، لَكِنْ سَرَعَانِ مَا انجذبت إلى قصته تمامًا. رَفَعْتُ يَدِي كِي أَتَطَوُّعَ. رَفَعْتُ يَدِي مِنْ دُونِ أَنْ أَفَكَّرَ حَتَّى فِي الْأَمْرِ. نَظَرَ الْأَسْتَاذُ يُونِ إِلَى اللَّحْظَةِ.

"مَا اسْمُكَ؟".

"جونج يون".

"جونج يون". كَرَّرَ اسْمِي بِصَوْتٍ مَرْتَفِعٍ. "شُكْرًا لَكَ. فَلتَأْتِي إِلَى مَكْتَبِي بَعْدَ الْمَحَاضِرَةِ".

حَتَّى بَعْدَ أَنْ غَادَرَ الْأَسْتَاذُ، ظَلَّ الْجَمِيعُ فِي أَمَاكِنِهِمْ. أَخِيرًا نَهَضْتُ لِأَتْبِعَهُ إِلَى مَكْتَبِهِ. عِنْدَمَا دَفَعْتُ مَقْعَدِي لِأَعِيدَهُ إِلَى مَكَانِهِ، تَرَدَّدَ صَدَى احْتِكَاكِ الْمَقْعَدِ بِالْأَرْضِيَّةِ فِي أَرْجَاءِ الْحِجْرَةِ الصَّامِتَةِ. كَانَ هَذَا الصَّوْتُ مِثَابَةً إِشَارَةً. بَدَأَ الْآخَرُونَ فِي جَمْعِ حَاجِيَاتِهِمْ وَالْمَغَادِرَةِ. كَانَ مَكْتَبُ الْأَسْتَاذِ يُونِ فِي الْجِهَةِ الْمَقَابِلَةَ لِقَاعَةِ مَحَاضِرَتِي التَّالِيَةِ. حَدَّقْتُ وَرَائِي. كَانَ مِيونجسو والفتاة يمشيان أسفل شجرة زلكوفا خضراء ضخمة كُنْتُ قَدْ تَجَاوَزْتُهَا لِلتَّوَّ. لِلْفَتَاةِ مَشِيَّةٌ مُمَيَّزَةٌ، إِذَا شَاهَدَهَا أَحَدُهُمْ فَلَنْ يَنْسَاهَا بِسَهُولَةٍ. تَوَقَّفْتُ لِأَشَاهَدَهَا بَيْنَمَا تَتَدَفَّقُ أَشْعَةُ شَمْسٍ أَوَائِلَ الْخَرِيفِ فَوْقِي. كَانَ ثَمَّةُ الْكَثِيرِ مِنَ الطَّلَبَةِ قَرِبَ الشَّجَرَةِ. تَجَمَّعُوا هُنَاكَ فِي أَزْوَاجٍ أَوْ جَمَاعَاتٍ صَغِيرَةٍ قَبْلَ أَنْ يَتَفَرَّقُوا فِي اتِّجَاهَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ أَوْ يَمْكُثُوا فِي انْتِظَارِ شَخْصٍ مَا. مَعَ هَذَا حَتَّى وَسَطِ كُلِّ أَوْلَئِكَ النَّاسِ

الذين يتحرّكون في الوقت نفسه، لفتت الفتاة انتباهي. كانت أوّل مَنْ لفتت انتباهي وليس الفتى السائر بجانبها. لكن حتى بينما تمشي نحوي وحقيبتها تتدلى من كتفها، وكتاب في يدها، لم أستطع أن أرى وجهها. أبقّت رأسها منخفضة وكتفيها إلى الداخل بينما تسير كأنها تحدّق إلى قلبها. مع هذا، كانت جميلة بالتّوّرة التي ترتديها، تّوّرة فضفاضة مزخرفة بزهور بيضاء فوق خلفية زرقاء داكنة، وسترة قطنية بيضاء. بريق الزهور الضئيلة المتفتّحة المنتشرة عبر تّوّرتها تباين مع بقية ثيابها؛ ممّا جعلها بارزةً وسط الآخرين. عندما تجاوزت الشجرة، رفرت حاشية تّوّرتها إلى أعلى في النسيم. مهما كان الشيء الذي كان يجعلها مختلّفةً عن الآخرين، فقد بدا أنه ينبعث من تلك التّوّرة. لم تكن تّوّرتها موضة شائعة في مرحلتنا العمرية. كان معظمنا يرتدين البنطلونات القماشية أو الجينز الزرقاء. وحتى الطالبات اللاتي ارتدين التنانير، لم يرتدين أبدًا ذلك النوع الفضفاض منها.

كانت مشية الفتى مُميّزةً كمشيّتها. بدا كشخص يمشي في الهواء لا شخص يعيش وقدماه فوق الأرض. بدت إحدى قدميه كأنها تطفو لأعلى قبل أن تلامس الأرض الأخرى. إذا كانت الفتاة تبدو كما لو أنها ستغوص داخل الأرض، فقد بدا هو كأن الرياح قد تحمله بعيدًا في أي لحظة. شاهدتهما يسيران نحوي قبل أن أستدير.

وصلتُ إلى مكتب الأستاذ يون. هممتُ بأن أطرق على الباب، لكن الباب كان مواربًا بالفعل. دَفَعْتُهُ لأفّتحه. رفع الأستاذ عينيه إليّ. للوهلة الأولى بدا كأن هنالك حيّرًا بين مكتبه والأريكة، لكن اتّضح أن أكوامًا من الكتب كانت بمثابة الفاصل الذي يقسم الحجر. يقبع مكتب الأستاذ يون خلف الكتب.

"ادخلي" قال. يظهر فقط النصف العلوي من جسده من فوق أكوام الكتب. رأيت أنه كان يمسك حزمة ورق.

" اجلسي هناك للحظة".

بدا أن الأستاذ يون في وسط شيء ما أو منشغل بترتيب مكتبه. عندما عاود الجلوس، سمعت صوت خشخشة أوراق. بقيتُ واقفةً وأنا أتأمل مكتبه. كان رتيبًا؛ لا توجد نباتات ولا براويز صور- فقط كتب مكدّسة داخل رفوف عملية مُصمّمة لحمل أكبر عدد ممكن من الكتب، ولا يوجد تقويم أو مرآة مُعلّقة على الحائط. كتب عتيقة تبدو كأنها سوف تتفتّت إلى أجزاء لو لمستها، مرصوفة على الرفوف بالمقلوب، بحيث كانت العناوين غير مرئية. لم أرَ كُتُبًا مرصوفة على الرفوف بتلك الطريقة من قبل. مَدَدْتُ يدي نحو أحد الكتب من باب الفضول، لكن أوقفني طَرَقُ على الباب. التفتُّ والأستاذ يون ناحية الباب في اللحظة نفسها. انفتح الباب ودلف الفتى والفتاة اللذان رأيتهما منذ قليل يمشان نحوي أسفل شجرة الزلكوفا. كانا يتّجهان أيضًا إلى مكتب الأستاذ يون. نظر الأستاذ يون إليهما ثم وقف ومشى نحو الأريكة، ولا تزال حزمة من الورق بين يديه.

"ألم تَمَلّ مني بعد؟" قال الأستاذ يون للفتى. "ألا يبدو أن الوقت قد حان كي يتفرّق كلُّ منّا في طريقٍ مُخْتَلِفٍ؟".

ابتسم الأستاذ يون بدفء. حَكَّ ميونجسو رأسه وابتسم ابتسامة عريضةً تمامًا كما فعل في قاعة المحاضرة.

"أردتُ أن أقدم صديقتي إليك". قال ميونجسو.

"لم يكن وجودك كافيًا فجلبت صديقةً أيضًا؟ اجلسا. وأنتِ أيضًا". نظر الأستاذ يون إليّ بينما أقف أمام رَفِّ الكتب. شعرت كأنني أعيش هذه اللحظة ثانية رغم أنها كانت تحدث للمرة الأولى. عندما جلسنا جميعًا، كنتُ أنا بجوار الأستاذ يون، بينما الفتى والفتاة على الأريكة المقابلة لنا. شعرت بالارتباك لجلوسي بجوار الأستاذ يون، لكن كنتُ لأشعر بالارتباك نفسه لو جلست بجوار الفتاة. بدت وميونجسو كأن

كلًا منهما ظلُّ للآخر؛ وهو ما يجعل فكرة جلوسي بينهما لا يمكن تصوُّرها. كان الأمر غريبًا. بينما نجلس هناك، استمرَّ إحساسي بأن ذلك المشهد يتكرَّر، كما لو أننا جلسنا بتلك الطريقة من قبل. تبادلْتُ والفتى النظرات لأول مرة. عيناه شديدا السواد كأنما قد دُعِكْنَا بالفحم- تلك الدرجة من الأسود التي تُشعِرُك كما لو أنك مُتَّصٌ داخلها. في كل مرة يتغيَّر تعبير وجهه، يتحرَّك حاجباه. ربما يستطيع أصدقاؤه معرفة حالته المزاجية من مجرد النظر إلى حاجبيه. أسفل حاجبيه بدت عيناه العميقتان كأنهما تبتسمان إليَّ للحظة قبل أن تتجاوزاني وتستقرًّا على الفتاة. أبقَت الفتاة يديها داخل جيوبها ولم تنظر إليَّ.

"كُنَّا صديقَيْن طوال حياتنا" قال الفتى ميونجسو. "ترتاد جامعةً أخرى. هي الآن في إجازة تغيُّب، وتودُّ أن تحضر فصلك. أتينا لنطلب إذنك".

عندما سمعته يتحدث عن صداقتهما الطويلة، تصوَّرت وجهه داهن.

"هي في إجازة تغيُّب من جامعتها؟" سأل الأستاذ.

"نعم" قال ميونجسو.

"ما اسمك؟"

"يون ميرو" أجاب ميونجسو عنها، لكن واصل الأستاذ يون توجيه أسئلته إليها "ميريو؟"

"لا، سيدي. ليس ميريو بل ميرو كما في شجرة الحور" قال ميونجسو ثانية.

يون ميرو. همستُ باسمها إلى نفسي بصوت خافتٍ لا يستطيع أيُّ أحدٍ سماعه. يون ميرو... يون ميرو.

"لماذا تواصل الإجابة عنها؟" سأل الأستاذ يون. "أنت محاميتها؟".
ابتسم ميونجسو بخجل. "لماذا تريدون حضور فصلي؟" سأل الأستاذ.

رفعت ميرو رأسها. تمكّنتُ أخيراً من رؤية وجهها. طرقت بعينها
وخفضت رأسها مُجدِّداً. عيناها داكنتان جداً. على الرغم من أنها
تنظر إلى أسفل، أمكنني رؤية جبهتها الملساء. نتوء أنفها مرتفع
وضيق. شفتاها مكتنزتان، تعطي ملامح وجهها جمالاً أنيقاً. لو كان
ذلك كل شيء، لكانت صورتها لتبقى في الذاكرة فقط بسبب وجهها
الجميل وبشرتها الملساء. لكنها أخرجت يديها من جيبها في تلك
اللحظة. تراجعت إلى الوراء. كانت ردّة فعل عفويّة. يداها. على
الرغم من وجهها الأملس، كان ظهرا يديها ذابليّين ومُجعدّين. بدا
كأنهما نُقعاً في الماء لوقت طويل جداً. كان لميرو الجميلة جداً بعينها
الداكنتين وجلدها الناعم، يدا امرأة عجوز. تلك كانت الإجابة على
الفضول الذي انتابني، لماذا تساءلتُ مَنْ تكون منذ حاولتُ إلقاء
نظرة سريعة على وجهها في الفصل، وسرُّ التباين في هيئتها الذي لم
يكن بإمكان تئورتها الفضاضة المرخرفة بالزهور لوحدها تفسيره. لا
بُدّ أنها شعرت بعينيّ على يديها لأنها دسّتهما في جيوبها من جديد.
بدا أن الأستاذ يون قد لاحظهما أيضاً. بدا مصدوماً مثلي. ساد صمت
مرتبك بيننا.

"ماذا حدث ليديكِ؟" سأل الأستاذ يون.

لم أحمّن أبداً أن الأستاذ يون سيكون صريحاً إلى هذه الدرجة. كان
مجرّد النظر إلى يديها مؤلماً. أخرجتهما من جيبها ورفعتهما إلى أعلى
أمامها، وفردت أصابعها وخفضت عينيها إلى ظهريهما. لم أتوقّع أن
تفعل ذلك. حدّقت إليهما كأنهما ينتميان إلى شخص آخر.
"لقد أحرقتهما" قالت.

كانت تلك هي أول مرة أسمعها تتكلّم. صوتها واضح ومميّز.

"مياه مغلّية؟"

"لا، جازولين".

"لا بُدَّ أن الأمر قد كان مؤملاً للغاية" همس الأستاذ يون بصوت يكاد لا يُسمع. لم يسألها كيف حدث ذلك. أدارت ميرو يديها ونظرت إلى كَفَّيْها وقالت: "نعم".

"لكن بالتأكيد لا تعتبريهما رمزاً لما تكونين؟"

غاصت مَعِدَتِي في مكانها عندما قال ذلك، لكن بَدَت ميرو مُتَماسِكَةً. بجانبها، رفع ميونجسو حاجبيه واعتدل في جلسته فوق الأريكة. بدا أنه يريد إيقاف مُحَادَثَتَيْهِما قبل أن تذهب لأبعد من ذلك.

"حسنًا، يا أستاذ. أعتقد أن بإمكاننا أن نأخذ كلامك على أنه موافقة" قال ميونجسو.

رفع الأستاذ يون رأسه لكنه نظر إلى ميرو، "تثيرين الانتباه إليك أينما ذهبت". تجدد الصمتُ المُرتبك. "لقد لفتت انتباهي حتى قبل أن أرى يديك. لم أقابلِك من قبل، لكن شَدَدتني إليك من بين الآخرين".
ملاً توتُّرٌ غريب الحُجرة.

"حَرَّرِي نفسكِ من خوفكِ من يديكِ" تحدَّث الأستاذ يون بهدوء. "إذا كان لديك رغبة حقيقية في التحرُّر من يديك، فاحضري فَصْلي. لكن إن لم ترغبِي في ذلك، فلا تُضَيِّعي وقتكِ في الحضور".

بدت عينا ميرو كأنهما تعبسان في وجه الأستاذ يون. أدركت أن الطاقة الغريبة التي تُشعُّ منها هي توتُّرٌ أيضًا. توهَّجت عيناها بعصبيةٍ مُخيفة، وبدا أنها قد تنقضُّ على الأستاذ يون، لكن سرعان ما تلاشت تلك النظرات. تحوَّلت عيناها لتستقرَّ عليَّ.

عينها مليتان بالأسئلة والتوسُّلات كأنها تطلب الإنقاذ. مَدَدْتُ يدي إليها. ثَبَّتَتْ عينيها الداكنتين على أصابعي. نهض ميونجسو وأمسك بيدها في رُقَّة. قبضت يده الضخمة القوية على يدها المَجْعَدَة. اختفت يدها المحروقة داخل يده كما لو كانت يده المكان الأنسب لها في هذا العالم.

"سرحل الآن" قال.

وقفت ميرو. قادها ميونجسو أمامه حتى الباب، ثم قبل أن يغادر التفت ونظر إليَّ.

"جونج يون" نطق اسمي بالكامل بدقَّة، "لقد مضى عام".

لم أعتقد أن من الغريب أن ينطق اسمي الكامل بتلك الطريقة. لم أعرف اسمه إلاَّ خلال مناداة الحضور؛ لذا ربما عرف اسمي بالطريقة نفسها. داهَمَنِي هاجسٌ مفاجئٌ أنني سأجول في شوارع المدينة بصحبتهم قريبًا.

"شكرًا لك" قال.

وقف هناك من دون أن يرحل كأنها ينتظر ردِّي. لم أعرف عمَّا كان يشكرني، لكنِّي أومأتُ. أخيرًا، انحنى انحناءة طفيفة إلى الأستاذ يون. بدا أن ميرو تنظر إليَّ أيضًا، يدها المليئة بالندوب لا تزال مُحاطَةً بِيَدِهِ الضَّخمة.

بعد أن غادر الاثنان، خَيَّم الصمت عليَّ والأستاذ يون لفترة. بدا باردًا جدًّا مع ميرو لسبب ما، لكنه في النهاية أطلق تنهيدة عميقة قبل أن يعود إلى الشخص الذي حكى قصة القديس كريستوفر أثناء المحاضرة.

"هل أنتِ كاتبة سريعة؟" سألني.

ابتَسَمْتُ بعصبيةٍ بدلًا من الإجابة.

"هل أنتِ كذلك؟".

ابتسمتُ ثانيةً.

"عندما يسألك الأستاذ سؤالًا، يجب أن تجيبي بوضوح، ولا تكتفي بالابتسامة".

فكرت كيف بدت نبرةً صوته عندما قال: "إدًا أخبرينا بما تعرفين" للفتاة في الفصل. كان لديّ تلك العادة القديمة بأن أبتسم عندما أكون غير متأكّدةٍ كيف أجيب على شخصٍ. لكن لم يعترض أحدٌ على الأمر من قبل.

"سريعة إلى حدٍّ ما" قلتُ.

"سريعة إلى أيّ درجة؟".

"سريعة بالقدر الكافي كي أوْلَفَ الكلمات في رأسي بينما أكتب".

"أرى ذلك. أحسد الأشخاص الذين يستطيعون الكتابة باستخدام أصابعهم العشرة. لقد حاولتُ أن أتعلّم، لكن الأمر صعب جدًا عليّ. عليّ النظر إلى كل حرف قبل كتابته، ولا يمكنني أن أستخدم سوى إصبعٍ واحدة من كل يد في الكتابة. على النقيض منك، لا يمكن ليديّ أن تُسايِرَ أفكارِي. عندما أحاول الكتابة على الآلة الكاتبة، تتوقّف أفكارِي باستمرارٍ وتنظر إلى الوراء بينما تحاول يداي اللحاق بها".

كان للأستاذ يون أسلوب فريد في الحديث غير مألوفٍ لي، لكنني فهِمْتُ تقريبًا ما كان يقصده. ربما ما كان يشعر به الأستاذ يون عندما يعجز أن يسبق أو يلحق بأفكاره حين يكتب على الآلة الكاتبة فيكتفي بمشاهدة أصابعه تتأخّر ببطءٍ وراء الجُمَل التي تشكّلت بالفعل في هذا العالم وتنتظر فقط أن تُدوّن - مُشابهة لما شعرت به تلك الليلة التي مشيت فيها إلى قبر أمي بصحبة داهن عندما أدركتُ أن عليّ التعلُّب على الخمول الذي انتابني في بيت والدي والعودة إلى

المدينة. تلك الليلة حين كدتُ أن أسأل فيها داهِن إذا كان يُحْبُنِي بعد أن أخبرني عن تلك الفوضى التي يعيش فيها بعد أن أُبرِحَ زميلَ دراسةٍ سابقًا ضربًا، عرفت أنني يجب أن أعود إلى المدينة. كان ذلك ما أوقفني عن سؤال داهِن ذلك السؤال. يجب أن تسأل أحدهم إذا كان يحُبُّكَ، فقط إذا كنتُ تحبُّه بِغَضِّ النظر ماذا قد تكون إجابته. قراري تلك الليلة عندما قَبِضْتُ على حفنة من تُرْبَةِ قبرِ أمي، قد قادني إلى المدينة ثانية لكن قلبي لم يُعَدْ معي، وبدا كأنه يهيم في مكان ما خارج جسدي.

فَكَّرْتُ أيضًا في زوج ابنة عمي الذي قال يومًا شيئًا مُشابهًا لما قاله الأستاذ يون. في كل مرّة يعود فيها زوج ابنة عمي الطيَّار بعد أسبوع من الطيران، تُجَهِّز ابنة عمي مائدة العشاء بطعامه المفضَّل: أرز وحساء أعشاب البحر، وسمك لوت المجفَّف المشوي، وبيضٌ مسلوق، وأعشاب بحر مُحَمَّصَة، وسبانخ مخلَّلة، وبراعم بقلة الماش، وفجل. كل الأشياء التي يُحِبُّها. أحيانًا نتناول ثلاثتنا الطعام معًا. ذات ليلة، كان زوج ابنة عمي مرهقًا للغاية كي يأكل. وَضَعَتْ ابنة عمي سَمَكَ اللُّوتِ المجفَّف على المائدة قبل أن تسأله إذا كان يحتاج إلى الذهاب إلى طبيب لكنه أخبرها ألا تقلق. قال إن الطائرة كانت سريعة جدًّا، وأن جسده قد وصل أولاً. أنه يشعر بالمرض لأن روحه لم تستطع أن تسير سرعة الطائرة، وأنها لا تزال في طريقها إلى البيت، وأنه سيشعر بشكل أفضل بمجرد أن تعود روحه إلى جسده.

أعطاني حزمة ورق.

"إنها مجموعة من الأعمال الأدبية لكُتَّابِ كوريِّين تعود إلى الخمسينيات. ثمة الكثير من الصفحات. ألن يكون ذلك كثيرًا عليك؟".

"يمكنني التَّعامل مع الأمر".

"بعد أن تفرّغي من كتابتها، أخطّط لطباعة نُسخٍ منها كي نستخدمها في الفصل ككتاب للمُقرّر الدراسي. آسف لتكليفك بذلك، لكن ربما يساعِدُك الأمر على المذاكرة".

ثمّة قصاصات ورق قصيرة مدسوسة بين صفحات المخطوط. أُلصقت على بعض الصفحات قِطْعُ ورقٍ مليئة بملاحظاتٍ بَخَطُ اليد. أخرج الأستاذ يون مطروفاً كبيراً من فوق مكتبه ودسّ المخطوطة بداخله. أصابعه النحيفة لفتت انتباهي.

"يُمْكِنُكَ أن تضيفي الملاحظات إلى المخطوطة في المواضيع التي حدّدتها".

تعلّمتُ الكتابة على الآلة الكاتبة أثناء فترة إقامتي مع ابنة عمي. كانت ابنة مالك العقار، في نفس سنّي، تتراد مدرسة ثانوية مهنّية وممتلك آلة كاتبة. لا بُدَّ أنها امتلكت الكثير من الأشياء العظيمة لكن كل ما فكّرت فيه هو تلك الآلة الكاتبة. أرَدْتُها بشدّة لدرجة أنني عندما كنتُ أغمض عيني، كان يمكنني بسهولة تصوّر كلمة "كلوفر" اسم الماركة المطبوعة على الواجهة. كلما واتتني الفرصة كي أدخل إلى حجراتها، كنت أقف أمام الآلة الكاتبة، أفرد أصابعي وأضغط على المفاتيح- تاك، تاك، تاك. بادئ الأمر لم تكن تحب لمسي لآلتها الكاتبة، لكن عندما رأّت كم أنا مفتونة بها، علّمتني كيف أكتب عليها. حَفَظْتُ مواضع كلّ المفاتيح عن ظهر قلب، واستمتعت بالصوت الصادر عنها عندما أنقر على المفاتيح. في كل مرّةٍ أُحرِّك فيها أصابعي- تاك، تاك، تاك- تبدأ المفاتيح الصامتة العمل، وتظهر حروف الحبر الأسود حرفاً تلو الآخر فوق الورقة البيضاء كأنها إجابة على سؤال ما. لاحقاً، بدأت ابنة مالكة العقار تجلب الآلة الكاتبة إلى شَقَّتِنَا كي يمكنني استخدامها. كلُّما حدث ذلك، كنت أشعر بإثارة بالغة وبهجة

عارمة لدرجة أنني تعلّقتُ بها كما لو كانت أمي. في البداية ملأتُ الورقة البيضاء بمقاطع عشوائية: غا، نا، دا، را، ثم بالضائر أنا، أنت، نحن بشكل متكرّر كشخص يتعلّم الكتابة لأول مرة. في الوقت الذي أمسيّتُ أتفوّق على ابنة مالكة العقار في سرعة الكتابة، رُحْتُ أنسخ رسائل فان جوخ إلى أخيه الأصغر، ثيو. بدأتُ أكتبها على الآلة الكاتبة لأنني أحببت وقع الكلمات، عزيزي ثيو.

عزيزي ثيو

الدراسة العميقة والنسخ المتواصل والمتكرّر لتمرين الرسم بالفحم لبارج⁽¹⁾ قد أعطاني صورةً أفضل عن رسم الأجسام البشرية. تعلّمتُ أن أقيس وأن أرى وأن أبحث عن الخطوط العريضة؛ لذا أصبح الآن ما بدا مستحيلًا تمامًا بالنسبة إليّ من قبل، ممكنًا بالتدرّج. رسمت رجلًا حفّارًا يمسك بمجرفة خمس مرات في وضعيات مختلفة، وناثِر بذورٍ مرّتين، وفتاة تمسك بمقشّة مرّتين. ثم رسمت امرأة ترتدي قبعة بيضاء تقشر حبّات البطاطا، وراعي غنم يتكئ على عصاه، وأخيرًا مزارعًا مُسنًا مريضًا يجلس على مقعد بجوار المدفئة، رأسه بين يديه، ومرفقاه فوق ركبتيه. ولن أترك اللوحة عند هذا الحد بالتأكيد. رسمت عددًا من الخرفان تعبر الجسر، فيتبعها القطيع بأكمله. عليّ الآن أن أرسم حفّارين وناثري بذور، ورجالًا ونساء أمام المحرّاث من دون أن أتوقّف. أدقّق وأرسم كلّ شيء يُعتبَر جزءًا من حياة الريف. تمامًا كما فعل ويفعل آخرون كثيرون. لم أعد أقف مكتوف اليدين أمام الطبيعة كما كنتُ في السابق.

(1) تشارلز بارج (1827-1883): فنان ومُعلّم فرنسي. يُعتبَر من علّم فان جوخ الفنّ، ومن أكثر من تأثر بهم.

توقفتُ أثناء الكتابة لأتأمل الجزء التي يتحدث فيه عن تقليد لوحات بارج. لا بُدَّ أنه يقصد أنه لم يُعد يقف مكتوف اليدين أمام الطبيعة بفضل رسمه المتكرر لتلك اللوحات. طَوَيْتُ الورقة المكتوبة بالآلة الكاتبة وأرسلتها إلى داهن، مُتمنيَّةً أن يصبح داهن الذي قطع عهدًا على نفسه بالألا يتوقف عن الرسم، فنأنا مثل فان جوخ.

شعرتُ الآن أن كل ذلك الوقت الذي قضيته في تعلُّم الكتابة على الآلة الكاتبة قد قادني إلى الأستاذ يون.

هَرَبَت عيناى إلى الرَّفِّ حيث الكتب تواجهه الدَّاخِل ولا يمكن معرفة عناوينها.

"أتساءلُين لماذا صَفَفْتُ الكتب على الرَّفِّ بتلك الطريقة؟" سألني الأستاذ.

"أجل".

"تنتمي الكتب إلى كُتَّاب ماتوا قبل عمر الثالثة والثلاثين. كنتُ مُهتَمًّا بجمعها في الماضي".

كُتَّاب ماتوا قبل عمر الثالثة والثلاثين... كرَّرتُ الكلمات في رأسي.

"رَبِّمًا تتساءلُين الآن لماذا عمر الثالثة والثلاثين. لأنَّه العمر الذي صُلِب فيه المسيح، وشَيَّد فيه الإسكندر الأكبرُ إمبراطوريَّته ومات. بعد عمر الثالثة والثلاثين، لا يمكنكِ أن تقولي إنك شابةٌ بعد الآن. أَلَا نقول إن أحدهم قد مات صغيرًا إذا مات قبل عمر الثالثة والثلاثين؟ بالنسبة للفنانين، قد يكون الموتُ المبكَّر شرفًا أحيانًا. لقد ملأنتي أعمالهم بالإعجاب والشَّفَقَة. إذا كنتِ مُهتَمَّةً بقراءتها، فيمكنك استعارتها".

"شكرًا لك".

سار الأستاذ يون من حول جدار الكتب. سألني فجأة، "هل أنتِ صديقة ميرو؟".

"لقد التقيتُ بها لأول مرة اليوم."

نظر إليَّ للحظة.

"أنا أيضًا أردتُ أن أشكرِكَ" كان يكرّر ما قاله ميونجسو قبل أن يغادر المكتب مباشرة. "شكرًا لأنكِ مَدَدتِ يَدكِ إليها. سيطر عليَّ التفكير كيف أجعلها تواجه مخاوفها، لكن لم يخطر ببالي أن أواسيها وأن أفعل ما فعلتِ. أشعر بالعار من نفسي. لم تُمسِكِ يَدكِ الممدودة، لكن رُبَّمَا تتمكّن من تحرير نفسها من مخاوفها بطريقتها الخاصة بفضلِكَ".

جلس الأستاذ يون على مكتبه وقد أولاني ظهره. في هذه اللحظة بدا ضعيفًا ومتعبًا. راقبته للحظةٍ ثم وضعتُ المخطوطة في حقيبتِي وغادرتُ المكتب. أغلقتُ الباب بهدوء. حدّقتُ إلى اسمه المطبوع على باب المكتب، قبل أن أدير اللافطة بجواره للجانب المكتوب عليه "غير متواجد في المكتب" ثم مشيتُ في الرواق. سرّتُ مُتَّجِهَةً إلى شجرة الزلكوفا الضخمة مُعْتَقِدَةً أن ميونجسو وميرو ربما هناك، لكنني لم أتمكّن من رؤيتهما في أي مكان. عبر مجموعة من الطلّبة أمامي مُسرّعين. جلستُ على مقعدٍ خشبيٍّ أسفل الشجرة ونظرتُ إلى أعلى. السماء البعيدة كانت تعبر من جَوِّ الصيف إلى أوائل الخريف، وسُحُبٌ بيضاء أشبه بأكوام من الآيس كريم حلّقتُ مُبْتَعِدَةً. همستُ نسمة من خلال أفرع الشجر. هل كانت الجامعة هكذا دائمًا؟ كانت الرائحة النفاذة للغاز المسيل للدموع لا تزال عالقةً في الهواء لكن أشجار الزرنب المزروعة كجدارٍ حول الحرم لم تبدُ بمثل هذا الاخضرار من قبل. على مبعده، جلس الطلبة الذين رأيتهم منذ قليل في قاعة المحاضرة، على العشب معًا يتحدثون. وصل حوارهم إلى أذنيّ حيثُ أجلس تحت شجرة الزلكوفا. كانوا يتحدثون عن قصة القديس كريستوفر عابِرِ المياه.

"إِذَا أَيُّهَا الْقِدِّيسُونَ الصَّغَارُ!" كَانَ أَحَدُهُمْ يُقَلِّدُ الْأَسْتَاذَ يُون
"أَيَسْتَطِيعُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَذَكَرَ عَنَوَانَ هَذَا الْكِتَابِ؟".

كَانَ يُمَسِّكُ بِكِتَابِ الْأَسْتَاذِ يُونِ الْخَاصِ بِمَادَةِ الْكِتَابَةِ الْإِبْدَاعِيَّةِ.
عَنَوَانَ الْكِتَابِ "مَا هُوَ الْفَنُّ؟".

"لَيْسَ التَّظَاهُرُ!" هَتَفَ أَحَدُهُمْ بِنَبْرَةٍ سَاخِرَةٍ، فَأَخَمَدَ الْمَزَاجَ الْمَرِحَ
السَّائِدَ فِي لِحْظَةٍ.

"مَا فَائِدَةُ الْفَنِّ لَنَا؟ لَا يُمْكِنُ لِلْفَنِّ أَنْ يَعْلَمَنَا كَيْفَ نَجْنِي الْمَالَ أَوْ
نَحْظِي بِوُضُوفَةٍ. لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَخْبِرَنَا كَيْفَ نَنْجَحُ فِي عِلَاقَاتِنَا الْغَرَامِيَّةِ.
وَبِالطَّبَعِ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْبِرَنَا إِذَا كَانَ عَلَيْنَا التَّظَاهُرُ أَمْ لَا!" كَانَ يَتَحَدَّثُ
بِصَوْتِ جَهَوْرِيٍّ كَمَا لَوْ كَانَ يَحَاوِلُ رَفْعَ مَعْنَوِيَّاتِ الْآخَرِينَ لَكِنْ لَمْ يُجِدْ
ذَلِكَ نَفْعًا. اسْتَلْقَى فَوْقَ الْعَشْبِ وَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: "أَتَذَكُرُونَ مَا
قَالَ رَامْبُو. أَفْضَلُ شَيْءٍ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تُشْمَلَ بِمَشْرُوبٍ رَخِيصٍ وَتَنَامَ عَلَى
الشَّاطِئِ".

"إِذَا مَاذَا يَفْتَرِضُ أَنْ تَفْعَلَ بَعْدَ أَنْ تَفِيقَ مِنَ الثَّمَالَةِ؟ مَاذَا يُمْكِنُكَ
أَنْ تَفْعَلَ؟".

"أَعَثْرَ عَلَى الْمَزِيدِ مِنَ الْمَشْرُوبِ وَأَجُوبُ الشَّوَارِعَ".

"أَحْمَقُ!" صَرَخَ الصَّبِيُّ الَّذِي كَانَ يُقَلِّدُ الْأَسْتَاذَ يُونِ. "أَتَعْتَقِدُ أَنَّكَ
تَسْتَطِيعُ أَنْ تَعِيشَ حَيَاتَكَ مِثْلَ بُوهِيمِيٍّ طَاعِنٍ فِي السَّنِّ؟".

يَنْهَضُ وَيَسِيرُ مَبْتَعَدًا.

يَعْتَدِلُ الْفَتَى الرَّاقِدَ عَلَى الْعَشْبِ فِي جِلْسَتِهِ وَيَنْظُرُ إِلَى أَعْلَى نَحْوِ
الطُّلَّابِ الْمُتَظَاهِرِينَ الَّذِينَ يَهْتَفُونَ. نَهَضَتْ مِنْ أَسْفَلِ الشَّجَرَةِ وَمَشِيَتْ
حَوْلَ الْمَبَانِي الْحَجْرِيَّةِ الْقَدِيمَةِ فِي حَرَمِ الْجَامِعَةِ، وَالْآخَرَى الْجَدِيدَةِ
الْمَزُودَةَ بِالْمَصَاعِدِ. لَمْ أَتَجَوَّلْ فِي أَرْجَاءِ الْحَرَمِ بِاهْتِمَامٍ هَكَذَا مِنْ قَبْلِ. فِي
كُلِّ مَرَّةٍ تَقَعُ فِيهَا عَيْنَايَ عَلَى مَجْمُوعَةٍ مِنَ الطَّلَبَةِ، أَتَفَحَّصُ وَجُوهَهُمْ.

في البداية كنتُ أجهلُ عمَّن أبحث. بمجرد أن أدركت أنني كنت
أبحث عن ميونجسو وميرو، عدتُ بخطوات مُتثاقلةً إلى أسفل شجرة
الزلكوفا وجلست هناك لوقت طويل. لم أستطع رؤيتهما في أي مكان.

مكتبة
t.me/t_pdf

مذكرات ميونجسو

المفخرة البنيّة "2"

-1-

أعتقد أنني سمعتُ أحدهم يناديني؛ لذا أفتح الباب وأنظر إلى الخارج. لكن كل ما أراه هو طبقات من الظلام.

راودني ذلك الحلم ثانية. خطوتُ خطوة واحدة داخل الظلام ووقفت هناك.

عندما أخبرت ميرو عن الحلم، صَغَطَت على يدي بقوة، وقالت لي ألا أنصتَ إلى الصوت. قالت إنه إذا راودني ذلك الحلم ثانية، فإنني يجب أن أبقى الباب مُغَلَّقًا، وألا أخرج. كما لو أنني يُمكنني التحكُّم في الحلم كيفما أشاء.

"لن تخرج من الحجر، حسنًا؟" كانت جادة جدًا، لدرجة جعلتني أعتقد أنني حلمت بشيء مهم حقًا.

"فقط إذا وعدتني بأن تكفي عن البحث عنه" قلتُ.

رَمَقْتَنِي مِيرو بنظرة قاسية. شعرتُ بالسوء تمامًا كما خذلت مِيرو أختها ميراى. اعتذرتُ لها بعد فترة.

"أرجوك، لا تتصرف كوالدي" قالت. "لم أطلب منك أبدًا أن تساعدني في البحث عنه ثانية؛ لذا دعني وشأني".

استمعتُ إليها ولم أعلق. تنحنحت مِيرو وتابعت: "إذا لم أعرف ما حدث للرجل الذي كانت تبحث عنه أختي، فلن أستطيع الحياة مع نفسي".

من فترة، قبل أن يبدأ الفصل الدراسي، كانت مِيرو تقرأ أحد كتب الأستاذ. كان عبارة عن مجموعة مقالات، صدر قبل ست سنوات. سألتني مِيرو فجأةً إذا كان الأستاذ أعزب. قلتُ إذا كانت تعني بأعزب، شخصًا يعيش وحده فالإجابة هي نعم إذًا. كان من الغريب أن أراها تتحدث بتلك الطريقة عن شخص لم تقابله من قبل أبدًا. الكتاب الذي تقرأه والذي كان العمل الوحيد المنشور له بالإضافة إلى كتابين شعريين نُشِرَا عندما كان أصغر سنًا، يحتوي على تأملاتٍ حول الشعر من دون التطرُّق إلى حياته الشخصية. لم ينشر أي شيء منذ ذلك الكتاب، ولا حتى أي ديوان شعري. الطريقة الوحيدة لقراءة أعمال أحدث له هي أن تُفتش في المجلات القديمة في المكتبة. قبل أن تشير مِيرو إلى الأمر، لم أفكر أبدًا في حقيقة أنه ليس متزوجًا، على الرغم أن من الواضح أنه أعزب. سألتها: لماذا تودُّ معرفة ذلك.

"أعتقد أنه شاهد شيئًا ما" قالت، ثم مَتَمَّت بصوتٍ يكاد يُسمع: "لا بُدَّ أن هذا الشيء يطارده".

سألها لماذا تقول ذلك.

"انظر" قالت. "ماذا تفعل هذه الصورة هنا؟"، أرّنتني الصفحة. لم يكن هنالك ذكراً للفنان، لكنني تعرّفتُ عليه في الحال.
"أرنولد.. تَلَعَّمْتُ عند نُطْقِ اسمه الأخير؛ لذا أنهت ميرو الاسم بدلاً مني.

"أرنولد بوككن"⁽¹⁾. بدا أنها تدير فكرةً ما في رأسها. ثم قالت إنها ترغب في حضور محاضرات الأستاذ. تساءلت بصوتٍ مسموعٍ: لماذا سترغب إنسانة توقّفت عن الذهاب إلى جامعتها، الذهاب إلى جامعتي، لكنني فكّرتُ أنها قد لا تكون فكرةً سيئةً في نهاية المطاف. ربما سيساعدها فصل الأستاذ على تغيير مسار حياتها.

كلّما أخبرتها أن تبدأ في التصرّف كطالبة جامعية طبيعية من جديد، كانت تردُّ عليّ مباشرة: "أنت من تقول ذلك؟!".

إنها تصبح أكثر شبيهاً بأختها مع مُضي كل يوم. قالت إنها سوف تفعل كل ما يتطلّب الأمر كي تعثر على الرجل الذي اختفى، الرجل الذي فشلت أختها في العثور عليه. لكن ماذا بوسعها أن تفعل كي تعثر على شخصٍ ميّت؟ لم أعرف ماذا يجب أن أقول لها.

(1) أرنولد بوككن (1827-1901): رسّام سويسري ينتمي إلى المدرسة الرمزية. تُعبّر لوحة جزيرة الموقى دُرّة أعماله.

شاهدتُ جونج يون في المحاضرة اليومَ. أعتقد أن ذلك هو اسمها الأول. لكن أظنُّ أنه يون فقط، وجونج هو اسم عائلتها. أتضح أنها كانت تأخذ إجازة من الجامعة. يبدو أنها قد فقدت بعض الوزن. لكن لا تزال -كما كانت حين كانت طالبةً جديدة- لا تبدو سعيدةً أو مُتحمسةً أبدًا. أتساءل ماذا يزعجها. يمكنني أن أشعر أنها لم تتعرّف عليّ. ذات مرة مشيت خلفها طوال الطريق إلى الجامعة. كانت مُستغرقةً في أفكارها، والشعور الذي توحى به غريب جدًا. توقفتُ أمام الجامعة. توقفتُ هناك فحسب، من دون أن تدخل. توقفتُ بدوري وانتظرت لأرى ماذا ستفعل. كم مرّة شاهدتها من على مبعده من دون أن تلاحظ هي ذلك؟ شاهدتها من قبل وهي تجلس وحدها في الجامعة تقرأ كتاب لإيميلي ديكنسون. وقفتُ أمام البوابة ورأسها محنيٌّ إلى أسفل. حكّت الأرض بحذاءها عدّة مرّاتٍ، ثم التفتت ومشت مبتعدةً.

اختفت في لحظة.

في ذلك اليوم، لم أرها في الحرّم على الإطلاق. اكتشفتُ أنها قد قدّمت طلبًا للحصول على إجازة غياب. كانت تحافظ على مسافة بينها وبين الجميع. حين أفكّر في الأمر، أدرك أنني لم أتحدّث معها محادثة فعلية ما عدا مرّة واحدة عندما كانت طالبة جديدة في أيامها الأولى. أثناء ذلك الفصل الدراسي الأول قبل أن تأخذ الإجازة، ذهب كل الطلبة في قسمنا إلى إيلونج للتخييم ليلاً. من بين كل الطلبة، كانت الوحيدة التي جذبت انتباهي. لا أزال أتذكر كيف بدت:

شَعْرٌ أَسْوَدٌ مُنْسَدِلٌ عَلَى كَتْفَيْهَا، وَصَدِيرِيٌّ أَسْوَدٌ فَوْقَ قَمِيصٍ أَبْيَضٍ، وَحِذَاءٌ رِيَاضِيٌّ أَبْيَضٌ كَالثَلْجِ، وَفَمٌ مُطَبَّقٌ بِإِصْرَارٍ. بَيْنَمَا جَلَسَ الْجَمِيعُ فِي دَائِرَةِ بَجْوَارِ النَّهْرِ وَرَاحُوا يَغْنُونُ، حَدَّقَتْ هِيَ إِلَى النَّارِ الْمُتَّقَدَةِ فِي صَمْتٍ، رَافِضَةً الْإِنْضِمَامَ إِلَى الْغَنَاءِ. فِي الصَّبَاحِ التَّالِيِ، اسْتَيْقَظْتُ وَأَنَا أَعَانِي مِنْ صَدَاعٍ مَا بَعْدَ الشَّرْبِ عَلَى أَرْضِيَّةِ مَنْزَلِ الْمُسْتَضِيفِ، وَمِنْ حَوْلِي الْآخَرُونَ الَّذِينَ اسْتَعْرَقُوا فِي النَّوْمِ مَثَلِينَ. نَهَضْتُ وَتَوَجَّهْتُ إِلَى الْخَارِجِ. طَغَى عَلَيَّ شَعُورٌ بِالْغَثِيَانِ. بَيْنَمَا انْحَنَى إِلَى أَسْفَلٍ وَأَحَاوَلُ تَقْيِئًا مَا بَجُوفِي عِنْدَ ضِفَّةِ النَّهْرِ، لَمَحْتُهَا عِبْرَ السَّدِيمِ الَّذِي يُطَوِّقُ النَّهْرَ. ظَنَنْتُ بِادئِ الْأَمْرِ أَنَّهَا قَدْ غَمَسَتْ وَجْهَهَا فِي الْمِيَاهِ. كَانَ وَجْهَهَا مُبْلَلًا. عِنْدَمَا لَاحَظْتُ أَنَّي أَشَاهِدُهَا، قَفَزْتُ وَأَخَفْتُ وَجْهَهَا. أَدْرَكْتُ أَنَّهَا كَانَتْ تَبْكِي. كَانَتْ عَيْنَاهَا مُنْتَفِخَتَيْنِ كَمَا لَوْ كَانَتْ تَبْكِي بِغِزَارَةٍ. خَفَضْتُ رَأْسَهَا إِلَى أَسْفَلٍ وَمَشَتْ مُبْتَعِدَةً، لَكِنِّي تَبِعْتُهَا. بَدَأَ الضَّبَابُ الْكَثِيفُ يَنْتَشِرُ فَوْقَ الْبَقَايَا الْمَحْتَرِقَةِ لِنَارِ الْمَخِيمِ. جَثَّتْ عَلَى رَكْبَتَيْهَا بِجَوَارِ الرَّمَادِ. جَلَسْتُ بِجَانِبِهَا. أَرَا حَتَّى ذِرَاعَيْهَا فَوْقَ رَكْبَتَيْهَا وَدَفَنْتُ وَجْهَهَا فِيهَا. فَعَلْتُ الشَّيْءَ ذَاتَهُ. رَفَعْتُ رَأْسَهَا وَأَسْنَدْتُهَا عَلَى سَاعِدَيْهَا. فَعَلْتُ مِثْلَهَا.

"لماذا تُقلِّدني؟" سألتني.

"لأضحكك!"

صَحِجَّتْ بِشَحُوبٍ كَأَنَّهَا تُجَامِلُنِي. "هل تعرفني؟" سألتني.

"ليس بعدُ".

"إذا كنتَ لا تعرفني، إِذَا كَيْفَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجْعَلَنِي أَضْحَكُ؟" وَاصَلَّتْ مُعَامَلَتَهَا لِي بِرَسْمِيَّةٍ، رَغْمَ مَحَاوَلَاتِي التَّقَرُّبِ مِنْهَا.

"لكنني أَصْبَحْتُ أَعْرِفُكَ الْآنَ".

حدّقت إليّ عبر الضباب. عيناها لا تزالان منتفختين. لا بُدَّ أنها قد
لمحتني وأنا أتقيأ لأنها أخرجت قرص أسبرين من جيبها وناولته إليّ
ثم نهضت واختفت داخل الضباب.

-3-

نحن نتنفس

اتَّخذت القرار الصحيح بأن أتعرّف على المدينة من خلال التَّجوال في شوارعها. جعلني المشي أفكر أكثر وأركز في العالم من حولي. التحركُ إلى الأمام، وَضَعُ قَدَمِ أَمَامِ الأخرى- ذكّرني بقراءة كتاب. صادفتُ معابر خشبية وأزقّة سوقٍ ضيّقة حيث تشارك أناسٌ غريبةٌ عني المحادثاتِ، يطلب أحدهم المساعدة من الآخر، وينادي أحدهم على الآخر. امتصت الوجوه والمناظر.

بعد أن وجدت طريقًا إلى الجامعة من دون الاضطرار إلى عبور النفق المروري الضخم، أمسيت أستمتع بالمشي إليها. ذات يوم مشيت إلى الجامعة فقط كي أجد نفسي وقد عدتُ أمام النفق ثانية. نظرت حولي، متسائلةً: ماذا عليّ أن أفعل، عندما ملحت سُلماً إلى يمين النفق. في أعلى السلام، ممرٌ مُلتَوٍ ضيّق يقود إلى أعلى التل الممتد فوق

النفق ويخترق مجموعة من المباني العتيقة ذات أسقف القرميد. تبعد الجامعة مسافة دقيقتين إذا ركبت الحافلة، لكن لو سَلَكْتُ هذا الممرَ الذي يمتدُّ أعلى النفق، فسأحتاج إلى عشرين دقيقة من المشي على الأقدام على الأقل. بينما أوصل المشي، صادفتُ المزيد من السلام.

بَدَت لي المدينة كأنها مدينة أخرى من أعلى هناك. مدخنة عالية من الطوب الأحمر مكتوبٌ عليها بحروف بيضاء ضخمة "حمّام عمومي". بيت يبيع أواني فخارية بأحجام مختلفة، بوابته الأمامية مفتوحة. صادفت حتى لافتة لمكتبة العلوم الاجتماعية. تنمو شجرة تمر حنّة مثل تلك الموجودة بجوار قبر أمي فوق أرض خالية. لكن لا بُدَّ أنها شجرة عتيقة؛ لأن قاعدَةَ جذعِها كانت سميكة جدًّا وأفرعُها تنتشر على نطاق أوسع من شجرة أمي. عند نقطة ما، أصبح المعبر ضيقًا جدًّا، لدرجة أنني اضطررت إلى التَّنَحِّي جانبًا عندما تجاوزتني فتاتان ضاحكتان تحملان حقيبتني ظهر إلى الاتجاه المعاكس لأفسح لهما الطريق. يعيش الناس هنا في الأعلى الحياة بوتيرة أبطأ، ولا يشغلون أنفسهم بأولئك الذين يعيشون أسفل النفق. اختلست نظرة من فوق جدار بارتفاع كتف لأرى شرائح من الفجل الأبيض تتعفن فوق صينية مستديرة من القش. تتدلى حَبّات الفلفل الأحمر الحار اللامعة من تعريشات مزروعة في صفوف داخل حاوية بلاستيكية زرقاء. وأحيانًا كنت أرى حتى أصيص زهور مزروعًا بزهور أقحوان لم تفتَح بعدُ أمام أحد البيوت. عثرت في أحد الأزقة على مكتبٍ خشبيٍّ عريض موضوع بين بيتين. شاهدت مجموعة من النسوة يَعِجْنَ الدقيق، ويُقَطِّعْنَ ما بدا يقطينًا- إلى عيدان طويلة. عندما مَرَرْتُ أمامهنَّ، تَوَقَّفْنَ عمًّا يفعلن، وحدَّقن إليّ كما لو كنتُ كائنًا من سلالة أخرى. في أول مرة مَرَرْتُ هناك، مشيت ببطء شديد كي أستوعب كل ما حولي. لكن سرعان ما تعوَّدتُ على المكان، لدرجة أضحيتُ أستطيع قطع المعبرِ في غضون عشر دقائق. لاحقًا، حتى

عندما لا أكون على ذلك الطريق، كان الطريق معي بشكلٍ ما. عندما مُطِر، أجد نفسي أتساءل إذا كان أحدهم قد أدخل صينية القش إلى داخل البيت. استمتعتُ بالمتعة الصغيرة الكامنة في تبادل التحية مع الفتيات اللاتي يعبرن الشارع. أحنيت رأسي عندما رأيت رجلاً يمزج الإسمنت. كان قد تجرّد من قميصه ويتصبّب عرقاً، والخطوط الداكنة التي تركها قميصه الداخلي على كتفيه جعلتني أدرك صعوبة عمله. اكتشفت أنني إذا أخذت منعطفاً يستغرق خمس دقائق من المشي في طريق عودتي من الجامعة إلى شقتي؛ فيمكنني المرور بشارع تنتشر على جانبيه متاجر الكتب المستعملة. كان عليّ أن أسلك مجازاً سفلياً ثم أدور حول ملعب بيسبول لأصل إلى هناك لكن الأمر يستحق. أمشي ببطء أمام أكوام الكتب المستعملة العالية وأتوقّف كي أمعن النظر إلى عناوين الكتب في القاع. عندما ألفت ذلك الشارع، بدأ شعور أنني طريدة، والذي صاحبتني منذ بدأت المشي في شوارع المدينة، يلين أخيراً.

أثناء الأسابيع الثلاثة التي قضيتها استكشف طرُقاً مختلفة تقود إلى الجامعة، لم أر ميرو ولو مرةً واحدة. لم أر ميونجسو أيضاً إلا في محاضرات الأستاذ يون. في كل مرة أدخل فيها قاعة المحاضرة، كان أول شيء أفعله هو التأكد من وجوده هناك. كان يجلس بمفرده دائماً في مؤخرة القاعة حيث جلس بجوار ميرو في أول محاضرة في المقعد نفسه دائماً. ألتفتُ وألقي نظرةً ثانية في نهاية المحاضرة، لكنه يكون قد رحل غالباً. أحياناً بينما أمشي، تشغلني بشدة مشاعري نحوه ونحو ميرو، لدرجة أنني أنسى تماماً أين كنتُ. لم أستطع أن أفهم أبداً لماذا أعجز عن إخراج ميرو من رأسي. كانت تطاردني. عندما لا أكون في محاضرة الأستاذ يون، أتجوّل في أرجاء الجامعة مُتسائلةً أين قد يكون ميونجسو. لم يكن لديّ شيء لأقوله له، مع هذا واصلتُ بحثي عنه.

بعد فترة، لم أستطع أن أحدّد إذا كان الشخص الذي يثير فضولي هو ميونجسو أم ميرو.

ذات يوم، وزّع الأستاذ يون نُسخَ كتاب المقرّر الدراسي الذي كتبته على الآلة الكاتبة. لم يكن ميونجسو في الفصل ذلك اليوم. وضع الأستاذ يون كومة النسخ فوق منصّة المحاضرة كي يستطيع الجميع أخذ نُسخه في طريقه إلى الخارج. حدّقتُ إلى الحروف السوداء للمخطوطة التي كتبتها، ثم تناولتُ نُسخَتَيْنِ إضافيّتَيْنِ ووضعتهما في حقيبتِي. كنتُ أفكر في ميونجسو وميرو. عندما أعلن الأستاذ يون للفصل أنّني مَنْ كتب المخطوطة، التفتُّ إلى الورا وحَدّقتُ غريزيًّا نحو مقعد ميونجسو. لم أره عندما وصلت إلى هنا، لكن ربما دَخَلَ بعدي. كان مقعده لا يزال خاليًّا. انتابني الإحباط لأنه لم يكن موجودًا ليستمع إلى الأستاذ يون وهو يخبر الجميع أنني مَنْ كتب المخطوطة على الآلة الكاتبة. رغم أنه لم يكن شيئًا يُذكر، إلّا أنني قد شعرت بالفخر لرؤية النُسخ المطبوعة والمُغلّفة. على غلاف الكتاب في صورته النهائية عنوان "نحن نتنفّس". كان العنوان بِخَطِّ يد الأستاذ يون.

لا تكتُبْ جملةً واحدةً تُحرّضُ على العنف.

كانت تلك هي العبارة الأولى في كتاب "نحن نتنفّس".

عندما أخرجتُ المخطوطة من المظروف لأول مرّة وقرأتُ تلك العبارة، شعرت بعمودي الفقري ينتصب. كتبت العبارة بشكل متكرّر، مرّةً عن كلّ سنة من سنوات عمري، بينما أستبدل الورقة كلما امتلأت. استغرقت في الكتابة بكل حواسِّي، لدرجة شعرتُ أنني لم أعد

الشخص نفسه الذي أحضر المخطوطة إلى البيت. ملأت مُراجعاتٍ عن القصائد والقصص التي اختارها الأستاذ يون بشكلٍ شخصيٍّ الورق. بدأت أفهم ما عناه عندما قال إنه آسفٌ لتكليفِي بذلك، لكن ربما سيساعدني الأمر على المذاكرة. كانت الملاحظات المدسوسة بين الصفحات هوامش إضافية، بينما قصاصات الورق المملوكة والأسهم تشير إلى المواضيع التي أراد أن يضيف فيها إلى المخطوط نصوصًا أخرى مُقتضبة. كانت هنالك قصائد نَسَخَهَا الأستاذ يون بخطِّ يده، شعرتُ أن عليَّ البحث عن مصدرها بنفسِي.

في اليوم التالي ذهبت إلى متجرٍ يُعير الآلات الكاتبة. كنتُ قد ملحت المتجر في طريقي إلى متجر الكتب في شارع جونجنو. أقل مدةً لتأجير الآلة الكاتبة هي شهر. استأجرت آلةً كاتبة وحملتها إلى البيت على متن الحافلة. بعد ذلك، أصبحت مُتحمسةً للعودة إلى البيت من الجامعة كل يوم كي أوصل الكتابة على الآلة الكاتبة. لم أعد أستطيع استغلال الدقائق العشر الإضافية للمشي في الضاحية فوق النفق، أو اقتطاع خمس دقائق لزيارة الشارع الذي يعجُّ بمتاجر الكتب المستعملة، وكنْتُ أجد نفسي على متن الحافلة كي أرجع سريعًا إلى الآلة الكاتبة.

عندما بدأت الكتابة، كنتُ عازفةً عن ارتكاب أي خطأ إملائيٍّ، لدرجة أنني حين كنتُ أخطئ في كتابة حرف، كنتُ أبدأ الكتابة على ورقة جديدة. لكن بعد فترة بدأت أصحح أخطائي الإملائية بسائل تصحيح. بينما أكتب صفحةً تلو الأخرى، تعوَّدتُ أكثر فأكثر على خطأ يد الأستاذ يون. في البداية كنتُ أعتصر عقلي في محاولةٍ لِفكِّ طلاسم بعض الحروف وأحدّد تلك الصفحات لأعود إليها لاحقًا إذا عجزت عن قراءة الحروف. ذهبت إلى مكتبة الجامعة لأقارن ما نسخته بالنصوص الأصلية. كان بوسعي أن أتأكد منه بشكل شخصيٍّ، لكنني لم

أرغب في ذلك. أردت أن أعطيه المخطوطة بعد أن أفرغ منها بالكامل من دون أن أضطرَّ إلى الاستفسار عن أي شيء.

كُلَّمَا آلَمَّتَنِي كِتْفَايَ فِي اللَّيْلِ بِسَبَبِ كُلِّ هَذِهِ الْكِتَابَةِ عَلَى الْآلَةِ الْكَاتِبَةِ، كُنْتُ أُرِيحُ ذِرَاعِيَّ فَوْقَ عَتَبَةِ النَّافِذَةِ وَأَتَأَمَّلُ الْعَالَمَ بِالْخَارِجِ. حَدَّقْتُ إِلَى أَسْفَلٍ نَحْوِ الْمِتَدَفِّقِ خَارِجَ تَكْتُلَاتِ الْمَبَانِي السَّكْنِيَّةِ الْكَثِيفَةِ عِنْدَ قَدَمِ جَبَلِ نَاكْسَانَ. عَثَرْتُ ابْنَةً عَمِّي عَلَى شِقَّةِ السُّطْحِ تِلْكَ مِنْ أَجْلِي؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ قَرِيبَةً مِنْ مَنْزِلِهَا. تَتَبَّعْتُ الْمَبَانِي بَعِينِيَّ وَحَاوَلْتُ أَنْ أُخَمِّنَ أَيًّا مِنْ تِلْكَ الْأَضْوَاءِ الَّتِي لَا حَصْرَ لَهَا مِنْبَعَثًا مِنْ شِقَّةِ ابْنَةِ عَمِّي. ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى أَعْلَى نَحْوِ السَّمَاءِ. كَانَتْ مَزْدَانَةٌ بِالنَّجُومِ. حَاوَلْتُ أَنْ أَتَهَجِّيَ الْكَلِمَاتِ "لَا تَكْتُبْ جُمْلَةً وَاحِدَةً تُحَرِّضُ عَلَى الْعَنْفِ" وَعَيْنَايَ مَثْبِتَتَانِ عَلَى النُّجُومِ. نَظَرْتُ إِلَى بَرَجِ نَامَسَانَ الْقَابِعِ عَلَى مَبْعَدَةٍ. عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ مَنْظَرَهُ غَيْرُ مُلْفِتٍ فِي وَضْحِ النَّهَارِ، لَكِنْ فِي اللَّيْلِ كَانَ يَلْمَعُ بِالضَّوْءِ الَّذِي يُبْرِزُ مَوْقِعَهُ فِي الظَّلَامِ. طَمَأْنَنِي أَنْ أَعْرِفَ أَنَّ هُنَاكَ شَيْئًا سَيَظَلُّ فِي مَكَانِهِ وَلَنْ يَتَغَيَّرَ حَتَّى لَوْ كَانَ مَجْرَدَ بُرْجٍ. لَقَدْ نَسِيتُ وَجُودَهُ فِي الصَّبَاحِ، لَكِنْ وَجَدْتُ نَفْسِي أَحَدَّقُ إِلَيْهِ غَرِيزِيًّا فِي اللَّيْلِ. فِي اللَّيَالِي الْمَلْبَّدَةِ حَيْثُ تَحْجُبُ الْغُيُومُ الْكَثِيفَةُ الْبُرْجَ، كُنْتُ أَطُلُّ بِرَأْسِي إِلَى الْخَارِجِ أَكْثَرَ، وَأَنْتَظِرُ انْقِشَاعَ الْغُيُومِ. قَرَّرْتُ صَعُودَ الْبُرْجِ يَوْمًا مَا. فَجَاءَتْ نَفْسِي عِنْدَمَا تَخَيَّلْتُ نَفْسِي أَصْعَدُ الْبُرْجَ بِصَحْبَةِ مَيُونَجَسُو أَوْ مَيُورِو.

بعد ساعات طويلة بدا أنها لن تنتهي من الكتابة على الآلة الكاتبة، وصلَّتْ إلى الصفحة الأخيرة. كانت تحتوي على قائمة من عشرين كتابًا يرغب الأستاذ يون مِنَّا قراءتها قبل التخرُّج.

في اليوم الذي وُزِعَ فِيهِ الْأَسْتَاذُ يُونُ نَسْخًا مِنْ كِتَابِ الْمَقْرَّرِ الدِّرَاسِيِّ، فَحَصَّتْ الْخَرِيطَةُ لَوْقَتِ طَوِيلٍ قَبْلَ أَنْ أَغَادِرَ الْجَامِعَةَ. لَمْ

أكن في عَجَلَةٍ كي أعود إلى البيت. بَحَثْتُ عن أطول طريق، وأحْكَمْتُ ربط رباط حذائي. ترك الانتهاء من كتابة المخطوط بداخلي شعورٌ بالفراغ. لم يَعد الآن مَمةٌ سبب كي ألحق بالحافلة التالية كي أعود إلى البيت بأسرع وقت ممكن لأواصل الكتابة. لا تزال الآلة الكاتبة التي لم يَحِنَ وَقْتُ إعادتها إلى المتجر بعدُ، تَقَبَعُ فوق مكتبي، لكن إحساسٌ بالفقدِ سرى بداخلي. شعرت أنني عُدْتُ وحيدةً من جديد. كان يومًا غريبًا. لم أشعر فقط أنني قد خسرت شيئًا ما، لكن شعوري نحو ميونجسو وميرو قد تضاءل، كأن قلبي قد انفتح لهما بينما أكتب مخطوطة الأستاذ يون، لكنه انغلق مُجددًا في اللحظة التي انتهيتُ فيه من الكتابة. يمرُّ أطول طريق يقود إلى شقَّتي بوسط المدينة. لأنه مكانٌ صاخبٌ؛ فثمة الكثير من الأشياء لرؤيتها، وستكون الشوارع مُزدحمةً؛ لهذا حرصت على المشي ببطء والوصول إلى البيت متأخرة.

كانت حُطَّتي هي أن أسلك المعبر التَّحتيَّ أمام قاعة المدينة إلى فندق بلازا، ثم أتوجَّه شمالًا إلى بوابة جوانجهوامون، ثم شرقًا حتى أنجوك- دونج، ثم الدوران حول الحديقة السرية في قصر تشانجديوكجونج، ثم التَّوجُّه شرقًا ثانية عبر ميونجنيون- دونج في طريق عودتي إلى هياهوا- دونج. لأنها أول مرة أسلك فيها هذا الطريق؛ تفقَّدت الخريطة مرَّتين، وتخيَّلتُ الرحلة في رأسي عدَّة مرَّات، لكن عندما اقتَرَبْتُ من قاعة المدينة، لم أستطع التقدُّم أكثر من ذلك. وجدت نفسي عالقة في موجة من المتظاهرين، ودُفِّعت في مقابل الأبواب الزجاجية لفندق كوريانا وقد عجزت عن الحركة. كانت كل المتاجر في المنطقة قد أغلقت بواباتها المنزلقة بإحكام. حتى الأبواب الزجاجية التي تؤدِّي إلى داخل الفندق قد أقفلت. يشاهد موظفو الفندق من الداخل التظاهرات التي اجتاحت الشوارع. كان المعبر التَّحتي على بُعدِ خطوات قليلة من الفندق. فكَّرتُ لو أنني قد تمكَّنتُ من بلوغ المعبر؛ يمكنني العبور إلى الجانب الآخر. حَظَّوتُ

خُطوةً تجاهه، لكن حينها انفجرت عبوة غاز مسيل للدموع فوق رأسي، واندفع حشدٌ هائل من المتظاهرين داخل المعبر التحتي ليتفادوا الغاز. دفعوني إلى الأمام معهم، لكن البوابات المنزلقة في نهاية الدَّرَج كانت مُغلقةً أيضًا. لم يكن هنالك مكان يمكن الذهاب إليه لكن الناس في الأعلى واصلوا التدفُّقَ والسقوط فوقنا. بدأ الناس أمام بوابات الأمن في الانهيار فوق بعضهم البعض. لم يكن هنالك وقتٌ للتفكير في كيفية الخروج. سقطت مع شخصٍ ما، ثمَّ شَعَرْتُ بِأَخْرَ يَسْقُطُ فوقِي.

عندما استعدت وعيي بما حولي، وجدت نفسي راقِدةً فوق الأرض خلف مسرح سيسل قرب قصر ديكسو. لا أمتلك أدنى فكرة كيف نجحت في الوصول إلى هناك. لم أعرف حتى كم مضى من الزمن. رَقَدْتُ ساكنةً للحظة قبل أن أحاول النهوض. كنت ألهث وأجد صعوبة في الرؤية. كانت ركبتا بنطلوني مبللتين بالدم. أتذكَّر بشكل مُشوَّش كيف ضَيَّقْتُ عينيَّ وشَقَّقْتُ طريقي ببطء شديد تجاه الضوء في أعلى المعبر التحتي. مع كل نَفَسٍ أستنشقه، كانت حنجرتي تضيق، وعندما فتحت عينيَّ اندفعت الدموع منها. أتذكر محاولتي حبس نَفْسي والإبقاء على عيني مغمضتين بينما أمضي إلى حيث تقودني قدماي. ثم أتذكَّر انهيارني على الأرض. استلقيتُ هناك لفترة. جلست على الأسفلت ونظرت حولي. كانت هنالك رُقعة من العشب بجانبني ومقعد خشبي. حاولت أن أتحرَّك نحو المقعد، لكن أوقفني ألمٌ حادٌّ سَرَى في ركبتي. نظرت إلى أسفل نحو بقعة الدم الجافة فوق بنطلوني. جلست أخيرًا على المقعد وحاولت أن أسحب قماش بنطلوني عن ركبتي، لكن كان ملتصقًا بجلدي. تخلَّيتُ عن نَفْقد ركبتي واكتفيت بالجلوس هناك. كم مكثت هناك؟ لم أدرك حتى أن حقيبتني وحذائي قد اختفيا حتى شعرت بالحصى الملتصق بباطن قدميَّ. كان أول ما خطر ببالي هو محاولة تذكُّر ما كان في حقيبتني. تذكَّرتُ أن بداخلها

كان ثلاث نسخ من كتاب "نحن نتنفس". تجاهلتُ الأم المبتثق من ركبتي، ومشيت عبر زقاق طويل إلى الطريق الرئيسي. كان كل شيء في حالة فوضى بسبب المظاهرة. اختفى تيار البشر الهائل في مكان ما، وتغطى الشارع بحقائب وأحذية متروكة، سَقَطَتْ من المتظاهرين خلال اشتباكهم مع شرطة مكافحة الشغب. تَفَقَّدْتُ كل الحقائب والأحذية المتناثرة هنا وهناك أملاً في العثور على متعلقاتي. توجَّهتُ عائداً إلى المعبر التحتي أمام الفندق حيث انهرت مُتسائلاً إذا كنتُ سأعثر على حذائي وحقيبتني هناك. يمكنني سماع هتافات متفرقة من شعارات المظاهرة. لم تَنْتَهِ المظاهرة، بل أُجِرَتْ ببساطة على التراجع إلى إحدى نهايتي الشارع. فُتِحَتْ أبواب الفندق الزجاجية التي كان قد أغلقها الموظفون بدافع الخوف عندما كانت حشود المتظاهرين تتدفق في الشارع خارجه. وقف الموظفون وقد بدا عليهم القلق أمام الفندق. ناولتني موظفة زجاجة مياه. التقطتها من دون النظر إليها حتى، وأخذتُ رشفةً. كان المعبر التحتي فارغاً كما لو أن أحدهم قد اجتازه ونظفه. أمكنني أن أرى بوضوح أنه لا يوجد شيء في بئر الدَّرَج، مع هذا هبطت الدَّرَج لألقي نظرة عن كثب. كانت البوابات المعدنية لا تزال مُقفلَةً بإحكام. لماذا لم يُسمح لنا بالعبور إلى الجانب الآخر؟ سعدت الدَّرَج مُجدِّداً. جعل ألم ركبتي الصعود لا يُطاق. أردتُ أن أجلس على الأرض هناك، لكنَّ حَظاً أحد ضباط مكافحة الشغب أمامي. لا بُدَّ أنه ظنَّ أنني أحاول التوجُّه إلى بوابة جوانجهوامون -حيث كان المتظاهرون-؛ لأنه ظلَّ يسدُّ طريقي.

" حذائي... حقيبتني " قلتُ.

رمقني بنظراته. عيناه حمراوان. أشار أخيراً إلى رقعة أرض صغيرة فارغة بين الطريق والفندق.

" اذهبي هناك. يُجمع كلُّ شيء هناك."

يأبى ألم ركبتي أن يختفي. كدتُ أن أتحامَلَ على نفسي وأعرج حتى أصل إلى الأرض الفارغة عندما سمعت أحدهم خلفي ينادي على اسمي. التفتُ لأرى ميونجسو يقف هناك وكاميرا تتدَلَّى من عنقه. ها هو يقف هناك حيث اجتاحت مظاهرة الشارع كفيضان مفاجئ. شُلَّ تفكيري. كيف يمكنني وصف الصدمة التي داهمتني؟ كانت مُشابهةً لما شعرت به عندما أخبرني أي أنه سينقل شجرة التَّمَر جِنَّة إلى قبر أمي. لم أستطع لسبب ما أن أصدِّق أن الشجرة يمكن أن تتزحزح من مكانها حتى حين راقبتُ أبي يحفر الأرض ويخرجها من الفناء، ولا حتى حين شاهدتها تلقي بظلالها فوق قبر أمي كالمظلة، ولا حتى حين تهادَّت الأوراق القرمزية المتفتحة فوق العشب الأخضر لقبرها مثل الفراشات. في كل مرة أشاهد فيها الشجرة، كنتُ أحدِّق إليها كما لو كنتُ أشاهدها لأول مرة.

"جونج يون!"

وَقَفْتُ وَحَدَّقْتُ إلى ميونجسو كأنني أنظر إلى هلوسة. هتف باسمي ثانية. بمجرد أن أدركت أنه يقف هناك حقًا، بدا لي كشعلة ضوء تتوهج وسط الظلام. شعرت أخيرًا بثقل موت أمي الذي كان يتعد عن متناول يدي طوال الوقت، وغمرتني موجة من الفقد. لم أكن مستعدةً لذلك. لماذا من بين كل الأشياء تذكَّرتُ موت أمي؟ لماذا ضربتني حقيقة أنني لن أرى أمي مرة ثانية، حقيقة لم أستوعبها بعد رغم مشيي في كل مكان وخاتمها في جيبي، في تلك اللحظة وذلك المكان بالتحديد؟ ماما ميتة! خَيْل لي أنني أسمع قَرَعَ طبول، ورسول ينقل خبر موتها إليّ. لن أُمسك بِيَدِ أمي ثانية. لن ألتفَّ حول جسدي في مقابل جسدها المريض وأستغرق في النوم. لن أسمعها تنطق باسمي. بينما أقف في وسط المدينة، رفعت يديَّ وغطَّيْتُ وجهي. انسحبت الحرارة مني وصار جسمي باردًا كالثلج. قبل أن أدرك ذلك، كانت الدموع تنحدر على وجهي. ركض ميونجسو إلى جانبي ورمى ذراعيه حولي.

"ما الخطب؟" سألني.

جَلَبَت الموظفة التي كانت تراقبنا من داخل الفندق زجاجة أخرى من المياه ووضعتها في يدي. حتى شرطي مكافحة الشغب الذي أخبرني أين أذهب لأبحث عن حاجياتي، قد توقّف لينظر إلينا. "دعينا نذهب إلى مكان آخر ونجلس" قال.

لَفَّ ذراعه حول كتفيّ. المكان الوحيد الذي يمكننا أن نغادر منه الطريق الرئيسي هو المكان الذي أشار إليه شرطي مكافحة الشغب. بمجرد أن بدأت في الانهمار، لم تتوقّف دموعي عن الانحدار فوق خديّ. أردتُ أن أكُفّ عن البكاء، لكنني لم أستطع التّحكّم في نفسي. كنت مُحرجَةً، وحاولت أن أبعدَ ذراعه عني، لكنه أحاطني بقوة ولم يتركني. شعرتُ كأن المباني التي تحدُّ الشارع، واللافتات في الأزقة، والجدران، والإسفلت- كلها تراقبني.

"أنا بخير" قلتُ.

حتى حين حاولتُ أن أحرّر كتفيّ من قبضته، واصلت دموعي التدفق.

"دعيني أخبرك بقصة مُضحكة" قال. "ربما سمعتها من قبل في الراديو. كان هنالك طالبٌ جامعي مُعجَبٌ بفتاة تذهب معه إلى نفس الجامعة، ولم يكن يعرف ماذا يفعل. كانت كُنيتُه هي ناك سوجانج. كان يبحث عنها في حرم الجامعة كلَّ يوم، لكنه لم يتحدث معها أبدًا. كانت تُواعِدُ شخصًا آخر. لكنه لم يستطع كبح مشاعره؛ لهذا أبقى عينيه عليها دائماً من بعيد. ذات يوم، شاهدها تجلس على العشب أمام المكتبة مع صديقها الذي تُواعِدُه. بدا كأنهما يتشاجران. نهض حبيبها فجأةً ورحل. كانت الفتاة تبكي. شعر ناك سوجانج بالأسف عليها. أي فتى لن يشعر بالأسف لرؤية فتاة يعجب بها تبكي بحرارة؟ لهذا قرّر أن يخبرها بدعابةٍ كي يبهجها. كان سيقول لها (ماذا قال نديّ مُترهّلٌ لآخر؟ يجدر بنا أن ننتفخ قليلاً وإلا سيعتقد أحدهم أننا

جَوَزْتَانِ)، لكن عندما اقترب منها، انفجرت في وجهه (ماذا تريد؟)، كان مرتبكا للغاية؛ فاندفع قائلا: (ماذا قال ثديك المترهل؟)".

انفجرت ضاحكة والدموع لا تزال تتدلى من عيني.
"لقد ضحكت!".

بدا لي في تلك اللحظة رجلا وصبيًا في الآن نفسه. كان يبتسم ويتخذ وقفة من انتصر للتو في سباق مائة متر. ابتلعت أخيراً ذكرى أمي التي كانت عالقة مثل كتلة في حلقي. نسيت كل شيء عن البكاء ونظرت إليه وأنا أضحك بصوت مرتفع مرة أخرى.
"لقد ضحكت ثانية!".

في كل مرة أضحك فيها، كان يكرّر ذلك. بدا كأنه يريد أن يحسب عدد مرّات ضحكي. بدا سخيًا للغاية، لدرجة أنني لم أستطع التوقّف عن الضحك رغم استمرار دموعي في التدفق. هل مصدر الضحك كالبيكاء: حزنٌ أيضًا؟ بينما أضحك، ملأني مزيج من الفرح والحزن. حدّق المارّة إلينا.

"جونج يون ضحكت أخيراً!".

طوب الرصيف الذي خُدش أثناء المظاهرة، والنوافذ الزجاجية للمباني، والسلام، والأعمدة والدربزيئات- كانت كلّها تُحدّق إلينا.
"لقد جعلت جونج يون تضحك!".

هل رغبت بشدّة في إضحاك شخص من قبل؟ تصوّرت وجه أبي وأدركت أنني لم أستغل الوقت الذي قضيته في البيت مع أبي بشكل جيد. لم أحاول ولو مرّة أن أبهج أبي الذي فقد ضحكته حين فقد زوجته. ثم تصوّرت وجه داهن الحزين. لم تتوقّف دموعي عن التساقط. مسحتها بظهر يدي وتمكّنت أخيراً من إلقاء نظرة جيدة على ميونجسو. بدا منظره مُزريًا مثلي تمامًا. أطراف بنطلون الجينز

مُبلِّلة، وظهر قميصه مُمزَّق. توقَّفتُ عن الضحك، لكن شعرت أننا قد أصبحنا مُقربَّين من بعضنا في تلك الدقائق الأخيرة.

"ماذا حدث لحدائك؟" سألني ميونجسو.

نظرتُ إلى قدمي الحافيتين. نظرتُ بدوري إليهما. كنتُ قد بدأتُ بالفعل في نسيان تفاصيل ما حدث. الجزء الوحيد الذي أتذكَّره بوضوح هو اللحظات التي انجرفْتُ فيها مع الآخرين إلى المعبر التحتي، كيف انهار جسدي وسقطت على وجهي. داهمني الألم في ركبتي من جديد فارتعشتُ أصابع أقدامي لا إرادياً. حدَّق إلى لطخات الدم فوق ركبتي.

"هل تؤلمك؟" سألني.

"أجل".

"عليك أن تُجهزي نفسك جيداً إذا كنتِ ستشاركين في مظاهرة. تأكدي من أن رباط حدائك مربوطٌ بإحكام، وأنتِ ترتدين قناعاً".
"لم أكن أحاول المشاركة في المظاهرة".

رمَّقني بنظرة جانبية.

"دعينا فقط نذهب إلى هناك، ونبحث عن حدائك" قال.

"حقيبتِي أولاً!".

كنتُ قلِّقةً بشأن نُسَخ "كيف نتنفَّس" في حقيبتِي. لو كان يعرف أنني فقدتُ حقيبتِي أيضاً، فربما كان ليضيف أن جَلْبَها معي إلى مظاهرة فِكْرَةٍ سيئة.

"تبدين كمتسولة يا جونج يون".

كنتُ كذلك في تلك اللحظة. لم أكن أملك أكثر من ألف وون في جيبِي. في تلك اللحظة كان ميونجسو كلُّ ما أملك. توقَّفتُ عن استفزازي

وأضحى جادًا. اتَّضَحَ أنني لم أكن الوحيدة. عندما مشينا داخل الزقاق ووجدنا الأرض الفارغة، كان هنالك جبلٌ صغير من الأحذية والحقائب والقُبُعات والمعاطف التي لا صاحب لها. كان كل شيء وقد أصيب بوابل من عبوات الغاز المسيل للدموع، والمياه، مُبَلَّلًا، وتفوح منه رائحة نفاذة. في تلك اللحظة فقط أزاح ميونجسو ذراعه من حول كتفي. تَفَقَّدَني بعينه ثم حَدَّقَ إلى أسفل نحو قدمي ثانية. هذه المدينة زاخرة بالمفاجآت. لم أكن لأخمن أنني سوف أقف يومًا في منتصفها بينما يحدِّق أحدهم عَلَانِيَةً إلى قدمي الحافيتين. وليس حتى قَدَمَيْنِ نظيفتين، بل قدمين مُتَّسِخَتَيْنِ تملؤها الكدمات والسحجات.

"أرى الآن لماذا كنتِ تبكين" قال.

"لم أكن أبكي على حدائي".

بَدَأَتْ أَرُدُّ عليه من دون أن أدرك ذلك.

"ماذا كنتِ تفعلين هنا؟"

"كنتُ أتمشِّي" قُلْتُ.

"تتمشِّين؟"

بدا أنه لم يفهم ما أقصده لأنه حدَّقَ إليَّ للحظة.

"أحتاج إلى العثور على حقيبتني" قُلْتُ.

بدأ الآخرون الذين كانوا يبحثون عن ملاذٍ في مكانٍ ما في الظهور واحدًا تلو الآخر. في البداية كنتُ أنا وميونجسو فقط، لكن سرعان ما كان هنالك الكثير من الأناس ذوي الهيئة المزرية يبحثون عن مُتعلقاتهم. معظمهم كانوا حُفَاةَ الأقدام. أحدهم لا يرتدي سوى قميصٍ تحتِي، بينما يقبض آخر على ذراعه كما لو أنه مكسور. كُنَّا جميعًا في حالة ذهول. انضممتُ إلى الحشد المتجمِّع وبدأتُ أفْتَش بين متعلقات الآخرين بحثًا عن حاجياتي.

"حذاؤك حذاء رياضي، صحيح؟" سألني ميونجسو.

"أجل" قلتُ.

"أبيض؟".

"أجل".

"وحقيبة بُنِيَّة بِحَمَالَةٍ كَتِفٍ طويِلة".

"كيف تعرف ذلك؟" سألته.

"لأنها تَخْصُك" قال.

دَوَّت كلماته في أذنيَّ كالْمَطْر. انخرط معي في محاولة البحث عن الحذاء والحقيبة. تَأرَجَّحَت الكاميرا في رقبته إلى الأمام والخلف مع حركته. بدا أن شيئاً ما قد جذب انتباهه لأنه أمسك بالكاميرا والتقط صورةً لكومة الأشياء المفقودة. هَمَّ بتعليقها ثانية حول عنقه، لكنه ناولني إيَّاهَا بدلاً من ذلك وعاد للبحث عن حذائي. شاهدت أقلام رصاص وأخرى جافَّة قد انسكبت خارج الحقائق، وقُبَّعات ومناديل قماشية، ومساحيق تجميل، وزوجاً من مُقْلَمَات الأظافر. تَمَايَلَ هَيْكُلُ نَظَّارات شخص ما وسط كومة الأشياء. لمحت حتى حزاماً. تَنَاطَرَت هنا وهناك كعوبٌ انْفَصَلَت عن الأحذية.

"عثرْتُ عليها!".

تمكَّن ميونجسو من العثور على حقيبتني وسط ذلك العدد الكبير من الحقائق. رفعها إلى أعلى. تَمَزَّقَت الحلية التي كانت مُتَّصِلَةً بالحقيبة. مسح الحقيبة المبلَّلة بحاشية قميصه، ثم ناولها إليَّ. على الرغم أنه كان من المستحيل إزالة كل الوسخ عنها، حاول ميونجسو تنظيفها على أية حال. أخذت الحقيبة منه وأحطتها بذراعي. عاود البحث من جديد عن حذائي. لم يكن هنالك أي أحذية رياضية بيضاء. ربما كان الحذاء أبيضٌ في بادئ الأمر لكن من غير المحتمل أن يكون لا

يزال كذلك. كان حذاءً رياضياً مُريحاً من دون أي علامة مميزة. حتى لو عثر عليه، فغالباً لن أستطيع ارتدائه. كان كل شيء في كومة الأشياء مُبْلاً. تَبَعْتُ ميونجسو بعيني بينما يبحث عن حذائي. كانت المدينة زاخرة بالمفاجآت حقاً، داهمتني الفكرة نفسها ثانية. لقد بحثت عن ميونجسو في كل أنحاء الجامعة من دون جدوى، فقط كي ألتقيه هنا بالصدفة. كان يتفقد كل حذاء واحداً واحداً. عندما اقترحت أن يتوقف عن البحث، نظر إلى قدمي الحافيتين وقد عَلت نظرةً انهزاميةً وَجْهه. هبط الغسق على المكان وسقط ضوء مصابيح الشارع على وجهه. أخذ الكاميرا من يدي وعلَّقها حول عنقه، ثم جَثَا على ركبتيه وقد أولاني ظهره.

"هياً، تَعَلَّقِي بظهري" قال.

"أنا على ما يُرام."

"لا يُمكنك المشي بتلك الرُّكبة."

لم أخبره أنني قد جرحت ركبتي لكن الأم لم يخف ولو للحظة.

"صَعي حقيبتك فوق كتفيك أولاً" وَقَفْتُ وَحَدَّقْتُ إليه. "ألن تتعلَّقِي بظهري؟" بادَلَنِي النظرات.

"يُمكنني السير" قلتُ.

"على تلك القَدَمَيْنِ؟"

"يُمكنني السَّير."

"عنيده". تَحَرَّكَ إلى الورا بظهره في مُحاوَلَةٍ منه لدفعي إلى الصعود فوق ظهره، لكنني واصلتُ التَّحَرُّكَ إلى الورا بدَوْرِي.

"لقد قلتُ إنني أستطيع المشي. شاهد!" بدأتُ المشي خارج الزقاق. بدأتُ الجروح في باطن قدمي تُوَلِّني على الفور، وجعل الأم ركبتي تترتعثان. تَحَرَّرَ بنظروني من جرح ركبتي. بدأ الدم المتجلِّط ينساب

بطول ساقي ويتسرّب عبر القماش. عندما رأى أن جسدي يهتزُّ، وقف أمامي وعرض عليّ ظهره ثانية.

"اصعدي فوق ظهري يا جونج يون!"

بينما ينحني، انشَقَّ ظهر قميصه الممزَّق. أمكنني رؤية هيكل عموده الفقري بوضوح. ذكّرني بواحدٍ جَبَلِيٍّ. انتابتنِي رَغْبَةٌ مفاجئة في أن أمرّ يدي فوقه. بدا كأنه يستطيع حملي والجري حول المدينة وأنا فوق ظهره.

"حسنًا، لكن فقط حتى نعثر على متجر أحذيةٍ" قلتُ.

"مفهوم. حتى نعثر على متجر أحذية."

صعدتُ فوق ظهره وحقبتي مُعلّقة على ظهري، كما أشار إليّ. خطا فوق الرصيف ثم بدأ المشي نحو الشارع الرئيسي. كنتُ واعيةً بحقيقة أن ثديي وبطني تضغط على ظهره، لكن بدا أنه لا يلاحظ ذلك. تقدّم إلى الأمام من دون أدنى ارتعاشة. طَوَّقْتُ عنقه بذراعيّ. كانت وَضْعِيَّتِي مُربِكة في البداية، لكن سرعان ما شعرت بالارتياح. يمكنني رؤية قدمي الحافيتين تتأرجحان بجانب فخذيّ. ذكّرني المشهد كيف اعتادت أُمِّي أن تحملني على ظهرها بتلك الطريقة عندما كنتُ صغيرة جدًّا. خطر ببالي أن الرائحة التي اعتقدت دومًا أنها رائحتها هي فقط - رائحة العرق. كنتُ أستغرق في النوم وأنفي تضغط على ظهرها القوي الدافئ.

يضغط قميص ميونجسو الممزَّق على بطني. قاومتُ رَغْبَةً مُلِحَةً في أن أريح خدّي على كتفه وألتفت لأنظر إلى الأرض الفارغة. تناثرت الأحذية والحقائب والقمصان والممتلكات الأخرى المفقودة تحت ضوء مصابيح الشوارع. شعرت أنني الوحيدة التي قد نجت من تلك الفوضى. شعرت بالأسف على أولئك الذين لم ينجوا - أولئك الذين لم أستطع أن أراهم حتى - وامتلاً قلبي بالأسى عليهم. رغم أننا قد

اتَّفَقْنَا أَنَّهُ سِيَحْمَلُنِي حَتَّى أَقْرَبَ مَتَجَرِ أَحْذِيَّةٍ، لَمْ يَعْرِفْ أَيُّ مَنَّا أَيْنَ
يَمْكُنُنَا الْعَثُورُ عَلَى مَتَجَرِ أَحْذِيَّةٍ. بَعْدَ فِتْرَةٍ، أَضَافُ: "لَوْ عَثَرْنَا عَلَى
مَتَجَرِ أَحْذِيَّةٍ".

" وَمَاذَا لَوْ لَمْ نَعَثَرْ؟" سَأَلْتُهُ.

"لَا تَتَقَلَّقْنِي. سَأَحْمَلُكَ طَوَالَ الطَّرِيقِ حَتَّى مَنزَلِكِ".

تَوَقَّفَتِ الْحَافِلَاتُ عَنِ الْعَمَلِ بِسَبَبِ الْمَظَاهِرَةِ؛ لِهَذَا لَمْ تَمْتَلِكْ خِيَارًا
آخَرَ سِوَى الْمَشْيِ. عِنْدَمَا وَصَلْنَا إِلَى الْبَقْعَةِ حَيْثُ وَجَدَنِي أَوَّلَ مَرَّةٍ، مَهَّلَ
وَسَأَلَنِي أَيْنَ أَعِيشُ.

"فِي دُونِجْسُونِج- دُونِج".

"تَعِيشِينَ فِي دُونِجْسُونِج- دُونِج؟!".

"أَجَلٌ".

"رُبَّمَا صَادَفْنَا بَعْضَنَا الْبَعْضَ يَوْمًا مَا فِي الْمَاضِي".

"هَلْ تَعِيشُ هُنَاكَ؟".

"لَا، لَكِنْ مَيَّرُو عَاشَتْ هُنَاكَ".

يُون مَيَّرُو. رَنِينُ اسْمِهَا كَانَ مِثْلَ سِتَارَةِ سُودَاءِ تَنَسُدُ فَوْقَ قَلْبِي
كَمَا يَظْلُمُ النَّهَارُ فِجَاءً وَتَهَبُّ عَاصِفَةٌ مُمَطِّرَةٌ.

"أَيْنَ يُون مَيَّرُو الْآنَ؟" لَمْ يُجِبْنِي. "أَيْنَ هِيَ؟".

وَاصَلْتُ سِوَالِي عَنِ مَكَانِهَا كَمَا لَوْ كُنْتُ أُخْتَهَا الْكَبْرَى. تَوَقَّفَ
لِيَلْتَقِطَ أَنْفَاسَهُ، ثُمَّ بَدَلًا مِنْ أَنْ يُجِيبَنِي، غَيَّرَ وَضْعِيَّةَ يَدَيْهِ كَيْ يَسْتَطِيعَ
حَمْلَ وَزْنِي بِشَكْلِ أَفْضَلِ.

"يَجِبُ أَنْ نَأْخُذَ الْمَعْبَرِ التَّحْتِيَّ، صَحِيحٌ؟".

بَدَأَ أَنَّهُ يَتَحَاشَى الْحَدِيثَ عَنْهَا.

"لن يمكننا ذلك" قلتُ. "البوابات مُغلقة".

انتظرنا عند ممرّ المشاة. على الرغم من عدم وجود أي سيارة،
واصلت أضواء إشارة المرور التَّغْيِيرَ بانتظام.

"أين هي؟".

"لقد عادت للتوّ من الجزيرة".

"الجزيرة؟".

بينما يهْمُ بشرح الأمر، اندفعت مجموعة من المتظاهرين خارج
رُفَاقٍ مُظْلِمٍ، وتَدَفَّقُوا داخل الطريق الرئيسي. للحظة، عَلِقْنَا فِي
المنتصف. اصطدم بعضهم بنا. رمقنا بعض العيون بنظرات جافّة.
أردتُه أن يُنزلني، لكنه أمسكني بإحكام أكبر. اندفع المتظاهرون
بجانبنا بسرعة كبيرة، لدرجة أنني عجزت عن أن أُحدِّد إذا كانوا هم
مَنْ اعتزوا طريقنا أم أننا مَنْ اعتزنا طريقهم. بعد أن تجاوزونا،
شرع ميونجسو في السير من جديد. العثور على متجر أحذية كان
مثل العثور على زهرة ربيع مُتَفَتِّحة في عِزِّ الشتاء. معظم المتاجر في
الطابق الأول من المباني قد أُنزلت بوابات الأمن المعدنية الخاصة بها،
أو أقفلت الأبواب الزجاجية وأطفأت الأنوار، بحيث لا يستطيع أي أحد
النظر إلى الداخل. أُلْقِيَتْ لافتة قائمة طعام أمام مطعم أرضًا. سعدتُ
لرؤية ضوء خافت ينبعث من معرض سيارات. كلُّما مشيت في وسط
المدينة في منتصف اليوم ورأيت حشدًا من المارة، كنتُ أتساءل ماذا
يفعلون بالخارج بدلًا من التواجد في أماكن عملهم، لكن أدركت الآن
أنهم كانوا مصدرَ حياة هذه المدينة. من دون البشر؛ بدت المدينة
مَيِّتة. تلاشت الإثارة التي عَلَفْتْنَا عندما تخطَّنا تَيَّارُ المتظاهرين، وخيَّم
علينا صمٌّ حزين. بينما يتقدَّم ميونجسو إلى الأمام، أمكنني شَمُّ
الرائحة النَّفاذة للغاز المسيل للدموع في الهواء. وَصَلْتُ إلى مسامعي

التهافت المتفرقة للمتظاهرين وزئير رجال شرطة مكافحة الشغب.
تصَلَّب عمودي الفقري لسماع صوت رشَّاشات المياه.
تجاوزنا كُشْكُ جرائد مغلَقًا.

"ماذا بوسعنا أن نفعل في هذا اليوم وهذا العمر؟" مَتَّمَ ميونجسو.
بدا صوته أشبه بصوت الأستاذ يون.

"ماذا تريدان أن تفعلني بحياتك يا جونج يون؟".

فكَّرْتُ في نُسْخِ كتاب "نحن نتنَفَّس" في حقيبتني.

"أحيانًا أتمنَّى لو كان بإمكاننا أن نبدأ الحياة كبارًا، ثم نصغر في
السن مع تَقَدُّمنا في الحياة" قال.

"ماذا كان ليتغَيَّر مُقَارَنَةً بِالآن؟" سألته.

"أعتقد أننا كُنَّا سنبدو طاعنين في السَّنِّ الآن" قال.

لم أستطع تَخَيُّل كيف سيبدو كُلُّ مِنَّا طاعِنًا في السن.

"أتمنَّى لو كان هنالك شخصٌ يَعِدني بألَّا شيءٍ عديم المعنى في
هذه الحياة" قال. "أتمنَّى لو كان هنالك وعود تستحق أن نُؤْمِن بها
حقًّا. أنه ثمة شيء آخر مختلف ينتظرنا بعد أن ينتهي زمن المطاردة
والوحدة والتوتر والحياة في خوف. إذا أخذنا بالاعتبار الطريقة التي
نحيا بها الآن، أعتقد أننا لو كُنَّا صغارًا في نهاية حياتنا حقًّا، فرمًا
ستتحقِّق أحلامنا".

تجاوزنا مَوْقِفَ حافلات. لم يكن هنالك أي حافلة في أي مكان.

"ألا تَتَفَقِّح معي في الرأي؟" نظر إليَّ وكأنه يَحْتَنِي على الاتفاق

معه.

"ذلك يعني أننا سنموت ونحن نبدو في أصغر سنٍّ مُمكن،
وسننقضي هذه الفترة من حياتنا ونحن نبدو في أكبر سنٍّ لنا. أذلك
ما تريد أن تقوله؟" سألته.

توقّف أمام متجر مجوهرات مُغلّق. رغم أنني لا أستطيع رؤيته،
لكن يمكنني تخيّل النظرة على وجهه.
"لم أفكر في ذلك" قال.

لم أفكر أبدًا كيف سيبدو الأمر لو أمكنني عيش الحياة على نحو
عكسي. تمتمتُ إلى نفسي من دون أن أقصد أن يسمعي هو أو أيُّ أحدٍ
آخر. "كيف يتحمّل أي إنسان هذه الحياة؟"

تجسّد وجه داهن وميرو في رأسي.

"لا يمكنهم تحمّلها؛ لهذا يشيّدون الحواجز ويقذفون الطوب
ويفرون من رجال شرطة مكافحة الشغب، فقط كي يُقبَضَ عليهم. ما
لا يستطيعون تحمّله هو حقيقة ألا شيء يتحسّن حتى. لم يتغيّر أي شيء
منذ العام الماضي، كأن الزمن قد تجمّد."

"ماذا تأمل أن يحدث في المستقبل؟" سألته.

"أريد فقط أن يتغيّر أي شيء. لم يتغير شيء واحد حتى، مهما قاتلنا
بقوّة؛ لهذا أمسينا خاملين. أحيانًا أجد نفسي أتمنى لو سرق أحدهم
كلّ الكتب في العالم، يستولي عليها جميعًا، حتى آخر كتاب، حتى من
المكتبات. أتمنى لو أغلقت المدارس كيلا يستطيع أحدهم الذهاب
إليها حتى إن أرادوا ذلك. كل الأشياء سيان. يبدو فقط أن الزمن
يمضي، والوجوه فقط هي التي تتغيّر. يُفرّقوننا ويطاردوننا في كل
مكان. نقاتل لنصدّ هجومهم ثم نُطارِد من جديد... نُحدّق جميعنا
إلى الجدران ونشكو من الوحدة. كل ما علينا فعله هو أن نلتفت
ونبعد عيوننا عن الجدران، لكننا نُبقي وجوهنا مُثبّتةً عليها. التفكير

في أن هذا الوضع لن يتغير أبدًا يدعو إلى الاكتئاب. لم يكن الوضع مختلفًا في الربيع الماضي أيضًا".

استمعت إليه من دون أن أتفوه بكلمة.

"لو لم أقابلك اليوم" قال. "رُبَّما كنتُ لأستطيع التمييز بينه وبين هذا اليوم في العام الفائت" قال ميونجسو، قبل أن يغمغم بصوتٍ يكاد لا يُسمع: "إدًا دعينا نتذكَّر هذا اليوم إلى الأبد".

أردتُ أن أرى وجهه في تلك اللحظة. أردتُ أن أرى كيف بدأ حين نطق تلك الكلمات؛ لأن الخمول الذي يشعر به، كنتُ أشعرُ به أيضًا. رُبَّما ضَخَمنا من معنى صُدْقَةٍ لقائنا في ذلك اليوم كي نحاول أن نُبدِّد ذلك الخمول. أبعَدتُ يدي عن عنقه ومَرَّرتُ يدي فوق وَجَنَّتِه، ثم تَحَسَّستُ جبهته وأنفه والأخدود أسفل أنفه وشفتيه وذقنه وأذنيه ثم حاجبيه. سمح لي بأن ألمسه. عندما مَرَّرتُ يدي فوق عينيه، توقَّف عن المشي. لا بُدَّ أنه من الصعب عليه التقدُّم إلى الأمام.

"يون" لم يُنادِ عليَّ باسمي الأول فقط من قبل أبدًا. "لم أعتقد أنني سوف أراك في الخارج في الشارع. كانوا يقاتلون بقذارة اليوم- المتظاهرون ورجال شرطة مكافحة الشغب على حدِّ سواء. لقد أجبروني على الانفصال عن مجموعتي، وبدأتُ أشعر بالخوف، ثم وجدتُك أمامي فجأة. لم أستطع الكفَّ عن دَعكِ عيني غير مُصدِّقٍ ما رأيت. لماذا خرجتِ اليوم؟" بدا مكتئبًا.

"لم أرغب في العودة إلى البيت مُبكرًا. حاولتُ أن أسلك أطول طريق ممكن إلى البيت، ثم حدث ما حدث لي".

فكَّرتُ في الآلة الكاتبة القابعة فوق مكتبي في حجرتي الخالية. تَرَدَّد صدى طقطقة المفاتيح في أذني. ثمة أوقات أكون فيها ممتنَّةً لحقيقة أنه لم يطرح عليَّ سؤال "لماذا". لم يسألني ميونجسو لماذا لم أرغب في العودة إلى البيت. لم أكن لأعرف كيف أجيب على هذا السؤال لو

سألني. أخذ نفسًا عميقًا وزفره. شعرت بصدرة يعلو ويهبط. سحبت يدي بعيدًا عن وجهه وفركتُ زوايا عيني الملتهبَتَيْن.

في كل مرة يتنفس فيها ميونجسو، ينقبض صدري وبطني. ذلك الاختناق راودني أيضًا مع فرحتي العارمة لرؤية المحيط لأول مرة، ومع شروق الشمس عند بزوغ الفجر في الشتاء، ومع استكشاف باحة البيت المكسوّة ببياض الثلج، ومع حَكِّ أظفر إصبعي في عدم تصديق لمراى محالق تعريشة عنب خضراء تنمو وتلتف حول نفسها، خارجة من نبات جاف لا حياة فيه، ومع تأمل الأظافر الوردية لطفل صغير. مع مشاهدة سُحْبِ كثيفة في سماء يوم صيفي، أو نزع قشرة خوخة حلوة وأخذ قزمة منها، أو المشي في طريق داخل غابة والتقاط كوز صنوبر بذهن شارد لاكتشف أن داخله مكتظُّ بحبّات صنوبر بيضاء. احتضنته بقوة أكبر. ملأت رائحة جسده أنفي. كانت ممتزجة برائحة الغاز المسيل للدموع.

"هل تتظاهر كل يوم؟" سألته. لم يجب. "ألدلك لم تأتِ إلى المحاضرة مؤخرًا؟".

"في كل صباح أفتح عيني وأسأل نفسي: هل ينبغي عليّ الذهاب إلى الجامعة أم التظاهر؟ لا أستطيع الجلوس ساكنًا في قاعة المحاضرة، لكن الأمر سيئان عندما أكون في الخارج في الشوارع. أشعر كأن شيئًا ما يدفعني كي أنضمَّ إلى المظاهرات، لكن عادة ما ينتهي بي المطاف وقد انفصلتُ عن الآخرين، مثل اليوم. أحيانًا أستيقظ في الصباح، وأسعل في منديلٍ ورقيٍّ وأقذفه في حاوية القمامة. إذا نجحت في قذف المنديل داخل الحاوية، أذهب إلى الجامعة، وإن فشلت، أنزل إلى الشارع للتظاهر. أحيانًا أمكث في حجرتي وأنتظر أحدهم كي يأتي ويجدني".

"أرى ذلك".

"أحيانًا أذهب إلى الجامعة فقط لأنك هناك". أرخيتُ قبضتي حوله. "لكن لم أذهب اليوم بالتحديد لأنني عرفتُ أنك ستكونين هناك...".

"ماذا تعني؟".

"فكرتُ أنني إذا رأيتك، فسوف أمسكك وأخبرك بكل شيء".

تساءلتُ ماذا عنى بذلك. "لكن عوضًا عن ذلك، وجدتك في الشارع. تفاجأت كثيرًا".

"لم تبد لي متفاجئًا".

"لقد بدأت في البكاء على الفور، وأنت تقفين هناك حافية القدمين، كيف أمكنك إداً أن تُميّزي إذا كنت متفاجئًا أم لا؟".

أعجبنتني رائحته. جعلتني رائحته لا أرغب في سؤاله أين ميرو. تساءلتُ إذا تمكنتُ من معرفة ميرو أكثر، فهل سأتمكّن حينها من معرفته بشكل أفضل أيضًا؟ أزعجني أنه لا يريد التحدّث عنها. شعرت أنه إذا فعل ذلك، فسوف أضطر إلى النزول عن ظهره والمشي بمفردي بقدمي الحافيتين المجروحتين عبر المدينة التي تعجُّ بالفوضى والصخب. اجتاحني فجأة خوف من فضولي الطاغي تجاه ميرو. هل ستقرب الأشياء التي عرفتها بيني وبين ميونجسو، أم ستبعد بيننا أكثر؟ اعتدتُ على التفكير أن مشاركة الأسرار تُقرب بين البشر دائمًا؛ لهذا بحثتُ ذات مرة بأسرار لم أريد أن يعرفها أحد، كي أشعر بالقرب من شخص ما. يمكنك تخيّل كم الخسارة التي شعرت بها عندما اكتشفت في اليوم التالي أن الأسرار التي أبقيتها دفينّة بداخلي، والتي كان من الصعب عليّ أن أبوح بها بصوتٍ عالٍ، التي احتفظت بها لنفسِي - يتناقلها الآخرون كما لو كانت لا شيء! أعتقد أن تلك هي اللحظة التي أدركتُ فيها أن البوح بما في قلبك إلى شخص ما قد لا يُقربك منه، بل قد يُضعف في

الحقيقة علاقتك به. اعتقدتُ حتى أن التَّقَرُّبُ من شخص ما يتحقَّق بشكل أفضل من خلال التعاطف معه في صمت.

بدأت المدينة مُعقَّدةً كخيوط العنكبوت: المبانى بنوافذها التي لا حصر لها، ومصابيح الشوارع الممتدَّة في صفوف، والأزقة الضيقة، واللافتات المختلطة ببعضها لدرجة لا يمكنك أن تقول أي لافتة خاصة بأي متجر بالتحديد. المرور متوقَّف في الشوارع، مع هذا تواصل أضواء إشارات المرور التغيُّر بِدقَّةٍ متناهية. ملأت لوحات الإعلانات الضخمة المكان بألوانها المتلائة، رغم عدم وجود أي أحد كي ينظر إليها. جلُتُ بنظري في زقاق يمتدُّ أمامي، لكن الظلام كثيف جدًّا، لدرجة لا يمكنني أن أرى نهايته. عبَرَّ ميونجسو تقاطعًا صغيرًا ثم تجاوز كابينه هاتف عمومي فارغة ثم مشى أسفل معبر علويٍّ ليعبر تقاطعًا آخر. على الرغم من أنه يتوجَّه إلى منزلي، لكننا بدوْنَا كمشرِّدين لا يمتلكان مأوى يذهبان إليه.

لا بُدَّ أننا مشينا لأكثر من عشرين دقيقة في صمت تام. قلت أخيرًا وأنا أشير إلى متجر زهور: "دعنا نتوقَّف هنا".

كان باب المتجر مفتوحًا على اتساعه. كانت مصاريع كل المتاجر الأخرى قد أُسدِّت إلى أسفل أو أبوابها مواربة كما لو أن أصحابها قد تخلَّوا عن العمل اليوم. حفنة التربة من قبر أمي لا تزال قابِعةً داخل أصيص فخاري خارج شقتي. ألقى نظرة عليها في كل مرة أغادر فيها الشقة. كنتُ قد اشتريت الأصيص مدفوعةً بفكرة زراعة شيء ما فيها، لكنني لم أستطع تحديدَ ماذا سأزرع. في تلك الأثناء أخذت التُّربة تَحِفُّ.

"لماذا هنا؟" سألتني.

"لديَّ أصيص زهور في المنزل. أرغب في زراعة شيء فيه". أشرتُ إلى شيء أخضر موضوعٍ عند عتبة باب متجر الزهور. كنتُ أبحث عن

عُذِرَ كِي أَهْبَطَ عَن ظَهْرِهِ، وَكَانَ هَذَا كُلُّ مَا أَمَكَّنِي التَّفَكِيرَ فِيهِ. بَدَأَ
كَأَنَّهُ نَبَاتٌ زِينَةٌ، لَكِنِّي لَمْ أَعْرِفْ اسْمَهُ.

"يَبْدُو أَنَّهُ أَوْرَاقُ نَخِيلٍ" قَالَ مِيُونَجَسُو. كَانَتْ نَخْلَةً بِالْفِعْلِ، رَغْمَ
صِغَرِ حَجْمِهَا.

"أَنْزِلْنِي" قُلْتُ.

أَنْزَلْنِي أَمَامَ مَتَجَرِ الزُّهُورِ. كَانَتْ هُنَاكَ فَقَطْ حَفْنَةٌ مِنَ التُّرْبَةِ فِي
أَصْبِيصِ الزُّهُورِ فِي مَنْزِلِي. كُنْتُ فِي حَاجَةٍ لِشِرَاءِ الْمَزِيدِ مِنَ التُّرْبَةِ. كَانَ
الْمَتَجَرُ بِالْكَادِ أَكْبَرَ مِنْ خَزَانَةِ. إِذَا لَمْ تُؤَلِّ انْتِبَاهَكَ إِلَيْهِ، فَرَبَّمَا لَنْ تَلَاظِحَ
وَجُودَهُ حَتَّى. فِي الدَّخْلِ جَلَسْتُ امْرَأَةً أَكْبَرَ سِنًّا مِنِّي، تَرْتَدِي نَظَارَاتٍ،
عَلَى مَقْعَدٍ بِلا ظَهْرٍ، وَرَاحَتْ تَنْظُرُ إِلَى الْخَارِجِ. وَقَفْتُ عِنْدَمَا رَأَيْتُنَا.
التَّقَطُّ رَائِحَةٌ خَفِيفَةٌ لِسَمَكٍ مَآكِرِيلٍ يُشَوَّى. لَا بُدَّ أَنَّهُ يَوْجَدُ مَطْعَمٌ
سَمَكٍ فِي الْجَوَارِ. جَعَلَتْ الرَّائِحَةُ مَعْدِي الْفَارِغَةَ تُدْمِمُ.

عِنْدَمَا مَدَدْتُ رَأْسِي دَاخِلَ الْمَتَجَرِ، خَرَجَتِ الْمَرْأَةُ إِلَيْنَا. سَأَلْتُهَا عَنِ
اسْمِ النَّبَاتِ، قَالَتْ إِنَّهَا شَجِيرَةٌ نَخِيلٍ. الزُّهُورُ الذَّابِلَةُ دَاخِلَ الْمَتَجَرِ
أَكْثَرَ مِنْ تِلْكَ الْمَزْدَهْرَةِ. فَقَدَتِ زُهُورَ الْبَلْسَمِ وَالْخَزَامِيَّ بِتَلَاتِهَا، وَحَتَّى
الْأَوْرَاقَ قَدْ ذُبُلَتْ.

"هَلْ أَنْتُمْ قَادِمَانِ مِنْ مَظَاهِرَةِ أَيُّهَا الشَّابَّانُ؟" سَأَلَتِ الْمَرْأَةَ.

لَمْ نَعْرِفْ بِمَ نَرُدُّ. غَارَتْ تَجَاعِيدُ جَبْهَتِهَا.

"مَتَى سَيَتَوَقَّفُ الشَّغْبُ فِي هَذِهِ الْبَلَدِ؟" تَنَهَّدَتِ بِحَسْرَةٍ. "لَا أَسْتَطِيعُ
فَتْحَ مَتَجَرِي. إِنَّهُ مُغْلَقٌ مَعْظَمَ الْوَقْتِ، وَثَمَّةٌ الْكَثِيرُ مِنَ الْغَازِ الْمَسِيلِ
لِلدَّمُوعِ فِي الْهَوَاءِ لِدَرَجَةِ أَنْ كُلَّ الزُّهُورِ قَدْ ذُبُلَتْ. انظُرْ هُنَاكَ. لَقَدْ
كُنْتُ أَرَبِي طَائِرَيْنِ فِي هَذَا الْقَفْصِ، لَكِنَّهُمَا مَاتَا بِالْأَمْسِ. وَتَأَمَّلْ وَجْهِي،
حَتَّى فِي هَذَا الْعَمْرِ، لَدَيَّ بَثْرَةٌ لَا تَلْتَنِمُ أَبَدًا. لَقَدْ أُصِيبْتُ بِهَا بِسَبَبِ

استنشاق الغاز المسيل للدموع كل يوم". صوتها مُتَحَشِرُجٌ. "خذا ما تشاءان. كل شيء ذابل. ليس من الصواب أن أقبل بأي مالٍ ستدفعانه".
التَقَطَت شُجَيْرَةَ النخيل التي سألتها عنها، بوجهٍ مُتَكَدِّرٍ، ووضَعَتها في كيس.

"عندما تعودين إلى منزلك، انقلي النبات إلى حاوية أخرى، وارويها. آسَفَةٌ لأننا لم نستطع أن نترك لكما عالمًا حيث لا يضطر أي أحد للاحتجاج والتمرد... آسَفَةٌ جدًّا".

كان ميونجسو يحدِّق إلى أسفل نحو قدميَّ بوجهٍ يخلو من أي تعبير حين فاجأتنا المرأة باعتذارها. لكنه اندفع إذ فجأةً عبر الشارع إلى كابينة هاتف عمومي.

"قد يبدو ما سأقوله سخيًّا تمامًا لو أخبرتكما أن قِطَّةً تبيض... لكن ربما تكونون مُحَقِّين أيها الصغار، لكن لو واصلتم التظاهر فسيضطرُّ بقيتُنَا أن يتظاهر أيضًا. سنتظاهر ضدَّ كُلِّ هذا التظاهر".
ابتسمتُ بمرارة.

"لا تقترفون أي خطأ أيُّها الصغار، لكن لا يمكننا أن نعيش بهذه الطريقة إلى الأبد".

لم أعرف ما عليَّ قوله.

"علينا أن نكسب قوت يومنا أيضًا".

كانت تتحدَّث إليَّ كما لو كُنَّا قريبتَيْن. لم أعرف كيف أَرُدُّ عليها. لم أرتكب أي خطأ لكنني استمررت في الانحناء برأسي. تمنَّيتُ أن يُسرِع ميونجسو بالعودة. كلما واصلت الحديث، كلَّما حدَّقْتُ بتوتر أكبر إلى حيثما يقف ميونجسو داخل كابينة الهاتف في الجهة الأخرى من الشارع.

"لقد فشلنا حين كُنَّا في مثل سِنِّكُمْ، لكن عليكم أنتم أن تتركوا عالمًا أفضل للجيل التالي.

أقفلت المرأة باب المتجر. لم يبرح الاكتئابُ وجهها ولو للحظة. اختفت المرأة والزهور وجعلتني أتساءل وأنا أقف في الخارج إذا كنتُ قد تخيلتُ كل شيء. كل ما تبقى من أثر متجرها هو بوابة معدنية باردة مغلقة. انهارت ركبتي من الألم فجلست على الأرض وراقبتُ ميونجسو بينما يُنهي مكالته ويركض عائداً إليّ. جلس بجانبني.

"ميرو قادمة" قال. ميرو! "لقد طلبتُ منها أن تحضر حذاءً لكِ".

"لا بدُّ أن الأمر قد فاجأها".

"ما مقاس قدميكِ؟".

"38".

"نفس مقاس ميرو" بدا أنه يعرف كلَّ شيء عنها.

"من أين ستأتي؟" سألته.

"ميونجنيون- دونج".

كُنَّا في أنجيوك- دونج لأن الحافلات لا تعمل، فسيكون على ميرو أن تسير من بيتها حتى هنا. بعد ظهر اليوم حين خطَّطت طريق عودتي الطويل إلى منزلي عبر وسط المدينة، خَمَّنتُ أنه سيستغرق مني ساعتين. فكَّرت حتى في أن أسلك طريقًا آخر يتطلَّب السير لثلاث ساعات. لكن مضت ساعات عديدة منذ غادرت حرم الجامعة، جزء منها قضيته محمولة على ظهر ميونجسو من أمام قاعة المدينة، وقد وصلنا الآن إلى أنجيوك- دونج فقط.

"هل انتقلت ميرو هناك من دونجسونج- دونج؟" سألته.

"لقد عشنا سوياً في دونجسونج- دونج".

"ماذا؟".

"عشنا في منزل اشتراه والداها لها ولأختها الكبرى ميراي."

"لميرو أختٌ كبرى؟"

همَّ بالإيماء قبل أن يتوقَّف ويعبث بالكيس البلاستيك. أمسك بيدي ووضعها فوق ركبته. أمكنني الإحساس بالوحل فوق بنطلونه الچينز.

"لأُكُن صريحًا معك، لا أرغب في أن تصبحي وميرو صديقتين. لكن أنتما الاثنتان تسألان دائماً عن بعضكما البعض."

"تسأل ميرو عني؟"

"وكلاكما عنيدتان" أضاف. "تبحث كلُّ منكما عن الأخرى. مضى وقت طويل منذ أبدت ميرو اهتمامًا بشخص آخر. يُفترض أن أكون سعيدًا بخصوص الأمر، لكن عوضًا عن ذلك ينتابني القلق."

"لماذا؟" سألته. بدت ضحكته جوفاء. "أعتقد أننا نلتقي الأشخاص المُقدَّر لنا لقاؤهم. فبعد كل شيء، انظري كيف التقينا اليوم."

"لماذا تتحدَّث بجديَّةٍ شديدة؟"

ضحك وسألني إذا كان يبدو جادًا حقًا. بينما ننتظر ميرو، جلسنا مستندين إلى بوابة متجرٍ مُغلقة كقرديْن شاردين من قوَّات عدوِّ، وتحدثنا.

"كان ثلاثتنا نعيش في بيتٍ فوق تَلِّ في دونجسونج-دونج. كبرنا معًا. كانت ميراي أكبر منَّا بسنة، مع هذا كان ثلاثتنا لا نفرق تقريبًا. غادرت ميراي إلى الجامعة أولاً وأقامت في بيت للطلبة، لكن عندما انضممتُ وميرو إليها في المدينة، اشترى والداهما لنا هذا المنزل. عشنا سوياً، لكن كُنَّا مُجرَّد أصدقاء."

"أتفهَّم ذلك."

"تتفهَّمين؟ اعتقد الجميع أن الأمر غريب."

"لماذا؟"

"لأنني وُلِدْتُ، وأنا لستُ قريبًا لهما".

"لكنك قلت إنكم قد كبرتم معًا؟" حدّق إليّ. كنتُ أفكر في داهن. ربما قال داهن لي ذات مرة إنني لا أُحِبُّه، لكنني أحببتُ الوقت الذي أقضيه معه. نستطيع قضاء الوقت معًا من دون أن نضطر إلى الحديث. حتى حين لا نملك شيئًا للحديث فيه وملتزم الصمت، لم نكن نشعر بالحرَج أبدًا. يمكننا الجلوس، يواجه كلٌّ مِنَّا الآخر لساعات من دون أن نتفوّه بكلمة واحدة. أقرأ كتابًا بينما يرسم داهن في كراسة الرسم الخاصّة به. كان الأمر يبدو طبيعيًّا جدًّا بالنسبة إلينا. حين يقول أحدنا شيئًا، يفهمه الآخر على الفور. لا يحدث هذا في يوم وليلة. إنه شيء يُبنى ويتراكم مع الوقت بينما يكبر شخصان سويًّا.

"أنتِ مختلفة عن الآخرين" قال.

"مختلفة كيف؟"

"ظننتُ أنني سأضطر إلى شرح لماذا عشتُ مع فتاتين. كنتُ قد جهزتُ كلامًا، لكن عندما قلت إنك تتفهّمين الأمر، فاجأني ذلك وجعل الكلام الذي جهّزته بلا معنى".

"ما كان يجدر بي قول أي شيء إذاً" ضحك ضحكةً مُقتَضِبةً.

"لماذا لا تعيشون معًا الآن؟"

"لا أودُّ الحديث في هذا الأمر".

كان مختلفًا عن الآخرين أيضًا. قد تبدو الأشياء التي يقولها باردّةً، لكنه يقولها برِقّةٍ بالغة.

"مَن الذي تبحث عنه ميرو؟" سألته.

"شخص اختفى".

"مَنْ؟"

"لا يجب عليّ إخبارك، صحيح؟"

"لا لست مُجبراً".

"مُجبرٌ؟" صار صوته أهدأ. "حتى لو لم أخبرك، فسوف تكتشفين بنفسك إذا استمررت في قضاء الوقت بصُحْبَتِنَا".

"ماذا تعني؟"

"تكاد ميرو تصل".

رفرف شيءٌ في الظلام في الجانب المقابل من الشارع. أمَعَنْتُ النَّظْرَ. كانت تَنُورَة ميرو. تذكَّرتُ اليوم الذي رأيتهما في مكتب الأستاذ يون. كانا يمشيان تحت شجرة الزلكوفا، وانتفخت تَنُورَة ميرو الفضفاضة المزخرفة بالزهور بفعل النسيم، ولامست كلَّ شيءٍ حولها، وملأتني بإحساسٍ غريبٍ بالقلق.

هَبَطَت ميرو من فوق الرصيف وخطت داخل الشارع في طريقها إلينا. كانت كتفاها متدلّيتين ورأسها محيناً إلى أسفل. كان منظرها غريباً. على الرغم من أن ميونجسو يجلس إلى جوارِي، وأنه مَن اتَّصل بها، شعرت أنها أتت من أجلي أنا فقط. وجدت نفسي أبتعد عن ميونجسو بشكلٍ غريزيٍّ. قبل خطوات قليلة من وصولها إلى مكاننا، قَفَزَت قِطَّةٌ بيضاء من بين ذراعيها ومشت نحو ميونجسو. مدَّ ميونجسو ذراعيه والتقط القطّة. بدا أنهما يعرفان بعضهما البعض جيّداً. ومضت الزهور فوق تَنُورَة ميرو أمام عينيّ، ثم جلست بيننا قبل أن أستطيع إلقاء نظرة على وجهها. فَتَحَت سَحَاب حقيبتها، وأخرجت منها فردّيّ حذاء رياضي ملفوف في جريدة، ووضعتها على الأرض بجوارِي. لا بُدَّ أن ميونجسو قد حكى لها كل شيء عبر الهاتف لأنها لم تسأل لماذا كنتُ حافية القدمين أو لماذا كُنَّا نجلس هناك. لم

تَحِينًا حَتَّى بِالتَّحِيَّةِ الْمُعْتَادَةِ. دَسَسَتْ قَدَمِيَّ دَاخِلَ الْحِذَاءِ، وَبَدَأَتْ فِي رِبْطِ رِبَاطِهِ، لَكِنَّهَا مَدَّتْ يَدَهَا تَجَاهَ قَدَمِيَّ. لَمْ أُسْتَطِعْ أَنْ أُزِيحَ عَيْنِيَّ عَنِ نِدْبَاتِهَا. شَرَعْتُ فِي رِبْطِ حِذَائِي مِنْ أَجْلِي، لَكِنَّهَا تَوَقَّفَتْ كَأَمَّا وَضَعِيَّتَهَا غَيْرَ مُرِيحَةٍ، وَتَحَرَّكَتْ كِي تَجْلِسَ أَمَامِي مُبَاشِرَةً. أَعَادَتْ رِبْطَ الْعُقْدِ الْمِتْرَاحِيَّةِ، وَاحِدَةً تَلُو الْأُخْرَى، ثُمَّ شَدَّتْ الْعُقْدَ لِتَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّهَا مُحْكَمَةٌ. فَفَعَلْتُ ذَلِكَ بِعَفْوِيَّةٍ شَدِيدَةٍ لِدَرَجَةِ أَنْنِي لَمْ أَمْتَلِكِ الْوَقْتَ كِي أَخْبِرَهَا أَنَّنِي سَأَفْعَلُ ذَلِكَ بِنَفْسِي. انْدَهَشْتُ لِأَنَّنِي لَمْ أُسْحَبْ قَدَمِيَّ بَعِيدًا. شَعَرْتُ بِالرَّاحَةِ لِسَمَاحِي لَهَا بِأَنْ تَلْمَسَ قَدَمِيَّ. تَحَرَّكَتْ أَصَابِعُهَا الْمَشْوُوهَةَ بَيْنَ أَرْبُطَةِ الْحِذَاءِ الْبِيضَاءِ. حَتَّى مِيوَنَجْسُو كَانَ يِرَاقِبُهَا بِهَدْوٍ. كَانَتْ يَدَاهَا اللَّتَانِ كَانَتَا مُخْبَأَتَيْنِ دَائِمًا فِي جِيُوبِهَا أَوْ تَحْتَ مَقْعَدِهَا، تَتَحَرَّكَانِ بِحُرِّيَّةٍ أَمَامِنَا.

"ذلك كان حذاء أختي الكبرى" قالت.

جَلَسْتُ بَيْنَنَا مِنْ جَدِيدٍ. صَوْتُهَا وَاضِحٌ وَخَافَتْ. بَدَا كَأَنَّهَا كَانَتْ مَعَنَا طَوَالَ الْوَقْتِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهَا قَدْ التَّقَّتْ بِنَا لِلتَّوُّ. بَدَا الْأَمْرُ حَتَّى كَأَنَّهَا كُنَّا نَسَافِرُ سَوِيًّا لِأَيَّامٍ ثُمَّ تَوَقَّفْنَا مِنْ أَجْلِ اسْتِرَاحَةٍ قَصِيرَةٍ. لَمْ أَتَوَقَّعْ أَبَدًا أَنَّنِي سَأَرْتَاحُ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ بِرَفَقْتَهُمَا. التَّوْتُرُ الَّذِي انْتَابَنِي وَمِيوَنَجْسُو فِي كُلِّ مَرَّةٍ كَانَ يُذَكِّرُ اسْمَهَا فِي حَدِيثِنَا قَدْ تَلَاشَى وَخَلَّفَ بِدَاخِلِي شَعُورًا بِالضَّعْفِ. أَدْرَكْتُ أَنَّنِي كُنْتُ أَتَصَرَّفُ بِسَخَافَةٍ عِنْدَمَا ابْتَعَدْتُ عَنِ مِيوَنَجْسُو فِي اللَّحْظَةِ الَّتِي ظَهَرَتْ مِيرو فِيهَا. بَدَا حِذَاءُ أُخْتِ مِيرو الْكُبْرَى كَأَنَّهُ حِذَائِي. شَعَرْتُ كَأَنَّنِي شَخْصٌ مُخْتَلِفٌ عَنِ تِلْكَ الَّتِي كَانَتْ تَتَحَدَّثُ مَعِ مِيوَنَجْسُو مِنْذُ لِحْظَاتٍ قَلِيلَةٍ فَقَطْ. مَاتَتْ أُمِّي مِنْ دُونَ أَنْ تَعْرِفَ ذَلِكَ عَنِّي، لَكِنْ عِنْدَمَا أُتِيْتُ أَوَّلَ مَرَّةٍ لِلْعَيْشِ هُنَا، تَجَنَّبْتُ خَلْقَ عِلَاقَةٍ عَمِيقَةٍ مَعَ أَيِّ أَحَدٍ أَوْ أَيِّ شَيْءٍ. فِي كُلِّ مَرَّةٍ سَأَلْتَنِي فِيهَا إِذَا كُنْتُ قَدْ كَوْنْتُ صِدَاقَاتٍ جَدِيدَةٍ، أَخْبِرَهَا أَنَّنِي لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ بَعْدُ. شَعَرْتُ بِالنَّبْذِ. لَقَدْ أُرْسَلْتَنِي بَعِيدًا بِمَجْرَدِ أَنْ عَلِمْتُ أَنَّهَا تَحْتَضِرُ، اقْتَلَعْتَنِي بَعِيدًا عَنْهَا، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ عَدَمِ

رغبتني في تركها؛ لذا كان الشعور بالقرب من شخص ما هو آخر شيء أردته. ما استطعت تحمّل فكرة إخبار أيّ أحدٍ عنيّ أو قضاء الوقت مع شخص ما. اخترت أن أكون وحيدةً كيلا تتعقّد الأمور، كي أتحاشى المشاعر المُعقّدة. اعتادت ابنة عمي أن تقول لي: "لا تؤمنين حقًا أنك تستطيعين النجاة في هذا العالم بمفردك، أليس كذلك؟ صدّقيني لا ينجح أحد في مواجهة الحياة وحده". بينما أجلس هناك في الشارع، أدركت أن ميونجسو وميرو قد تمكّنا من اختراق الأسوار التي شَيّدتها حولي والوصول إليّ.

"ماذا حدث عندما ذهبتِ إلى الجزيرة؟" سأل ميونجسو ميرو.

"لم أعرّ على أي شيء" قالت. "رجاء، كُفّ عن التحديق إليّ هكذا" صمّتا فجأةً. كي أزيل الارتباك المخيّم، سألتهما إن كانا جائعَيْن. قال ميونجسو إنه جائعٌ، بينما لم تُجب ميرو.

"هل نذهب إلى منزلي؟".

التفتا إليّ.

"كل ما لديّ هو كيمتشي البيريلا" قلتُ، "لكن يمكنني طهي الأرز. لديّ الكثير من الأرز. دعونا نذهب".

أمسكتُ الكيس الذي يحوي شجيرة النخيل ونهضتُ. تبيّعاني. التقطت ميرو القطة. تحركَ فروها الأبيض الثلجي في الظلام برقّة. مرّرت ميرو يدها المشوّهة عبر فرو القطة، وربّبت على عنقها. حدّقت القطة إليّ بعيون زرقاء كالسمااء وقت الفجر. عندما بلغنا الشارع الرئيسي، قال ميونجسو إنه يتضوّر جوعًا كي يمشي إلى منزلي ثم أوقف سيارة أجرة. لا تزال الحافلات متوقّفةً عن العمل لكن بدأت سيارات أجرة تظهر. هل خمدت المظاهرة أخيرًا؟ كانت الشوارع مهجورة، والقليل من الناس في الخارج ليلاً. جلس ميونجسو في المقعد الأمامي بجوار السائق، وجلستُ وميرو في الخلف. عندما

رأتني أحدق إلى القط، عرضت عليّ أن أحملها. كانت أوّل مرّة تنظر في عينيّ مباشرة منذ أحضرت الحذاء. تفحصتني عيناها الداكنتان. وضعت النبات في أرضية السيارة وأخذت القطّة من بين يديها. تشنّج ديلها بادئ الأمر، لكن سرعان ما تراخى. داعب الفرو الأملس خديّ. جلست القطّة بين ذراعيّ وراحت تُحدّق بكسل خارج نافذة السيارة إلى الظلام والأشجار التي تحدّد الشارع.

"لقد أحببتك" قالت ميرو.

"عذرًا؟"

"إنها تجلس ساكنة".

لم أكن مُغرمةً بالقطط. منذ مدة طويلة جدًّا، عندما ذهبت لزيارة أمي، وكنت أغفو إلى جانبها، اقتربت منّا قطّة وافترشت الأرض بجانبنا. استيقظتُ أوّلًا. أفزعني مرأى القطّة فالتقطتُ كتابًا وقذفته نحو القطّة، وصرخت فيها. لكنها تمثّت بعيدًا في هدوء. في اليوم التالي عاودت نفس القطّة الظهور، وبالت على الأرضية أمامي، ثم مشت مبتعدة. تعثّرتُ في بولها. قالت أمي: "انظري، قذفتها بكتابٍ فتركت بولها لك".

أبقتني تلك الذكرى بعيدةً عن القطط الأخرى. حين انتقلت إلى المدينة أوّل مرّة، كان هنالك قطة في بناية ابنة عمي أيضًا. لا أعرف ماذا حدث، لكن مالك البناية أجّر كل الشقق وانتقل للعيش في مكان آخر، وترك قِطّته الرمادية خلفه. أطعمتها ابنة عمي كثيرًا. سألتها ذات مرّة لماذا ترك مالك البناية القطّة وراءه، فقالت ابنة عمي إن القطط تتعلّق بالمكان أكثر من البشر؛ ولهذا يُعثر على القطط كثيرًا داخل البيوت المهجورة.

مكتبة

t.me/t_pdf

مذكرات ميونجسو

المفخرة البنيّة "3"

-1-

علقت قصة القديس كريستوفر في رأسي منذ حكاها الأستاذ يون في أول محاضرة. أردتُ أن أعرف المزيد عنه؛ لذا بحثتُ عنه في كتابٍ تلو الآخر في المكتبة. خرجت بتلك الملاحظات:

1 - لأنه حمل المسيح وهو طفل عبر النهر؛ لا يزال يعتبر القديس كريستوفر القديس الحامي للمسافرين. بعض سائقي سيارات الأجرة والشاحنات يحتفظون بميداليات للقديس كريستوفر على لوحة عدادات السيارة كتميمة. في الوقت نفسه لأن القديس كريستوفر كان

زاهدًا، سعى لتحقيق إرادة الرب من خلال العمل الجاد؛ كان يُعتبر أيضًا رسولًا يرمز لفكرة نقل وتسليم شيء مهم جدًا.

2 - من ذلك المنطلق، فإن القديس كريستوفر بمثابة رمز للمسيح. الاسم "كريستوفر" مُشتقُّ من كلمة "كريست" أي المسيح، والمقطع "فر" المأخوذ من كلمة يونانية تعني "الحامل". المسيح الذي حمل كل خطايا وآلام البشر معه إلى الصليب كي يُنقذ البشرية، كان زاهدًا حمل العالم كله على ظهره، ورسولًا بُعث إلى الأرض لينقذ إرادة الرب. عندما ننظر إلى الأمر من تلك الزاوية، فإن كريستوفر المسيحي قد يُرى كمزيجٍ من الإلهين: أطلس وهرمس في الأساطير اليونانية القديمة.

3 - حمل المسيح الصليب على كتفيه، وحمل القديس كريستوفر المسيح نفسه على كتفيه. إذا عكسنا العبارة، فالصليب قد حمل المسيح، والمسيح قد أوصل القديس كريستوفر إلى طريق الخلاص. كلاهما تلقى نداءً أفنيًا حياتيهما كلها من أجله، وكلاهما مرَّ بلقاءات قدرية مكنتهما من إنجاز فحوى ذلك النداء. في تلك الحالة، هل أمتلك أنا أيضًا نداءً أو وحيًا؟ مهمة مُقدَّر لي أن أنجزها خلال ما تبقى من حياتي؟ متى ستحين لي الفرصة كي أحقق ذلك النداء؟ رغم أنني في عشريناتي الآن، أشعر كأنني أتعثر في الظلام، بينما أحاول أن أشقَّ طريقي إلى الأمام.

سرقْتُ كتابًا من متجر الكتب. لم أحتجّه. لم أرغب حتى في قراءته. مع هذا سحبتَه من على الرّفِّ، وقد تدفّقت هذه الرغبة التي لا أستطيع تسميتها بداخلي. مشيت مغادرًا المتجر والكتاب في يدي، ولم يوقفني أحد. كان ذلك خاليًا من الإثارة.

كتبْتُ على صفحة العنوان التاريخ وملاحظة: "أول كتاب يسرقه لي ميونجسو". بدت العبارة ناقصةً، فأضفتُ: "لست بالغًا إلى أن تسرق كتابًا." لكن شعرت أنني أخلق عذرًا طفوليًا؛ فمسحت كل شيء ما عدا التاريخ.

-4-

في الطريقِ إلى بحيرةِ الملح

طلبْتُ من ميونجسو وميرو أن ينتظرا بالخارج قبل أن أسمح لهما بالدخول. كانت قائمة الوعود التي قطعتها على نفسي عندما عدتُ إلى المدينة مُلصَقَةً على الحائطِ فوق مكتبي، وفكَّرتُ أنني يجب أن أزيلها من على الحائطِ أولاً. دخلت القطة إلى الشقَّة، وبدأت تستكشف المكان كأنما تبحث عن بقعة خاصة بها في هذا المكان الجديد. قفزت فوق عتبة النافذة وتكورت حول نفسها. نقل ميونجسو شجيرة النخيل من الحاوية البلاستيكية إلى داخل الأوصيص الفخاري، ثم وضعه فوق مكتبي. ثم جلس على المقعد ونَقَرَ على مفاتيح الآلة الكاتبة. وقفت ميرو قرب المطبخ. أسمَّيه مطبخًا، لكنه في الحقيقة مُجرَّد حوض وموقِد في إحدى نهايتي الحجرة مع ثلاثة. نقعتُ الأرز ووضعتَه داخل قِدر. ثم سحبت المائدة القابلة للثني في

جانِب منضدة المطبخ إلى الخارج، ثم وضعت عليها حاويات أطباق جانبية أخرجتها من الثلاجة. كانت المائدة القابلة للثني صغيرةً وضيقةً. كنت أبقِيها مطويةً حين لا أستخدمها. سترتطم رُكْبنا ببعضها البعض إذا حاولنا الجلوس معًا عليها. ابنة عمي مَن صنعت الأطباق الجانبية من أجلي، كانت حاويات الطعام ممتلئةً بسمك أنشوفة مقلي، وقطع لحم منقوعة في صلصة صويا وبيرِلا مُتَبَّلَة. البيرِلا التي أحضرتها ابنة عمي مختلفة عن كيمتشي⁽¹⁾ البيرِلا الذي كانت أمي تعدُّه بنفسها وترسله إليّ. كانت ابنة عمي تغلي الأوراق بالبُخار ببساطة ثم تُتَبَّلها بصلصة الصويا. في كل مرة أفتح حاوية، تُتمِم مِرو باسم الطبق كلِّما لو كانت تردد عناوين كتب: كيمتشي الفجل، جذور لوتس مُدَمَّسة، جذور أرقطيون مسلوقة... تعجَّبت من كمِّ الطَّعام الذي أمتلكه، وسألني إذا كنتُ قد أعددتُه كله بنفسي.

"لديَّ ابنة عم كبرى تعيش في الجوار" شَرَحْتُ. "هي مَن أحضرت الطعام إلى هنا".

"لكنكِ قلتِ إنكِ لا تملكين سوى كيمتشي البيرِلا".

"لم أدرك كمَّ الطعام الذي لديَّ هنا" أشرتُ إلى جذور اللوتس والأرقطيون. "هذه أول مرة أفتحها منذ أحضرتها ابنة عمي".

"لماذا لم تتناولي أي شيء منها حتى الآن؟".

"أعتقد أنني لا أخرج الطعام كله حين أكل بمفردي".

أتناول الطعام لأنني جَوْعَى لا من أجل المذاق. تظهو ابنة عمي أنواعًا شتى من الطعام وتتركه في ثلاجتي، لكن كلِّما انتابني الجوع أفتح الثلاجة وأمدُّ يدي بداخلها وحسب، وأُخرج أوَّل ثلاث حاويات

(1) الكيمتشي: طبق كوري تقليدي لا تخلو منه أي مائدة، وهو عبارة عن خضار مُخلَّل، يتكوَّن بشكل أساسي من الملفوف. يُخلَّل الكيمتشي في مواسم مُعيَّنة، ويُحفظ في مكان دافئ، ويُقدَّم كجزء من المُقَبَّلات.

تقع عليهما عيناى. كَفَّ ميونجسو عن النَّقر على الآلة الكاتبة وانضمَّ إلينا. نقل الطعام إلى أطباق التقديم الأصغر حجمًا.

"لديَّ بعض الخبازى المجعَّدة" قلتُ. "هل أعدُّ بعض الحساء؟"

"لا تشغلي بالكِ" قالت ميرو. "ثُمَّ الكثير من الطعام بالفعل."

كان ذلك صحيحًا. كانت المائدة الصغيرة مُكتنَظَّة بالأطباق.

"لكننا نتناول الطعام سوياً لأول مرة" قلتُ. "يجب أن نتناول

الحساء."

التقطت قدرًا وملأته بالمياه ثم وضعتَه فوق الموقد. أخرجت

الخبَّازى من الثلاجة. ابنة عمى من أحضرت الخبازى إليَّ أيضًا.

"لا أستطيع أن أصدِّق أن لديك خبازى أيضًا" قالت ميرو. "أعطني

إياها. سأقوم أنا بذلك".

أخذت أوراق الخبازى الكبيرة منى. قشَّرت سيقانها في لحظات.

تحركت يدها المشوَّهة بالندبات بسلاسةٍ من ساقٍ إلى أخرى. فاجأنتى

رؤيتها وهي تعمل. بدا من الطريقة التي تتعامل بها مع الأوراق:

تنزع الطبقة الخارجية الرفيعة للنبات، ثم تُخرج منها الأجزاء الأكثر

صلابةً من دون تَرَدُّد- أنها قد صنعت هذا الحساء من قبل كثيرًا.

أضافت الملح إلى المياه المغليَّة لتسلق الأوراق، ثم عصرتها جيّدًا تحت

مياه الصنبور.

"سَلَقْتِها أولاً؟"

"أجل، كي أتخلَّص من مرارة طعمها".

"لا بُدَّ أنك تحبِّين حساء الخبازى حقًّا".

"أحبَّته أختى. اعتدنا على زرع الخبازى فى حديقتنا عندما كنَّا

صغارًا. كنت أندھش دائماً من سرعة نموِّ نباتات الخبازى ثانية بعد

قَطَعِهَا. لكن أكثر ما أحببته هو الخروج إلى الحديقة لأنني كنت أستمتع بهزُّ قطرات الندى عن الأوراق. حين ننتهي من العمل في الحديقة، يكون بنطلوني قد ابتلَّ بالندى".

كانت ميرو مَنْ أخبرتني ألا أُتعب نفسي وأعدَّ الحساء، ثم انتهى الأمر وقد أعدَّته بنفسها.

"يوجد بعض الجمبري المُجفَّف في الثلاجة أيضًا". عثرت ميرو على كيس بلاستيكي، وألقت نظرة داخله ثم قالت مبتهجة: "لدينا جمبري!" غسلت الجمبري المُجفَّف وأضافتَه إلى القدر. عندما كانت أمي تعدُّ هذا الحساء، كانت تحرص على عصر الأوراق حتى يصبح لون الماء أخضر، ثم تشطفها وتضيفها إلى الحساء. لم أعد هذا الحساء بنفسني من قبل. كان غريبًا أن أرى ميرو بارعةً جدًّا في طهيهِ. لا بُدَّ أن ميونجسو كان يتضوَّر جوعًا لأنه التقط ورقة بيрила بأصابعه وأكلها. رمقته ميرو بنظرة جانبية قبل أن تناوله زوجًا من عيدان الأكل. أخذها وأكل ورقة أخرى. كانا يتصرَّفان معًا بعفويَّةٍ لدرجة أنني وقفتُ ساكنةً، أراقبهما للحظة. عندما غلى الحساء، نهضت القِطَّة وفردت ظهرها على آخره. لامست بطنها اللينة عتبةً النافذة. قفزت بخفَّة من فوق العتبة، ومشيت نحو ميرو، ثم لفت ذيلها حول ثنورتها ونقرت عليها. أشاحت القطة بوجهها بعيدًا طوال الوقت كما لو كانت تتظاهر باللامبالاة.

"هكذا تتواصل القطط" قالت ميرو. "هذه الإشارة تعني أنها تحبني. سوف تفعل معك الأمر نفسه أيضًا بمجرد أن تعتاد عليك".

جمت القطة على الأرضية عند قدم ميرو بهدوء، ورفعت عينيها نحوي. بدت العينان الزرقاوان كأنهما تقولان: "ومن تكونين أنتِ؟".

ملاؤ ثلاثة صحون بالأرز. كانت أول مرة أتناول فيها الطعام مع آخرين في شقتي فوق السطح. أخرجت كل طبق وضمن في خزانة المطبخ لنستخدمها. بمجرد أن أصبحت مائدة الطعام جاهزة، التقطت ميرو ورقة فارغة وقلم رصاص من على مكتبي، وسجلت التاريخ، ثم أسماء كل طبق على المائدة: حساء الخبازي المجمّد، أرز، كيمتشي بيريل...

"ماذا تفعلين؟" سألتها.

"أدوّن كل شيء كي أتمكّن من نقله إلى مُفكّرة يوميّاتي لاحقًا".
"ماذا؟"

"تسجّل ميرو كل شيء تتناوله" أجاب ميونجسو نيابةً عنها.
كل شيء؟! تجاهلت ميرو نظراتي المُندهشة، وتابعت الكتابة.
"لماذا تفعلين ذلك؟" سألتها.

"لأن الأمر يبدو واقعيًا حين أفعل ذلك".
"أي أمر؟"

"كوني حيّةً".

"هل تكتبين كل شيء تأكلينه منذ وُلدت؟".
"بالطبع لا!" قالت ضاحكةً.

"إذاً لماذا؟ ما دافِعُكِ؟" قلتُ وقد عجزت عن منع نفسي من الضحك أيضًا. فمع كثرة أسئلتني، شعرت أنني أجري معها حوارًا صحفيًا. التقطنا ملاعقنا وبدأنا في تناول أول وجبة طعام سويًا. تكوَّرت القطة عند قدم ميرو. دَسَّ ميونجسو ملء معلقة كبيرة من الأرز في فمه، ثم تجرّع الحساء. لم تمسس ميرو طبق الأرز الخاص بها، لكنها تناولت قليلًا من الحساء. مزجتُ نصف طبق الأرز بحسائي.

لقد تَبَلَّت الحساء جيِّدًا. كانت أوراق الخبازي الخضراء رقيقةً، وأبرز اللون الوردِيُّ للجمبري اللَّوْنُ الأخضر للخبازي. لم أستطع بعدُ تصديق أن ثلاثتنا نتناول الطعام معًا. التقطتُ ورقة بيريلا ووضعتها فوق أرز ميرو. كان شيئًا تفعله أُمِّي من أجلي. متى كانت أُمِّي تأكل؟ لديّ ذكريات عنها وهي تُطعمنا أكثر بكثير من ذكرياتي عنها وهي تأكل. كان وجهها يُشْرِقُ بفخر حين ترى أبي يأكل بشهيةً، وكانت تُشجِّعني للأكل مثله. كانت الطريقة التي يأكل بها تُشعِرُكُ كأنه يتناول شيئًا مختلفًا وألذَّ. مشاهدته وهو يأكل جعلتني أرغب في الإسراع والأكل أيضًا. كان يأكل بحماس حقًّا قبل أن تمرض أُمِّي. بعد موت أُمِّي، كُنَّا نحن الاثنين فقط على المائدة، مع هذا كُنَّا لا نزال نستطيع الشعور بها تجلس بيننا على المائدة، رغم أننا لم نتحدَّث عن ذلك الشعور أبدًا.

ربما كانت تلك هي أكثر اللحظات وحدة التي مررتُ بها أثناء فترة عيشي في البيت مع أبي بعد موت أُمِّي. أحبَّت أُمِّي مراقبة أبي يأكل، وكانت تدفع دائمًا الأطباق الجانبية بالقرب منا، وتضع قطع اللحم والخضار فوق طبق الأرز الخاص بكلِّ مِنَّا وهي تقول: تناوليه بينما لا يزال دافئًا، بينما لا يزال لذيذًا، بينما لا تزال التتبيلة مضبوطة... هل رَدَدْتُ لها هذه اللفتة أبدًا؟ بعد رحيلها كنتُ أحيانًا أسرح وأفكر فيها وأجد نفسي أمدُّ يديَّ غريزيًّا وأدفع الأطباق الجانبية قُربَ أبي. في المقابل كان يضع قطع الأعشاب البحرية المجفَّفة بشكل عفويٍّ فوق ملعقة الأرز التي أرفعها إلى فمي. ربما لهذا كُنَّا لا نزال نشعر بوجودها هناك. بعد رحيلها، لم يَعدُ أبي يلتهم الخضار باستمتاعٍ أو يلتقط سمكةً لَحْمُها وفيرٌ، أو يتجرَّع الحساء كأنه ماء، أو يطلب زيت السمسم كي يرشَّ منه على البيمباب⁽¹⁾. أصبح يترك نصف طبق أرزه من دون أن يلمسه.

(1) البيمباب: طبق كوري كلاسيكي مُكوَّن من الخضار والأرز واللحم والبيض المقلي.

لَقَّت مِيرو ورقة بيريلا حول حفنة من الأرز، وحشرتها داخل فمها. ابتسمت وخداها ممتلئان بالطعام. بادلتها الابتسامة. لم أكن لأخمن أنني سأجلس هنا في حجرتي برفقتهما، نتشارك الطعام والضحك. كانت أمي لتحبُّ مُراقَبة مِيرو وهي تأكل. لدهشتي كانت تأكُل بشهيةٍ مثل أبي. كانت أمي لتربّت على ظهرها، وقد علّت وجهها ابتسامة، كانت لتقول إن طريقة مِيرو في الأكل تجلب الحظّ الجيد. مهما كان الموقف، كانت أمي تُعبّر عن كل شيء من خلال الطعام. حين يحدث شيء سيئ، تقول إن ذلك بسبب أن أكلك انتقائي، وإذا حدث شيء سار، كانت تقول إنه مكافأة على أكلك كل وجبة كأنها وليمة.

"تأكلين بنهم" قُلْتُ.

"أنا؟"

"نعم".

بدا ألا أحد قد أخبر مِيرو بذلك من قبل.

"كانت أمي لتستمتع بمشاهدتكِ تأكلين" قُلْتُ. "كانت أمي تقول إنه يجب على الناس أن يستمتعوا بطعامهم. قالت إن تلك هي الطريقة التي تتأكدين بها من حصولكِ على نصيبك في الحياة أينما كُنْتِ. كانت تقول إن الناس الذين يعرفون كيف يستمتعون بالطعام، يعرفون قيمته".

لا تزال كلمات أمي تتردّد في أذني. كانت مُغرمةً بداهن بسبب شهيتها. كُلّما أتى إلى منزلنا، كانت تضع أدوات مائدة إضافية من أجله وتتأكّد من أنه سيتناول الطعام معنا. وقامًا كما كانت تفعل معي ومع أبي، كانت تدفع الأطباق الجانبية لتقرّبها منه، وتضع الطعام فوق الأرز الخاص به.

"دعينا نزرور والدتك يومًا" قالت مِيرو.

لو كان بإمكاننا فقط فعل ذلك. لو كنتُ أستطيع فقط أخذهما لرؤيتها يومًا.

"أمي ميتة" كانت تلك هي المرة الأولى التي أقول تلك الكلمات لأحدهم.

رفع ميونجسو وميرو عيونهما إليّ. داهمتني حقيقة موت أمي مُجددًا، بالشكل نفسه الذي اجتاحتني به عندما ظهر ميونجسو أمامي كشعلة ضوء في قلب المدينة التي اكتسحها التّمرد. أمي ميتة، تَرَدَّد صدى الكلمات في أذنيّ. سَرَت قشعريرة في جسدي، لكن سرعان ما تلاشى ذلك الإحساس. ربما تقبّلتُ موتها بالفعل بينما أنسخ القصائد في كتاب الأستاذ يون "نحن نتنفس" على الآلة الكاتبة. وَضَعَت ميرو ورقة بيريليا في صحنِي. لَفَفْتُهَا حول حفنة أرز ودَسَسْتُهَا في فمي ومضغتها. أمكنني سماع صوت أمي من زمن بعيد، يقول: "صغيرتي يون تَأْكُل جيّدًا". بمجرد أن بلعت حفنة الأرز، وضع ميونجسو ورقة أخرى في صحنِي. وضعت بدوري ورقة في صحنه. ثم وضع هو ورقة في صحن ميرو. التقطنا الأوراق ولففناها حول الأرز ودسسنها في أفواهنا في اللحظة ذاتها. ضحكنا أثناء المضغ.

التقطتُ قطعةً من اللحم، وأمسكتُ بها كي تأخذها القطة مني، لكن ميرو أوقفتني.

"لا يمكنها تناول أي شيء يحوي ملحًا أو بصلًا."

"لماذا؟" وضعتُ قطعة اللحم في فمي.

"لا تستطيع القطط هضم الملح."

"إدًا ماذا يجب أن نُطعمها؟ لا بُدَّ أنها جائعة."

"لن نتناول أي شيء على أية حال، إنها مُعتدّة بنفسها جدًّا، وتأبى الأكل بين الوجبات."

"حقًا؟"

"أجل."

نظرت ميرو إلى القطة كأنها تقول لها: "أليس ذلك صحيح؟".
جلست القطة في مكانها ولم تُبدِ اهتمامًا باللحم، بالرغم من أنها
لا بُدَّ وقد شمَّت رائحته عندما قرَّبته منها. كانت ميرو مُحِقَّةً إذًا.
أدركت مجددًا أن معرفتي بالقطط ضحلة.

"أتساءل: لماذا لا تهضم القطط الملح؟ الملح مصدر كل النكهات".

كان ذلك ما كانت تقوله أُمي.

"ذلك صحيح. حين أفكر في الأمر، أتذكَّر أنني سمعت عن قِطَّةٍ
عاشت قرب بحيرة ملح".

"بحيرة ملح؟"

"أجل، أين تقع؟ تركيا؟ اليونان؟⁽¹⁾ الطريق إلى البحيرة مكسوُّ
بطبقة من الملح. في الليل، ينعكس ضوء القمر عليها وتتألأ بالأبيض.
وصف الطريق مذهل جدًّا لدرجة أنني أستطيع تخيُّله في ذهني.
المرضى والناس في نهاية حياتهم يذهبون إلى تلك البحيرة ليغطسوا في
مياه الملح. تمشي القطة التي تعيش هناك معهم في الطريق إلى بحيرة
الملح، وتُنصت إلى قصص حياتهم. تستمتع القطة بقصصهم وتنتظر
عند المدخل في انتظار ظهور البشر. كلُّما أتى شخصٌ يبدو مريضًا إلى
طريق البحيرة، ترشده القطة إليها".

"أين سمعتِ عن ذلك؟" سألتها.

(1) الإشارة هنا إلى بحيرة توز جولو في ولاية أكرساي بالقرب من أنقرة بتركيا. تبخَّر مياه
البحيرة في الصيف، ويبقى على سطحها كميات هائلة من الملح بعمق ثلاثين سم، ويمكن
المشي فوق رمال الملح تلك. تُعتَبَرُ مقصدًا سياحيًا بغرض العلاج والاستشفاء أو التمتع
بمناظرها الخلابة. (المترجم)

"قرأته في كتاب".

"ما عنوانه؟".

"لا أستطيع التذكُّر. هل تتذكَّر عنوان ذلك الكتاب الذي كانت تمتلكه أختي؟" سألت ميرو ميونجسو. مال برأسه إلى أسفل وكأنه يحاول التذكُّر.

"أعتقد أن الطريق إلى البحيرة قد بدا جميلاً جداً في الكتاب، لدرجة أنني أمسيْتُ مهووسةً بمحاولة تصوُّر البحيرة، لكن أختي الساذجة كانت قَلِقَةً بشأن القطة؛ لأن الملح -كما قالت- يُمرضُ القطط".

"أعتقد أنها كانت تعرف كل شيء عن القطط" قال ميونجسو.

"لم تكن هكذا دائماً. أتذكُّر عندما أحضرت القطة إلى المنزل أول مرة. أنجبت قِطَّةً صديقتها أربع قطط صغار. كانت تلك القطة أصغرهم حجماً. كانت القطط الأقوى منها تدفعها بعيداً عندما يُقدَّم لها الطعام؛ لهذا لم تكن تحظى بما يكفي من الطعام لتتناوله. عندما لاحظت أختي أنها لا تستطيع الأكل وأن القطط الأخرى تواصل عضَّ ذيلها، أشفقت عليها وأحضرتها إلى البيت. كانت ضئيلة جداً. كان من السهل أن تختفي. كانت تستطيع الاختباء داخل مظروف مانिला، ولن يتمكن أيُّ أحد من العثور عليها. كانت أشبه بِكِرَّةٍ من خيوط بيضاء تتدحرج على الأرضية. لكن على الرغم من ضآلة حجمها، كانت تمتلك مغالبَ حادَّةً أدهشتني. كانت تخدش أثاث البيت كله. كانت أُمي وأختي ميراى تتشاجران بخصوص ذلك طوال الوقت".

وضع ميونجسو ورقة بيريلا أخرى فوق أرز ميرو. نظرت ميرو إلى أسفل في هدوء. نطقت اسمي. التفتُّ إليها. التقت عينها الداكنتان بعيني.

"أيمكنني الحصول على المزيد من الأرز؟" سألت.

"المزيد؟ حقًا؟" بدا ميونجسو مُتفاجئًا. تناول كُلِّ مِنَّا صحنًا آخر من الأرز والحساء. عندما نَفَدَت المُقْبَلَات، أخرج ميونجسو حاويات المُقْبَلَات من الثلاجة ثانيَّةً وملاً الأطباق من جديد. واصل التحديق إلى ميرو أثناء تناوُلها الطعام.

بعد أن شبعنا، نهضنا من على المائدة الفوضوية بما عليها من أطباق فارغة مُتسخة. تركناها كما هي وانهرنا على الأرض. مَشَت القطة بيننا على رؤوس أصابع أقدامها، بعدم اكتراثٍ، ثم قفزت فوق مكتبي. ثَنَّت قائمِيها الأماميَّين معًا وقوَّست ظهرها، ومالت إلى الأمام لتلقي نظرة علينا في الأسفل. بدت ككتلة من ثلج طازج سقط على تلك البقعة فقط. أخبرني أبي أن القطط كائنات مستقلة تعتمد على نفسها وتحافظ على مسافة بينها وبين البشر. لكن قطة ميرو لم يَبْدُ عليها الاعتراض عندما أمسكها ميونجسو أو عندما رَقَدَت بين ذراعيه. من المفترض أن القطط حسَّاسة، وتتفاعل مع أقل لمسة، لكن لا يبدو أن قطة ميرو تنزعج من أي شيء. لديها طريقة أنيقة في رفع قَدَمِيها وثني عنقها. من دون أن ندرك ذلك، كان ثلاثتنا نحدِّق إلى القطة في اللحظة ذاتها.

"إنها صمَاءٌ" قالت ميرو. نظَّرتُ إليها في دهشة "لا يمكنها سماع أي شيء".

"حقًا؟".

"لهذا هي هادئة جدًا".

فهمتُ أخيرًا لماذا نادرًا ما تتحرَّك القطة، ولماذا لا تُحدِّثُ سوى القليل جدًا من الضَّجَّة.

"يقولون إنَّ تسعين بالمائة من تلك السلالة صُمُّ".

"أي سلالة؟" سألتها.

"إنجورا تركي".

كان من الصعب تصديق أن تلك الآذان الصغيرة الجميلة لا تستطيع أن تسمع أي شيء. فكَرْتُ كم أنها قطة مَلَكِيَّة، نبيلة جدًا كي تقضي وقتها مع شخص مثلي، تجلس في الشارع حافِيَّة القدمين. عندما أخبرتني ميرو أنها صماء بدأ قلبي يلين تجاهها. لو كنتُ أجلس قربها، لربما كنتُ قد مَدَدْتُ يديَّ لِأَمْسُدْ أذنيها.

"كيف اكتشفتَ أنها صماء؟" سألتُها.

"لم يَبْدُ أنها تتعرَّف على اسمها مهما حاولت أختي وأنا أن نناديها. في البداية ظننَّا أن كل القطط هكذا. لكن أدركنا أنه لا يمكن أن تستطيع أي قِطَّة النَّومَ بمثل العمق الذي تنام به هذه القطة. كنَّا نراها تنام تحت مقعد عندما نغادر البيت في الصباح ثم عندما نعود ليلاً، نجدها لا تزال غافِيَّةً في البقعة نفسها. تنام في أي مكان وكل مكان. عندما كانت صغيرة، كانت تنام تحت الوسائد وداخل الأكياس البلاستيكية. عندما كبرت قليلاً، أضحت تنام فوق رف الكتب وخلف الستائر... كانت تنام داخل الصناديق... كانت تنام وتنام... كانت ككُتَلَةٍ من النوم أكثر من كونها قطة...".

عندما قالت ميرو ذلك، تخيلتُ في رأسي حيوانًا اسمه "نوم".

"حين بدأت ساعات نومها تَقَلُّ، أخذت تُحدِّق في كل شيء يتحرك".

"مثل ماذا؟".

"ورق شجر يهتزُّ في الرياح، وأجراس تقرع في الهواء، وقطرات ماء تنزلق على زجاج النافذة، وكرة صوف تتدحرج، وخرز، مثل تلك الأشياء... كانت تحدِّق إليها. عندما تتحرك في هذا الاتجاه، تلتفت برأسها في الاتجاه نفسه، وعندما تتحرك في ذلك الاتجاه، تتبعتها برأسها".

"أرى ذلك".

"ذات مرة كانت تجلس عند النافذة وظهرها إلينا، عندما ذهبنا إليها لنلقي نظرة إلى الخارج. كان الثلج يهطل لأول مرة ذلك العام. كانت القطة تتأمل نُدْفِ الثلج المتراقصة في الهواء. طوال اليوم كانت تُحرِّك رأسها مع نُدْفِ الثلج التي لا تتوقَّف عن الدوران. كُنَّا ننادي على اسمها بالتبادل، لكنها لم تلتفت أبداً لتنظر إلينا. حينها أدركت أختي أن ثمة شيئاً خاطئاً. أن القطة صمّاء. لم أفكر في ذلك الاحتمال، لكن عندما بدأت أراقبها بتركيز أكبر، لاحظتُ أنها لا تتفاعل مع الصوت بل مع حركة الهواء: اهتزاز باب ينفتح، وإيقاع خطوات الأقدام. ذات مرّة تَسَلَّلْتُ بحذر خلف القطة التي كانت تَشْخُصُ بعينها خارج النافذة وصَفَّقت بيديَّ بجانب أذنيها مباشرة. لكنّها واصلت النظر خارج النافذة وحسب. أخذناها إلى مستشفى للكلاب حيث فحصوها. تأكَّدنا حينها أنها صمّاء حقاً".

"لماذا أخذتَها القطة إلى مستشفى كلاب؟".

"لم نستطع العثور على أطباء بيطريّين يعالجون القطط".

"ما الاسم الذي تنادونها به؟" أخيراً أتيحت لي الفرصة كي أسأل عن اسم القطة.

سارع ميونجسو إلى الإجابة قبل ميرو: "إيميلي ديكنسون".

"ماذا؟" صُدمتُ.

"إيميلي ديكنسون" قالت ميرو. "انتقت أختي الاسم".

ومض وجه داهن في رأسي. سمّت القطة إيميلي ديكنسون؟! نهضتُ وذهبت إلى مكتبي وأخرجت أول كتاب اشتريته في هذه المدينة: مجموعة من قصائدها. أشارت إلى صورة إيميلي ديكنسون على الغلاف ونظرت إلى ميرو كأنني أقول: أتقصدين إيميلي هذه؟ أو مات ميرو.

بدا كأن إيميلي كانت معنا حتى من قبل أن نلتقي. كُنَّا مُتَّصِلِينَ من خلالها على الرغم من أنني لم أكبر معهما. قرأ داهِن قصائدها ثم أعطاهَا إِلَيَّ. في تلك الأثناء، سَمَّتْ أخت مِرو القِطَّةَ باسمها.

"في الغالب لن تكون إيميلي الشاعرة سعيدة جداً بذلك، أليس كذلك" قالت مِرو.

"ماذا تعنين؟"

"أن نطلق اسمها على قِطَّةٍ صَمَاءَ". لم أفكر في الأمر هكذا. نظَّرتُ إلى القِطَّةِ، وَهَتَفْتُ، "إيميلي ديكنسون!".

"ناديها إيميلي فقط. ذلك ما كانت أختي تفعله".

كُنَّا ثلاثة فقط، لكن مِرو ذكَّرتُ أختها كثيراً جداً: أختي فعلت هذا، وأختي فعلت ذلك - لدرجة شعرتُ كأنها معنا في تلك الحجرة. فتح ميونجسو كتاب القصائد، وقرأ قصيدةً بصوتٍ عالٍ.

أخطو من لوحٍ إلى آخر
ببطء وحذر شديدَيْن.

أشعر بالنجوم حول رأسي،
والبحر عند قدمي.

لا أعرف أي شيء
سوى أن خطوتي التالية ستكون الأخيرة.
يمنحني ذلك القوة

لأخطو تلك الخطوة المضطربة،

التي يُسمِّيها البعض "تجربة".

عندما وصل ميونجسو إلى "والبحر عند قَدَمِي" انضمَّت إليه ميرو. بدا أنهما قد أنشدا الشعر بصوتٍ عالٍ معًا من قبل. صوتهما مُتَنَاقِمان. بينما أستمع إليهما، تذكَّرتُ كتاب الأستاذ يون. فتحتُ حقيبتِي وأخرجت نُسخَتِي كتاب "نحن نتنَفَّس" وأعطيت كلاً منهما نسخة. شعرت كأنَّ الغَرَضَ من حجي الطويل وغير المتوقَّع في أرجاء المدينة هو تسليم تلك الكتب إليهما. تنهَّدتُ كأنني قد أتممتُ مَهْمَةً شاقَّةً. بينما تفتح ميرو وميونجسو نُسخَتَيْهما، ألقىت نظرة على القطة فوق مكتبي، القطة التي لا تستطيع سماع أي صوت في هذا العالم، والتي تُنادَى بـ "إيميلي ديكنسون".

مذكرات ميونجسو

المُفخرة البنيّة "4"

-1-

عندما انتهت المحاضرة، تسلّلتُ خارج القاعة بسرعة قبل أن تلتفت يون وتراني. كانت تجلس في الصفوف الأمامية. أهدقُ إليها بتركيز شديد عبر القاعة بأكملها من مقعدي في آخر صفٍّ، لدرجة لم أستمع حتى إلى صوت الأستاذ، لكن لم أستطع منع نفسي من الاندفاع خارجًا بمجرد أن انتهت المحاضرة. ثم لمحتها هناك في منتصف شارع مهجور، كان المتظاهرون قد عبروه كالعاصفة منذ لحظات قليلة. فكّرتُ أنني أتوهّم. كانت تقف وسط المباني الشاهقة في وسط المدينة، ظهرها إليّ، شعرها أشعث، يداها خاويتان، حافية القدمين. هتفتُ باسمها. التفتت لتواجهني. كانت هي حقًا.

أتذكّر أول مرة رأيتها فيها في وقت مبكر من صباح ضبابي بجوار النهر في إيونج. كان من الصعب أن أصدّق أنهما كانتا الشخص نفسه: الوجه الذي تسيل منه الدموع كأنّها قد غسلته للتوّ بماء النهر، وهاتان العينان الوحيدتان الطافيتان وسط مدينة تجتاحها التظاهرات. لكن كان هذا هو ما تعنيه الحياة في هذه المدينة- مثل هذه الأشياء تحدث طوال الوقت، كما لو كانت لا شيء.

-2-

قرأتُ عن جريمة قتل چينوفيز في الكتاب الذي سرقتَه. وقعت الجريمة في الساعات الأولى من يوم الثالث عشر من مارس عام 1964 قبل أن أولد. امرأة تُدعى كاثرين "كيتي" چينوفيز⁽¹⁾ قد أنهت مناوَبَةً ليليّة، وكانت في طريق عودتها إلى شقتها في نيويورك في الساعة الثالثة والربع صباحًا حين صادفت رجلًا مريب الشكل، هاجمها بسكين. ثمانية وثلاثون من جيرانها سمعوا أو شاهدوا لحظة موتها، لكن لم يخرج أيُّ أحدٍ لنجدها. عندما صرخت چينوفيز طلبًا للمساعدة، أُضيئت كل الأنوار في بنايتها، لكن لم يفتح أيُّ أحدٍ باب شقتها أو نزل الدَّرَج. صرخ شخص واحد من نافذته. "دع تلك الفتاة وشأنها!". ركض المعتدي هاربًا. انهارت چينوفيز على قارعة الطريق وهي تنزف بغزارة. لم يخرج أي أحد لمساعدتها. أُطفئت أنوار الشُّق، وساد الصمتُ الشارعَ. لاحظ المهاجم الذي كان يندفع عائداً إلى

(1) كاثرين كيتي چينوفيز (1937-1964): امرأة من نيويورك، طُعنت حتى الموت خارج شقتها تحت أنظار ثمانية وثلاثين شاهداً لم يُحرّك أيُّ منهم ساكنًا، ولم يستدع الشرطة حتى. أثارَت جريمة قتلها ضجّة كبيرة، وتَسبَّبت في أبحاثٍ في علم النفس والجريمة، عُرفت باسم "تأثير المتفرّجين"، أو "متلازمة چينوفيز".

سيارته ذلك فعاد أدراجه وطعن چينوفيز مرة أخرى. صرخت ثانية وأضيئت الأنوار مُجدِّدًا. فرَّ المهاجم مرة أخرى. بينما تصارع چينوفيز كي تزحف إلى داخل البناية، أُطفئت الأنوار. خرج المهاجم الذي كان يختبئ فقط من مكمنه ثانيةً وأنهى ما بدأه. ماتت چينوفيز بعد طعنها خلال ثلاث هجمات على مدار ثلاثين دقيقة. في كل مرة تصرخ طلبًا للنجدة، تُضاء الأنوار ويتوقف الهجوم. تنطفئ الأنوار فيُستأنف الهجوم. تمَّ توثيق حقيقة أن ثمانية وثلاثين شخصًا قد شاهد عبر النافذة چينوفيز تُطعن حتى الموت من دون أن يهبَّ أحدٌ لنجدها.

هل هذا ما يعنيه أن تكون إنسانًا؟

انتابنتي رغبة في أن أعيد الكتاب حيث وجدته.

-3-

تضحك ميرو أكثر الآن بفضل يون. كانتا مثل أُختين. منذ أن أعطتنا يون نُسخنا من كتاب "نحن نتنفس"، أضحت ميرو تحمله في حقيبتها في كل مكان تذهب إليه. أصبحنا نجلس متجاورين في محاضرة الأستاذ. أحيانًا نمرُّ على مكتبه بعد انتهاء المحاضرة. كانت أول مرة أرى فيها ميرو تولي اهتمامًا في الفصل. أصبح الأستاذ يون ينادي حتى على اسمها حين يصل إلى نهاية قائمة الحضور.

بعض الأشخاص في القاعة يلتفتون ويلقون نظرة عليها حين يفعل ذلك. تلتفت يون إليها أيضًا وتبتسم. أحيانًا في منتصف المحاضرة، يمشي الأستاذ نحونا ويربت على ظهر ميرو.

أتساءل إذا كان الأستاذ ويون يدركان أنهما -باستثنائي- الشخصان الوحيدان اللذان تسمح لهما ميرو بأن يريا نديباتها.

-4-

قابلت يون اليوم ومشينا معًا بمحاذاة جدار الحصن القديم الذي كان يحيط بالمدينة في العصور السالفة. تمشي يون في كل مكان حتى في طريقها إلى الجامعة. من الصعب تخيلها وهي لا تمشي. كنت أتبعها وأكتشف اكتشافات جديدة خاصة بي. بينما تمشي بمحاذاة الجدار، أخبرتها بجريمة مقتل جينوفيز. استمعت بانتباه.

"ربما كانت لتنجو لو سمع صراخها شخص واحد لا ثمانية وثلاثين" قالت.

"تعتقدين ذلك؟" سألتها.

"هذا ما يقوله علماء النفس" قالت مُفسِّرة. "يقولون إن تلك هي الكيفية التي يعمل بها العقل البشري. لو شاهد شخص شخصًا آخر في خطر؛ لن يتردد في مساعدته. لكن لو شاهد مجموعةً ذلك، فسوف ينتظر كلٌ منهم في ترقُّبٍ ردة فعل الآخرين، ولن يُقدِّم أحدٌ على فعل أي شيء".

سألتها إذا كان السبب في هذا هو أن الجميع يلقي المسؤولية على الآخر، لكنها قالت إنها ليست مسألة إلقاء المسؤولية على شخص آخر بل هي "انتشار المسؤولية"⁽¹⁾.

(1) انتشار المسؤولية: ظاهرة اجتماعية نفسية تنبئ فكرة أن الإنسان لا يتحمَّل المسؤولية أو يتكاسل عن أدائها في وجود آخرين. تعتبر شكلاً من نظرية العزو التي طوَّرها فريتز هايدر وهارولد كيلبي، حيث يفترض الشخص أن الآخرين مسؤولون مثله؛ وبالتالي تصبح المسؤولية غير مُحدَّدة.

قالت: "وفقًا لعلماء النفس، كلما زاد عدد الشهود، كلما بات الإحساس بالمسؤولية الفردية أقل".

سألتهما إن كانت قد درست علم النفس، فقالت إن علم النفس من ضمن موادها الاختيارية، ثم تَجَهَّم وجهها.

"لكن هل يمكن تفسير البشر حقًا من خلال علم النفس والتحليل النفسي؟".

حدّقتُ إليها. لا أعتقد أنها كانت تتوقَّع إجابة؛ لأنها أمسكت بيدي بلا وعي وتمتمت إلى نفسها:

"لا بُدَّ أنها كانت ترتجف رعبًا في كل مرة تنطفئ فيها الأنوار... ربما كان دُعرها أسوأ بكثير من ألم الطعن حتى الموت".

5

جدران المدينة

كنت أمشي وحدي، لكن أضحى ميونجسو وميرو ينضمَّان إليّ. كُنَّا نسير جنبًا إلى جنب حتى يضيق الطريق بنا فنسير في صفِّ مُجْبَرَيْن، ميونجسو في المقدِّمة، وميرو في المنتصف، وأنا في المؤخِّرة. عندما ينتهي الشارع الضيق، نسير جنبًا إلى جنب من جديد. المشي معهما مختلف عن المشي وحدي. اعتقدتُ أنني لن أستطيع مشاهدة المدينة بالتفصيل كما كنتُ أفعل وأنا بمفردي؛ لأننا ثلاثة، فسوف نشتغل ببعضنا البعض، لكن بدا أن ثمة أشياء أكثر لنراها لأننا ثلاثة. إذا أشار أحدنا إلى شيء وقال: "انظروا هناك" نلتفت معًا، ونلقي نظرة ككيان واحد. رأيت أشياء كنت لأفوتها إذا كنتُ بمفردي. تشير ميرو في أغلب الأوقات إلى أشياء في السماء: غيوم داكنة، وسحب بيضاء، وغروب أحمر، وهلال يتدلَّى بجلاء في السماء، وهالة حول القمر في منتصف

الليل، وطيور تُحلق في عتمة الظلام. بدأتُ أولي انتباهًا أكبر إلى الغيوم في سماء الليل بفضلها. أصبحت أبحث عن السُّدُم كما كنت أفعل حين كنت صغيرة- حدّدتُ أولاً موقع مجموعة نجوم الدُّبِّ الأكبر، ثم استخدمتها لأعثر على مجموعة ذات الكرسي ومجموعة المرأة المُسلسلة. في المقابل يشير ميونجسو عادة إلى الناس: عُمال يدويين وجوهم متورّدة، يعملون بكدّ كي يكسبوا قوت يومهم، ونساء في منتصف العمر يقلّبن سمكًا شريطيًا بنشاطٍ، بينما تُشوى وتكتسب لونًا بنيًا ذهبيًا فوق موقد منصوبٍ عند مدخل شارع السوق، وجَدَّة ظهْرها محنيٌّ إلى الأمام بزاوية قائمة، تمشي ببطء شديد لدرجة أن كل خطوة تخطوها بدت كأنها تستغرق دقيقة كاملة بينما تحمل الخضار إلى السوق، وأطفال خدودهم حمراء، يبدون كأنّ طولهم يزداد بينما يلعبون، يجرون وراء كُرّة ترتدُّ على الأرض، ورجل سكران يجلس بغير ثباتٍ فوق معبر علوي وسيجارة تتدلى من فمه.

اخترعنا لعبة تتضمّن إعادة أشياء سقطت أو تتدلى مُعَوَّجَةً في الطريق إلى وضعها الصحيح. لافتات أُسْقِطت على الأرض، أو تتدلى بشكل مائل، أو أحذية انجرفت بعيدًا خارج باب- كلما وقعت عيوننا على شيء كهذا، كنّا نركض معًا ونُصلح من وضعه. أضحت ميرو بالذات مُنغمسة في اللعبة. حتى حين لا نلعب، كانت مهووسةً بتصحيح أي شيء ليس في مكانه. كانت تعيد حاويات القمامة التي سُحبت إلى الخارج داخل الزقاق إلى مكانها، وتروي الزهور التي زُرعت من أجل الزينة وتُرِكت مُهملة. ذات مرة مررنا أمام كشك فاكهة، فتوقفت ميرو لترصّ التُّفاح في صفوف متساوية. لكن حين خرج المالك، أخفت يدها المشوّهة بالندبات في جيبها بسرعة، فاعتقد أنها كانت تسرق.

كُنَّا نشغل أنفسنا بأشياء تافهة بلا معنى أحياناً كي نحارب توترنا ووجدتنا. إذا شاهد ميونجسو عشيقين يسيران وكلّ منهما يمسك بيد الآخر، كان يحاول أن يخطو بينهما ليحبر كلاً منهما على التخلّي عن يد الآخر. كنتُ وميرو نوقفه في بادئ الأمر، لكن لاحقاً أصبحنا ننضمّ إليه بغرض المتعة، محاولين أن نكتشف عدد الأزواج الذين سنستطيع فصلهما عن بعضهما البعض خلال مسافة معينة. بعد فترة، أمسينا نتطلّع إلى فعل هذا. ذات مرة شاهدنا زوجين يبدو أنهما مغرمان ببعضهما البعض. وقفتُ وميرو في الخلف وراقبنا لنرى إذا كان سينجح ميونجسو حقاً في الفصل بينهما. عندما نجح، أشار إلينا بإصبعيه علامة النصر، فابتسمنا ابتساماً عريضة. لكنه أشار إلى الثنائي ثانية فالتفتنا لنرى أنهما كانا يمشيان سوياً متقاربين أكثر من ذي قبل، ويمسك كلّ منهما بيد الآخر بإحكام أكبر.

أعطت رحلاتنا معاً في شوارع المدينة لونا إلى أيامي حتى حين كنتُ وحيدة. أثناء وجودي في البيت بمفردي، أستغرق في تأمل النجوم وهي تومض أمامي في سماء زرقاء نيلية، وأجد نفسي أتمتم: "انظروا إلى ذلك!" كما لو أنهما بجانبني. أفكر إذا كان ذلك هو الطريق اللبني؟ فينفلت اسم ميرو من فمي. وأفكر في ميونجسو كلما شاهدت الرجل متورّد الوجه في متجر الكعك المحلّي أسفل بنايتي، وهو يسحب غطاء ضخماً من حديد الزهر ليُخرج الكعك المطهي البخار؛ لأنني أعرف أن ميونجسو كان يشير إليه.

في شوارع هذه المدينة، كُنَّا نضحك كثيراً من دونما سبب على الإطلاق. كنا نضحك لبرهة قصيرة ثم يصبح المزاج العام غريباً، وتتلاشى الضحكة. لم أضحك بتلك القوة من قبل. أكان من الصحيح أن نضحك هكذا؟ يتسلّل السؤال إلى أفكاري بين حين وآخر. ارتدت ميرو تنورتها الفضفاضة كل يوم طيلة الصيف وخلال معظم الخريف. لم أرها ترتدي شيئاً آخر أبداً. أثناء تجوالنا في أرجاء المدينة أو الجامعة

كانت التنورة ترفرف إلى الخارج منتفخة كإبهام متورم. حتى حين أضحك ملء قلبي، كنتُ أتوتّر وتخبو ضحكتي إذا وقّعت نظراتي على تنورتها.

أحيانًا كان ينضمُّ إلينا شخصٌ رابع: الصبي الذي يُدعى ناك سوجانج، الصبي الذي أخبرني عنه ميونجسو في اليوم الذي صادفته فيه في وسط المدينة بعد أن وجدتُ نفسي عالقةً في المظاهرة. كان الشخص في المزحة شخصًا حقيقيًا يذهب إلى الجامعة نفسها التي نرتادها. كان معماريًا طموحًا يُفضّل أن يُنادى بـ "ناك سوجانج" بدلًا من اسمه الحقيقي، تشايسو. لم أعرف حتى تلك اللحظة أن ناك سوجانج أو "المياه المتساقطة" باللغة الإنجليزية هو اسم أحد بيوت الأسطورة فرانك لويد رايت⁽¹⁾ المبنية فوق شلال. اكتشفت أيضًا عند مقابلته لماذا اختار ذلك الاسم ككنية. بنى لويد رايت البيت -قال ناك سوجانج إنه لم يكن مجردَ بيتٍ، بل عملاً فنيًا- فوق شلال على ممرِّ بير ران في جبال بنسلفانيا من أجل مالكٍ مجمّع تجاري شهير ليقضي فيه عطلة نهاية الأسبوع. كان وجه تشايسو يفيض بالحنين بينما يتحدّث عن دهشة الزائرين عندما اكتمل بناء "المياه المتساقطة". شُيّد البيت من دون قطع شجرة واحدة. يجري جدول بير ران تحت البيت وتطفو حجرة المعيشة وحجرات النوم الأربع فوق المياه من دون سَنَدٍ. تسمع خرير المياه قبل أن تراها. كانت الشرفة والتي كانت أكبر من داخل البيت، مُصمّمةً بحيث تُوفّر مدخلًا إلى البيت عبر جسر يمتدُّ فوق الشلالات. قال تشايسو إن البيت كان

(1) فرانك لويد رايت (1867-1959): أحد المعمارين الرواد في النصف الأول من القرن العشرين في أمريكا. قدّم نظريته المعمارية في كتابه "المدينة المختفية"، واخترع مصطلح "العمارة العضوية"، وهو ما يقصد به ملاءمة المعمار للبيئة المحيطة به. من أشهر أعماله -إلى جانب "المياه المتساقطة": البيت الذي بناه لأدرجار كوفمان-: دار أوبرا شيكاغو وفيلا موريس ومتحف سولمون جاجينهايم، ومنزل فريديريك روي.

برهانًا على أن حتى المعمار يمتلك روحًا. كان يُفضّل أن يُنادى بـ "ناك سوجانج". لم يغادر المدينة أبدًا، وُلِدَ وكَبُرَ هنا. حاولنا أن نخبر ميرو بالمزحة المتعلّقة بناك سوجانج والفتاة، لكنها لم تضحك. بدت حزينة. تنهّدت واستندت إلى عمود اتصالات.

"يفترض أن تضحكي".

"تبدو قصةً حزينةً بالنسبة إليّ".

لم يبرح التّجهّم وجهها. شعرتُ بالبلاهة فاستندت إلى العمود بجوارها.

"يجب أن ألتقط صورة لكما" قال ميونجسو كأنه يحاول رفع معنوياتنا بأن رسم إطارًا بأصابعه، وتظاهر كأنه يلتقط صورةً لنا. لكن سرعان ما انضمَّ إلينا واستند إلى العمود. وقف ثلاثتنا هناك لوقتٍ طويل، وشاهدنا مرور الناس بجوارنا.

يعرف ناك سوجانج كل شيء يمكن معرفته عن المدينة. صحبنا إلى بوكتشون حيث تربض البيوت العتيقة ذات الأسطح القرميدية، تتلامس مزاربيها، وإلى تونجي- دونج لنشاهد شجرة صنوبر بنجيانا بيضاء عمرها ستمائة سنة.

"يكاد عمر الشجرة يصل إلى عمر هذه المدينة التي تثير فضولك يا يون" أخبرني ناك سوجانج.

مشيتُ حول الشجرة مُجددًا، مُتعبّة كيف نجت كل هذه السنين.

"قالوا إنها توقّفت عن النمو أثناء الاحتلال الياباني" أضاف.

نظرنا إليه باستهزاء. ضحك وقال: "لا أصدق هذا، لكن أرغب في تصديقه".

ذات يوم كُنَّا نمشي بمحاذاة جدول تشونججيوتشيون في الطريق إلى سوق دونجدايمون. أسير في ذلك الطريق كثيراً لزيارة متاجر الكتب المستعملة في ذلك الشارع. لكن الطريق الذي أخذنا إليه ناك سوجانج كان يحوي أكثر بكثير من مجرد متاجر كتب. كان الظلام قد ساد حين أُرشدنا إلى شارع سوق حيث كان الناس الذين ينامون في الصباح ويعملون طوال الليل يندفعون هنا وهناك. وقفت أكشاك السوق متلاصقة ببعضها البعض، يفصل بينها بنايات وحواجر. لم أستطع أن أميّز بين مكان وآخر. كان السوق مكتظاً بالأكشاك لدرجة عجزت عن حفظ أسمائها كلها. سوق دونجدايمون، وسوق جوانججانغ إلى الشمال، وسوق جملة يبيع الأحذية فقط، وسوق دانجدايمون جونجهاب... بدت أكشاك السوق -التي تشتمل كلها على اسم السوق "دونجدايمون" في أسمائها- أشبه بالمتاهة، لكن كان يقودنا ناك سوجانج بسهولة كأنه مُستكشف. طُفنا بسوق بيونجهوا، وسوق شين بيونجهوا، وسوق دونج بيونجهوا، وسوق تشونج بيونجهوا، ثم سرنا بمحاذاة الجدول حتى خرجنا عند النهاية الشمالية -أو الجنوبية- للطريق، وواصلنا المسير حتى مجمع دونج- إل، ومجمع تونج- إل، وسوق دونجهوا، وسوق هينجني، وسوق نام بيونجهوا، وسوق سوسنامول... كان ناك سوجانج بمثابة خريطة مُتنقّلة للمدينة. فهِمْتُ لماذا ضمّه ميونجسو إلى جولتنا في المدينة. أخبرنا أن شارع بايوجاي قد سُمِّي على اسم سوق بايوجاي، وهو الاسم الذي كان يُطلق على سوق دونجدايمون أثناء عصر جوسون⁽¹⁾. أخبرنا أيضاً أن سوق جوانججانج كان أوّل سوق يُشيد في كوريا في العصر الحديث. أخبرنا أنه قد بُني استجابةً لإلحاح سُكّان جوسون بعد توقيع معاهدة الوصاية بين اليابان وكوريا. بعد توقيع هذه المعاهدة التي مهّدت الطريق لليابان كي تحتلّ كوريا،

(1) مملكة جوسون: مملكة كورية أسسها الجنرال إي سونج كي عام 1392 ودامت لأكثر من خمسة قرون.

هُمَّش دور سوق دامدايمون أكبر أسواق مملكة جوسون لصالح العاصمة اليابانية، فاحتجَّ الكوريُّون؛ فأقيم ذلك السوق تعويضًا لهم.

عندما يخبرنا ناك سوجانج بكل هذه المعلومات، يبدو مثل أستاذٍ جامعيٍّ لمادة تاريخ كوريا الحديث. بينما أراقبه وهو يتحدث، أجد صعوبة في تصديق أنه نفس الشخص الذي ارتبك أثناء إلقاء دُعَابَةٍ بشكلٍ مُزِرٍ بسبب فتاة جميلة. بدا أنه يعرف دائمًا ما أفكَّر فيه قبل أن أقوله؛ لأنه أضاف: "وقد سُيِّد السوق في عام 1905" قبل أن يتسم إليَّ ابتسامةً عريضة.

في الأيام التي كُنَّا نمشي فيها بصحبة ناك سوجانج، كنتُ أترك خرائطي في البيت. لاحقًا، تحوَّلت جولاتنا في المدينة إلى نادٍ. لم يقترح أيُّ أحد رسميًا أن نبدأ ناديًا مثل الأشخاص الذين اقترحوا إنشاء سوق جوانججانج عام 1905، لكن بالتدريج بدأ أصدقائنا في الجامعة يتبعوننا سرًّا حتى وجدت نفسي ذات يوم أسير قرب ضاحية دونجسونج-دونج حيث أعيش، برفقة ناك سوجانج وتسعة آخرين. أخبرنا أن حديقة مارونيه⁽¹⁾ كانت حرماً جامعيًّا يومًا، وأنه كان هنالك تُرام وقاعات موسيقى ومقهى حيث اعتاد الطلبة احتساء الشاي والاستماع إلى الموسيقى ومناقشة الأدب والسياسة. نظرتُ حيث أشار. كانت هنالك لافتة لمقهى هاكريم دابانج. لقد كنت أمشي أمام المقهى طوال الوقت من دون أن أدرك مدى قِدَمه. بالنسبة إليَّ، حديقة مارونيه لم تكن تعني أي شيء أكثر ممَّا هي عليه الآن. اقترح أحدهم على ناك سوجانج أن ندعو الأستاذ يون ليصبحنا في جولة إلى جدار الحصن القديم في دروب الجبال المطَّلَّة على المدينة.

(1) حديقة مارونيه: حديقة في حي دايهانجنو في سول. سُمِّيَت الحديقة على اسم شجرة مارونيه عتيقة تنمو وسط الحديقة. تقع الحديقة في المكان السابق لجامعة سول الوطنية.

"لا يمكنك أن تشاهده كله في يوم واحد. عليك أن تختار قطاعًا منه فقط لتستكشفه" قال ناك سوجانج.

"حتى لو حزمت غداءك معك، وقضيت اليوم كله هناك؟!"

"ماذا عن رحلة ثلاثة أيام وليلتين؟"

ضحك الجميع على اقتراحه.

"الأمر ليس بتلك السهولة التي تتصوَّرونها. جدار حصن سول طويل حقًا. قد لا يبدو بذلك الطول عندما يكون أمامك مباشرة، لكنه يتشعب في عدَّة مواضع. عليك أن تمشي هابطًا مع الجدار ثم تصعد مُجددًا لتصل إلى الجزء التالي منه، والطريق مُمتدٌ وملتوٍ. ثلاثة أيام وليلتان حتى لن تكون مُدَّة كافية لرؤيته كله. بالإضافة إلى ذلك، علينا أن نتأكَّد من أننا نمتلك بعض الوقت للاستمتاع بوقتنا بينما نحن هناك."

"من أين لك بكل هذه المعرفة يا ناك سوجانج؟!" مزح أحدهم.

"حلمي أن أصبح معماريًا!" أجابه ناك سوجانج بالنبرة نفسها.

"لكن ما دخل كل هذا بالعمارة؟"

"يجب أن يعرف المعمارِيُّ كُلَّ شيءٍ يمكن معرفته عن مكانٍ ما. يجب أن يعرف ماضي المكان وحاضره. بتلك الطريقة فقط يستطيع بناء مستقبله."

"إذاً يجدر بك أن تتخصَّص في العمارة!"

"أخبرتكم بالفعل أنني لم أقبل في قسم العمارة. على أية حال، سوف أصبح معماريًا يومًا. فقط انتظروا وشاهدوا! لقد وُلِدْتُ في هذه المدينة. أرغب في قضاء بقية حياتي هنا، أصمُّ أماكن جديدة وأحافظ على الأماكن القديمة. إذا أردتم أن تشاهدوا الجدار فعلينا أن

نسلك هذا الطريق إليه. هَلَّا فعلنا؟ علينا فقط أن نبلغ قمة جبل ناكسان".

تَبِعْنَا ناك سوجانج خارج حديقة مارونيه وتوجَّهنا إلى الجبل الذي كنتُ أشاهده فقط من نافذتي. مع كل المسافة التي قطعناها، كنت أتلفَّت حولي محتارة أين نحن بالضبط. قال أحدهم متعجبًا: "لا أستطيع أن أصدِّق أن ثمة مكان مثل هذا في المدينة!".

شكَّك الآخرون إذا كانت تلك الأزرقة الضيقة تقود حقًا إلى جدار الحصن. أخبرنا ناك سوجانج عن الجبل، إنه من الجرانيت الصلب، ويتخذ شكل سنام جَمَل. في تلك الأثناء، نظرت إلى أسفل وملحت منظر سطح بنايتي. تصوَّرتُ نفسي في الأسفل هناك كما لو أنني أشاهد شخصًا آخر: ها أنا هناك، أروي شجيرة النخيل، وأربط رباط الحذاء قبل أن أغادر إلى الجامعة، وأخرج من شقتي إلى السطح في وقت متأخر من الليل، وأرسم خطوط لعبة الحَجَلَة، ألقى حصاةً وأقفز على قَدَمٍ واحدة، ثم ألتقط الحصاة وأقفز عائِدَةً إلى المربع الأول، تمامًا كما كنتُ أفعل في فناء بيت طفولتي.

تخلَّفْتُ عن المجموعة، وكنت لا أزال أحدِّق إلى أسفل نحو بنايتي، عندما اقترب ميونجسو مني وهمس في أذني.

"أنا واقع في حُبِّك يا جونج يون".

صُدِمْتُ من اعترافه. لم أستطع أن أبعدَ عينيَّ عن البناية بالأسفل وأواجهه. من دون أن أعني ذلك، اندفَعْتُ سائِلَةً: "تُحِبُّني أكثر من ميرو؟".

شاركني النظر إلى أسفل نحو بنايتي وقال: "أحِبُّك كثيرًا، لدرجة أنني أفكر فيك حين أتخيَّل أين أرغب أن أكون بعد عشر سنوات".

"لكن أكثر من ميرو؟" رفعتُ رأسي ونظرت إليها. كانت تمشي بجانب هيون- تاي، الذي استحقَّ عن جدارةٍ لقبَ "عَبَّاد الشمس"؛ لأنه يجلس في الصف الأول في فصل الشُّعر الخاص بالأستاذ يون، ويحركُ رأسه إلى الأمام والخلف باستمرارٍ ليتبع نظرات الأستاذ يون كما تتبع زهرة عباد الشمس ضوءَ الشمس. حُجبت تُوْرة ميرو الفضفاضة جرائنَتَ جبل ناكسان للحظة قبل أن تتحرك مُبتعدةً ثانية.

بدأ ميونجسو في الكلام:

"عندما كنتُ صغيراً، كنت أذهب وإخوتي الكبار إلى منزل جدِّينا. كان إخوتي يتسلَّلون من البيت بعد أن يُخَيِّم الليل، لمطاردة العصافير بصحبة ابن عم أكبر. ذهبت معهم ذات مرَّة. هكذا اكتشفت أن العصافير تُعشَّش داخل أسقف الأكواخ المصنوعة من القش. كان ثمة الكثير جدًّا منها. كانت ترتجف في كل مرة نوجُّه ضوء الكشاف إليها. بدأ إخوتي في إمساكها بأيديهم. أمسك أحدهم خمسة عصافير في مرَّة واحدة. كانت الطيور عاجزةً أمام هذا الغزو. سرعان ما امتلأت أيديهم بالعصافير. أخرج أخي عصفوراً صغيراً من القشِّ، ووضعه بين يدي، وأخبرني أن أمسكه بإحكام. كان العصفور الصغير مرعوباً جدًّا كي يفرد جناحيه ويقاوم، واكتفى بالانكماش في يدي. كان دافئاً وناعماً جدًّا. خشيت أن يطير هارباً؛ لهذا دَسَسْتُهُ في جيبي. لم أستطع التوقُّف عن ملامسته. أعتقد أنها كانت أوَّل مرَّة أُلْس فيها شيئاً مثل هذا الصَّغر. كان جيبي الصغير يتلوَّى بالحياة الكامنة في ذلك العصفور. شعرت أنني أمسك بالعالم كله في جيبي. لا أتذكَّر كم كان عمري، لكنني أتذكَّر البهجة التي شعرت بها في تلك اللحظة. أحبُّك بقدر البهجة التي شعرت بها".

بقدر البهجة التي شعرت بها- كل كلمة أشبهه بقطرة مطر. مَرَّرْتُ يدي فوق جدار الحصن وتأملتُ تُوْرَة ميرو التي تتحركُ أمامنا.
"أكثر من ميرو؟" سألتُه مُجدِّدًا.

"كان إخوتي لا يزالون منهمكين في صيد العصافير عندما أخبرني ابن عمي أن أعطيه الطائر الصغير. لم أرغب في ذلك، لكنني أخرجت الطائر المرتعش من جيبي على أيّة حال. أردت أن ألقى نظرة ثانية عليه. كان صغيرًا جدًّا. لا أعتقد أنه كان يستطيع الطيران بعد. انتزع ابن عمي الطائر من كَفِّي ومضى بعيدًا. ما كان عليّ إخراجَه من جيبي أبدًا. عندما عاد، كانت كل الطيور قد أُحْرِقَتْ وتحوّلت إلى رقائق. عظامها بارِزَة خارج جلدها. لم أستطع أن أُحدِّدَ أيًّا منها كان طيري. نظرت إلى ريشها المحترق وجلدها المسوّد وانفجرتُ باكِيًا. بكيت كي يرجع طائري إلى الحياة، لكنّ السيف قد سبق العذل. لا بُدَّ أن صراخي قد أزعجه لأنه أمسك أصغرَها ودفعه في وجهي وقال: "ها هو!" عندما أخذتُ الطائر الصغير المتفحّم بين يدي، شعرت أن العالم ينهار فوقِي. كانت أول مرة أمسك فيها شيئًا ميتًا. أحبُّك بقدر الحزن الذي شعرتُ به".

"بقدر الحزن الذي شعرتُ به" ... واصلت قطرات المطر السقوط.
سألته ثانية لأتجنّب النظر إلى عينيه.
"أكثر من ميرو؟".

رغم أنني كنت أقصد أن أمارِحه بهذا السؤال بادئ الأمر، فإن كلماتي قد بدت أكثر جدِّيَّةً. شعرت بالغرابة. لم أكن متأكِّدًا عمّا أسأله حقًّا.

"بعد أن انتقلت إلى المدينة، قابلتُ ذات ليلة بعض الأصدقاء القدامى من المدرسة الثانوية. كُنَّا في مارس، لكن الثلج كان يهطل بغزارة ذلك اليوم. تقابلنا سبعة أو ثمانية أمام الجامعة، وتجوّلنا في المدينة حتى

وقت متأخر. عندما وصلنا إلى سوق دامدايمون، كنا في منتصف الليل. داخل إحدى عربات الطعام المغطاة، كان يوجد صف من العصافير المشوية. بينما نقشعُ من البرد، أحصينا المال المتبقي معنا وتناقشنا في المشروبات والوجبات الخفيفة التي سنبتاعها حين اقترح أحدنا تناول عصفور مشوي. تحمّس الجميع، سواي. لم أتناول عصفورًا من قبل، بينما أحدق بحسرة إلى الطيور، تجادلُ أصدقائي إذا كان مذاق العصافير المشوية ألدًّا إذا دُهنت بزيت السمسم أم رُشّت بالملح أم سُويت على نار فحم طبيعي، وإذا كان من الأفضل صيدُ العصافير بالشباك أم ببندقية صيد. قال أحدهم حتى إنه يمكن صيد العصافير عن طريق نقع حَبّات أرز نيئ في كُحلٍ، ثم رَشّها حول عُشش الطيور، ثم الانتظار ساعة حتى تشمل الطيور وتستغرق في النوم، وحينها يمكن جمعها بسهولة. بدا كأن العالم كله منقسم إلى أولئك الذين تناولوا العصافير المشوية وأولئك الذين لم يفعلوا. في تلك الأثناء دُهنت العصافير بالزيت وسُويت على الفحم ثم قُدّمت إلينا. انتزع الريش وأزيلت الأمعاء؛ لذا كانت أجسامها مُسطحةً، لكن الرؤوس لا تزال مُتصلةً بها. انتابني شعور بعدم الارتياح. التقط كلُّ منهم طيرًا وشرع في أكله. كان لدى الطير أمامي كسرٌ يمتدُّ بطول جمجمته الضئيلة. كل ما أمكنني فعله هو التحديق إليه، فحَثّني أصدقائي على الأكل. قالوا: (لن نتفلسف علينا، أليس كذلك؟). بدؤوا يستهزئون بي لأنني لا أكل معهم. حدّقوا جميعًا إليّ، بينما يأكلون. بدا كأن لسان حالهم: (سوف نرى كم من الوقت ستصمد). في شارع السوق، حيث يتساقط الثلج من حولنا، التقطتُ العصفور ذا الجمجمة المكسورة. لا أعرف ماذا دفعني لفعل هذا. كان يمكنني الإصرار على قول (لا). عَضْتُ على رأس الطائر. تردّد صوت تهشُّم الجمجمة بين أسناني بصوت عالٍ... أجبُّك بقدر الإحباط الذي شعرت به في تلك اللحظة".

بقدر الإحباط الذي شعرت به- تسلَّل صوته إلى داخلي وأرسل
تموجاتٍ عبر قلبي.

لماذا لا يمكن أن يكون العشق مُفرحًا ببساطة؟ لماذا يجب أن
يحوي أيضًا حزنًا وإحباطًا؟

أبعدتُ يدي عن جدار الحصن وسارعت إلى الانضمام إلى بقية
المجموعة. عندما ناداني من الخلف، كنت أعرف بالفعل ما سيقوله،
التفتُّ ونظرتُ إليه.

"فلنتذكَّر هذا اليوم إلى الأبد، صحيح؟ أذلك ما كنت ستقوله لي؟"
قلت.

رفع حاجبيه وكشف فمه عن ابتسامة خجلٍ. مشى نحوِي ثم
أمسك يدي. ضغطت على يده. بدا صوته كئيبيًا. كان يفيض بوحدة
شخصٍ يعلم أن الفقد مصيره. بعد عشر سنين، بعد عشرين سنة،
أين سنكون؟ شعرت بالحيرة، وضغطت على يده مُجددًا بقوة أكبر.
"ميرو تعشق شخصًا آخر" قال.

"مَن؟" اكفهرَّ وَجْهَهُ. "الشخص الذي اختفى؟" سألتُهُ.

"الأستاذ يون".

"مَن؟" كنتُ متأكدةً أنني أخطأتُ السمع.

t.me/t_pdf

"الأستاذ يون".

ميرو تعشق الأستاذ يون. شعرت فجأةً بالأسف تجاهها.

كان الأمر أشبهَ بمشاهدة تفاحة خضراء ترقد على الأرضية المتربة
لبستان، وقد تغلَّبت عليها أمطار الصيف قبل أن تستطيع النضج.
سحبت يدي من يده ونظرت إلى الأمام نحو ميرو. رغم أن الطريق
كان شديد الانحدار، كانت ميرو تسير وكلتا يديها في جيوبها، ورأسها

محنة. لو كانت في متناول يدي، لأمسكت بكتفيها وهزرتها وصرختُ في وجهها: "ميرو، لا!". ركضتُ نحوها، مرّت البيوت عند قدم جبل ناكسان أمامي، واخترقت أشعة الشمس الغاربة عيني. بينما أركض لاهثة، التفت الجميع لينظروا إلي. لا بُدَّ أنهم ظنُّوا أن لديَّ شيئًا طارئًا لأقوله لأن كل العيون اتجهت إليَّ عندما توقفتُ بجانب ميرو. زفرتُ نفسًا عميقًا. حدقتُ إليَّ بعينين جاحظتين. وضعتُ يدي في جيبها وعانقت يدها المشوّهة بالندبات. ارتجفت يدها بداخل يدي. ضغطت عليها بقوة أكبر مما ضغطت على يد ميونجسو. عندما فعلتُ ذلك انحسر الوجد الذي اجتاحني بطريقةٍ ما. توقفتُ يد ميرو عن الارتعاش. مكثنا هكذا حتى بلغنا ميونجسو. كنتُ أحدقُ طيلة الوقت إلى أشعة الشمس التي تلمع فوق تئورة ميرو. عندما شاهدني الآخرون الذين افترضوا جميعًا أن لديَّ شيئًا عاجلاً أحتاج أن أقوله من طريقة اندفاعي نحوها مقطوعة الأنفاس، أقف هناك فقط ويدي في جيب ميرو، هزوا أكتافهم وواصلوا السير. لحق ميونجسو بناك سوجانج ومشي برفقته.

"ما الخطب؟" سألت ميرو عندما أضحينا بمفردنا.

كانت نسخة "نحن نتنفس" مع ميرو دائمًا. لا بُدَّ أنها قد حفظت الكتاب عن ظهر قلب. تحمل معها مفكرةً أيضًا تستخدمها لتسجيل كل شيء تأكله. إذا أكلت شعيريّة في مرقي رائق، لم تكن تكتفي بكتابة شعيريّة فقط، بل تُدوّن الطبق بالتفصيل المُمل؛ تُصِفُ الشعيرية البيضاء المطهّوة بمرق سمك الأنشوفة، والبصل الأخضر، وفطر شيتاكي الذي يزيّن الطبق، وقطع الفجل المخلّلة الحلوة، الخمس، وحتى حجم كيمتشي مُكعّبات الفجل الأبيض. تتناول الطعام بصحبتي يعني أن عليك مشاهدتها أولاً وهي تُسجّل كل شيء في مُفكرتها. كان هذا غريبًا تمامًا عندما اكتشفت أن داهن يخاف من العناكب، وكنت

أجد نفسي أهدق لا إرادياً إلى يدها المشوّهة. بدت جادّة جداً وهي تسجل تلك القوائم كما لو كانت تؤدّي طقساً.

كان ثلاثتنا يستخدم المفكرة نفسها حين نتبادل كتابة القصص والملاحظات. نذهب إلى مكتبة أو مقهى، فتفتح ميرو صفحة بيضاء في تلك المفكرة المليئة بقوائم الطعام المرتبة حسب التاريخ. ويشرع أحدنا في كتابة جملة، ثم يكتب الشخص التالي الجملة التالية، وهكذا. يبدأ الأمر بأفكار عشوائية، لكن بعد ذلك نصبح أكثر جدية فيما نكتبه. ذات مرة كتبت ميرو: "اليدان هما الجزء المفضل لدي في أي شخص". تبعث ذلك بكتابة: "من المثير للشفقة أن الأيدي الرؤوفة لا تحظى أبداً بلحظة من الراحة". ثم يكتب ميونجسو: "تستطيع أن تتعرف على حياة إنسان من يديه".

مشاهدة جملتنا تتراكم عبارة تلو الأخرى أشبه بأن تسقي حبة وتنتظر أن يظهر البرعم. فكّرت كيف ترخي ميرو يدها اليسرى فوق نسختها من كتاب "نحن نتنفس" كلما أكمل كل منّا جملة الآخر.

"ما الخطب؟" سألتني ميرو من جديد.

علا القلق وجهها هي هذه المرة. عيناها مثبتتان عليّ. بدت التجعيدة الرفيعة في حاجبها الأيسر أعمق من تلك في حاجبها الأيمن. لم أنظر إلى عينيها من مثل هذا القرب من قبل، كنت أنجذب بكياني كله إلى يديها المشوّهة أولاً وأغفل عن كل شيء آخر. رفرف شعرها الأسود اللامع في الرياح، وغطى جبهتها الملساء. هل كل ما كتبه ميرو عن الأيدي ذلك اليوم كان خيالاً في نهاية المطاف؟ بعد أن كتب ميونجسو: "أحني رأسي احتراماً لكل الأيدي الخشنة من كثرة العمل"، أضافت ميرو فقرة طويلة:

كي تمسك يد أحدهم، عليك أولاً أن تعرف متى ينبغي عليك أن تتركها. لو فوّتَّ الفرصة لترك يد أمسكتها في لحظة تهوُّر، فسوف تمضي اللحظة ويصبح الأمر مُحرجًا. هبطت ذات مرة من الحافلة وهَمَمْتُ بالخروج من نفقٍ أرضي أمام الجامعة عندما صادفته. قصدت أن أقول مرحبًا، لكن وجدت نفسي أمسك بيده بدلاً من ذلك. ارتاحت يده الرفيعة داخل يدي. عظام يده قويَّة وجلدها حَشِن. ابتسم بعينه وضغط على يدي بدوره. كان عليَّ أن أترك يده وقتها لكننا بدأنا نمشي سويًا، يدي في يده. تلاشت متعة اللحظة واستبدلت بصمتٍ غير مريح. لأننا فوّتنا الفرصة كي نترك يديَّ بعضنا البعض بعفويَّة، أصبحت أكثر وعيًا بيدي. كان الأمر ليكون مُحرجًا لو تركتُ يده، لكن لم أستطع أن أوصل الإمساك بيده أيضًا.

لا بُدَّ أنه قد أحسَّ الإحساس ذاته. لم نتفوّه بكلمة، لكن واصلنا المشي إلى الجامعة، نمسك بيديَّ بعضنا بارتباكٍ. تَصَبَّب العَرَقُ من يدي. كنتُ مرگزةً جدًّا كي أعثر على اللحظة التي يجب أن أترك يده فيها. مشيت بتوتُّرٍ بالغ، ثم بعد فترة بدأت أهدأ. رغبتُ في أن تستمرَّ هذه اللحظة إلى الأبد، أمشي معه، يدي في يده. تجاوزنا فندقًا، ومتجر كتب، ومتجر ثياب. عندما عبرنا الطريق ووصلنا إلى البقعة المقابلة لقاعة المحاضرة، كان حرم الجامعة يعجُّ بالضجيج. ثمة طَلَبَة يجلسون فوق كل مقعد خشبي، ويقفون حول كابينات الهواتف ولوحة الإعلانات. نظر إليَّ وسألني، " هل يمكنني أن أستعيد يدي الآن؟" بدا كأنه يستأذني. تركت يده أخيرًا. ربَّت على كتفي ثم سار أمامي بخطوات واسعة.

أكانت اليد في قصة ميرو في ذلك اليوم هي يد الأستاذ يون؟

"أوه! اتركي يدي" قالت ميرو.

أرختُ من قبضتي على يدها.

"أتمسكين يد ميونجسو بتلك القوّة أيضًا؟"

"ماذا؟"

"تعتصرين يدي بقوّةٍ شديدة!"

تبادَلنا النظرات ثم بدأنا بالضحك. حاولت ميرو أن تُحرّر يدها، لكنني تشبّثتُ بها. طلبتُ مني على نحوٍ مباغت أن أقابلها أمام حمّام دونجسونج العمومي عند الثالثة عصر يوم السبت. كان حمّامًا عموميًّا في الضاحية التي أسكن فيها. يمكنني رؤية مدخلته ذات الطوب الأحمر من حجرتي، ترتفع عاليًا بين البيوت القديمة، والحروف البيضاء المنقوشة فوقها "حمّام دونجسونج العمومي"، لكنني لم أدخله من قبل.

"أطلبين مني الذهاب إلى حمّامٍ عموميٍّ برفقتك؟" سألتها.

"أجل."

كانت أوّل مرّةٍ تدعوني فيها إلى مكانٍ ما لوحدي من دون ميونجسو، وإلى حمّام عمومي من بين كل الأماكن - لا سينما ولا مقهى! نظرتُ إلى ناك سوجانج. كان يقف أعلى جدار الحصن ويشير جهة الشّرق كما لو أن جسده بوصلة، موضّحًا للآخرين مكان سامسون-دونج وتشانجسين-دونج. شرح أننا قد تسلّقنا المنحدر الغربي لجبل ناكسان. في الأسفل يقع دونجسونج-دونج، وهنا يقع إيهوا-دونج، وهنالك يقع تشونجشين-دونج.

التفت ميونجسو ونظر إليّ وميرو. غمرته شمس الغروب بضوئها.

مذكرات ميونجسو

المفخرة البنيّة "5"

-1-

نتصوميه صوسيكي⁽¹⁾ كاتبٌ يابانيٌّ مُبجّلٌ من عصر مييجي⁽²⁾، سافر إلى إنجلترا ضمن منحةٍ تابعةٍ للحكومة اليابانية. تجربته في إنجلترا

(1) نتصوميه صوسيكي (1867-1916): كاتب ياباني، من أشهر أعماله رواية "كوكورو"، ورواية "أنا قِطٌ"، وروايته غير المكتملة "الضوء والظلام". كان أول ياباني يسافر إلى بريطانيا في منحة حكومية لدراسة الأدب الإنجليزي عام 1903، حيث قضى فترة بائسة في لندن، وانعزل في حجرته مدفونًا بين الكتب لدرجة أن أصدقاءه خافوا من أن يكون قد جُنَّ. كتب نتصوميه عن تلك الفترة: "العامان اللذان قضيتهما في لندن كانا أسوأ سني حياتي؛ عشتُ بائسًا بين نبلاء بريطانيا مثل كلبٍ تائه وسط قطيع من الذئاب".

(2) عصر مييجي (1868-1912): الفترة الأولى من تاريخ اليابان المعاصر، ويعني مييجي "الحكومة المستنيرة"؛ إشارة للحكومة الجديدة التي حكمت البلاد عام 1868، وهو الاسم نفسه الذي أُطلقَ على الإمبراطور موتسوهيتو، والمعروف باسم "مييجي". انتهى عصر مييجي بوفاته عام 1912.

كانت صادمة جداً، لدرجة أنه قد عانى من انهيارٍ عصبيٍّ مؤقت. بعد أن أصبح كاتبًا استقال من وظيفته كأستاذ في جامعة طوكيو الإمبراطورية، والذي كان منصبًا مرموقًا؛ كي يتفرَّغ لكتابة الروايات. بدت الكتابة الطريقة الوحيدة بالنسبة إليه ليقبل ويتجاوز صدمة الحداثة التي تركت ندبةً في ذهنه. قيل إنه في سنواته الأخيرة، كان يقضي كلَّ صباح في دراسة الأدب الإنجليزي وكتابة الأدب الحديث الذي أجاده، ويَنظُم الشَّعرَ الصيني بعد الظهر. يمكن القول إنه قَسَمَ يومه إلى نصفين كي يسافر بين الشرق والغرب. قد يقول البعض إن ذلك يُظهر كم كان أديبًا مُجدِّدًا، لكن أرى الأمر أنه صراعٌ ذهنيٌّ؛ كي لا ينجرَف إلى أيِّ من الجانبين.

-2-

كنتُ اليوم في شقة يون، نجلس على المكتب الخشبي في الخارج على السطح عندما أرنتني شيئًا في مفكرة ميرو. مضت فترة منذ آخر مرة كتبنا قصصًا سويًا، وكُنَّا نستعدُّ لبدء جولة جديدة من تأليف الجُمَل. كانت ميرو قد دخلت إلى الشقة لتغسل يدها أولًا. دُوِّنت في مفكرة ميرو قائمة بأسماء أشخاص قد اختفوا في ظروف مريبة وتفاصيل قضاياهم.

"هل تعتقد أنها ستكتشف يومًا ما حدث لحبيب أختها؟" سألتني.

واصلنا البحث عنه، لكن كل ما عثرنا عليه هو أشخاص آخرون مفقودون، ماتوا ميتةً شنيعة - لم نعثر على أي أثرٍ لحبيب أخت ميرو: ميراي. بينما استغرقت يون في قراءة المفكرة، دفعتُ شعرها إلى الوراء وحدقتُ في وجهها. التقت عيناها الداكنتان المتسائلتان بعيني.

"لو طلبت منك ميرو يومًا أن تساعدني في البحث، فقول لي لا!" قلتُ.

بَدَوْتُ مجنونًا، لكن اكتفت يون بالنظر إليَّ. "عِدِينِي" قلتُ. "لن
تساعدني إذا طلبت ذلك".

سألته ماذا أصابني قبل أن تعاود النظر إلى مفكِّرة ميرو.
"لا تدعيها ترحل" قلتُ.

وَزَعْتُ يون نظراتها بيني وبين المفكِّرة، ثم إذ فجأة طبعَت قُبْلَةً
على شفتيَّ.

-6-

منزل فارغ

في يوم السبت، عندما كنتُ أوشك على مغادرة شقتي، هاتفتني ميونجسو، "ماذا ستفعلين اليوم؟".

"سوف أخرج للقاء ميرو".

"ستلتقين بميرو؟!".

كان بوسعي أن أقول نعم وحسب، لكنني ترددتُ. كانت تلك هي أول مرة أخرج فيها معها من دونه.

"أين؟" سألني.

"سوف نذهب إلى حمامٍ عموميّ".

"حمامٍ دونجسونج العمومي؟".

أطلق تنهيدةً طويلةً. شعرت بالسوء من تركه بمفرده، لكن لا يمكنه فعليًا الذهاب معنا إلى الحمام العمومي. لم يقل أيُّ مِنَّا أي شيء للحظة. نظرت إلى أسفل في سَلَّة الاستحمام حيث وضعتُ منشفة ومشطًا وشامبو وأدوات استحمام أخرى.

"ذلك جيد" قال أخيرًا. لم أكن متأكّدةً مِمَّا قَصَدَه بذلك بالتحديد؛ لهذا واصلتُ الإنصاتَ إليه. "من الجيد أن ميرو تمتلك شخصًا مثلك".

أغلق ميونجسو السماعه من دون أن يقول وداعًا. كان صوته جافًا جدًّا لدرجة أنني قد تفاعلتُ كم بدا بعيدًا. شعرت كأنه قد مضى وقت طويل منذ آخر مرة مشينا فيها في أرجاء المدينة معًا، وشاهدنا ميرو تعدل اللافتات المِعْوَجَّة، وترصُّ أوصُص الزهور المبعثرة، واحتسينا القهوة معًا وذهبنا إلى معرض "اثنا عشر فنَّانًا شابًّا"، وكتبنا القصص سويًّا، وذهبنا إلى محاضرة الأستاذ يون. وقفت هناك متسمِّرةً في مكاني، وسماعة الهاتف في يدي لفترة طويلة بعد أن أغلق الخطَّ.

كان أبي مَن اشترى الهاتف في آخر مرة زارني وابنة عمي فيها. قدَّم طلبًا للحصول على رقم تليفون، وركَّبه من أجلي. طوال وقت زيارته، كان يُبدي غضبه من حقيقة أنني أعيش فوق قِمَّة هذا التل شديد الانحدار. كان يُهاتفُني دائمًا في وقت مُبكر من الصباح أو وقت متأخَّر من الليل. يَرِنُّ الهاتف فأعلم على الفور أنه هو. لم أُخطئ في ظنِّي أبدًا. أبي وابنة عمي أكثر مَن يتَّصل بي، ثم يأتي بعدهما ميونجسو. كتبتُ رقم هاتفه على كَفِّي ميونجسو وميرو عندما ركَّبت الهاتف. اتَّصلت ميرو بي مرَّةً واحدة فقط، وقالت: "إدَّا هذا هو الرقم الصحيح" ثم أغلقت الخطَّ.

عندما خَطَوْتُ خارج البناية، شاهدتُ ساعي البريد يضع رسالة في صندوق بريدي. لأنني لم أتلق أي بريد على ذلك العنوان؛ كنت

سأتركه هناك وأمضي في طريقي، لكن بدا خط اليد فوق المظروف المتدليّ خارج صندوق البريد مألوفًا. انحنيت وألقيت نظرة عليه لاكتشف أنه مُرسل من داهن. فتحته في الحال.

9 أكتوبر

يون.

سأسافر إلى المدينة. سأتصل بك خلال أيام قليلة قبل أن أصعد على متن القطار. حصلت على عنوانك ورقم هاتفك من أبيك.

داهن

كانت رسالة داهن -المكتوبة بخطّ يده المفعم بالنشاط- مقتضبةً جدًا، لدرجة أنه كان يمكنه إرسالها بالتليجراف. لم يسألني عن أحوالي أو يخبرني عن أحواله. لم أكن قد أخبرت داهن أنني قد عدتُ إلى المدينة، ولم أرسل إليه بيانات التواصل معي حتى. لا بُدَّ أن ذلك قد جرح مشاعره، لكن لم يُشر إلى ذلك أبدًا. وضعت رسالة داهن في جيبِي بجانب خاتم أمي، وسرتُ في الزقاق. هبّت نسمة هواء باردة على مؤخّرة عنقي. بينما أمشي في صمت ورأسي محنيّة في طريقي للقاء ميرو، استمررت في لمس الرسالة داخل جيبِي. أدركتُ أن هذه هي أطول فترة مضت من دون أن أتحدّث معه. أرى ميونجسو وميرو كلّ يوم، لكن لم أخبر داهن كيف يجدني. الحقيقة أنني لم أستطع حمّل نفسي على ذلك. كل مرّة أفكّر فيه، أتذكّر الطريقة التي قال لي بها: "إنك لا تحبينني".

بمجرد أن وقعت عيناي على الحمام العمومي، لفتت تَنُورة ميرو انتباهي. تبرز ميرو في كل مكان تذهب إليه بسبب تلك التَنُورة، والتي

تصبح مُمَيَّزَةً أكثر مع تَبَدُّل الفصول. تبرز في الصيف لأن تصميم الثُّورَة والزهور المزخرفة عليها تتصادم مع كل شيء حولها، وتبرز في بقية العام لأن القماش المصنوعة منه لا يناسب سوى الطقس الدافئ. كانت ميرو تَمسك بتذاكر الحَمَّام العمومي- كانت قد اشترت تذاكر الدخول بالفعل قبل وصولي. عندما بَلَغْتُ مكانها ناوَلْتَنِي مفتاح خزانة ثياب. دخلنا ووقفنا أمام خزانَتِي الثياب رقم واحد وستين واثنين وستين. خلعت ثيابي وبدأت أطويها. عندما حَدَقْتُ إلى ميرو، كانت تحاول فَكَّ ثُورَتِها.

"لماذا ترتدينها دائماً؟" سألتها.

تردَّدت ميرو، ثم طَوَّت الثُّورَة ووضعتها داخل الخزانة من دون أن تجيب. خلعت قميصها أيضاً وطوته ووضعتة داخلها. حتى حين نكون وحدنا، تبدو ميرو شاردةً في أفكارها أغلب الوقت، لدرجة أنني أشعر برغبة مُلِحَّة لسؤالها فيمَ تفكَّر. تَجَرَّدت من لباسها الداخلي ووضَّعته فوق ثيابها. كل شيء -حمالة صدرها، ولباسها الداخلي، وحتى القميص الذي ترتديه مع الثُّورَة- أبيض.

على الرغم من أنه يوم سبت، لم يكن هنالك الكثير من النساء. في إحدى الزوايا، ثَمَّة أمٌ تَدَعُكَ شَعَرَ ابنتها بالشامبو. بَدَت الفتاة أنها في حوالي الرابعة من عمرها. كانت هنالك امرأتان داخل حوض الاستحمام، إحداهما طاعنة في السَّنِّ لدرجة من الممكن أن تكون جَدَّة، والأخرى امرأة في منتصف العمر، يبدو أنها زوجة ابنها. كُنَّا أول مَنْ يَغْتَسِل تحت الدش ذلك اليوم.

"كان لدينا حمام عمومي مثل هذا قريب من البيت الذي كبرت فيه. كنت أذهب بصحبة أمي طوال الوقت. كانت أمي تشتري لنا تذاكر لدخول الحمام تكفي الشهر كلَّه. كُنَّا نستيقظ في الصباح

ونتوجّه مباشرة إلى هناك لنغسل وجهينا وندعك شَعْرينا بالشامبو ونلعب بالمياه...".

ابتَسَمَت مِرو بوجهها المغطّى بقطرات الماء، كأنها قد تذكّرت شيئاً للتوّ فقط. خدّاهما مُتورّدان من الحرارة.

"كان لدى مالك هذا الحمام أربعة أولاد. اعتاد أن يشمل ويجعلهم يقفون أمامه في صفٍّ ويُلقون شعار عملهم على أسماعه. كان المارّة يتوقّفون ويتفرجون. كان الفتیان الأربعة جميعًا وسيمين، بخلاف كونهم طلبّة جيّدين ورياضيّين أقوياء ودَمثي الخلق. كان الصبية الآخرون يُقارنون بهم على نحو دائم. (إنهم يحصلون على درجات جيدة، فلماذا لا تستطيع أنت؟)، (هم طوال القامة، فلماذا أنت قصير جدًا هكذا؟). اعتقد أن مالك الحمام كان يفعل ما يفعله كي يتباهى بأولاده. كانت ابتسامه عريضة تعلو وجهه في كل مرة. اعتدتُ وأختي على الذهاب إلى هناك كي نستمع إليه فقط. بعد فترة أصبح كلٌّ من في الحي يحفظ شعار العمل في الحمام العمومي عن ظهر قلب".

سألتهما ماذا كان. ألقَت مِرو الشُّعار وقد علّت وجهها نظرة وقار، سطرًا تلو الآخر، "علينا جميعًا أن نغتسل من حين إلى آخر. الأمر مسألة وقت. وإذا أدّينا عملنا على أكمل وجه، فسوف نغتسل بدورنا أيضًا".

ضحكنا على التورية. انفجرت المرأة -التي تغسل شعر ابنتها التي لا بُدَّ قد كانت تُنصتُ إلى حديثنا- ضاحكّة. ارتسَمَت ابتسامه حتى على وجه الجدّة التي تغطس بجسدها في حوض الاستحمام.

"أحد الفتیان الأربعة كان ميونجسو!" قالت مِرو.

"ماذا؟".

ارميتُ على الأرضية تحت الدش وانفجرتُ ضاحكة. كلما حاولت التوقف، ضحكت بقوة أكبر حتى كادت عيناى تدمعان. أمكنني رؤية جسم ميرو العاري بوضوح من خلال سحب البخار. ساقاها اللتان كانت التئورة تغطيهما دائماً، طويلتان، وظهرها مستقيم. شعرها مثبت إلى أعلى بمشبك شعرٍ ذهبيٍّ كاشفاً عن خطِّ عنقها حيث تتقوس برقة لتُفضي إلى كتفيها. بينما نغسل تحت الدش، فرغ حوض الاستحمام. تسلقتُ إلى داخله ثم تبعني ميرو. استندنا إلى جدار القرميد بجانب بعضنا البعض، وفردنا ساقينا إلى الخارج وغطسنا داخل المياه.

كانت ابنة عمي تدعوني لمرافقتها إلى الحمام العمومي، لكنني كنت أتهرّب من ذلك قائلة: "نذهب للاستحمام معاً؟"، كانت تردُّ عليّ: "يمكن أن تدعك كلُّ منا ظهر الأخرى". لكنني كنت أنسحب إلى حجرتي. ماذا كانت لتقول إذا شاهدتني وميرو في حمام عمومي معاً؟ كانت أمي الشخص الوحيد الذي ذهب معي إلى حمام عمومي قبل ذلك اليوم. تخيلتُ الطريقة التي كانت أمي تُحتمني بها في البيت، حين كنتُ صغيرة: تغلي المياه على الموقد، وتسكبه في حوض كبير، وتضيف إليه مياهًا باردةً، ثم تتفقد حرارتها بمرفقها. كانت شابةً في ذلك الوقت. أتذكر كيف كنتُ أقلدها وأغمس مرفقي الضئيل داخل المياه. كانت تقطف بتلات زهور الخوخ في موسم ازدهارها وتجعلها تطفو فوق مياه الاستحمام.

"من أجل تفتيح بشرة صغيرتي يون" كانت تقول. كانت أيضاً تقطف أزهار السوسن التي تتفتح في الزقاق خارج بوابة بيتنا وتغليها في قدر ضخم من المياه لتضيفها إلى مياه الاستحمام. أتذكر كيف كنتُ أغفو في الماء بينما تدعك ظهري وتغسل وجهي، وأتذكر العبير اللطيف للزهور المتفتحة يداعب أنفي.

دَاهَمَنِي حَزَنٌ مَفَاجِئٌ فَلَكَزْتُ قَدَمَ مِيرو بِقَدَمِي تَحْتَ المِيَاهِ،
فَنَقَرْتُ بِدَوْرهَا عَلَى قَدَمِي. رَكَكْتُهَا ثَانِيَةً بِقُوَّةٍ أَكْبَرَ قَلِيلًا هَذِهِ المَرَّةَ
فَفَعَلْتُ المِثْلَ. بَدَأَ عِبْنَا هَادِنًا قَبْلَ أَنْ يَتَحَوَّلَ إِلَى تَبَادُلِ رَشِّ المِيَاهِ
نَحْوَ بَعْضِنَا البَعْضَ. رَمَقْنَا المَرَأَةَ فِي مَنْتَصَفِ العَمْرِ الَّتِي كَانَتْ تَغْسَلُ
شَعْرَ الجَدَّةِ بِنَظَرَاتِهَا. شَعَرْتُ بِالحَرَجِ؛ فَانْقَلَبْتُ بِجَسَدِي وَاسْتَلْقَيْتُ
عَلَى بَطْنِي فَوْقَ المَاءِ، وَأَسْتَنْدْتُ بِذِرَاعِي عَلَى حَافَّةِ الحَوْضِ. قَلَّدَتْنِي
مِيرو. لَمَعَتِ النَّدْبَاتُ عَلَى يَدَيْهَا فِي المِيَاهِ.

"اعتادت على الجلوس في الماء هكذا والتساؤل عن حالة الطقس
في الخارج" قالت ميرو.
"من؟".

"أختي" قالت. "أتساءل كيف يبدو الطقس في الخارج أيضًا؟".
"أحيانًا" قلتُ. "حين تكونين هنا، تشعرين أنك في عالم آخر. أحيانًا
أتساءل بالفعل إذا كانت مُطَرٌ بالخارج؟ أو إذا كان الثلج ينهمر؟".
"اعتادت أختي على قول ذلك أيضًا" قالت.
"كيف كانت تبدو؟".

غطست ميرو بوجهها في الماء. تدلّت قطرات المياه من حاجبيها.
"ارتدت الثياب نفسها كلَّ صيفٍ لأربع سنوات. لكن بَلَّت الأَكْمَامُ؛
فَأَخَذْتُهَا إِلَى خِيَّاطَةٍ، وَطَلَبْتُ مِنْهَا أَنْ تَحِيكَ لَهَا مَجْمُوعَةً جَدِيدَةً مِنْ
الثِيَابِ بِتَصْمِيمٍ مُطَابِقٍ لِمَلَابِسِهَا القَدِيمَةِ، وَبِاسْتِخْدَامِ نَفْسِ نَوْعِيَةِ
القِمَاشِ. فَحَصَّتِ الخِيَّاطَةُ الثِيَابَ المِهْتَرَّةَ وَقَالَتْ إِنَّهَا تَسْتَطِيعُ تَقْلِيدَ
التصميم، لكن لم يُعَدِ ذلك القماش متوفّرًا، فغادرت أختي. أخبرتها
الخياطة أنه يمكنها حياكة شيء أفضل من أجلها، لكنها قالت إنه لا
معنى للأمر إذا لم يكن القماش نفسه... هكذا كانت تبدو".

تجهّم وجه ميرو فجأةً.

"لأخبرك بالحقيقة، لا أعرف حقًا كيف كانت تبدو. أقصد أي نوع من الأشخاص كانت. كانت تكبرني بسنة واحدة فقط، لكنَّ والدَيَّ أنجباها بعد اثنتي عشرة سنة من زواجهما. قالا إنهما كانا قد اعتقدا أنهما لن يستطيعا إنجاب طفل واستسلما للأمر الواقع، عندما جاءت أختي فجأة. حملت أمي فيَّ بعد شهرين فقط من ميلاد أختي. أظنُّ أنني شعرت كأنني أبقِي عينيَّ عليها منذ كنتُ لا أزال في بطن أمِّنا. لا بُدَّ أنني كنت متعلِّقةً بها حقًّا. عندما كُنَّا صغيرَتَيْن، كنتُ أقلِّدها في كل شيء. إذا قَصَّت شعرها، قَصَّصْتُ شعري. وعندما بدأتُ تَعْلَم العزف على البيانو، بدأتُ بدوري تَعْلَم البيانو. عندما كُنَّا نلعب الغُمَيْضة مع الأطفال الآخرين، كان عليهم البحث عن أختي فقط كي يجدوني. كنتُ دائماً هناك بجانبها. لم يكن ذلك بسبب أنها أكبر مني. الأمر فقط أنني لم أكن أشعر أنني أنا إلا إذا كنتُ معها. هل تعرفين ماذا أقصد؟".

كنتُ طفلة وحيدة من دون إخوة؛ لذا كان من الصعب عليَّ أن أفهم.

"عندما كانت في التاسعة، أعلنت أختي أنها سوف تصبح راقصةً باليه. لا أزال أتذكر النظرة على وجهها عندما قالت ذلك. التحقت بالمدرسة الابتدائية قبلي بالطبع، لكنني ارتدت المدرسة بعدها مباشرة. عندما انتقلت إلى السنة الثانية، استمرت أنا في السنة الأولى؛ لهذا كنت في المرحلة الثانية وكانت هي في الثالثة عندما قالت إنها سوف تصبح راقصةً باليه عندما تكبُر. حتى تلك اللحظة، افترضتُ أنها لا تخفي أي أسرار عني، لكن لم أملك أي فكرة ما هو الباليه. شعرت كأن الباليه شيءٌ سوف يُفرِّق بيننا لأول مرة. ربما لكان من الأفضل لو ابتعدنا عن بعضنا البعض حينها...".

تقاطرت المياه من السقف فوق كتف ميرو.

"قَرَّرْتُ أنني يجب أن أفعل كل شيء بوسعي كي أصبح راقصةً باليه مثل أختي. بدأنا نتلقَى دروس باليه كلَّ يوم بعد المدرسة. كانت إحدى الفتيات في فصلنا تتعلَّم الباليه منذ كانت في السادسة من عمرها. انفجرت أختي باكيةً عندما عَلِمَت بذلك. اعتَقَدَت أنها لن تتمكَّن من منافسة هذه الفتاة وتذمَّرت أنها (لن تستطيع استعادة ذلك الوقت). نَحَبَت بهستيريا. كانت في التاسعة فقط، لكن علمت بالفعل شعور أن تمتلك قلبًا مُحطَّمًا. لأنها أتت إلى الدنيا بعد طول انتظار؛ كانت أختي مميَّزة جدًّا عند والديّ. ليواسياها؛ لم يجعلها تأخذ دروسًا في أكاديمية الباليه فقط، بل ركبًا قضيب باليه في البيت كي تستطيع التدرُّب على الحركات، ودَعَيَا معلِّمةً باليه لتعطيها دروسًا خاصة. اتَّبَعْتُ خطاها. سمعتُ معلِّمةً الباليه تهمس إلى والديّ أن أختي تتمتع بنوعية الجسم المناسبة لممارسة الباليه قبل أن تنظر إليّ بأسف. كانت مُحِقَّة. لم أَكُن مَرِنَةً كأختي، ولم أَكُن أستمتع بالباليه مثلها. لقد رَغِبْتُ في تعلُّم الباليه فقط لأنها رَغِبَت في تعلُّم الباليه".

لا بُدَّ أن قطرات المياه المتساقطة من السقف قد دغدغتها؛ لأنها مسحت القطرات بكفِّها وضحكت.

"مَرِنَةٌ! لقد كان جسدي صلبًا كلَّوحٍ. لم أشبهها بكل تأكيد في هذا الجانب".

ابتسمتُ.

"لم أستطع حتى فعل الحركات الأساسية مثل حركة (فتح الحوض). مَحَوَّرَت الحوص حول أختي. في الوقت الذي كانت تُؤدِّي فيه أختي حركات الأرابيسك⁽¹⁾، كنتُ لا أزال أتعلَّم كيف أقف في الوضعية

(1) الأرابيسك: من حركات الباليه الأساسية، وفيها يكون الجسم مرتكزًا على ساق واحدة، مع فَرْد الساق الأخرى خلف الجسم مباشرة، مع رُكْبَةٍ مستقيمة، ويجب أن تظُلَّ الساق الخلفية مستقيمةً دائمًا.

الأساسية الأولى⁽¹⁾. لكن لم يهَمَّ الأمر. كنت سعيدةً لأراها تكبر وتزداد جمالاً وموهبة يوماً بعد يوم. لم يكن لديّ أي اهتمام بأن أقرن نفسي بها أو أن أتفوّق عليها؛ لهذا لم أشتكِ. كانت تلك أسعدَ أوقاتنا. بدا والداي سعيدين أيضاً، توقّعا أشياء عظيمة من أختي".

غادرت النساء الأخريات الحمام العمومي ببطء، واحدة تلو الأخرى، حتى لم يتبقَّ سوانا.

"لا بُدَّ أن تمتلكي آذاناً حسّاسة للموسيقى لتمارسي الباليه. كنتُ أقلَّ شغفاً بممارسة الباليه مقارنةً بمشاهدة حركات أختي تصبح أكثر عمقاً وإتقاناً ورقياً مع مرور الأيام. لكن أكثر ما أحببته هو الاستماع إلى الموسيقى معها. فهَمَّت أختي الباليه بالغريزة. أجادت حركات مُعقّدة بسرعة. كانت تفقد ذاتها فيها. بدا كأنها وُلِدَت لتكون راقصةً باليه. حين لم تكن تتمرّن، كانت تقرأ كتباً عن الباليه. بدت كمُعَلِّمةٍ حين تتحدّث عن تاريخ الباليه، والأزياء، وراقصات وراقصي الباليه. يحمّرُ خدّاهَا من الإثارة كلما أخبرتني عن شيء جديد تعلّمته. عرفت منها أسماء راقصات وراقصي باليه أسطوريين: أولانوفاً⁽²⁾، نيجينسكي⁽³⁾، بافلوفا⁽⁴⁾، نورييف⁽⁵⁾. إذا ظهر القمر في الليل بينما تخبرني عن الباليه،

(1) يتكوّن الباليه من خمس أوضاع أساسية للقدّمين، أسسها بيير بوشان. وكل حركة مُركّبة في الباليه تبدأ أو تنتهي بواحدة من هذه الأوضاع الخمسة. (المترجم)

(2) جالينا أولانوفاً (1910-1998): راقصة باليه روسية، من أعظم راقصات الباليه في القرن العشرين. تحوّلت شقّتُها في موسكو إلى متحف وطني

(3) فاسلاف نيجينسكي (1889-1950): راقص باليه ومُصمّم رقصات روسي من أصل بولندي. يُعدُّ أفضل راقص باليه في بداية القرن العشرين لمرونته الفائقة وقدرته على أداء وثبات عالية جداً قد تبدو مقاومة للجاذبية.

(4) آنا بافلوفا (1882-1931): من أعظم راقصات الباليه الكلاسيكي. كانت الراقصة الرئيسية في باليه الإمبراطورية الروسية. اشتهرت بأداء دور البجعة المحتضرة.

(5) رودولف نورييف (1938-1993): راقص باليه ورقص معاصر. من أشهر راقصي الباليه في القرن العشرين، حيث أعطى أدواراً أساسية للراقصين الذكور الذين كانوا لا يؤدّون سوى أدوار مساعدة للراقصات.

كانت تتوقّف عن الحكي وتخرج إلى الفناء وترقص تحت ضوء القمر. كان حلمها أن تؤدّي دور البجعة المحتضّرة⁽¹⁾. كانت تشبه بجعة حقًا في ضوء القمر".

"لم أسمع من قبل أختًا تتحدّث عن أختها الكبرى كما تتحدّثين عن أختكِ".

"ما الأشياء التي تقولها الأخريات؟"

"تحدّث معظمهن عن المشاجرات التي تقع بينهما فقط".

"مشاجرات؟!".

"أعتقد أن معظم الأخوات يدفعن بعضهن البعض، ويتشاجرن على مَنْ تجدر بها الحصول على الحجرة الأفضل، أو من سترتدي أولًا الرداء الذي يعجبهما، أو من ستقرأ كتابًا قبل الأخرى، ومَنْ ستستخدم مُجفّف الشّعر أولًا. لكنك تضعين أختكِ قبل نفسك".

"ذلك لأنها كانت أفضل مني" بدت متألّمةً. "هل تعتقدن أننا غريبتان؟".

لم أجِب.

"أجل؟" سألتني ثانيةً.

"لا تبدوان مثل الأخوات الطبيعيّات".

"لا نبذو كذلك؟".

"هل يجب عليك أن تسألني حقًا؟".

(1) البجعة المحتضّرة: رقصة باليه منفردة قصيرة، مدّتها أربع دقائق، صمّمها مُصمّم الرقصات الشهير ميخائيل فوكين عام 1905 لراقصة الباليه أنا بافلوفا، التي أدّتها نحو أربعة آلاف مرة خلال حياتها. تُجسّد الرّقصةُ اللحظات الأخيرة في حياة بجعة. ألهمت الرّقصة "بحيرة البجع" للموسيقّي الشهير تشايكوفسكي.

تَهَدَّتْ مِירו. بَرَدَ المَاء. مَدَدْتُ يَدِي إِلَى الصَّبُور لِأُضِيفَ المَزِيدُ
مِنَ المِياهِ السَّاخِنةِ. غَطَسْتُ مِירו بِوَجْهَها فِي المِياهِ. بَدَأَ أَنِها تَكْتُمُ
أَنفاسَها. مَكثتُ تَحْتَ المِياهِ لَوَقْتٍ طَوِيلٍ جَدًّا، لِدرجَةِ أَنني كِدْتُ
أَصْرخُ بِاسْمِها عَندما رَفَعْتُ وَجْهَها وَزَقَرْتُ بِعُمُقِي، ثُمَّ قالَت:

"أَيمَكنكَ الذَّهابُ مَعِي إِلى بَيتي القَدِيمِ يا يُون؟".

"مَتى؟".

"بَعدُ أَن نَنتَهي مِنَ الاستِحمامِ".

بَدَتِ حَزينَةً؛ فَوافَقْتُ. بَعدُ أَن سَمَعْتُ إِجابَتِي، دَفَعَتِ وَجْهَها
تَحْتَ المَاءِ ثَانيةً.

كانَ البَيتُ فَوَاقِئًا شَدِيدِ الانحِدارِ. رَفَعَتِ مِירו حَجرًا بِجانِبِ
البَوابَةِ الأمامِيةِ الخَضرِاءِ لِتُخَرِّجَ مَفتاحًا مُخَبِّأً أَسفلَها. تَوجَدُ داخِلَ
البَوابَةِ فِناءِ صَغيرِ عَزَّتِهِ الحِشائِشِ. تَدَلَّتْ زَهرَةٌ عِبادِ شَمسٍ بِرأسِها.
كانَ جَلِيًّا أَنه لَم يَأْتِ أَيُّ أَحَدٍ إِلى هِنا مَندَ فِترَةٍ طَوِيلَةٍ. يَقبَعُ مَرَكِبُ
صَغيرِ بَهَتِّ حَشبُهُ، وَسَطِ الفِناءِ، كَما لو أَنَّ أَحَدَهم قَد رَماهُ هِناكَ
وَتَرَكَه مُهَمَّلًا، وَبِجَوارِهِ تَرَقَدُ حَمالَةٌ غَسيلٌ مَعَدِنيَّةٌ صَدِئَةٌ. بَدَأَ العِشْبُ
الكَثيرُ كَأَنه سَيَقْتَحِمُ البَيتَ عِبرَ البَابِ الأمامِِيِّ فِي أَيِّ لِحْظَةٍ.

"البَيتُ خالٍ؟" سَأَلَتِها.

"فِي الوَقتِ الرَاهِنِ" قالَتِ مِירו. صَوتَها هَامِدٌ.

لَمَحَتْ شَيتًا يَبرِزُ إِلى أَعلى وَسَطِ الحِشائِشِ مِثلَ عِيدانِ البِصلِ
الأخْضَرِ، وَتَدَلَّتْ مَن قِمَمِها زَهورٌ بَياضٌ صَغيرَةٌ. بَينما أَنظَرُ إِليها،
أَخْبَرَتَنِي مِירו أَنِها تُدَعِي زَهورَ زَبَقِ المِطَرِ البِياضِ. جَثَوْتُ عَلى رِكبَتِي
أمامَها، وَأَمَعَنْتُ النَظَرَ إِلى الزَهورِ المِفتَاحَةِ البِياضِ. بَدَتِ بَتلَها أَكثَرَ

شحوبًا حتى في مقابل الخلفية المحيطة القائمة. صعدت ميرو الدَّرَجَ المفضي إلى الباب الأمامي، والمفاتيح في يدها، قبل أن تتردّد وتلتفت إلى الورا.

"لا يمكنني فعل ذلك" قالت.

"ما الخطبُ؟".

"دعينا نرحل فقط" وَجَهُ ميرو شاحِبٌ.

"اعتقدتُ أنني سأستطيع الدخول إذا كنتِ برفقتي" قالت. "لكنني لا أستطيع".

صوتها مرتعش. كانت قد بلّغَت البوابة الأمامية بالفعل في طريقها للمغادرة؛ لذا التَّقَطُّ سَلَّتِي وانضَمَمْتُ إليها. أغلَقَت البوابة، وأعدت وضع المفتاح تحت الصخرة. شَقَقْنَا طريقنا إلى أسفل التل، ونحن نحمل سَلَّتِي أدوات الاستحمام. كانت الشمس لا تزال مُشْرِقَةً عندما غادرنا الحَمَّامَ العمومي، لكن الآن بدأ الغسق ينسدل. في منتصف طريق النزول من فوق التل، حدَّقْتُ إلى الورا. كانت الأنوار قد بدأت في الإضاءة في البيوت الأخرى. بدا بيت ميرو القديم وكأنه يراقبنا من بين تلك البيوت. هل هنا حقًا عاش ثلاثتهم -ميرو وأختها وميونجسو- معًا؟ سارت ميرو ثانية ورأسها محنيّة إلى أسفل كأنها تحدِّق إلى قلبها.

كأنها تقرأ أفكارِي، قالت ميرو فجأة: "إنه ذلك البيت".

"ماذا؟".

"هو ذلك البيت حيث عِشْتُ وأختي وميونجسو معًا".

"لماذا لا تعيشان هناك بعد الآن؟".

"لأنها رحلت" قالت. "بدونها، لن يكون من اللائق أن أعيش في البيت وحدي مع ميونجسو، حتى لو كُنَّا قد كبرنا معًا. لم أفكر في أي

شيء يتعلّق بهذا عندما كانت أختي موجودة، لكن بعد رحيلها كان من الطبيعي أن نفترق. انتقل للعيش مع أقاربه في جونجام- دونج، وذهبت أنا إلى ميونجنيون- دونج. أعتقد أن البيت فارغٌ منذ مدة طويلة جدًا. يبدو مهجورًا. أجرّ والداي البيت من أجلنا في البداية، ثم اشترياه لاحقًا وسجّلاه باسم أختي".

"أعرف فيمَ تفكّرين" قالت.

"تعرفين؟"

"أجل".

"فيمَ أفكّرُ إدّا؟".

"أن والديّ غنيّان... هل أنا مُحِقّة؟".

عندما قالت ذلك بصوتٍ مُرتَفِع، بدا كأنني قد فكّرتُ في ذلك.

كان الليل ينتشر فوقنا. مشينا عبر دونجسونج- دونج وهيهاوا- دونج في طريقنا إلى ميونجنيون- دونج. لم نتحدّث طوال الطريق. اختلس المارة نظرات فضولية إلى سلّتي الاستحمام الخاصّة بنا. رفرفت تُنُورة ميرو في نسيم المساء.

مُذَكَّرَات مِيونجسو

المفكرة البنيّة "6"

-1-

كانت هنالك مُظَاهرة أمام كاتدرائية ميونجدونج اليوم لِدَعْم عمّال المصانع المفصولين الذين دخلوا في إضراب عن الطعام. كنتُ هناك برفقة ناك سوجانج. عَلِمَت يون بالأمر بطريقةٍ ما وأتت لتنضمَّ إلينا. حتى وسط كل هذه المئات من البشر، انجذبت عيناى إليها فوراً. لا بُدَّ أنها قد لمحتني بدورها؛ لأنها أتت مباشرة إلى حيث نجلس ونهتف بشعارات المظاهرة. جلست بجواري. حاولنا أن نتقدّم أكثر إلى داخل ميونجدونج، لكن لحق رجال شرطة مكافحة الشغب بنا وطاردونا في الشوارع حتى تملّصنا منهم وتوارينا داخل متجر كتب صغير. اكتظَّ المتجر بأشخاص مثلنا. أغلقت كل المتاجر الأخرى أبوابها، لكن بدا أن مالك المتجر قد أبقى متجره مفتوحاً لمساعدة المتظاهرين. فقط حين نجحنا في الدخول إلى المتجر، أدركت أن ناك

سوجانج لم يَعد معنا. استندت ويون إلى الجدار، عيوننا حمراء بسبب الغاز المسيل للدموع. عندما سألتها لماذا أتت، قالت إنها انضمت إلى المظاهرة ولم تَكُن تحاول العثور عليّ بالتحديد، لكنها عثرت عليّ على أية حال ثم تابعت: "أنا هنا للسبب ذاته الذي دفعك للوجود هنا".

التقطت يون كتاب شعرٍ من فوق أحد رفوف العرض وفتحته. كان الكتاب يرقد مفتوحًا، يواجه الأسفل كما لو أن أحدهم كان يقرأ فيه ثم توقّف ليفعل شيئًا ما. قرأت يون تاريخ النشر ثم فتحت الصفحة الأولى. تحب يون دائمًا أن تعرف متى نُشر الكتاب أول مرة قبل أن تقرأه. نظرت إلى تسعيرة الكتاب: ثلاثمائة وخمسون وون. قرأت العبارة الافتتاحية بصوت رخيم، "أشقُّ طريقي إلى الأمام كحمارٍ مَحنيِّ الرأس، يَئِنُّ تحت وطأة حمله الثقيل، ويتحمّل سخرية مُتعمّدي الأذى".⁽¹⁾ همست بالسطر الأخير كما لو كانت توجّهه إليّ فقط، "متى أردتني، وأينما أردتني أن أكون، سوف أكون هناك".

في النهاية قرأت اسم الشاعر بعينين مُحْتَقِنَتَيْنِ بالدماء: فرانسيس جيمس.

(1) من قصيدة لفرانسيس جيمس (1868-1938)، شاعر فرنسي قضى جُلَّ حياته في مسقط رأسه في ريف بيرن والباسك في فرنسا. تتغنّى قصائده بمتعة الحياة الريفية المتواضعة.

يُعتَبَر لو شون⁽¹⁾ أحدَ أعظم الكُتَّاب في الصين الحديثة. كان يحترمه القوميون والشيوعيون على حدِّ سواء، رغم أنه قد سافر إلى إمبراطورية اليابان لتلقِّي تعليمه. سألت الأستاذ يون عن تبعات انتصار اليابان في الحرب الروسية اليابانية⁽²⁾. هل تشارك الناس في أجزاء أخرى من آسيا إحساس النصر مع اليابانيين، لأنها كانت أول مرة تهزَّم فيها بلدٌ آسيويٌّ بلدًا أوروبيًا بدلًا من انتقاد اليابان كأمةٍ معتدية؟ بعد أن فكَّر في الأمر مليًّا للحظة، قال إن لو شون كان ناقدًا للعدوان الياباني في الصين، لكن بعد الحرب الروسية اليابانية رغب الناس في كل مكان في آسيا أن يتعلَّموا من اليابان؛ لذا كان خيارًا طبيعيًّا للو شون أن يذهب إلى هناك ليتعلَّم العلوم الطبية الغربية المتقدِّمة. قال الأستاذ أيضًا إنه عندما كان لو شون طالبًا في اليابان، كان لديه مُعلِّم اصطحب كل تلاميذه -هما فيهم لو شون- إلى مزار كونفوشي في أوتشانوميزو. غادر لو شون الصين كي يُبعد نفسه عن الأشياء ما قبل الحداثة التي ترمز إلى الكونفوشوسية؛ لهذا لا بُدَّ أن هذه الرحلة كانت صدمة عظيمة للو شون.

ما الذي دار بعقل لو تشون حين قدَّم له مُعلِّمه الذي قابله في أرض بعيدة سافر إليها كي يتعلَّم طُرُقًا جديدة، الشيء نفسه الذي كان يحاول هجره، بل وجعله ينحني أمامه؟
ما قاله الأستاذ مَنحني الكثير لأفكَّر فيه.

(1) لو شون (1881-1936): أحد أهم الكتاب الصينيين في القرن العشرين. كان محررًا أدبيًا وكاتب قصة قصيرة وشاعر وناقد. يعتبره الكثيرون مؤسس الأدب الصيني الحديث.
(2) الحرب الروسية اليابانية (1904-1905): حرب اندلعت بين الإمبراطوريتين الروسية واليابانية بسبب طموحات الدولتين التنافسية لاحتلال منشوريا وكوريا. انتهت بانتصار اليابان وتوقيع معاهدة بورتسميث وصعود اليابان كقوة عظمى.

-3-

عدتُ يومَ الأَمسِ إلى متجرِ الكُتبِ حيثُ عثَرنا على كُتابِ قِصائِدِ فرانسيس جيمس كي أَشترِيه من أَجلِ يون. لكن قال مالِكِ المتجرِ إنّه ليس للبيِع. قال إنْها نِسخةُ خَاصَّةُ أَهدتْه إياها حَبِيبتهُ الأُولى قِبلِ سِنواتِ طويِلَة. مشيتُ مِغادِرًا المتجرِ وقد شِعرْتُ بالإِحباطِ، لكنّه ركضَ ورأى وناولني الكُتابِ. أَصرَرْتُ على دِفْعِ ثَمَنه، لكنّه رَبَّتْ على كُتفي.

"كَمْ سَتَدفَعُ ثَمَنًا لَه؟ ثَلَاثِمائَة وخَمسينِ وون؟ أَعتَقِدُ أن الأَمْرَ سَيكونُ ذَا مَعنى أَكْبَرِ لو أَعطيتْه لَكَ من دونِ مِقابِلِ. إذا أَرادَ شَخْصٌ كُتابًا لا يَمْتَلِكُه سِواكَ في وِقتِ لَاحِقٍ، يَمِكنُكَ حينَها أن تَرُدَّ الجَميلَ ومَنحَه الكُتابَ بلا مِقابِلِ أَيضًا".

راقِبْتُهُ وهو يَسيرُ عائِدًا إلى داخِلِ المتجرِ. فَكَّرْتُ فيما قاله الأُسْتاذُ من قِبل: لِكُلِّ إنسانٍ أُسْلوبُه الخَاصُّ لِتَحديدِ قِيمَةِ الأَشياءِ.

-4-

أَحاولُ التَفكيرَ فيما أُستطيعُ فِعْلَه. لكن كل ما يَخطرُ بِبالي عِوَضًا عن ذلك هو الأَشياءُ التي أعجزُ عن فِعْلِها.

كِيفَ يَمِكنُنا الحُكْمُ على الحَقِيقَة والخيرِ؟ وأين تَخْتبئُ العَدالَة والبِراءَة؟ مِجْتَمَعٌ يَتَسَمُّ بالعِنفِ أو الفِسادِ يُحَرِّمُ التِواصُلَ المِشْتَرَك. ومِجْتَمَعٌ يَخشى التِواصُلَ، هو مِجْتَمَعٌ مَحْكومٌ عِليه بالفِشلِ في حَلِ أي مِشْكلَة. مِجْتَمَعٌ كَهذا يَبْحَثُ دائِمًا عن شَخْصٍ كي يَلْقِي بالمسؤوليةِ عِليه... مِجْتَمَعٌ كَهذا يَصْبَحُ حَتى أَكْثَرُ عُنْفًا.

أرغب أن نكون جميعًا -وأنا أولكم- واثقين بأنفسنا، وأن نقف على أقدامنا.

أرغب في علاقات صريحة، خالية من الأسرار والإيذاء.

-7-

حُجْرَةٌ أَسْفَلَ السَّلَامِ

تَوَقَّفتُ مِروَ أَمَامِ بَيْتِ، وَدَفَعْتُ بِوَابَتِهِ الخَشْبِيَّةِ الَّتِي تَصِلُ إِلَى ارْتِفَاعِ الخَصْرِ لِتَفْتَحَهَا. بَدَأَ أَنْ البَوَابَةَ يَتَشَارَكُهَا أَكْثَرُ مَنْ سَاكِنِ. كَانَ الفَنَاءُ أَضخَمَ مِمَّا يَبْدُو مِنَ الخَارِجِ. قَادَتْنِي مِروَ بَعِيدًا عَنِ الفِنَاءِ تَجَاهَ دَرَجٍ عَلَى بُعْدِ خَطَوَاتٍ قَلِيلَةٍ فَقَطَ مِنَ البَوَابَةِ.

"انْتَبِهِي لِخَطَوَاتِكِ" قَالَتْ.

كَانَتِ السَّلَامُ تَمْتَدُّ إِلَى الأَسْفَلِ بِعُمُقٍ كَبِيرٍ. فِي كُلِّ مَرَّةٍ يُخَيَّلُ لِي أَنَّنَا قَدْ وَصَلْنَا القَاعَ بِالتَّأَكِيدِ، نَنْعُطُفُ عِنْدَ زَاوِيَةِ الدَّرَجِ لِأَجْدِ أَمَامِنَا مَجْمُوعَةٌ أُخْرَى مِنَ السَّلَامِ. بَدَأَ كَأَنَّنا نَهْبِطُ التَّلَّ الَّذِي أَتَيْنَا مِنْهُ لِلتَّوْ مُجَدِّدًا. كَانَ شَقَّةُ اسْتُوْدِيُو مِروَ الصَّغِيرَةِ فِي قَاعِ السَّلَامِ. أَخْرَجَتْ مِفْتَاحًا مِنْ جَيْبِهَا وَدَسَّتْهُ فِي القِفْلِ. انْفَتَحَ البَابُ فَدَلَفْتُ مِروَ إِلَى

الداخل، وأضاءت النور ونادت: "إيميلي!"، التفتُ وحدقتُ إلى السلام في الأعلى. بدا كأننا أضحينا منعزلتين عن سطح الأرض. كانت حجرتها مُظلمةً أكثر بكثير من البيت المهجور الذي أخذتني إليه بعد مغادرتنا الحمام العمومي. فكَّرتُ أن ميرو تضطرُّ غالبًا إلى الإبقاء على الأنوار مضاءة حتى خلال النهار.

"ادخلي" قالت.

خَطَّت ميرو إلى الداخل أولاً وخلعت حذاءها. لم أرَ أيَّ أحذية أخرى سوى الحذاء الرياضي الذي أعارته إليَّ من قبل. تذكَّرتُ كيف ربطت رباط الحذاء من أجلي ذلك اليوم. لاحقًا جلست القرفصاء أمام الصنبور خارج شقتي فوق السطح وغسلت الحذاء. ذلك الحذاء الذي وضعته ليجفَّ على أكثر بُقعةٍ مُشمسةٍ فوق الجدار الخرساني الذي يصل ارتفاعه إلى خصري، ويطوِّق حافةً السطح فقط كي أسقطه بالخطأ وأضطرُّ إلى الركض نازلة السلام لاستعادته وغسله من جديد. الحذاء ذاته الذي انتعلته في اليوم الذي عُدنا فيه من الشوارع التي اجتاحتها المظاهرات إلى بيتي لنتناول الطعام سويًا. تذكَّرتُ أيضًا اليوم الذي أمسكت فيه بيدها في مكتب الأستاذ يون وارتعشت أصابعها في يدي. أتخيَّل أصابعها رفيعةً وشاحبةً، لولا تلك الندبات. أمسكتُ بيدها ثانية في ذلك اليوم بينما ترقد على بطنها في حجرتي وتقلَّب في نسختها من كتاب "نحن نتنقَّس". كانت ابنة عمي تفعل الشيء نفسه معي. إذا رأته أحدُّ بشرود إلى يديَّ، كانت تمسكهما وتقول: "أنتِ وحيدة". تعتقد ابنة عمي أن البشر يميلون إلى التحديق إلى أيديهم عندما تعزيهم الوحدة. لم أفكِّر في الأمر بتلك الطريقة من قبل، لكن بعد ذلك أصبحتُ أفكِّر فيما قالتها كلُّما وجدتُ نفسي أحدِّق إلى يديَّ. أظنُّ أن البشر يكتسبون مع الوقت عاداتٍ مَنْ يعيشون معهم.

بعد أن لمسْتُ يَدَيَّ ميرو لأول مرة، توقَّفت عن إخفائهما عني.

نادت ميرو على القطة بصوت هادئ، ثم التفتت وقالت لي: "تعالى هنا وانظري يا جونج يون".

خلعت فرديَّ حذائي ووضعتُهما بجوار حذاء ميرو، ثم وَّضعتُ سَلَّة الاستحمام الخاصة بي بجوار سَلَّتِها أيضًا قبل أن أنضمَّ إليها. "انظري كيف تنام".

كانت إيميلي نائمةً داخل صندوق صغير أسفل النافذة. كانت ترقد على ظهرها وفمها مفتوح، وبطنها مكشوفة وأطرافها الأربعة مُعلَّقة في الهواء. لم أستطع منع نفسي من الضحك. كانت القِطَّة غافلة تمامًا عن وجودنا. كانت أوَّل مرَّة ألقى نظرة على قِطَّة غافية من مثل هذا القُرب. أنفها وأذناها، وحتى الفراغات بين مخالبها الضئيلة كانت كُلُّها أرجوانية اللون.

"هل هذه الطريقة التي تنام بها القطط عادةً؟" سألتها.

"لا، أحيانًا تنام مُلتفَّةً حول نفسها ككرةٍ أو تتمدَّد على الأرضية مثل بركة ماء صغيرة. وأحيانًا تنام واقِفَةً وعيناها مغمضتان، أو وجهها مستندٌ على قوائمها الأمامية. إنها مرِنَةٌ جدًّا، لدرجة أنها تستطيع النوم وقد مَدَّت نصفها السفلي في جهة بينما يواجه نصفها العلوي الجهة الأخرى. هذه هي الوضعية المفضَّلة بالنسبة لي. تبدو وديعةً جدًّا عندما تنام بتلك الطريقة".

بَدَت القطة وديعةً فعلاً. جلستها توحى أنها لا تكثرث بمن قد يدخل المكان أثناء نومها. الأمر مختلف عن مشيها في أرجاء شقتي بأناقة واختيال، وذيلها مرفوع في الهواء.

لاحظتُ وجود بقعة خضراء على خَدِّ إيميلي الأبيض.

"من أين أتت هذه البقعة؟" سألتها.

أشارت ميرو إلى النافذة. كانت أرضية الفناء الذي مررنا به في طريقنا إلى هنا توازي قاعدة النافذة. تمتد عيدان خضراء طويلة إلى داخل الحجرة. لا بُدَّ أن القطة كانت ترقد فوق عتبة النافذة.

"جائعة؟" سألت ميرو.

"قليلاً".

"كان يجب أن أشتري شيئاً في طريقنا إلى هنا. أدركتُ للتو فقط ألا شيء هنا يصلح للأكل. ماذا يجب أن نفعل؟".

"لستُ جائعاً إلى هذا الحد. سأتناول الطعام في شقتي لاحقاً".

نظرتُ إلى أسفل نحو إيميلي النائمة داخل الصندوق ثم ذهبت إلى النافذة. تخيلتُ أن حجرة ميرو ستكون تحت الأرض تماماً بسبب السلام الطويلة؛ لذا كان رؤية كل تلك الخضرة في الخارج مفاجأة. بداً كأنها ستملأ الحجرة بمجرد أن تُفتح النافذة. أعتقد أنها تُبقيها غير مقفولة حتى حين تكون في الخارج؛ لأن النافذة انزلقت مفتوحة حين دفعتها دفعةً خفيفةً فقط. كما تصوّرتُ المشهد: كانت العيدان الخضراء الطويلة قد فردت سيقانها وتدلت داخل الحجرة.

"إنها أزهار زنبق" قالت ميرو.

"زنبق؟".

"الحجرة مبنية في أعماق التل؛ لذا فإنها تمتد تحت الأرض في أحد جانبيها، وفوق الأرض في الجانب الآخر. إذا وقفت هنا، يمكنك أن تری ذلك. لم يرغب ميونجسو أن أنتقل إلى هنا. قال إنه لا يدخل قدرٌ كافي من أشعة الشمس إليها. أشعر بالأسف على إيميلي. لكنني أحببتُ الشقة بسبب السلام. سألني ميونجسو لماذا أودُّ العيش في كهف تحت الأرض. لكنني أصررتُ على رأبي. في اليوم الذي انتقلتُ فيه

إلى هنا، زرع تلك الزهور من أجلي. قال إن زهور الزنبق لا تحتاج إلى الكثير من أشعة الشمس لتنمو. زرع الكثير منها لدرجة أنني اضطررتُ إلى نقل بعضها من هنا عندما تفتّحت. في الربيع الماضي، مَتَّ زهرتان أو ثلاث من كل جذع، وامتلاً المكان كله بعبير الزنبق. عندما تفتّح زهور الزنبق، تتدلى رؤوسها إلى أسفل كما لو كانت تحدق إلى الأرض. ذات يومٍ اختفت إيميلي، وعندما خرجت كي أبحث عنها، وجدتها تلتفُّ حول نفسها ككرة، وتنام أسفل الزنابق".

مَرَّرتُ يدي فوق جذع إحدى زهور الزنبق التي زرعتها ميونجسو. كانت بصيالات الزنبق مدفونةً تحت الأرض مثل البطاطس. لا بُدَّ أنها قوية جدًا كي تزدهر بسرعة خلال الربيع والصيف فقط كي تنتظر بقية العام لتعاود التفتُّح. بينما العيدان فوق سطح التربة قد ذُبلت، كانت البصيلات تقاوم الشتاء في الأسفل، وعندما يعود الربيع، ستدفع إلى أعلى نباتٍ جديدة تُزهَرُ زنابق بيضاء تملأ حجرة ميرو بعبيرها. نَحَيْتُ العيدان جانبًا كي أغلق النافذة، ثم التفتُّ وجلتُ ببصري في أرجاء حجرة ميرو. ثمَّة سُلْمٌ خشبيٌّ بنفس لون الأرضية يقود إلى سريرٍ علوي. أسفله يوجد مكتب ميرو، وقد وُضعت فوقه الكُتُب العشرون التي رَشَّحها لنا الأستاذ يون. لا بُدَّ أنها قد بدأت في قراءتها أو تُخَطَّطُ لفعل ذلك. نظرت عن كثب إلى مُلصَقٍ مُصوَّر على الحائط فوق المكتب. أين توجد أشجار السَّرو تلك؟ قارب صغير منفرد يدنو من جزيرة تطفو فوق سطح بحر أسود. العبارة المكتوبة أسفل الملصق كانت "جزيرة الموتى. لأرنولد بوككن". داخل القارب يقف رجل مُلْفَع بالأبيض من قِمَّة رأسه حتى قدمه، فوق تابوت مكسوُّ بقماش أبيض، وقد أولى ظهْرَهُ للمُشاهد. بالكاد استطعت أن أرى رَجُلًا يجذف وراءه. بَدَت الجزيرة ساكنةً، لكن كثيبة المنظر، تحوطها جدران جُرْفٍ جرداء مثل الأجنحة. في قلب الجدران تقف مجموعة من أشجار السرو مُعْتِمَة كالبخر في اللوحة، وتسمو إلى أعلى كما لو كانت

ستدفع السماء الملبّدة بالغيوم جانبًا. بَدَتِ الأشجار أشبه ببوابة إلى داخل الجزيرة. يطفو القارب الصغير فوق موجة مُتَكَسِّرَةٍ إلى داخل الشاطئ، مُبَجِّرًا مباشرة نحو المياه السوداء أسفل تلك الأشجار. كنتُ مستغرقةً في تأمل اللوحة لدرجة أنني لم ألحظ أن ميرو قد اقتربت مني وكانت تقف الآن بجانبني.

"رسم الرَّسَّامِ اللوحة بعد أن راوَدَهُ الحلم نفسه من دون توقُّف" قالت. "رسم خمس نُسخٍ لِلوَحَةِ نفسها؛ خمس صور للحلم ذاته". كانت أول مرة أشاهد فيها هذه اللوحة. "يقولون إن العنوان الأصلي للوحة كان (مكان هادئ)".

بَدَتِ فعلاً أشبه بمكان هادئ. لست مُتأكِّدَةً إذا كانت جدران الجُرْفِ الصَّمَاءِ أم أشجار السرو السوداء أم المياه الداكنة هي ما يعطي إيحاءً بأن القارب لن يذهب أبعد من ذلك.

"علينا أن نساfer إلى بازل يومًا ما" قالت ميرو.

"تقصدين المدينة في سويسرا؟".

"أجل، النسخة الأصلية من هذه اللوحة موجودة في مُتَحَفٍ هناك".

"لا تبدو الجزيرة جُزءًا من هذا العالم".

"يقولون إن هنالك جزيرة موتي تُستخدم كمقبرةٍ جماعية في فينيسيا تشبهها. علينا أن نزورها أيضًا".

لم أكن متأكِّدَةً لماذا، لكن عندما قالت ميرو إننا يجب أن نساfer إلى بازل وفينيسيا، داخَلَنِي شعور أنها لا توجِّه كلامها إليّ.

بينما تبدو مياه البحر السوداء كأنها ستنسكب خارج اللوحة وترتفع حتى تصل إلى كاحلينا، أمسكتُ بِيدِ ميرو. سمعت صوت حركة إيميلي في الصندوق، ثم بَرَزَ وجهها خارجه، ونظَّرت إلى أعلى نحونا. قفزت خارج الصندوق وقوَّست ظهرها، ودفعت وركها إلى

أعلى لتفرد عمودها الفقري، بطنها تكاد تلامس الأرضية. لمستني بذيلها بينما تسير أمامي ببطء.

على الرغم من أن ميرو قد قالت إنه لا يوجد شيء يصلح للأكل، إلا أنها قد تمكّنت من العثور على تفّاحة، قشّرتها بسكين فاكهة وقطّعتها إلى شرائح ووضعتها في طبق. جعل جوعي مذاق التّفّاح يبدو أحلى حتى. أخرّجت ميرو مُفكّرَتها وكتّبت: تّفّاحة، أربع شرائح. استرقتُ النّظر إلى مُفكّرَتها. دوّنت ميرو ملاحظَةً حتى بخصوص اليوم الذي ذهب فيه ثلاثتنا لتناول شعيرية الراميون⁽¹⁾ معًا.

"من سوء الحظ أنك لا تملكين كاميرا" قلتُ.

"ماذا تعنين؟"

"لو التقطتِ صورةً لما تأكلينه، فلن تتكبّدي عناء تدوين كل شيء."

"أفضل الكتابة" قالت ميرو.

ملأت ميرو كوبًا بالماء وصبّته داخل صحن إيميلي المعدني. بجواره كان هنالك صحن آخر ممتلئ بطعام القطط. نظرتُ عن قُربٍ فرأيتُ أصيص زهور زُرِعَت بداخله براعم يافعة بجوار صحن الطعام. لاحظتُ ميرو نظراتي وفسّرت أنها براعم الجاودار (الشّيلم). لم أر أي أحدٍ يزرع براعم الجاودار داخل حجّره من قبل.

"تبتلع القطط قليلًا من الشّعْر عندما تلعق جسمها لتنظّفه. تتجمّع هذه الشّعيرات داخل معدة القطّة وتسدّ أمعاءها. تساعد براعم الجاودار القطّة على سَعْلِ كُرات الشّعْر خارج جسمها. وذلك الشيء هناك هو عمود الخربشة الخاص بإيميلي."

(1) الراميون: طَبَقٌ ذو شعبية كبيرة في آسيا عامّة، وكوريا خاصة. وهو عبارة عن حساء معكرونة تُحضّر في مَرَق اللحم أو السمك، وتكون بطعم صلصة الصويا أو الطحالب البحرية المجفّفة أو البصل الأخضر، وخلافه.

كانت إيميلي تُخْرِبُشُ بمخالبتها عمودًا أفقيًا صغيرًا مربوطًا بحبل. التقطت ميرو شيئًا بجواره يشبه الصنارة، ومرجحته فوق رأس إيميلي. توقفت إيميلي عن الخدش وقفزت نحوه. أشرق وجه ميرو. كلما اقتربت إيميلي منه، رفعت ميرو العمود أعلى قليلًا وهزته.

"الأمر مُمتِعٌ بالنسبة إليها، لكنه يساعدها على التدرُّب أيضًا" قالت.

أنزلت ميرو العمود بعد فترة وعادت إلى المائدة. تبعها القطة. مَدَدَتْ يدي إلى أسفل وداعبتُ أُذُنَ القطة. مَدَدَتْ القطة بكسَلٍ ولعقت مخلبها ثم ثنت قوائمها الأربعة معًا واستلقت على الأرضية. بَدَتْ مثل كومة من ثلج ذائب.

"هل توذِّين قضاء الليلة هنا؟" سألتني ميرو.

ال نظرة في عينيها جعلت رفض طلبها صعبًا. ابتلعتُ ريقِي، لا يزال طعم التفاح عالقًا في لساني، ثم قُلْتُ: "حسنًا".

لم نخلد إلى الفراش إلَّا بعد منتصف الليل. استغرقت في النوم بينما أقرأ كتابًا على الأرضية. هزَّتني ميرو إذ فجأة لتوقظني. علا القلق وجهها. فتحت عينيَّ لأجدها تُحدِّقُ إليَّ في توتُّر. هدأت ملامحها بمجرد أن التقت نظراتنا.

"هل ترغبين في الصعود إلى السرير؟" سألتني.

تَسَلَّقْتُ السُّلْمَ أولًا كأنها تُريني كيف أفعل ذلك، ثم نظرت إلى أسفل نحوِي. نهضت وتسلَّقتُ السُّلْمَ تمامًا كما فعلت. تناثرت الكتب فوق المرتبة. بدا أنها تنام وهي تقرأ كلَّ ليلة. دَفَعَتْ ميرو الكتب جانبًا كي أستطيع الاستلقاء. أحد الكتب كان مقلوبًا كما لو كانت تقرأ فيه الليلة الماضية.

"هل تُفضِّلين النوم بجوار الحائط؟" سألتني.

يَتَّصِلُ بِالسُّلَمِ دَرَابِزِينَ يَحِيطُ السَّرِيرَ مِنَ الْخَارِجِ. تَحَرَّكَتُ مُقَرَّبَةً
مِنَ الْحَائِطِ. أَضَاءَتِ مَيْرُو أَبَاجُورَةَ الْمَكْتَبِ وَأَطْفَأَتِ مِصْبَاحَ السَّقْفِ
الْفَلُورِسْتِ. أَلْقَتِ عَيْدَانَ الزَّبِقِ الْخِضْرَاءِ خَارِجَ النَّافِذَةِ بِظِلَالِهَا عَلَى
الزَّجَاجِ. مَدَدَتْ يَدِي إِلَى أَعْلَى وَمَلَسْتُ السَّقْفَ.

"هَلْ أَنْتِ غَيْرِ مَرْتَاةٍ" سَأَلْتَنِي.

"لا".

لَمْ يَكُنِ الْأَمْرَ غَيْرَ مَرِيحٍ، بَلْ غَيْرَ مَأْلُوفٍ. كَانَتْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَسَلَّقُ
فِيهَا سُلَمًا كَيْ أَذْهَبَ إِلَى الْفِرَاشِ. تَخَيَّلْتُ مَيْرُو وَهِيَ تَتَسَلَّقُ السَّلْمَ
كُلَّ لَيْلَةٍ، وَشَعَرْتُ بِقَلِيلٍ مِنَ الْأَسْفِ عَلَيْهَا. إِذَا لَمْ تَحْتَرَسِ، فَرِمَا تَرْتَطِمُ
رَأْسَهَا بِالسَّقْفِ. رَقَدْتُ مَيْرُو بِجَوَارِي وَأَغْمَضْتُ عَيْنَيْهَا.

"عِنْدَمَا كُنْتُ صَغِيرَةً، كُنْتُ أَفَكِّرُ دَائِمًا أَنْ مَشَاهِدَةَ النَّاسِ نَائِمِينَ
أَمْرٌ غَرِيبٌ. أَخَافْتَنِي رُؤْيَتُهُمْ وَعَيُونُهُمْ مُغْلَقَةً، كَأَنَّهُمْ قَدْ لَا يَسْتَيْقِظُونَ
ثَانِيَةً أَبَدًا. اعْتَدْتُ أَنْ أَرَاكِبَ وَالِدِيَّ أَوْ أُخْتِي عِنْدَمَا يَنَامُونَ، وَكُنْتُ
أَجْزَعُ وَأَنَا أَتَسَاءَلُ مَتَى سَوْفَ يَسْتَيْقِظُونَ. حَتَّى الْآنَ، أَفَكِّرُ أحيانًا
عِنْدَمَا أَوْشِكُ عَلَى النَّوْمِ: (مَاذَا لَوْ لَمْ أُسْتَيْقِظْ هَذِهِ الْمَرَّةَ؟). كَيْفَ
يَسْتَطِيعُ النَّاسُ النَّوْمَ بِشِجَاعَةٍ كَبِيرَةٍ وَمِنْ دُونَ أَيِّ رَهْبَةٍ؟".

"أَلْهَذَا أَيْقِظْتَنِي مِنْذُ قَلِيلٍ؟".

"بَدَوْتُ كَأَنَّكَ لَنْ تَسْتَيْقِظِي".

"مَيْرُو...". أَدْرْتُ وَجْهَهَا تَجَاهِي. "اعْتَادَتْ أُمِّي أَنْ تَقُولَ لِي إِذَا كُنْتُ
غَاضِبَةً مِنْ أَحَدٍ، فَيَجِبُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهِ وَهُوَ نَائِمٌ. قَالَتْ إِنْ وَجْهَ
الشَّخْصِ وَهُوَ نَائِمٌ هُوَ وَجْهَهُ الْحَقِيقِي، وَأَنَّهُ إِذَا نَظَرْتِ إِلَى شَخْصٍ
وَهُوَ نَائِمٌ، فَلَنْ تَسْتَطِيعِي الْبَقَاءَ غَاضِبَةً مِنْهُ. كَلَّمَا شَعَرْتُ بِالْغَضَبِ
أَوْ التَّوَتُّرِ، أَخَذَ قِيلُولَةً. أَلَا تَشْعُرِينَ بِاسْتِرْخَاءٍ أَكْبَرَ عِنْدَمَا تَسْتَيْقِظِينَ؟
حَاوِلِي التَّفَكِيرَ فِي النَّوْمِ عَلَى أَنَّهُ وِلَادَةٌ جَدِيدَةٌ مِنْ نَوْعٍ مَا".

لم تَقُلْ أَيَّ شَيْءٍ. خَمَنْتُ أَنهَا لَا تَتَّفِقُ مَعِي. وَثَبْتُ إِيمِيلِي صَاعِدَةً
السُّلْمَ وَالتَّفَّتْ حَوْلَ نَفْسِهَا بِجَانِبِنَا. مَدَّتْ مِيْرُو يَدَهَا لِتَرْبَّتْ عَلَي
عِنَقِ الْقِطَّةِ.

"خطر ببالي للتَّوَّ عنوان ذلك الكتاب".

"أَيَّ كِتَابٍ؟"

"الكتاب الذي يحكي قصة القِطَّةِ التي تذهب إلى بحيرة الملح".

"ما هو العنوان؟"

"عندما تنتهي الرحلة، احكِهَا لِغَرِيبٍ".

فَكَّرْتُ فِي الْقِصَّةِ الَّتِي أَخْبَرْتَنِي بِهَا عَنْ أَشْخَاصٍ فِي نِهَآيَةِ حَيَاتِهِمْ،
يَسْتَحْمُونَ فِي بَحِيرَةِ مَلْحٍ، وَيَخْبِرُونَ قِطَّةً تَعِيشُ هُنَاكَ بِكَلِمَاتِهِمْ
الْأَخِيرَةَ. أَكَانَتِ الْقِطَّةُ ذَلِكَ "الغريب" بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ؟ أَرَدْتُ أَنْ أَقْرَأَ
ذَلِكَ الْكِتَابِ.

"هل لديك نسخة من الكتاب؟" سألتها.

"أَخَذْتُ أَخْتِي الْكِتَابَ مَعَهَا عِنْدَمَا رَحَلْتُ. أَرَادَتْ أَنْ تَعْطِيَهُ إِلَى
حَبِيبِهَا".

جَلَسْتُ مِيْرُو فِي مَكَانِهَا، وَأَشْعَلْتُ شَمْعَةً فِي مَقْدَمَةِ السَّرِيرِ وَأَطْفَأْتُ
الْأَبَاجُورَةَ. تَرَاقَصَ لَهَبُ الشَّمْعَةِ وَأَظْهَرَ ظِلَالَ جَسَدِنَا عَلَى الْحَوَائِطِ
وَالسَّقْفِ.

"العالم هادئ جدًا، أليس كذلك؟"

عِنْدَمَا قَالَتْ ذَلِكَ، أَدْرَكْتُ أَنَّنِي قَدْ نَسِيتُ كُلَّ شَيْءٍ عَنِ الْعَالَمِ
خَارِجَ حُدُودِ الْحِجْرَةِ. تَسَاءَلْتُ الْآنَ فَقَطْ عَنْ مَكَانِ مِيُونَجْسُو وَمَاذَا
يَفْعَلُ؟ اعْتَادَ أَنْ يُكَلِّمَنِي فِي صَبَاحِ كُلِّ سَبْتٍ لِيَسْأَلَنِي إِذَا كَانَ بِإِمْكَانِهِ
الْقُدُومَ إِلَى شَقَّتِي. كُنَّا نَلْتَقِي فِي الصَّبَاحِ وَنَقْضِي الْوَقْتَ مَعًا حَتَّى

حلول المساء. لكن لأنني أضحيت أذهب إلى الحمام العمومي مع
ميرو في كل عطلة نهاية أسبوع، توقَّفنا عن قضاء أيام السبت سوياً.
تساءلت إذ فجأة ماذا كان يفعل في تلك الأيام من دوني. جلَّست ميرو
من جديد ومدَّت ذراعها وشغَّلت راديو صغيراً.

"ثماني دقائق وثانية واحدة" قالت ميرو.

"ماذا؟"

"مُدَّة الحركة الثانية في كونشيرتو الإمبراطور⁽¹⁾... ثماني دقائق وثانية
واحدة".

مكتبة

t.me/t_pdf

"بيتهوفن؟"

"أجل".

عَلَّقنا موسيقى الكونشيرتو المعزوفة على البيانو. بدا أنها تقودنا
إلى مكانٍ ما بعيد.

"كلِّما أصابني الأرق، أشغَّلتها وأخبر نفسي أنني يجب أن أستغرق في
النوم في غضون ثماني دقائق وثانية... إنها مثل تعويذة".

"هل ينجح الأمر؟"

"أحياناً. وأحياناً أخرى أجد نفسي أفكر في حقيقة ألا أحد يعرف
أنني نائمة هنا، ولا أحد سيعرف إذا لم أستيقظ. الاستماع إلى هذه
المقطوعة يجعلني أشعر على نحوٍ أفضل. وأحياناً أنام بسرعة من
دون أن أبذل مجهوداً".

صدمتني كلماتها. تراودني الأفكار نفسها أحياناً حين أخلد إلى النوم
في شقَّتِي فوق السطح. في تلك الليالي، أفتح النافذة وأحدِّق إلى أسفل

(1) كونشيرتو الإمبراطور: الكونشيرتو الخامس لبيتهوفن، وهي آخر كونشيرتو بيانو مُكتمل
لبيتهوفن، ألفه في فيينا بين عامي 1809 و1811، وأهداه إلى تلميذه وراعيه الأرشيديوق
رودولف وليُّ عهد النمسا آنذاك.

نحو المدينة المظلمة. أتأمل لوقت طويل البرج فوق جبل نامسان. في الليالي الممطرة، أستمتع بمشاهدة أضواء البرج تظهر من جديد من وراء ستار الضباب الكثيف الذي يحجبها. في أوقات أخرى أخرج إلى السطح وألعب الحَجَلَة بمفردي. أتصوّر أنني بينما أفعل ذلك، تكون ميرو في الخلفية تستمع إلى الموسيقى تحت الأرض في الوقت نفسه تقريبًا. ربما تتداخل بعض تلك اللحظات.

قضاء الليل مع شخص في حجرته يجعل من الأسهل أن تتخيّل ما يفعله عندما لا تكون موجودًا حوله. بعد تلك الليلة، أضحيتُ قادرةً على تصوّر ليالي ميرو في هذه المدينة.

"ميرو"، فكَّرتُ أنها أول مرة أناديها باسمها الأول فقط. "المرة القادمة التي لا تستطيعين النوم فيها، اتّصلي بي وسوف آتي إليك".

"لماذا؟".

"نحن نعيش بالقرب من بعضنا البعض. يمكننا أن نلتقي في المنتصف. أو يمكنكِ القدوم إلى شقتي أو يمكنني القدوم إلى هنا. ما رأيكِ؟".

"يون" همَّست. "ماذا لو انتقلنا للعيش في ذلك المنزل سويًا بدلًا من ذلك؟".

صعدتُ إيميلي فوق بطن ميرو. تضخّم ظلُّها وتمايل في ضوء الشمعة. فاجأني اقتراح ميرو. مددتُ يدي لأمسدَ فرو إيميلي. يمكنني سماع صوت تنفّس ميرو بينما تنتظر إجابتي في توتّر. مالت الزنابق خارج النافذة وقد بدتْ مُستعدَّةً لاقتحام الحجرة في أي لحظة، إلى الوراء الآن كما لو كانت حراسًا يستريحون. ماذا دار ببال ميونجسو بينما يزرعها أسفل النافذة؟ لا بُدَّ أن عبير الزنابق قد ملأ حجرة ميرو لليالٍ طويلة. ستذبل العيدان مع موجة الصقيع الأولى، فقط البصيلات المدفونة تحت الأرض ستنجو في الشتاء. مَضتِ الدقائق بينما

أفكّر في الزنابق. أعرف أن عليّ أن أمنح ميرو إجابةً، لكن كان ذهني مُشْتَتًا. تصوّرتُ زنابق المطر البيضاء أمام البيت المهجور، والحشائش الكثيفة في الفناء. كيف كانت تبدو حياتهم عندما كانوا يعيشون هناك؟ عجزت عن تخيلها.

"سيعيش ميونجسو معنا أيضًا إذا لم تُمنعني ذلك."

تكلّمت ميرو كما لو أننا لا نحتاج إلى سؤاله عن رأيه. تساءلتُ إذا كان ميونجسو ذلك الشخص الذي سيفعل شيئًا من دون تفكير فقط لأن ميرو اقترحته. كنتُ عاجزةً عن الكلام. أكانت تحاول إعادة خلق ما كانت تمتلكه مع أختها من خلالي؟ مرّت الدقائق. شعرت أن صداقتنا قد تتأزّم إذا لم أُجبها الآن. شعرت كأنّ أخت ميرو التي لم أقابلها أبدًا، قد أتت فجأةً لزيارتنا.

"أحتاج بعض الوقت" قلتُ.

"لا تُبالغي في التّفكير" قالت. "البيت فارغ. وتدفع كلّ منّا إيجار سكنها. ويعيش ميونجسو في منزل أحد أقربائه. يمكننا أن نوحّد موارِدنا ونُدخِر المال."

لو كانت الحياة مع شخص آخر بتلك البساطة، ما كنتُ قد انتقلتُ أبدًا من شقة ابنة عمي.

أنتُ إيميلي إليّ. حاولت ميرو أن تناديها لتعود إليها لكن القطّة تجاهلّتها، وضغّطت بقائمئها على بطني، وهي تنقل وزنها من قائمٍ إلى الآخر.

"ترين؟" قالت ميرو، "ترغب إيميلي أن تعيش معك أيضًا."

"عمّ تتحدّثين؟"

"عندما تدعك قِطَّةً بطنك هكذا، فإن ذلك بمثابة هدية، تعبر بها عن حبها لكِ يعاملها ميونجسو بلطف دائماً، لكنّها لم تفعل معه ذلك أبداً. أشعر أنها تصدّه، لكن لا بُدَّ أن إميلي تحبُّكِ".

مسدت مؤخرّة عنق إميلي فهرت القطة.

"تصدر إميلي هذا الصوت عندما تكون سعيدة حقاً. أراهن إنها ستتودّد إليك أكثر إذا عشنا معاً".

تمايلت ظلّالنا فوق السرير. أعادت ميرو تشغيل كونشيرتو البيانو ثلاث مرّاتٍ على التوالي. كان اللحن جميلاً ومؤثراً، وناعماً كفرو إميلي.

"جونج يون" نادتنني باسمي الكامل من جديد. "لقد فاجأتكِ، أليس كذلك؟".

"لأكن صريحةً معكِ، أجل".

"بالطبع، الصداقة شيء، والعيش معاً شيءٌ آخر. لا تعرفين الكثير عني، وقد بدأتُ للتوّ أتعرّف عليكِ؛ لذا من غير العادل أن أطلب ذلك منك الآن. أتفهّم ذلك. خذي وقتكِ. لكن عديني أنك لن تأخذي وقتاً طويلاً جداً لتقرّري".

"لا تقلقي. لن أفعل".

"عندما انتقلت إلى هذا المكان، اعتقدت أنني سأقضي بقية حياتي هنا. لم أتخيل أنني سوف أرغب في الانتقال منه... أرغب في العودة إلى الجامعة".

توقفت إميلي عن دعك بطني وقفرت لتهبط السُّلم. تتبّعتهما بعينيّ بينما تثب فوق عتبة النافذة. جلست هناك وراحت تراقب الزنابق التي تهتزُّ في رياح الليل، وترفع قائمها من حين إلى آخر لتضرب ظلّالها في الهواء. عمّ السكونُ الحجرة ما عدا صوت موسيقى البيانو

وضوء الشمعة المرتعش. يمكنني سماع صوت تنفُّس ميرو الهادئ. شعرت بالخجل لأنني لم أمنحها الجواب الذي أرادته.

"ميرو". لم أستطع تحمُّل الصمت المُخيم أكثر من ذلك. "رغبتُ في التَّعرُّفِ عليكِ على نحوٍ أفضلٍ أيضًا".
"حقًّا؟"

"لا أعرف إذا كان سيبدو ذلك منطقيًا بالنسبة إليك، لكن منذ انتقالني من بيت والدي، كنتُ أفضلُ البقاء وحدي على أن أكون بصحبة الناس. اعتدْتُ ذلك. سأفكرُ أكثر في عرضك. لكن أودُّك أن تعلمي أن ذلك ليس بسببكِ بل يتعلَّق الأمر بي أنا".
"أعتقد أننا نفكرُ في الشيء نفسه".

"أي شيء؟"

"أفضلُ البقاء وحدي أيضًا. حاولتُ ألا أتقربَ منكِ لأنني خشيت أن أؤذيكِ. لو فعلت يومًا أي شيء قد يؤذيكِ، أرجوك، لا تكرهيني بسبب هذا".

لم أنطق بأي كلمة.

ثم لدهشتي استطرَدتِ قائلَةً: "لو آذيتكِ فعلاً. انسي كل شيء عني. امحيني من ذاكرتكِ".

"لماذا تقولين ذلك؟" سألتها مندهشةً.

"لا تهتمِّي بذلك... يون... عليكِ أن تتذكَّريني. لا تنسيني".

صوتها مُرتجِف. استدرتُ لأواجهها ومَدَدتُ يدي نحو يدها. شعرت بدفء يدها المغطاة بالندبات. لو التقينا ببعضنا البعض أبكرَ من ذلك فقط. كانت حياةُ كُلِّ مِنَّا على حِدَةٍ حياةً بائسةً وهشَّةً.

رَها أَعرف حَقًّا ما ذا كان يَدور بخلد ميونجسو عَندما زرع الزنابق
أَسفل النافذة. ضَغطت على يَدها بِقوة أكبر قليلاً.

"لَتتذَكَّرَ هَذا اليَومَ إلى الأَبَدِ" قَلْتُ.

اندهشت حين أدركت أنني كنتُ أردد ما قاله لي ميونجسو. أهذا
ما شعر به عندما قال تلك الكلمات لي؟ هل الأسف والحزن الذي
شعرت بهما نحو ميرو التي بدت غير مفهومة وغامضة، هو الشعور
نفسه الذي أحسَّ به ميونجسو نحوِّي؟ ربما ذلك هو كل ما يمكن
قوله عندما لا توجد أي كلمات يمكن أن تواسي بها الآخر، عندما لا
يبدو أن ثمة طريقًا للمضي قُدماً.

"كانت أختي تقول ذلك" قالت ميرو.

"حقًّا؟"

"كانت تقول ذلك طوال الوقت عندما كان ثلاثتنا نعيش معًا:
فلتذَكَّرَ هَذا اليَومَ للأَبَدِ...".

وسط نوات الحركة الثانية من كونشيرتو الإمبراطور، سمعت
الصوت الخافت لرنين هاتف. كان الصوت آتياً من المكتب أسفل
السريِر. لم تتحرَّك ميرو لتجيب عليه. بدا أنها تعرف هويَّة المتكلِّم.
"ذلك الصيف..." صمَّت طويلاً. "لولا ذلك الصيف، لكانت أختي
الآن راقِصَةً باليه رئيسيَّة كما أرادت".

"وماذا حدث؟"

"ذهبتُ وأختي إلى منزل جدِّتنا. في ذلك الوقت كان والدانا
يتشاجران طيلة الوقت؛ لذا أخبرتنا أننا أن نذهب لقضاء بضعة
أيام في بيت أمها في الريف. كان قراراً وليد اللحظة. حاولت أمِّي
الاتصال بجدِّتي، لكن لا مُجيب. قالت أمِّي إنها ستتصل بها مُجدِّداً
بعد مغادرتنا لتخبرها أننا في الطريق إليها. عاشت جدتي في الجنوب

في سانتشيونج. عندما اندلعت الحرب الكورية، فرّت جدتي إلى الجنوب وحدها وهي تحمل أمنا -التي كانت طفلةً رضية- على ظهرها. انتقلت إلى منطقة نائية في سانتشيونج وبنت بيتًا يشبه ذلك الذي عاشت فيه كطفلة. أحببت وأختي بيت جدتنا. لديها الكثير من الأشياء الممتعة هناك. أخبرت أمنا السائق أن يأخذنا حتى بيت جدتنا، لكن أختي صرّفت السائق. اقترحت أن نستقل الحافلة بمفردنا. اعتقدت أن الأمر سيكون ممتعًا. ركبنا حافلةً عابرةً للمدن، ومشينا من موقف الحافلات إلى بيت جدتنا. بدا الأمر كأننا في نزهة. أتذكّر كيف تطاير شعري أختي في الرياح التي هبّت إلى داخل نافذة الحافلة وداعبت وجهي. والطريقة التي استمرت فيها بالهمس: (انظري إلى ذلك!)، بينما تشير إلى الأشجار والزهور والسماء ونحن نسير في الشوارع الخلفية. كُنّا في وقتٍ متأخر من عصر ذلك اليوم عندما وصلنا إلى بيت جدتنا. نادينا عليها بينما ندخل من البوابة لكن البيت كان خاليًا. وقفت الأشجار التي كانت بمثابة عائلة لجدتي، في تجمّعٍ ودّيٍّ، وألقت بظلالها فوق الجدار، وكانت زهور الصيف الملونة المزروعة قرب الباب الأمامي في أوج ازدهارها. كان الطريق الوحيد إلى الداخل هو عبر الباب الأمامي، لكنه كان مغلقًا بقفل. جلّستُ واختي فوق الشُرْفَة في ظل الشجر، وانتظرنا عودتها إلى البيت. لأن أمنا قالت إنها سوف تتصل بها؛ افترضنا أنها ستكون هناك بالفعل. زرناها من قبل من دون أن نتصل بها أولًا، لكنها كانت في البيت دومًا. كانت تعمل عادةً في الفناء أو في بستان الخضراوات، ترتدي قُبْعَةً وسراويل فضفاضة، وتحمل مجرفة، لكن في اللحظة التي نخطو فيها عبر البوابة وننادي عليها، كانت تترك ما تفعله وتندفع للترحيب بنا. كانت تُسمّينا (جرويها). كنتُ أركض إليها دائمًا وأعانقها عناقًا طويلًا. أحببتُ رائحة عرقها. كان غريبًا، ومخيّفًا قليلًا رؤية البيت من دون وجودها فيه. استمرت في الدعاء أن تظهر. لم أمتلك أي فكرة

كم انتظرنا. واصلتُ التفكير، (ستكون هنا في أي لحظة). لكن ظلال زهور عباد الشمس بطول الجدار أخذت تطول وتطول مع أفول الشمس، ولم تأتِ جدِّي بعدُ. كنَّا نزداد جوعًا أيضًا. قرَّرتُ معدة إحدانا بصوت مرتفع. لأنني كنتُ الصغرى؛ ظللتُ أتذمَّر أنني جائعة على الرغم من أنه لم يكن بوسع أختي فعل أي شيء حيال الأمر. حاولتُ أن تُشعري بشعور أفضل بأن تقول إن جدتنا سوف تعود إلى البيت قريبًا، لكن واصلتُ معدتي قرقرتها. لا بُدَّ أنها كانت متوتِّرة أكثر مني في انتظار ظهور جدتي. توقَّفتُ عن التحديق إلى البوابة الأمامية ونهضتُ وتوجَّهتُ إلى الباب الأمامي المقفل. على الرغم من أننا نعرف ألا أحد بالداخل، طرَّقتُ على الباب وصاحت: (جدِّي!). وقفتُ بجانبها وصحَّتُ معها. عندما تعبنا من ذلك، استندنا على الباب وبدأنا في ذكر الأشياء التي سنطلب من جدِّي أن تفعلها لنا عندما تظهر أخيرًا. تمتلكُ جدَّتنا الكثير من الأطباق النحاسية. أخبرتنا أنه في القرية الشمالية حيث كبرت، كلما أتى ضيوف مُهمُّون لزيارتها، كان الطعام يُقدَّم في أطباق نحاسية مع ملاعق وعيدان أكل نحاسية. كانت تلك علامة على الاحترام. كان طعامنا المفضَّل هو البيونسو الذي كانت تعدُّه من أجلنا".

"ما هو البيونسو؟".

"إنه الاسم الذي يطلقونه على الزلاية حيث كبرتُ. يطهونها في مرق لحم بقري. جلَّستُ وأختي هناك وعددنا كل الأشياء التي أردناها أن تطهوها من أجلنا. ليس فقط البيونسو، بل لحم الخنزير المطهو بالبخار مع الكميثشي، وحساء يُطهى بكعك أرز يشبه اليقطين، وخبْنة مطهوة بمعجون الفاصوليا، والزلاية- كل الأطباق التي كانت تعدُّها عادةً عندما نزورها خلال عطلة الشتاء. لا بُدَّ أننا قد عددنا خمسين صنف طعام مختلف، ومع هذا لم تعد جدِّي. لم أستطع الكفَّ عن البكاء كم أنا جائعة. كلُّما بكيْتُ أكثر، ازداد جوعي. لم يكن بيد

أختي أن تفعل أي شيء سوى أن تواصل طمأنتي أن جدّتنا ستكون هنا في أي لحظة. قلتُ أخيراً: (ماذا لو لم تُعد إلى البيت أبداً؟)، قالت أختي: (لماذا لن تعود إلى البيت؟ سيستغرق الأمر وقتاً أطول قليلاً فقط). ثم بدأ الخوف يساورني حقاً (ربما ذهبت في رحلة). ثم بدأت في ذكر كل الأسباب لماذا قد لا تعود جدتي في ذلك اليوم. استمررت أختي في طرّقتها على الباب، بينما رحّت أفكرُ أنه إذا تمكّنا فقط من الدخول إلى داخل المنزل، فسنجد الكثير لنأكله. حفّزّنتي تلك الفكرة أكثر للعثور على طريقة للدخول. كلما ظلّ الباب مغلقاً لوقت أطول، أصبحت مُتيقّنةً أن جدتنا لن تعود أبداً. لم أر بابها مغلقاً بقفل هكذا من قبل. سألت في النهاية: (ماذا لو كانت قد ذهبت إلى مكانٍ بعيد ولن تعود قبل عدّة أيام؟). نهضت أختي، بحثت في كل مكان عن شيء يمكنها استخدامه لفتح القفل- أي شيء رفيع وطويل ومتين يمكنها أن تضعه داخل فتحة القفل. لكن لم ينفع أي شيء. أخذت الشمس تغرب والجوع يشتدُّ علينا، وأخذ الذعر يتسلّل إلينا. نسينا كل شيء عن انتظار جدتي وصَببنا كل تركيزنا على خلع القفل. عصرنا دماغينا في محاولة للعثور على شيء يمكن أن يَلجَ فتحة القفل. راقبتنا أشجار الكاكي والكرز والبرقوق في الفناء بينما نركض هنا وهناك في اهتياج. لا بُدّ أننا قد دُسنا على نباتات عُرفِ الديك النامية في فناء المنزل خلال بحثنا المحموم عن شيء حاد. وجَدت أختي صندوق أدوات خشبي في السقيفة، فحملته حتى الباب الأمامي وهي تئن من وزنه الثقيل. كانت الشمس تلوح في الأفق في رحلة أفرولها. افترشنا الأرض أمام الباب ودسنا كل جسم مُدبَّبٍ عثرنا عليه في صندوق الأدوات داخل القفل، لكن ما نجح أي شيء. بدا كأن الباب يتوقَّع تضحيةً من نوع ما أولاً قبل أن ينفتح. حدّقنا نظرينا في صندوق الأدوات بإحباط. اختلطت أدوات جدتي المنظمة بدقّة معاً، وتبعثرت في كل مكان. قالت أختي إن عليها التّبؤل، وذهبت وراء شجرة البرقوق. على الرغم من أنها

تحب بيت جدتنا، مَمَّقْتُ أختي استخدام المرحاض الخارجي. كلما اضطرت إلى الذهاب إليه، كانت تجعل إحدانا -أنا أو جدي- تقف خارجه مباشرة. كنت أقول: (أنا هنا!)، فتردُّ: (ابقِي هناك ولا تتحرَّكي". فكَرْتُ أن تفضيل أختي التبوُّلَ وراء شجرة على استخدام المرحاض الخارجي أمرٌ غريب لأن البيت خالٍ، وقلت لنفسي (أختي الكبرى أشبه بالدجاجة). بينما ترفع ثُنُورتها وتجلس القرفصاء وراء الشجرة، التقطت مِثقابًا من صندوق الأدوات وحاولتُ إدخاله داخل فتحة القفل. تَمَيُّتُ أن أثير إعجابها بأن أفتح القفل قبل أن تعود. بدأتُ أغنِّي: (افتح، افتح، افتح...)، لكن لو لم تستطع أختي فتح القفل، فلماذا سأنجح أنا؟ حاولتُ لفترةٍ، ثم مَمَلَّكَنِي الغضب وقذفت المِثقاب على الأرض بكل ما أوتيت من قوة. نادتنِي أختي. كانت تقف أمام الشجرة، حاشِيَةً ثُنُورتَها البيضاء في يدها، وقد رَفَعَت إحدى قدميها عاليًا في الهواء. يدها تستريح فوق غصن مُنخفض كما لو كان قضيب باليه. بدأتُ تتحرَّك على أنغام موسيقى غير مسموعة.

نادت على اسمي مُجددًا وسألتني: (ماذا قال فوكين لبافلوقا؟). مايكل فوكين هو مُصمِّم رقصة البجعة المحتضرة الفردية لبافلوقا. كانت أختي تشارك كل شيء تعلَّمته عن الباليه معي. تقرأ على مسامعي قصصًا من كتب الباليه الخاصة بها ثم تسألني فيما قرأته لاحقًا. تسألني أسئلة مثل: (مَن قال إن أي أغنية يمكن أن تتحوَّل إلى باليه؟)، نادرًا ما كنتُ أعرف الإجابة. لكن من حينٍ إلى آخر تتبادر الإجابة إلى ذهني: (جورج بالانشين)⁽¹⁾ أجيب فتربُّتُ على رأسي. هكذا كُنَّا نتحدَّث عن الباليه. أتعرفين كيف تصعد راقصة الباليه التي

(1) جورج بالانشين (1904-1983): مُصمِّم رقصات باليه أمريكي. يُعدُّ من أهم مُصمِّمي رقصات الباليه في القرن العشرين، ويُعرَف بالأب الروحي للباليه الأمريكي. أسَّس باليه مدينة نيويورك، وكان مديرَه الفنِّي لخمسة وثلاثين عامًا. تتميز تصاميمه بخلوها من الحكمة وبساطة الزبي والديكور والاعتماد بشكلٍ أساسي على الموسيقى، لا سيما الكلاسيكي منها.

تؤدِّي رقصة منفردة على خشبة المسرح قبل بدء العرض لتعطي الجمهور لمحة مختصرة عمًا هو قادم؟ كانت أختي تدور حول نفسها مؤدِّيَّة حركات مشابهة لذلك. لم تكن أختي ترتدي حذاء الباليه، لكن راحت تؤدِّي بضع حركات خفيفة، ثم نادى عليَّ مُجدِّدًا: (ميرو! لقد سألتكِ ماذا قال فوكين لبافلوقا؟!)، أَجَبْتُ: (أَنْتِ بَجَعَةٌ). تلك مقولتها المفضَّلة. عندما أَجَبْتُ الإجابة الصحيحة، مالت بجسدها إلى الأمام بِرِقَّةٍ وهدوء. كانت تُقلِّد الطريقة التي تطوي بها بجعةٌ جناحيها بينما تلفظ أنفاسها الأخيرة. لم أستطع إزاحة عينيَّ عنها. بدت أشبه بجعة محتضرة حَقًّا. ذات مرَّة كنا نشاهد مقطع فيديو قديم جدًّا لبافلوقا وهي ترقص رقصة البجعة المحتضرة المنفردة. كان الفيديو يعود إلى تاريخ يسبق ميلادي وأختي بسنوات طويلة. كانت جَوْدَةُ الفيديو رديئةً جدًّا، والخطوط التي تعلوه تؤلم عينيَّ، لكن أختي لم تستطع أن تكفَّ عن البكاء أثناء مشاهدته. لاحقًا تلك الليلة، استيقظت لأجد أختي ترقد على الأرض بجوار سريرنا- كانت تلتفُّ حول نفسها مثل بجعةٍ قد طَوَّت جناحيها فوق رأسها. عندما رأيتها ترقد بجوار شجرة البرقوق في فناء جدِّتنا، انفجرتُ باكياً. بدت كأنها تحتضر حَقًّا. كان المشهد جميلًا جدًّا. تفاجَّأت أختي لسماع بكائي وفَرَدَت جناحيَّ البجعة وحلَّقَت إلى حيث أجلس أمام الباب. سألتني بإلحاح عن سبب بكائي. أخذ الظلام يسود وراءها. (لماذا تبكين؟) سألتني، لكنني عجزت عن الرَّدِّ عليها، ولم أستطع الكفَّ عن البكاء أيضًا. ربما شعرت بالحقيقة داخلي- أن هذه هي آخر مرة سترقص فيها أختي. كان ثمة شيء يزعجني لكنني لم أستطع أن أشرح لماذا شعرت بأنني خائفة وحزينة جدًّا. لكن لأنني لم أستطع التوقُّف عن البكاء؛ توجَّهت أختي إلى الباب لتحاول فتحه من جديد. أمسكت بالقفل قبل أن تسقط على ركبتيها. اخترقت صرختها إذ فجأةً طبلَّة أذني. شعرت كأنني قد قفزت من فوق حافَّةٍ جُرْفٍ. توقَّفتُ عن البكاء في

الحال وركضت إليها. كانت تُمسك بركبتها. المثقاب الذي قذفته بعيداً في غضب قد انغرس بين لوحَي خَشَبٍ، وبرز إلى أعلى، والآن كانت رأسه مدفونة عميقاً داخل ركبة أختي التي مالت إلى الأمام وسقطت فوقه. بعد ذلك اليوم لم تَرُقْص أختي ثانية أبداً".

اعتدلتُ في جلستي ونظرت إلى ميرو. كانت تحكُّ عنق إيميلي بيدي وتريح الأخرى فوق جبهتها. أمسكت بيدها. شعرت بجلدها المشوّه بالندبات والمتجعد دافئاً.

"من الصعب الاستماع إلى ذلك، أليس كذلك؟" سألتني.

لم أستطع أن أنطق بالكلمات كي أخبرها أنني بخير.

"ميرو" نظرت إليّ. "أكملي القصة" قلتُ. "لا تكتمي كل هذا بداخلك".

"متأكدة؟"

"سوف نتجاوز الأمر معاً".

هل مشاركة قصتها يساعد جروحها على الالتئام؟ لم تستطع نسيان ما حدث، لكنني أردتُ منها أن تبدأ في وضع الماضي وراء ظهرها. أردتها أن تتغلب على تلك الندوب الشاحبة وتمضي قُدماً.

"لقد انطبعت حادثة أختي في ذاكرتي منذ ذلك الوقت. ربما لو كانت قد كرهتني بسببها، لكنك قد تجاوزتها. لكن لم تقل أي كلمة بخصوصها. ولا مرة واحدة بعد ذلك اليوم. بينما كانت في المستشفى، شاهدتُ والدي يُنزلان قضيب الباليه عن الحائط. ثم بعد ذلك تواصلت الحياة كأنَّ الجميع قد نسي الأمر. لم يقل أيُّ أحدٍ أيَّ كلمة أخرى عن الأمر- لا جدتي ولا والداي ولا أختي، ولا حتى أنا. لم أعد أتذكر لماذا لم تكن جدتي في البيت ذلك اليوم، ولا متى ظهرت أخيراً.

كل ما أتذكره أنها قد أَلقت نظرة واحدة على أختي وهي ترقد على الأرض متألمةً، ثم ركضت إلى أقرب قرية، والتي كانت تقع على الجانب الآخر من أحد التلال. أتذكر أيضًا ذهابي معها إلى المستشفى يرافقنا رجلٌ شابٌ من القرية قد حمل أختي ووضعها في مؤخرة جرّار، بينما لا يزال المثقاب منغرّسًا في ركبتهَا طيلة الوقت... عندما تُوَفِّيت جدّي، ترَكَت البيت لي. قالت إنها ترغب مني أن أعتنى به. تنتشر آثار جدتي في كل مكان في ذلك البيت. زرعت جدّي الأشجار نفسها التي كانت تنمو في مسقط رأسها في الشمال. لولا تلك الحادثة، لاستطعت حُبّ ذلك البيت. حاكت جدتي كل البطانيات والملابيات على ما كينة خياطتها، وزرعت الفناء بحيث تزدهر زهور مختلفة في كل فصل. بعض الزهور تشبه الزهور البرية التي شاهدتها في الشمال عندما كانت صغيرة؛ لهذا كانت هنالك دائمًا زهورٌ غير مألوفة تتفتّح ثم تذبل ثم تتفتّح ثانية في حديقتهَا. الآن لم يعد هنالك أي أحد يعتني بالبيت؛ لذا ربما يتداعى الآن.

"علينا أن نذهب هناك يومًا ما". قُلْتُ ذلك بنبرة الصوت نفسها التي قالت بها ميرو إنه علينا الذهاب إلى بازل يومًا. يمكنني الشعور بأن كلمة "يومًا ما" قد وجدت طريقها إلى معجمي من جديد.

بعد موت أمي توقفتُ عن قول هذه الكلمة، لكن قبل ذلك كنت أقولها إلى نفسي طوال الوقت "يومًا ما". حينها كانت الكلمة الوحيدة التي يمكنها أن تُطمئنني. عندما عَلِمَت أمي أنها تحتضر، كان أول شيء تفعله هو إرسالني للعيش مع ابنة عمي في المدينة. لم أرغب في تركها وحدها. أردتُ أن أكون بجوارها بالقدر نفسه الذي أرادت هي ألا أراها تعاني، لكن كان عليّ أن أطيعها. كانت قد قضت بالفعل وقتًا أكبر في إقناعي أن أغادر من الوقت الذي كانت تقضيه لتلقّي

العلاج. كان لزاماً عليّ الرحيل كي تتفرَّغ هي للحصول على رعاية طبية مناسبة. في اليوم الذي غادرتُ فيه، قلتُ: "يومًا ما يا أمي". كَرَّرتُ تلك الكلمات نفسها في ذهني مرّاتٍ لا تُحصى. حين لم يتبقَّ خُصْلَةٌ شعْرٍ واحدة في رأسها، كل ما كان بوسعي قوله لها حينها هو "يومًا ما يا أمي". كل ما تُقنُّ إليه -رؤية أمي تستردُّ صِحَّتها وتعود إلى ذاتها القديمة- لم يتحقَّق أبدًا. عندما فقَدْتُ أمي، نَبَذْتُ كلمة "يومًا ما"، أضحت الكلمة بلا معنى، كلمة وهميَّة، غير قادرة البتَّة على تغيير أي شيء. بعد أن توقَّفتُ عن استخدامها، استعادت عاداتي بأن أبتلع ضحكة مريرة بداخلي وأعض على شفتي، وأقطب جبھتي، وأمشي بمفردي لأواسي نفسي- نشاطها.

"هل تعنين هذا حقًّا؟" سألتني.

"أعني ماذا؟".

"أن علينا الذهاب إلى بيت جدِّي يومًا ما؟".

"نعم... يومًا ما".

شعرتُ برغبةٍ مُلِحَّة ومفاجئة للوفاء بذلك الوعد.

"هل سيأتي هذا اليوم أبدًا؟" سألتني.

بدا كأنها تقرأ أفكارِي.

"طالما لا ننسى الأمر" قلتُ.

"طالما لا ننسى الأمر" قالت ميرو.

داهمَني حزن غريب فاعتدلت في جلستي بجانبها، وقلتُ: "دعينا نسطحب إيميلي معنا".

"وميونجسو" أضافت ميرو، ثم أغمضت عينيها وقالت بنبرة روتينيَّة: "والأستاذ يون أيضًا".

خِيَم الصمت علينا للحظة. هل أضحت والأستاذ يون مُقَرَّبَيْن
لدرجة أنها تستطيع أن تقترح أن يرافقنا؟ أضافت ميرو كما لو أنها
تحاول تبديد الصمت بيننا: "وناك سوجانج أيضًا".

ضحكتُ. شرعنا في ذكر كل شخص نعرفه. أَصَفْتُ اسم داهن الذي
لم تُقَابِلْهُ ميرو من قبل أبدًا.

"مَنْ هو داهن؟" سألتني.

"لقد كبرنا سويًا".

"أرغب في لقائه".

"سوف تلتقيه".

"أرغب في العيش في ذلك البيت يومًا ما يا يون. أودُّ أن أحرق الأرض
بِيَدَيَّ هَاتين مثلما فعَلت جَدِّي، وأن أزرع البذور في التربة وأحصد
الفاكهة في الخريف. وأن أزرع الخضراوات في الحديقة وأعيش من خير
هذه الأرض وأكتب. لا بُدَّ أن جدي قد تركت البيت لي لا لأختي لأنها
عرفت أنه ما أزدتُ. رغم أنني لم أُعِدْ إليه أبدًا بعد ذلك الصيف،
فقد عَرَفت جَدِّي ذلك. البيت خالٍ الآن، لكنني أخطُط للعودة إليه
وفتح أبوابه من جديد. بعد حادثة أختي، بات ذلك البيت مكانًا
مُحَرَّمًا، لا نتحدث عنه أبدًا، على الرغم من أنه لا أحد قد أخبرني
بذلك بشكل مباشر. حتى عندما تركته جَدِّي لي، لم تُعَلِّقْ أختي بأي
كلمة. لم تكن الأمور سيئةً بيننا. كُنَّا مُقَرَّبَيْنِ مثل أي أختين. لكن لم
نتحدَّث عن الحادثة أو البيت ثانية. المرة الوحيدة التي ذكرت أختي
البيت لي، كانت عندما أرادت أن تخبئه هناك".

"تخبئه؟"

"الرجل الذي عَشِقْتَهُ كما عَشِقْتِ الباليه" أجابت. "عندما دخلت
أختي الجامعة، أخذت إيميلي وانتقلت إلى المدينة. عندما انضمت

وميونجسو إليها في العام التالي، بَدَت شخصًا مختلفًا. تلاشت الغمامة الداكنة التي أحاطت بها بعد أن توقَّفت عن ممارسة الباليه. حتى صوتها قد عاد إلى طبيعته. أصبحت لديها تلك الطريقة المميّزة في قول (ميرو! انظري إلى هذا!!)، كلُّما رأت شيئًا أعجبها أو أدهشها، أو رغبت في التباهي به. لم تكن تعود إلى البيت كثيرًا خلال السنة التي قضتها لوحدها في المدينة؛ لهذا لم أرها في ذلك العام إلا لمأما. كانت مشغولة دائمًا، وكنت أجهّز نفسي لامتحان التقدُّم إلى الجامعة. بعد عام من الابتعاد عنها، استعاد شعْرُ أختي الأسود لمعانه، وخدَّاهَا إشرافهما. بدت خطواتها أخفَّ أيضًا. عادت إلى ما كانت عليه قبل الحادثة. كان كل هذا بفضل الرَّجُل الجديد في حياتها. أمست أيامها تدور حوله بدلًا من الجامعة. بدا خروج كلمات مثل (الاشتراكية) و(نظرية قيمة العمل)⁽¹⁾ و(حقوق الإنسان) - من بين شفيتها أمرًا طبيعيًا. ولم يكن هذا هو التغيُّر الوحيد. رَقَدَت كتبٌ لم أسمع بها من قبل فوق مكتبها، عناوينها تتضمَّن: (رأس المال وتاريخ الاقتصاد الغربي). كانت هنالك كتبٌ لكاتب يُدعى (فرانز فانون)⁽²⁾، (صرخة حجر) و(كيف سقينا الفولاذ)⁽³⁾، و(مانفستو الشيوعية)⁽⁴⁾، (البيداجوجيا)⁽⁵⁾، و(التاريخ والوعي الطبقي). كنتُ أستيقظ في الصباح لأجد أختي تجلس على

-
- (1) نظرية قيمة العمل: نظرية اشتراكية تقول إن قيمة سلعة ما ترتبط فقط بالعمل المطلوب لإنتاجها أو الحصول عليها. ترتبط النظرية بما يُعرف بالاقتصاد السياسي الماركسي.
- (2) فرانز عمر فانون (1925 - 1961): طبيب نفسي وفيلسوف اجتماعي فرنسي من مواليد جزر المارتنيك. عُرف بنضاله من أجل الحرية وضد العنصرية. من أهم كتبه: مُعَدَّبو الأرض، وبشرة سمراء وأقنعة بيضاء.
- (3) كيف سقينا الفولاذ: رواية اشتراكية للكاتب الأوكراني نيكولاي أوستروفسكي، تدور خلال فترة حكم ستالين. نُشرت سنة 1936.
- (4) مانفستو الشيوعية: بيان الحزب الشيوعي، وهو كُتِّبَ نشره كارل ماركس وفريدريك إنجلز سنة 1948.
- (5) البيداجوجيا: علم التربية. والبيداجوجيا مصطلح تربوي يوناني ويعني العبد الذي يرافق الأطفال إلى المدرسة.

المائدة، تقرأ كتبًا مثل كتاب (الوردة البيضاء)⁽¹⁾ بنفس الشَّغَف الذي كانت تقرأ به كتبًا عن الباليه في الأيام الخوالي. كانت تَنهَمِكُ في القراءة لدرجة يمكنك أن تمشي حتى تصل إليها من دون أن تشعر بذلك. أصبحت فضوليَّةً أكثر وأكثر تجاه هذا الرجل الذي جعل أختي تقرأ (لاهوت التحرير)⁽²⁾. لكن كل ما عرفته عنه هو ما أخبرتني هي به. ما كنتُ قد التقيتُ به بعد. ثم ذات يوم، أخبرتني أختي أنه قادمٌ على العشاء. سألتني إذا كنتُ لا أمانع ذلك، لكن كل ما استطعتُ التفكير فيه هو أنني سوف أقابله أخيرًا. لن أنسى أبدًا ذلك اليوم. ليس بسببه، لكن بسبب الطريقة التي تصرَّفتُ بها أختي. استيقظتُ فجراً وأخذت ميونجسو إلى سوق سمك نوريانججين لتشتري كمية من السَّلطعون الأزرق. قالت إنها المفضَّلة لديه. السَّلطعون الأزرق؟ تفاجأتُ. لم يبدُ لي أن هذه المعلومة تتماشى مع شخصية الإنسان الذي استطاع أن يجعل أختي تقرأ (سيرة نقدية لتشي چيفارا). مع هذا اشتريت وميونجسو السَّلطعون وأفرغته داخل حوض المطبخ. انتشرت حيوانات السَّلطعون في كل مكان، مخالها لا تكفُّ عن الحركة. كانت لا تزال مُفَعَمَةً بالحياة لدرجة أن ثلاثتنا قد تعاوَّنا كي نُمسك بها. لم تكتفِ أختي بالسَّلطعون، بل اشتريت قليلاً من كل شيء قادمٍ من المحيط. بدا أنها مُصمَّمة على نقل سوق السمك بأكمله إلى بيتنا: آذان بحر، ومحار، وبخَّاخات بحر، وخيار بحر. لا بدُّ أنها قد صرفت نصف الإعانة التي يرسلها والدانا إلينا- المبلغ الذي يُفترض أن نعيش عليه لمدة شهر. أصبح المطبخ مسرحَ كارثةٍ. كانت السلطعونات قويَّة جداً.

(1) الوردة البيضاء: رمز حركة المقاومة الألمانية السُّلمية في ألمانيا النازية التي نشطت في الفترة من يونيو 1942 حتى فبراير 1943، حيث كانت تدعو إلى معارضة نَشِطَة ضد نظام أدولف هتلر. تألَّفت الحركة من طُلَّاب جامعة ميونخ وأساتذتهم. أكثرهم شهرة صوفي شول، وهي الفتاة الوحيدة في الحركة، وشقيقها هانس شول، وقد أُعدِمَا في 22 فبراير 1943.

(2) لاهوت التحرير: مزيجٌ من اللاهوت المسيحي والتحليلات الاجتماعية الاقتصادية الماركسية، تُشدِّد على الاهتمام الاجتماعي بالفقراء والتحرُّر السياسي للشعوب المضطَّهدة.

أتذكر كيف حدّقت أختي إليها وقد علّت وجهها نظرةً عجز، وكيف سألت ميونجسو ماذا يفترض أن تفعل معها. قال: (ربما سوف تموت إذا نزعيت الصّدْف عنها؟)، حاولت أن تسحب صَدْفَةً عن سلطعون حيّ بيدها، لكن مخالبه كادت أن تلدغ يدها. لم أكن لأتصوّر هذا أبدًا. عندما عشنا في بوسان، لم تُطق أختي الرائحة التي يحملها معه الجَزْرُ، لهذا لم تكن تذهب حتى إلى الميناء. توقّفت السلطعونات عن الحركة قُربَ الغروب وكأَنَّها قد ماتت من شدّة الإنهاك. طهت أختي عدّة قدور مليئة بالسلطعون بالبخار، ثم وضعتها في صينية. حاولنا مساعدتها، لكنها أصرت على فعل كلّ شيء بنفسها. تنامى فضولي بشأن صديقها الحميمي بشكل مُتزايدٍ- ما نوعية الشخص الذي استطاع أن يُغيّر أختي تمامًا هكذا؟ بدا أن ميونجسو لم يرَ أبدًا سلطعونًا يُطهى من قبل. قال إنه اعتقد أنه أحمر اللون دائمًا. اندهش من الطريقة التي اكتسب لحم السلطعون الأبيض اللون الأحمر أثناء الطهي بالبخار، لدرجة أنه واصل رفع غطاء القدر ليلقي نظرةً عليه بعدم تصديقي. تَذمّرتُ: (لماذا السلطعون الأزرق من بين كل الأكلات؟)؛ من الصعب أكله، خاصّةً أمام شخص قد التقيته للتوّ أوّل مرّة. عليك أن تُهشّمه لتفتحه وتُخرج اللحم بأصابعك... لم أستطع تخيّل نفسي أُخرج لحم السلطعون أمام شخص لا أعرفه. فكّرتُ كيف سيستطيع شخصٌ واحد تناوّل هذه الكمية من السلطعون الأزرق حتى لو كان يحبّه. كان من الغريب مشاهدة أختي تطبخ، لكن في الوقت نفسه شعرت بالدهشة والسعادة. كانت أوّل مرّة أشاهدها تطبخ. كانت تعيش في بيتٍ للطالبات عندما انتقلت إلى المدينة أوّل مرة، وعندما أضحينا نعيش معًا، كنتُ وميونجسو نقوم بمعظم الطبخ. لم تُكن دهشتي وسعادتي أنني قد رغبت منها أن تشارك في الطبخ. لم أتوقّع أي شيء منها حقًا. مع هذا ها هي تعدُّ حساء السمك المفلطح وعشبة النار بعد أن نظّفته وقصّته بنفسها".

"أكان طَعْمُهُ جيداً؟".

" لا أملك أيّ فكرة؛ لم يتناول أيُّ أَحَدٍ أيّاً منه. تلك الصفحة بيضاء في مُفكّرتي".

"ماذا حدث؟".

"لم يأتِ حبيبِ أختي في تلك الليلة أبداً" مَتَمَّت ميرو بالكلمات، صوتها خافتٌ كما لو كان يصدر من مكان عميق بداخلها. "لقد اتَّصَلَ بينما تسلق أختي السلطعون. سَمِعْتُها تخبره ألاّ داعي لأن يُحضر أي شيء معه؛ لهذا افترَضْتُ أنه سألها إذا كان ينبغي عليه أن يشتري أي شيء في طريقه إلينا. لا بُدَّ أنه ألحَّ في سؤاله؛ لأنني سمعتها تقول (ميرو تُحبُّ الزَّنابق، لكن زهرة واحدة فقط). نَظَرْتُ إليها فغمَزت بعينها إليّ. بدا أنه يعرف جيداً أين نعيش. لا أعتقد أنه قد سأل عن الاتجاهات. مع هذا مضت ساعتان وبرد السلطعون ولم يظهر أبداً. بعد بُرْهَةٍ، عَمَّ الظلام. علا تَوَتُّرٌ شديدٌ وَجَهَ أختي ميراى، فقلْتُ لها: (لا بُدَّ أن شيئاً ما قد طرأ. يمكننا أن نتناول الطعام معاً في مناسبة أخرى). مَتَمَّت ميراى بشيء إلى نفسها، ثم قالت: (بالطبع يمكننا تناول الطعام معاً في وقت آخر)، ثم أضافت: (ليس العشاء ما يُقلقني. دعونا نأمل ألا يكون قد أصابه مكروه). لم أفهم ما كانت تتحدّث عنه. سألتنا إذا كُنَّا نرغب في تناول الطعام الآن، لكن لم يكن أيُّ مِنَّا في مزاج جيد للأكل وقد بدت هي قلقة للغاية. ذهبت إلى الهاتف وأجرت بضع مكالمات قصيرة قبل أن تَنعَجَلَ حذاءها وتندفع خارجةً من البيت. تبعتها إيميلي حتى الباب، لكنها غادرت من دون أن تنظر نظرةً واحدة إلى الورا. كان سلوكها غريبَ الأطوار. ساور ميونجسو القَلَقُ وقرَّر أن يلحق بها فخرَجْتُ معه. عندما وصلنا إلى أسفل التل، كانت تقف عند حافة الطريق. كان المكان مُظلمًا والأشجار تصطفُ على جانبي الشارع. خطت إلى الطريق وكانت على وشك أن تركز

لتعبه. اندفعت حافلةٌ مُسرِّعةٌ أمامها مباشرة ثم توقفت سيارة أجرة. دوى صرير عجلاتها. أخرج السائق رأسه من نافذة السيارة وأخذ يوجّه السباب إليها. أمسك ميونجسو بيدها وقادها فوق الرصيف ثانية، لكنها ما انفكت تحاول التملُّص من قبضته والركض إلى الطريق. أَحَطنا بها وأبقينا عيوننا عليها. لم تُنصت إلينا. بدت عصبيةً جدًا لدرجة أننا لم نَقوَ على تركها بمفردها. في النهاية أخبرت ميونجسو أنه يجب علينا أن نَجْرَّها بالقوة إلى البيت إذا اقتضى الأمر، لكنها قفزت إذ فجأةً إلى داخل سيارة أجرة توقفت عند حافة الطريق واختفت من أمام عيوننا في لحظة. تَسَمَّرنا في مكاننا، نُحدِّق إلى سيارة الأجرة المنطلقة، لوقتٍ طويل، قبل أن نمشي بخطوات متناقلةٍ صاعدين التلِّ مُجدِّدًا. كان الوقت متأخرًا. غطى ميونجسو السلطعون المطهوَّ وأبعد الطعام الموضوع فوق المائدة. مع رحيل أختي، لم نستطع تصوُّر أننا سنتناول أي طعام".

رنَّ الهاتف مُجدِّدًا، وغطى على صوت الكونشيرتو الذي كان قد بدأ من جديد. توقَّف الرنين ثم عاد ثانية. شتَّتني رنين الهاتف لدرجة أنني فَوَّتُ بعض ما قالته ميرو. لم تُبْدِ ميرو أيَّ رِدَّةٍ فِعَلٍ على رنين الهاتف. في الحقيقة كانت شارِدةً في أفكارها لدرجة أنني لم أستطع حمل نفسي على سؤالها لماذا لم تُجِب على الهاتف. تداخَلَ رنين الهاتف مع موسيقى البيانو قبل أن يتلاشى.

"لم تعد أختي إلى البيت في تلك الليلة أو اليوم التالي. ذهبنا إلى جامعتها وتفقدنا كل قاعة مُحاضرةٍ ربَّما تتواجد فيها، لكن لم نعثر عليها. كان قد مضى يومان على رحيلها. لم أمتلك أدنى فكرة عن المكان الذي يمكن أن تكون فيه، أو ماذا تفعل، لكنها عادت وقد بدا عليها الشحوب والإنهاك. عيناها محتقتان بالدم كما لو أنها لم تَدُقْ طعم النوم للحظة. سألتها (ماذا حدث؟)، لكنها نظرت إليَّ بعيون جاحظة وحسب. ارتمت على الفراش وراحت في النوم. اضطررت وميونجسو

إلى التخلُّص من كل المأكولات البحرية التي اشترتها ميراي. تعفَّن السلطعون وفاحت منه رائحة فظيعة. نظَّفنا المطبخ ومسحناه كي نتخلَّص من الرائحة. في كل مرة أفتح باب حجرة نومها، أجدُها لا تزال نائمة.

رقدت إيميلي فوق الوسادة وأبقت عينيها على ميراي. مسح ميونجسو وجهها بقطعة قماش مُبلَّلة. نظَّفتُ يديها وقدميها. كانت مُرهقةً جدًّا لدرجة أنها ظلَّت نائمة أثناء كل هذا. بعد النوم كما لو كانت مَيِّتة لنحو اثنتي عشرة ساعة، استيقظت فجأة كما لو أن أحدهم قد أزعجها، وبدأت تُجري المزيد من الاتصالات. ازداد وجهها شحوبًا مع كل مكاملة. في النهاية وضعت السَّماعة ودفنت وجهها بين يديها لوقت طويل، ثم التقطت حقيبتها. سألتها أين ستذهب لكنها لم تَرُدَّ.

لم أستطع السماح لها بالمغادرة ثانية. صرختُ: (ماذا عنَّا؟ لا يمكنك أن تتركينا في الظلام هكذا؟! لا بُدَّ أن تخبرينا شيئًا قبل أن ترحلي!)، كانت أول مرة أصرخ في وجهها منذ تلك الحادثة في بيت جدتنا. انهارت على الأرض ونظرت إليَّ من خلال عينيْن محتقنتين بالدم. قالت: (إنه مفقود يا ميرو). لم أعرف ماذا عنَّت في البداية؟ كيف كان بإمكانني تكهُّن ذلك؟ كم تمثيْتُ لو كان بوسعي تَوْقُّع ما سيأتي بعد ذلك. ولو قليلًا فقط. لو فعلت، لما كنتُ قد تركتها تغادر. قالت: (يجب أن أعرِّث عليه). بَدَت هادئة ورايطة الجأش مُقارنَةً بكيف بَدَت عندما كانت تُجري تلك المكالمات الهاتفية، أو عندما انهارت على الأرض أمامي منذ لحظات.

سألتني إذا كان من الممكن أن تُرسله للاختباء في بيت جدتنا إذا عثرت عليه. كانت أوَّل مرَّة نتحدث فيها عن ذلك البيت منذ كُنَّا صغيرتين. وضعتُ مفتاح البيت في كَفِّها. لم أملك أدنى فكرة عن سبب

اختفائه يا يون، لكن تَمَنَيْتُ من كل قلبي أن يجد ملاذاً في بيت جدّتنا. إذا كان مضطراً للاختباء، رغبت أن يختبئ هناك. لم أعرف إذا كان إنساناً صالحاً أم طالحاً، أو ماذا فعل. لكن بَدَت أختي مُنْهَكَةً ومُغْتَمَّةً لاختفائه؛ لهذا تَمَنَيْتُ أنه في مكان ما حيث يمكن لأختي أن تجده. لم أعتقد أبداً أنني سأشعر بتلك الطريقة تجاه إنسان لم أقابله أبداً. مشيت مع أختي حتى الباب الأمامي، وطلبتُ منها أن تتصل بي كل يوم في التوقيت نفسه. قالت إنها ستتصل بي في منتصف الليل. في البداية حافظت على وعدھا. كنتُ أسألها هل كل شيء على ما يرام، وكانت تجيب بسرور أنه كذلك. لكن كان صوتها يخمد عندما أشرع في طرح المزيد من الأسئلة. انخفض عدد مكالماتها من مكاملة كل ثلاثة أيام إلى مكاملة كل خمسة أيام فقط، ثم توقّف الهاتف عن الرنين. من حين إلى آخر كانت تظهر فجأةً حيث تبدو في حالة مُزْرِية. تنام كالميتة حتى تستعيد نشاطها، ثم تأخذ بعض النقود وتغادر ثانية. أحياناً كانت تربّت على إيميلي، ونظرة شاردة في عينيها كما لو كانت قد أتت فقط لرؤية القطة. بدت لي الأيام التي كانت تعود فيها إلى البيت لتنام من شدّة التعب أنها الأيام التي تكون قد تلقتُ فيها أخبار فظيعة عن حبيبتها المفقود. بعد أن تدلف إلى البيت بخطوات مُتثاقِلَةٍ، وتنام، كانت تبدأ فجأةً في الحديث عنه. أخبرتني أنه في اليوم الذي كان يفترض أن يأتي فيه إلى هنا لتناول العشاء، داهم بعض الرجال بيته للبحث عنه. إذا حسبنا الوقت، فلا بُدَّ أن ذلك قد حدث مباشرة قبل أن يغادر إلى منزلنا. (مَن هم هؤلاء الرجال ولماذا ذهب معهم بدلاً من القدوم إلى هنا؟)، واصلتُ أختي طرح أسئلة لا يمكنني إجابتها. بَدَت أسوأ وأسوأ في كل مرة تعود فيها إلى البيت. (شاهدّه أحدهم يركب سيارة أجرة مع أولئك الرجال، لكنه قفز خارج السيارة وركض هارباً. ماذا حدث في سيارة الأجرة ودفعه إلى الفرار؟) كانت تُتَمَتِّمُ إلى نفسها. ذات يوم أخبرتني أن اسمه الحقيقي

هو مينهو. افترضتُ أنها قد التقت بأسرته. أعتقد أنها وأخوه الأكبر كانا يبحثان عنه سويًا. بدت متفائلة، وقالت إن أخاه قد يتمكّن من العثور عليه، وأن أخاه يشبهه تمامًا. (يناديه بـ "مينهو")، تمتمت اسمه عدّة مرات. في مرة أخرى، عادت إلى البيت وقالت إن أحدهم قد شاهده يهرب إلى داخل الغابة أمام نقطة تفتيش تابعة للشرطة، لكن بدت مُحَبَطَةً وقالت إنه اتّضح أنه لم يكن هو. ثم قالت، (لا، لا، ذلك شيء جيد. ما الذي سوف يستفيدة من الاختباء في الغابة؟). استطعتُ أن أعرف أين كانت فقط من خلال الأشياء التي كانت تقولها باندفاع. أخبرها أحدهم أنه شاهد جُثته تطفو تحت جسر في بحيرة تشونجنا. ذهبت إلى تشونجنا لكن لم يكن هنالك أي أحدٍ، ولا حتى شخص يمكنها أن تسأله. في يومٍ آخر تمتمت: (لماذا صعد على متن ذلك القطار يا ميرو؟). كانت ترجع إلى البيت، تقول أشياء لا أفهمها، وتنام كالموتى، ثم تغادر من جديد. وفي كل مرة تَعِدُّني وعدًا لا تُنفّذه بأنها ستصل بي كل يوم. كنتُ عاجزةً أمامها بصورة مُضحكة. على الرغم من أن ذلك كان يجعلها تعبس، فإن الشيء الوحيد الذي كنتُ أستطيع قوله لها كان (إذا لم تَعِدِينِي بأن تتّصلي بي كل يوم، فلن أسمح لك بالرحيل!). ما عرفته أختي من بحثها المتواصل أن عددًا كبيرًا جدًّا من الأشخاص قد اختفوا- الأمر لم يقتصر على حبيبها فقط. خلال بحثها عنه، بدأتُ ألاحظ أن الكثير من الناس كانوا يتجوّلون في الأرجاء بحثًا عن أَحِبَّتِهِمْ، وأصدقائهم، وزملائهم في العمل، وأبنائهم الذين اختفوا فجأة. كيف يمكن لشيء كهذا أن يحدث؟".

توقّفت ميرو عن الحديث للحظة. استشعرتُ أنها مُمزّقة بين الحاجة إلى المتابعة والبوح، ومعرفة متى ينبغي عليها أن تتوقّف. بدت مُعذّبةً بالكلمات التي لا تستطيع كتمها بداخلها، كما لو كان ثمة شوكة عملاقة محشورة في حلقها. وضعتُ يدي فوق يدها.

"إذا كان الأمر صعبًا عليكِ" قلتُ، "يمكنك التوقُّف عند هذا الحد. يمكنك إنهاء القصة لاحقًا".

"لا، أرغب في الحديث عن الأمر. لكن فقط إذا كنت لا تمنعني ذلك".

رَنَّ الهاتف ثانية. تجاهلته ميرو وتابعت:

"تلقيتُ مكالمة هاتفية من أختي في وقت مبكر من صباح أحد الأيام. قالت إنها عادت وتحتاج إلى الاستحمام. طلبت مني أن أقابلها في الحمام العمومي. اعتقدتُ أنها عنت بكلامها هذا أنها قد عادت بشكل نهائي. حَزَمْتُ ثيابًا نظيفة من أجلها. لباس داخلي وفرشاة أسنان ومنشفة... وهذه التُّورة".

أبعَدت يدي عن يدها وأشارت إلى التُّورة المزخرفة بالزهور، والتي كانت لا تزال ترتديها.

"إذا فقدت كنت تُّورة أختكِ؟".

"أجل. كانت ترتديها دائمًا في أرجاء البيت" أجابت، ثم استطرقت: "حملتُ سلَّة استحمامها وذهبت إلى ذلك الحمام العمومي الذي كُنَّا فيه أنا وأنتِ آخر مرة. كانت بالداخل بالفعل. استحمننا سويًا كما كُنَّا نفعل ونحن صغيرتان. دعكت كلِّ منَّا ظَهْر الأخرى، وغسلت كلِّ منَّا جسد الأخرى بالماء. بدا وجه أختي -التي لم يفارق التوتُّر وجهها منذ اختفاء حبيبها- مسالمًا ذلك اليوم. اعتقدتُ أنها ربما عثرت عليه. عرضت عليَّ أختي أن تغسل شعري. اعتادت أن تفعل ذلك أحيانًا عندما كُنَّا أصغر سنًا. أَحْبَبْتُ الأمر حين كانت تغسل شعري. عصرت الشامبو في راحة يدها ودعكت فروة شعري بأصابعها برِقَّة. مسحت الرغوة وغسلت شعري بالماء عدَّة مرَّات، حتى باتت المياهِ صافيةً، ثم مَشَّطْتُ شعري لتفرده، ثم لَفَّتَه إلى أعلى في ضفائر ثَبَّتَها في مكانها بمشابك شعر. مَسَّدت مؤخرة عنقي وسألتنى كيف

تجري الأمور في الجامعة. لسعت عينيّ دموعٌ انحدرت منها على نحو مفاجئ. فكّرتُ أن حقيقة أنها تسألني عن الجامعة تعني أنها قد عادت إلى رشدها. مكثنا في الحمام العمومي لوقت طويل. عندما عدنا إلى غرفة تغيير الملابس، كانت أطراف أصابع أقدامنا متورّمة ومتجعّدة بسبب المياه. جفّقت أختي جسمي المبلّل بمنشفةٍ وجفّقت شعري حتى ثم دهنت كريمًا على ظهري. ارتدت الثياب التي أحضرتها من أجلها، لكن عندما شاهدت التنورة، قالت إنها سوف ترتديها في البيت. اعتقدتُ أن البنطلون الجينز مُتسخٌ جدًّا كي ترتديه ثانية، لكن لم أفكر في الأمر كثيرًا. خرجنا من الحمام العمومي حيث استعادت حقيبتها عند منضدة الاستقبال. كانت حقيبة ظهرٍ كبيرة لم أرها من قبل، من ذلك النوع الذي تستخدمه عندما تذهب للتخييم في الغابة أو في رحلة طويلة عبر البلاد. بدت ثقيلة جدًّا؛ فاقترحتُ عليها أن تخلعها كي نستطيع أن نحملها معًا. قالت إنها لم تكن ثقيلةً كما تبدو، ثم اقترحت أن نتناول شيئًا رغم أنه لم يكن وقت الغداء؛ ففهمتُ أنها جائعة؛ لذا تبعثتها من دون اعتراض. قادتنني إلى مطعم سوشي افتُتح حديثًا في الشارع الرئيسي، كنت أرغبُ في الذهاب إليه منذ فترة. لم تحب أختي السوشي. ذكّرتُ لها مرة أن المطعم يبدو جيدًا، لكن لم نذهب إليه أبدًا من قبل. طلبنا تشكيلة متنوّعةً من لفائف السوشي وشعيريّة أودون⁽¹⁾. لدهشتي، بدا أنها تستمتع بالطعام رغم أنها استمرّت في قول إنها لم تتناول مثل هذا الطعام من قبل. كانت جبهتها تتصبّب عرقًا وقد التهمت كلّ حصّتها من قطع السوشي. بعد أن فرغنا من تناول الطعام، أخرجت مظروف مانيلاً من حقيبة ظهرها وطلبت مني أن أحفظ به من أجلها. سألتها إذا كانت ستعود إلى البيت. قالت إن عليها إعادة حقيبة الظهر. أخبرتنني أن أسبقها إلى البيت وسوف تلحق بي لاحقًا. بدت كأنها تعني ذلك حقًا. أثناء

(1) أودون: نوع من المعكرونة اليابانية السميقة، تُصنّع عادة من دقيق القمح.

خروجنا من المطعم، أخبرتني أن أُسرِع إلى البيت، فقلتُ لها: (عديني بأنك سوف تعودين)، أو مَات، بينما تسير مُبتَعِدَةً عَنِّي، قلتُ لها مرّة ثانية: (عديني). قالت: (حسنًا)، ثم كرّرت: (أسرعي وعودي إلى البيت). قلتُ لها إنني سأنتظر حتى تركب سيارة أجرة، لكنها أخبرتني أن أرحل، ودفعتني دفعةً خفيفةً. لم يكن بوسعي فعل أي شيء؛ لذا التفتُ لأغادر. في تلك اللحظة نادتني وعانقتني. كانت رائحتها تشبه رائحة الصابون الذي تشارَكنا استخدامه في الحمام العمومي. (أنا آسفة يا ميرو. أنا آسفة) قالت ذلك مرّتين. أخبرتها: (لا بأس، طالما سوف تعودين إلى البيت). حرّرتني من بين ذراعيها وأخبرتني من جديد أن أُسرِع وأمضي في طريقي. قلتُ: (أراك قريبًا يا أوني)⁽¹⁾. وبدأتُ أسير تجاه البيت. عندما التفتُ ونظرت إلى الورا، كانت تقف هناك تشاهديني. ثم التفتت بسرعة ورحلت. لا أعرف ماذا كان سبب ذلك، لكنّ شيئًا ما لم يَبْدُ طبيعيًا. شعرت أنني لا يجب أن أدعها ترحل. ركضت وراءها. شاهدتها تعبر الشارع وهي تحمل حقيبة الظهر الثقيلة، ثم أوقفت سيارة أجرة. عبرتُ الشارع بسرعة وقفزتُ داخل سيارة أجرة أخرى. أشرتُ إلى سيارة الأجرة التي استقلتها وطلبت من السائق أن يتبّعها".

رنّ الهاتف ثانية. هذه المرة توقفتُ ميرو عن الحديث وأنصتت إلى الهاتف يرنُّ. مَنْ هذا الذي يتّصل بها بهذا الإلحاح في مثل هذه الساعة؟.

"أيمكّنك احتمال الاستماع أكثر قليلًا يا يون؟".

"واصلي الحديث".

"قد تندمين على ذلك. ستندمين على أنك قد عرفتي".

(1) أوني: الاسم الذي تتادي به الأخت الصغرى على أختها الكبرى بالكوريّة.

" لا بأس. تحدّثي."

أمسكت ميرو بيديّ بين يديها المشوّهتين بالندبات. "إذا كان الاستماع إلى ما سأقوله صعبًا، أخبريني أن أتوقّف. فقط قولي: هذا يكفي، تمام؟".

"تمام".

"كانت سيارة الأجرة التي استقلّتها أختي تتوجّه إلى جامعة حبيبتها. عندما اقتربنا من الجامعة، كان المرور مزدحمًا والسيارات متوقفة. ترجّلت أختي من سيارة الأجرة ففعلتُ مثلها. يكتظُّ الشارع المؤدّي إلى الجامعة بالناس. اعتقدتُ أنهم قد أقاموا مسيرةً للاحتجاج على اختفائه. وقعت عيناى على راية طُبِعَ عليها اسمه ووجهه ترفرف في الرياح. توقّفتُ ميراى ونظرتُ إلى صورته. ظنّنتُ أنها ستنضمُّ إلى المسيرة؛ فقررتُ العودة إلى المنزل، ففي النهاية كنتُ لا أزال أحمل سلّتي الاستحمام الخاصّتين بنا. لكن أختي عبرت الشارع بدلاً من الانضمام إلى مجموعة المحتجّين. توقّفتُ أمام بناية من عشرة طوابق وحدّقتُ إلى السطح. حدّقتُ إلى أعلى بدوري متسائلةً إذا كانت قد لمحت شيئًا ما بالأعلى هناك، لكن لم أستطع معرفة إلى ماذا تنظر. ماذا تفعل هنا؟ فكّرتُ وواصلتُ تتبّعها. تجوّلتُ بعينيها في أرجاء البناية وهي تحمل حقيبة الظهر الثقيلة على كتفيها. اختفتُ من مجال بصري فجأة. هرولتُ وأنا أحمل السلّتين في يديّ إلى واجهة المبنى حيث اختفتُ وبحثتُ عنها في كل مكان. كان الأمر غريبًا. لم يكن هنالك مقاهٍ أو مطاعم بالداخل. كانت البناية مجرد مَقَرِّ شركة اتصالات. في المكان الذي اعتقدتُ أنها ربما اختفتُ فيه كان يوجد دَرَجٌ. صعدتُ درجاته. الطابق الثاني فالثالث فالرابع، حتى وصلتُ أخيرًا إلى الطابق التاسع والعاشر. بعد ذلك وجدتُ نفسي أمام السطح. تساءلتُ لماذا ستصعد أختي إلى سطح مبنى شركة اتصالات

من دون سبب واضح، قبل أن أهمم بالالتفاف والهبوط ثانية. لكن في تلك اللحظة لمحتُ ميراى عبر شقِّ في الباب المؤدِّي إلى السطح. كانت تقف عند حافة السطح وتنظر إلى أسفل نحو الشارع حيث يقف المتظاهرون ورجال شرطة مكافحة الشغب، يواجه كلُّ فريق منهما الآخر. بدتْ يائسَةً جدًّا. حتى تلك اللحظة لم أمتلك أي فكرة عمَّا تُخطِّط لأن تفعله. كيف كان بإمكانى أن أعرف أنها تُخطِّط لفعل شيء مُتطرِّفٍ ومُرعبٍ جدًّا؟ نظرتُ إلى الناس في الأسفل ثم خلعتُ حقيبتها عن كتفيها ووضعتها على الأرض. فتحتُها ونظرتُ داخلها لبرهةٍ كما لو كانت تستجمع شجاعتهَا. حتى حين أخرجتُ حاوية بلاستيكية بيضاء، وقفتُ متسمِّرةً في مكاني، غافِلَةً تمامًا عمَّا تفعله. نزعتُ سداة الحاوية وجاهدتُ كي ترفعها فوق رأسها. غمرتُ نفسها بمحتوى الحاوية من قِمة رأسها حتى قدميها. ماذا تفعل؟ تساءلتُ في قلبي ودَفَعْتُ الباب لأفتحه. ثم اخترقتُ الرائحة منخاري. أدركتُ الأمر في لحظتها. كانت رائحة جازولين. ركضتُ إليها وحاولتُ أن أصرخ. لكن لم يخرج أي صوت من حنجرتي. فقد لساني الإحساس تمامًا وتخبَّطُ داخل فمي كأنه قد نسي كيف يتكلَّم. عندما تمكَّنتُ أخيرًا من أن أصرخ بالكلمات (أويُّ! أويُّ!)، التفتتُ لتنظر إليَّ. وجهها شاحب من شدَّة الخوف. لمعتُ قِمتا رأسينا تحت الشمس الحارقة. بدا كأن كل الضوضاء والصياح في الشارع في الأسفل قد توقَّفت إذ فجأة. أضحى كل شيء صامتًا كما لو كُنَّا في فراغ. فقط نحن الاثنان. (لا تقتربي أكثر يا ميرو. اخرجي من هنا. عودي إلى البيت). توَسَّلتُ كي أرحل. لكن لم ترفع صوتها أبدًا. (هيا، تحرَّكي واخرجي من هنا. أرجوك، ارحلي يا ميرو!). غَطَّيْتُ أذنيَّ بيديَّ وصرختُ: (هل أنتِ مجنونة؟ أرجوك لا تفعلي هذا! إنه لا يستحقُّ أن تفعلي هذا من أجله...) مرَّتْ الثواني ببطء شديد كأنها لا تتحرَّك. وقفنا هناك على السطح، تُحدِّقُ كُلُّ مِنَّا إلى الأخرى، في توَسُّلٍ. أرجوك. لا. ثم بدا أنها لم تستطع الانتظار أطول

من ذلك. انحنيت وفتّشت في حقيبة الظهر، والجازولين يتقاطرُ منها، وسحبت شيئاً ما خارجها. اندفعتُ إلى الأمام وأمسكت بحقيبة الظهر لكنها دفَعَتني بعيداً. سقطتُ إلى الوراء. حاولتُ أن تُشعل القَدَاحَة، لكنَّ يديها كانتا زَلَقَتَيْنِ جدًّا، فأخرجت علبة ثقاب وأشعلت عود ثقاب. صرختُ وقفزت واقفة. عندما أمسك اللهب الصغير لعود الثقاب بجلدها، أمسكتُ بيديها فأحرقت النيران يديَّ. شعرت كأن آلافًا، عشرات الآلاف من الإبرِ الحارَّةِ المُلتهبة تخترق يديَّ في اللحظة نفسها. شاهدت جذوة النار تُمسك بحاشية قميصها، ثم التهمت وجهها وشعرها في لحظة. لم أفعل شيئاً سوى الجزع. كل ما أتذكُّره هو الدخان الأسود. أصوات الجمهور في الأسفل الذين لفتنا انتباههم أخيراً. صيحات مُعذِّبة... وأخيراً أختي وهي تهزُّ يديَّ لتتخلَّى عنها... وجسدها وهو يسقط من فوق الدرابزين. شاهدتُ جسدها المحترق يطفو في منتصف الهواء للحظة. ذراعاها مفرودان نحو السماء. انهرتُ على ركبتيَّ كما لو أن شيئاً ما قد طرحني أرضاً. عَجَزتُ عن الحركة. ظنَّنتُ أنني قد سمعت هزيمَ رَعْدٍ، ثم رأيت برقًا ينبعث من السماء، لكن كانت مجردَ هلوسة. كانت السماء زرقاء جدًّا في ذلك اليوم.

اندفع الناس فوق السطح ونقلوني إلى المستشفى".

مكتبة
t.me/t_pdf

مذكرات ميونجسو

المفكرة البنية "7"

-1-

سألني يون التي باتت مُقلّة كثيراً في كلامها بعد أن قضت تلك الليلة في بيت ميرو: "أين كنتَ عندما ماتت أخت ميرو؟". كُنَّا قد فرغنا للتوّ من تناول حساء شعيرية أعددته في مطبخ يون، وكنتُ أقف على السطح، أشخص ببصري نحو برج نامسان الذي يلمع على مبعده. طلبت يون مني أن أعد الحساء بينما نمشي عائدين إلى شقتها من الجامعة. كنتُ أعد لها الحساء من حين إلى آخر. كانت شجيرة النخيل فوق مكتب يون تنمو. جلست يون على المائدة القابلة للثني في المطبخ وقد أسندت ذقنها إلى يدها وراقبتني وأنا أملأ قدرًا بالماء وأضعه فوق الموقد. الطهي من أجلها يُذكّرني بالحياة مع ميرو وأختها ميراي. لكن عندما قدّمتُ لها الحساء بعد طهيته، بالكاد لمستّه. استمرّت في نقل الشعيرية من طبقها إلى طبقي. "ألم تقولي إنك

تريدين تناول الشعيرية؟" سألتها. قالت بنبرة باردة: "ليس بعد الآن". تناولتُ كل الشعيرية الخاصة بها تقريبًا مع شعيريتي. انتظرت يون حتى أصبحنا خارج شقتها فوق السطح، ننظر إلى أسفل نحو أضواء المدينة كي تسألني أين كنتُ عندما ماتت أخت ميرو. غاص قلبي في مكانه. اندفعت قائلاً لسبب غيبي لا أعرفه: "إذًا تعرفين الآن؟"، فقالت لي: "لم أكن أعرف أن شقيقة ميرو هي يون ميراى التي انتشر خبر انتحارها". لم أمتلك الشجاعة كي أسألها إذا كانت تعرف أن الندبات على يديّ ميرو بسبب إمساكها بأختها. لكن بدا أن يون تخمّن ما أفكّر فيه؛ لأنها ذكرت الأمر قبل أن أستطيع أنا. لم يتحدث أيٌّ منّا للحظة. شعرت بكتلة في حلقي. مَدَدْتُ يدي نحو يد يون لكنها سَحَبَتْهَا بعيدًا. كانت تلك اللحظة هي اللحظة التي أدركتُ فيها كم مَنِيئٌ سرًّا ألا تصبح يون وميرو صديقتين أبدًا. ومضت أضواء المدينة فوق وجه يون. قالت: "كيف حدث شيء كهذا؟" تجهّم وجهها. بدا كأن أم ميرو قد انتقل إليها. "كيف حدث ذلك؟" لقد سألت نفسي السؤال ذاته مرّاتٍ عديدة. حبيب ميراى الذي اختفى في الليلة التي كان يفترض أن نتناول فيها العشاء سوياً، غالباً مَيِّتٌ بالفعل. داخل المظروف الذي أعطته ميراى لميرو مُذْكَرَاتٍ مُفصَّلة عن كل شيء عرفته أثناء البحث عنه. لا بُدَّ أنها قد أدركت أنه لن يعود أبدًا. ربما فعَلت ما فعلته لأنها واجهت الحقيقة أخيراً. قالت إنه في الليلة التي كان يفترض أن ينضمَّ إلينا فيها على العشاء، شوهد يستقلُّ قطارًا مع رجال غرباء أتوا للبحث عنه في الجامعة. بعد أن ماتت أختها، أخذت ميرو مهمة البحث عن حبيب أختها على عاتقها، وانضمتُ أنا إليها. هكذا اكتشفتُ اختفاء الكثير جدًّا من الأشخاص. عُثِرَ على بعض المفقودين موتى لاحقًا داخل سيارات مُحطّمة، أو بجماجم مُهشّمة؛ بسبب ما قيل إنه "سقطات عرضية"، أو مَعِدَّةٍ مُنْتَفِخَةٍ بالمياه في صهاريج، حيث لا مُبرّر لوجودهم هناك. قالت يون إنها لا تعرف

ماذا تقول أو تفعل من أجل ميرو. "سماح الأمر مؤلِّمٌ جدًّا" قالت. "فكيف تستطيع ميرو...؟". لم تتفوّه يون بكلمة أخرى حتى رحلت. غادرت شقَّتها بعد منتصف الليل، وكنتُ أسير هابطًا التل عندما هتفت باسمي وأتت تركض نحوي. عندما التفّت، ألقّت نفسها بين ذراعيّ وأخبرتني ألا أذهب. يمكنني الشعور بصدرها يعلو وينخفض مقابل صدري. بلّكت دموعها ظهرَ قميصي. وقفنا في تلك البقعة كما لو أننا لن نتزحزح من مكاننا أبدًا.

-2-

سألني ميرو إذا كنّا نستطيع الانتقال للعيش معًا.

"كما كنّا في الماضي. لكن هذه المرة مع يون؟" سألتني. بعد الليلة التي قضياها معًا لم يعودا يون ميرو وجونج يون بالنسبة إلى كلٍّ منهما. تخليًا عن الرسميات تمامًا، وأصبحتا: ميرو ويون فقط. أمسى وجه ميرو هذه الأيام مُشرقًا بينما أضحى وجه يون مُتجهّمًا. سألتُ ميرو إذا كان ذلك ما تريده حقًّا، فقالت: نعم.

"هل وافقت يون على هذا؟" سألتها. قالت إنها تنتظر ردّها. "في البيت نفسه كالسابق؟" أوأمت. "إذا وعدتني أنك سوف تتوقّفين عن البحث عنه" أخبرتها. "سوف أنتقل للعيش في البيت معك".

تمتّت بشيء ما بصوتٍ لا يُسمع. كنتُ خائفًا ممّا قد تقوله بعد ذلك.

"لقد قالت يون إنها ستساعدني في البحث عنه" قالت أخيرًا.

تحاشت النظر في عينيّ. شعرت أنها تسألني إذا كنتُ قد نسيت أمر ميراي بالفعل. بعد كل الوقت الذي قضيناه في البحث عنه، أدركتُ بداخلي أنه قد مات. لا بُدَّ أن ميرو تدرك ذلك أيضًا. كيف لا تستطيع الشعور بما أشعر به؟ لقد سَكَبَتْ أختها الجازولين فوق جسدها وأضمرت النار في نفسها كي تبعث رسالة إلى الجميع عن اختفاء حبيبها المريب وموته الغامض. مجرد التفكير في الأمر يجعل كلَّ ذرَّة في جسدي تتوجَّع. كما لو كنت أنا من احترق. إذا كان هذا هو شعوري ولم أكن حتى هناك، فلا يمكنني تخيُّل كم كان الأمر أسوأ بالنسبة إلى ميرو التي شاهدت أختها تحرق نفسها حتى الموت أمام عينيها.

لا بُدَّ أن ميراي تواصل الاحتراق في ذهن ميرو طيلة الوقت. شعرت بغضب واستياء شديدين نحو ميراي. ألم تكن هنالك طريقة أخرى كي تُوصَل رسالتها إلى العالم؟ رغم تعاطفي مع الشعور الذي لا بُدَّ وقد انتابها- ما كان عليها الإقدام على هذا. سألت ميرو إذا كانت ترغب في أن تعاني يون مثلنا.

"ماذا تعني بـ (مثلنا)؟" قالت ميرو.

صرختُ في وجهها: "انظري إلينا! هل تعتقدين أننا طبيعياً؟ انظري إليك! إنك تُهدرين حياتك!".

لم تكن كلماتي مُوجَّهَةً إليها فقط، بل إلى ذاتي أيضًا.

بعد انتحار ميراي، سمحتُ وميرو لكل شيء أن ينهار. ماذا كان سيحدث لنا لولا يون؟ مجرد التفكير الآن في الحياة بدونها يجعلني أشعر أنني محبوس داخل كهف.

-3-

مع مرور كل يوم، أضحي ألم ميراي ألمي. لا بُدَّ أنها قد عَلِمَت بموت الآخرين الذين اختفوا أيضًا أثناء بحثها العثي عن حبيبها المُختفي تمامًا كما عرفنا أنا وميرو ذلك خلال بحثنا. لماذا صعد على متن ذلك القطار بصحبة أولئك الغرباء، عندما كان يفترض به تناول العشاء معنا؟ متى كان يُخطِّط للانسحاب مع القادة الآخرين من تنظيمه السياسي؟ قال أحدهم إنه قد عُثر على جُثته على سطح جزيرة. لكن اتَّضح أنها ليست جُثته. ذهبت ميراي بنفسها غالبًا إلى تلك الجزيرة أيضًا. لا بُدَّ أنها عرفت أنها ليست جُثته، لكن ربما عجزت عن مَحْوِ صورة جُثة ذلك الشخص التي انجرفت في المحيط، وجثة الآخر الذي قيل إنه انزلق وتهشَّمت جمجمته. وجُثَّتِ المختفين التي عُثر عليها في الصهاريج وأثبت التشريح الجنائي أن رئاتهم وكلاهم وطحالاتهم وقلوبهم وأكبادهم قد امتلأت بالعوالق⁽¹⁾.

-4-

تولَّى ناك سوجانج قيادة جولات المشي في المدينة. في اليوم الأول من جولتنا الليلية حول جدار الحصن القديم برفقة ناك سوجانج والأستاذ يون، أتت يون مع صديق. قالت إنهما قد كُبرَا معًا وأنه استقلَّ قطار الليل من دون أن يخبرها أولًا؛ لهذا اضطرت لأن تُحضره معها. اسمه داهِن. استمع داهِن بهدوء بينما تُقدِّمه يون إلى المجموعة.

(1) العوالق: مجموعة من الكائنات الحية تعيش في المياه العذبة والمالحة مثل الأمشاج واليرقات وقناديل البحر والطحالب وغيرها. تعيش العوالق في أغلب الأحيان في حالة مُعلَّقة، سواء بشكل سلبي أو عن طريق السباحة ضدَّ التيار.

"سوف ألتحق بالجيش خلال أسبوع." قال. "لهذا أتيت إلى المدينة لرؤية يون قبل ذلك".

لا أعتقد أن يون كانت تعرف أنه سيبدأ خدمته العسكرية. اتسعت عيناها دهشةً. قررنا أن نداعبه قليلاً.

"هل اشتريتَ بندقيةً؟"

"بندقية؟" سأل.

"أجل. بندقية إم 16. انتظر، هل تعني أنك سوف تلتحق بالجيش ولم تشتترِ بندقيتك بعد؟"

"أيفترض أن أفعل ذلك؟" بدا داهن جاداً جداً، لدرجة أن الأستاذ يون وميرو انفجرا ضاحكين. فقط يون من لم تضحك.

"يجب أن تمتلك بندقيةً."

"يجدر بك أن تذهب وتشتري واحدة حالاً."

"أعرف مكاناً يمكنك أن تشتري منه بندقية. يمكنني إرشادك إليه."

بدأ الجميع يشارك في المحادثة. أخبروه عن نوع البندقية التي يجب أن يشتريها وأي متجر قرطاسية يبيعها بسعر رخيص. أضاف الأستاذ يون حتى، "تأكد من إضافة رصاص حيٍّ إلى صندوق غدائك".

بلع داهن الطعم وحدق إلينا مصدوماً وهو يقول: "حقاً؟ حقاً؟". لكن حين أدرك أخيراً أننا نمزح، استرخى وجهه وضحك بدوره.

"لا تقلقوا" قال. "سوف أجد بندقيةً جيّدة. انتبهوا!".

بينما نمشي، لم أستطع التوقف عن الالتفات والنظر إلى يون وداهن. حتى ميرو التي كانت تتبع الأستاذ يون كظلّه، كانت تلتفت لتنظر إليهما من حين إلى آخر. بدا أن يون من تتكلم أغلب الوقت بينما داهن يستمع إليها. سمعتها تسأله: "ماذا ستفعل لتتجاوز التدريبات

العسكرية؟ وماذا لو صادفتَ عناكب في العراء أثناء التدريب؟" بدت قلقَةً. لكن لماذا العناكب بالتحديد؟ تملّكني الفضول لسماع المزيد، لكن أصواتهما قد باتت خافتة. أدهشتني حقيقة أن يون يمكنها الحديث بحرية شديدة مع شخص ما لدرجة أن ذلك قد وتّرني قليلاً.

مكتبة
t.me/t_pdf

-8-

قاربٌ صَغيرٌ مُنفرد

يون.

ظننتُ أنني لن أكتب لأبي أحد في الخارج حتى أنهى خدمتي العسكرية. لكن ها أنا هنا أكتبُ إليك؛ لذا افترض أنه كان قرارًا بلا معنى. كتبتُ على ورقة بيضاء اسمك بالكامل: "جونج يون"، ثم كتبتُ اسمك الأول فقط: "يون"، وهكذا دواليك، لأكثر من عشر مرات. الآن فقط كتبتُ "يون" ثانيةً، ثم وضعت نقطة، وجلست وحددقتُ إلى اسمك لوقت طويل. لماذا أقوم كتابة الرسائل؟ يتقلص الآن إحساسي بأنني جندي في حرب، ويغلب عليَّ شعور أنني رجلٌ في صراع مع رغبته في الكتابة.

كُتِبَتْ أُخْتِي إِلَيَّ كِي تَخْبِرْنِي أَنْكِ قَدْ سَأَلْتِهَا عَنْ عُنْوَانِي. مِنْذُ ذَلِكَ
الْحَيْنِ وَأَنَا أَنْتَظِرُ كُلَّ يَوْمٍ أَنْ تَصَلِنِي رِسَالَةَ مِنْكِ. لَا أَعْنِي رَدًّا عَلَى رِسَالَةِ
كُتِبَتْهَا إِلَيْكِ، بَلْ رِسَالَةَ تُبَادِرِينَ أَنْتِ بِإِرْسَالِهَا أَوْلًا.

نَدَعُو الْجَمِيعَ خَارِجَ الْجَيْشِ بِـ "الْمَدْنِيِّينَ". بِمَعْنَى آخَرَ؛ أَنْتِ مَدْنِيَّةٌ،
وَأَنَا جَنْدِي. سَتُضْحِكِينَ غَالِبًا عِنْدَمَا أُخْبِرُكَ أَنْنِي قَرَّرْتُ أَلَّا أَكْتُبَ إِلَى أَيِّ
أَحَدٍ فِي الْخَارِجِ؛ لِأَنَّي رَغَبْتُ فِي أَنْ أَعِيشَ كَجَنْدِي حَقِيقِي. لَكِنْ طَالَمَا
أَنَا هُنَا فِي الْخِدْمَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ، فَذَلِكَ كُلُّ مَا أُرِيدُهُ. هَذَا الْمَكَانُ هُوَ
مَنْقَظِي لِلْهَرُوبِ. أُرْغَبُ فِي نَسِيَانِ الْجَانِبِ الرَّقِيقِ مَنِّي، الَّذِي عَاشَ فِي
الْخَارِجِ هُنَاكَ فِي الْمَجْتَمَعِ، وَأَنْ أَصْبَحَ قَوِيًّا وَمُسْلِحًا مِنْ خِلَالِ النِّظَامِ
وَالْتَدْرِيبِ. أَتَيْتُ لِلْقَائِكِ قَبْلَ أَنْ أَلْتَحِقَ بِالْجَيْشِ لِأَنَّي كُنْتُ مُصَمِّمًا
أَلَّا أَكْتُبَ إِلَيْكِ أَوْ أَرَى وَجْهَكَ حَتَّى أَنْهِيَ الْجَيْشَ. لَكِنْ عَزِمْتِي ضَعِيفَةٌ.

اسْتَغْرَقَ الْأَمْرُ مَنِي سَنَةً كِي أَدْرِكُ أَنْ مِشَاعِرِي نَحُوكِ شَيْءٍ لَا يُمْكِنُنِي
التَّحَكُّمُ فِيهِ. أَخْشَى أَنْ أَطْلُبَ مِنْكِ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ أَنْ تَأْتِي لَزِيَارَتِي. لَكِنْ
لَوْ تَصَادَفَ وَكُتِبَتْ تِلْكَ الْكَلِمَاتُ، يَجِبُ أَلَّا تَسْتَمْعِي إِلَيَّ وَتَأْتِي. لَقَدْ
حَرَمْتِ عَلَى أَفْرَادِ عَائِلَتِي حَتَّى زِيَارَتِي. لَا أُرْغَبُ فِي رُؤْيَا أَيِّ مَدْنِيِّينَ
فِي هَذَا الْمَكَانِ. أَعْنِي ذَلِكَ. لَقَدْ هَدَدْتُ أُمِّي وَأُخْتِي الْكُبْرَى أَنْنِي
سَأَتَهَرَّبُ مِنَ التَّجْنِيدِ إِذَا حَاوَلْتَا أَنْ يَأْتِيَا مَعِي فِي أَوَّلِ يَوْمٍ، أَوْ حَاوَلْتَا أَنْ
يَزُورَانِي عِنْدَمَا أَخَذْتُ أَوَّلَ إِجَازَةٍ. قَلْتُ إِنَّنِي بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ سَأَتَمَكَّنُ
مَنْ أَنْ أُوَدِّيَ جَيِّدًا فِي تَمَارِينِ التَّصْوِيبِ، وَسَأَكْسِبُ إِجَازَةً؛ مُكَافَأَةً عَلَى
ذَلِكَ، وَهَكَذَا سَوْفَ أَزُورُهُمَا بِنَفْسِي. لَكِنْ لَمْ أُسْتَطِعِ الْإِيفَاءَ بِذَلِكَ
الْوَعْدِ. اقْتَنَصَ شَخْصٌ آخَرَ الْجَائِزَةَ، وَشَارَكَ كَعَكَ الْأُرْزِ الَّذِي أَعْطَتْهُ
لَهُ أُمُّهُ مَعَ بَقِيَّتِنَا عِنْدَمَا عَادَ مِنْ زِيَارَةِ عَائِلَتِهِ. أَرَاهُنَّ أَنْكِ تَفَكِّرِينَ،
هَلْ سَيَسْمَحُونَ لَكَ بِأَخْذِ إِجَازَةٍ حَقًّا لَوْ كُنْتَ قَنَاصًا جَيِّدًا؟! رُبَّمَا
سَتُضْحِكِينَ وَتَخْبِرِينَنِي أَنْ أَكُفَّ عَنِ الْمَزَاحِ. لَكِنْنِي قَدْ وَجَدْتُ نَفْسِي
هُنَا يَا يُون. لَقَدْ اتَّضَحَ أَنْنِي قَنَاصٌ مِمْتَازٌ.

ها أنا أكتب اسمكِ ثانية وأحدِّقُ إليه لوقتٍ طويل. أفكِّر كثيرًا في أصدقائك الذين قابلتهم عندما زُرتكِ آخر مرة. لقد أسعدني أن أراكِ تمتلكين أصدقاء مثلهم بجانبكِ. ولم أتصوِّر أيضًا أن الفرصة ستسمح لي بأن ألتقي بالأستاذ يون، الذي عرفته من خلال كتبه فقط. بدا كل منكم جميل جدًّا. بدا الأستاذ يون صارمًا، لكن دافئًا في الوقت نفسه. أحسدكِ لأنه أستاذكِ. ربما السبب الذي جعلني أهرب من حياتي إلى الجيش هو أنني لا أمتلك أصدقاء مثل أصدقائكِ حيث كنتُ. شعرت أنني أصبحت جزءًا من كيان عندما كنتُ برفقتكم. الساعات التي قضيناها في المشي مع أصدقائكِ بطول جدار الحصن كانت أشبه بحلم. لا أنتظر أي أحد يا يون، لكن أتمنّى لو أستطيع أن أعيش ثانية تلك الليلة التي قضيناها جميعًا في التخييم طيلة الليل في خيمة نُصِبَت بجِراءٍ وعلى نحو غير قانونيٍّ بجوار جدار الحصن الأثري. ستبقى تلك الذاكرة معي حتى أغادر الجيش. النوم في ذلك البيت أيضًا وتناولُ العشاء معكِ وميرو وميونجسو- أتمنّى أن تظُلَّ تلك الذكرى معي لبقية حياتي. مَنْ صاحب ذلك الجيتار؟ تلك الأغاني التي غنيناها معًا. التفكير أنني عشتِ عدَّةَ أيامٍ مع أشخاصٍ قد قابلتهم للتو. لماذا ظلَّ ذلك البيت مهجورًا كل ذلك الوقت؟ أتذكَّر النظرة في عيون ميونجسو وميرو عندما شاهدا أننا قد هدَّبنا كل الحشائش في الفناء في الصباح التالي. أحيانًا أتساءل إذا كان أيٌّ ممَّا حدث حقيقيًّا. على الرغم من أنني قد ذهبت إلى البيت مرَّةً واحدة فقط، فإنني متأكِّدٌ أنني سأستطيع أن أجد طريقي إليه مُجددًا من دون أن أتوه، وهذا يعني أنه لم يكن حلمًا. كنتُ مُمتنًّا جدًّا لقضاء ذلك الوقت بصحبتكم. لا أستطيع أن أصدِّق أنني أخبركِ بذلك الآن فقط.

أتساءل إذا كانت لا تزال ميرو تسجّل كل شيء تتناوله. ما زحّتها إذا
واصّلت المشي مَحنيّة الظهر فسوف تصبح حذاءً مع مرور الوقت.
هل لا تزال تسير بتلك الطريقة؟ ذات ليلة عندما كنّا في ذلك البيت،
استيقظتُ وذهبت لأشرب بعض الماء. كانت مُفكّرةً ميرو موضوعاً
على المائدة، فاختلست النظر إليها. لم أَر مُفكّرةً مثل هذه من قبل.
لم أقابل من قبل أبداً شخصاً يتحمّل عناء تدوين كل شيء يأكله. في
تلك الليلة بينما أتصفّح القوائم التي سجّلت فيها كل شيء تتناوله
كل يوم، داهمني شعور غريب. بعد بُرهةٍ بدأت تلك القوائم تترأى
إليّ كقصائد شعرية. كما لو كانت تصرخ: أنا ما أكله وما أكلته. من
حين إلى آخر أجد قائمة حيث تنغمس ميرو في تسجيل تفاصيل كل
شيء تأكله بدقّة شديدة. كنت أتألّم في كل مرة أصادف إحدى تلك
القوائم. قرأت أيضاً تلك الأجزاء المتناثرة بين القوائم حيث تكتبون
ثلاثتكم القصص معاً. أعطتني لمحة على الطريقة التي تقضون بها
الوقت معاً. دخلت ميرو إلى المطبخ إذ فجأة ولمحتني أقرأ مُفكّرتها.
تعامّلت ميرو مع الموقف بهدوء بينما كنتُ أنا من تفاجأ. سألتني
مَن فيكم كاتبٌ أفضل في اعتقادي؟ لكن لم أكن أفكّر في جودة الكتابة
عندما كنتُ أقرؤها، بل ما سحرني فعلاً هو حقيقة أن ثلاثة خطوط
يد مختلفة يمكن أن تتناغم بمثل هذا الجمال. هل يبدو غريباً أن
أقول إنني وجدت شيئاً مُطمئناً في تلك القصص المتداخلة؟ أخبرتها
أنني أرغب في إضافة رسوم مُعبّرة عن قصصكم في هوامش الصفحة،
لكنها طلبت مني أن أفعل ذلك في وقت لاحقٍ حين نلتقي جميعاً
ثانية في يوم ما. أحياناً أفكّر في ذلك الوعد الذي قطعناه أنا وهي.
أن ذلك اليوم سوف يأتي. أعني أننا سنلتقي ثانية يوماً ما، وأنني
سأرسم رسوماً عن القصص التي كتبتموها.

كيف كان بإمكانني حتى أن أتصور أنك سوف تأتيين إلى منطقة الانتظار في مركز التدريب وأنتِ تحملين كتاب قصائد لإيميلي ديكنسون؟ عندما هتفتِ باسمي من على مبعدة، اعتقدتُ أنني أتوهم. ولم تأتِ بمفردكِ فحسبُ، بل أحضرتِ معكِ ميونجسو وميرو، وحتى القطة إيميلي. كنتم أمامي فجأة في الوقت الذي كنتُ فيه متعبًا ومكتئبًا من منعي لأمي وأختي من زيارتي. اعتدتُ على أن أكره فكرة أن يشاهدني أحدهم أسير مبتعدًا. كرهتُ حتى أن أمدَّ يدي خارج نافذة سيارة أو باب وألوح لأودع شخص ما.

انتظرت حتى يومي الأول في التدريب كي أقصَّ شعري؛ لذا كنتم أوَّل من يرون قصَّة شعري العسكرية القصيرة جدًّا. كان ذلك مُحرجًا. أستمرُّ في تخيُّل وجه ميونجسو عندما سألتُ "لماذا أتيتم" وقال: "لقد كانت فكرتي!". كان وجهه وجهَ أخٍ كبير لا أملكه.

شكرًا أيضًا على إحضار إيميلي ومنحي الفرصة كي أحملها. شعرت بالسوء لأنني تجنَّبْتُها في كل مرة اقتربت فيها مني عندما كنا نُمكث في ذلك البيت. لم أحمل قطةً من قبل أبدًا. كانت إيميلي دافئة. دافئة جدًّا لدرجة أنني لا أزال أستطيع تذكُّر تلك الحرارة التي شعرت بها. لو كنتُ أعرف أن القطط دافئةٌ وملساء هكذا، لَكُنْتُ قد حملت إيميلي طوال الوقت الذي قضيته في البيت. أنا نادم على ذلك. ثم كان هنالك وجودكِ، وإصراركِ على أن آخذ كتاب القصائد على أية حال، حتى بعد أن قُلْتُ لكِ إنه غير مسموح لي أن آخذ كتابًا كهذا معي داخل المجمع العسكري، لكنكِ قلتِ أن أدخِله خلسة بطريقة ما. لا تتفاجئي. الكتاب معي هنا في حضني. أستخدمه كسطحٍ أجلس أكتب عليه هذه الرسالة. بعد أن أغادر الجيش، سوف أخبركِ كيف تمكَّنتُ من الاحتفاظ به طيلة هذا الوقت.

يون.

أشعر كأنه قد مضى وقت طويل منذ أعطيتكِ هذا الكتاب. أخبرتني أن شاباً ارتاد جامعتك، ذلك الشخص الذي يُدعى "دواسة" قد أخذ الكتاب الذي أعطيته لكِ واختفى، لكنكِ وجدتِ نسخة جديدة بطريقة ما. قصائد ديكنسون تلك التي وجدتِ طريقها إليّ مُجدِّداً هي قديسي الراعي لي هنا. كلما أصبَحَت رغبتني في تناول الكيمتشي المصنوع في البيت قوية جداً، أو كلما صادفتُ عنكبوتاً، أتلو قصيدة إيميلي ديكنسون من الذاكرة:

ذلك الحب هو كل ما كان،

أهو كلُّ ما نعرفه من الحب؛

يكفي هذا؛ فحمولة الحب تتناسبُ

مع عمق الأخدود.⁽¹⁾

أكرّر "يكفي هذا" إلى نفسي مرّتين أو ثلاثاً. هذا السطر حيث يمكنني أن أشعر أن خوفاً من العناكب ينحسر. بدءاً من الغد، سنبدأ التدريبات الليلية لمدة ثلاثة أسابيع. أتمنى ألا تتراجع مرتبتي.

اعتني بنفسك.

من الجندي داهن إلى المدنيّة يون.

(1) قصيدة "ذلك الحب هو كل ما كان" لإيميلي ديكنسون، ترجمة محمد عيد إبراهيم (بتصرّف).

أرسل داهن رسالته الأولى بعد سنة من التحاقه بالجيش واختياره في القوات الخاصة. كانت أطول من خمس صفحات. لم يذكر في أي جزء منها أنه في وحدة القوات الخاصة. طويت الرسالة ووضعتها فوق مكتبي. من الجندي داهن إلى المدنيّة يون.. حدّقتُ إلى تلك الكلمات طويلاً. ألمتني حقيقة أنني لم أكتب أبداً للردّ عليه. ملأت قلم ريشة بالحبر ثم أخرجت دفترًا جديدًا وكتبت اسمه في أعلى الصفحة.

داهن.

داهن الرضيع، داهن الطفل، داهن في سن السابعة عشرة، ثم الثامنة عشرة، ثم التاسعة عشرة، ثم طالب جامعي، ثم جندي. طافت تلك الصور في رأسي. بعد التحاقه بالجيش، لم أسمع عنه أي شيء لبعض الوقت. اتّصلتُ بأخته لأحصل على عنوانه، فأخبرتني أنه قد عُيّن في وحدةٍ للقوآت الخاصة. قالت إنهم يخضعون لتدريبات متواصلّة كلّ يوم، وأنه أحيانًا يضطرُّ للبقاء في الجبال لثلاثة أو أربعة أيام مع قنينة ماء وحربة فقط. أتعرّفين كيف أنه في عيد القوات المسلحة -قالت لي- يقفز الجنود بالمظلات في تشكيلات؟ وحدته إحدى تلك الوحدات المشاركة في ذلك. لكن لماذا اختاروا داهن؟ قالت لي إنه يمتلك التكوين الجسدي الذي يؤهّله للتحاق بالقوات الخاصة. "لكن يجب أن يخضعوا لاختبارات كفاءة أيضًا؟" أمطرتُ أخته بأسئلتي، لكن من دون أحصل على معلومة جديدة.

كُتبتُ اسمه مرة أخرى في مفكّرتي. لم أستطع تخيّل داهن يقفز بمظلةٍ من على متن طائرة. كيف تحمّل الحياة في الجبال بمفرده لأيام؟ في المساحة بين كلمتَي مدنيّة وجندي، يكمن إحساس البعد الذي يمنعني من تصوّره يُؤدّي المشية العسكرية أو تدريبات الملاحه في

البحر. تخيلتُ أنه لا بُدَّ أن وحدته تقضي الكثير جدًّا من الوقت في الجبال لدرجة أن مجردَ ذكر الجبال أمامه بعد أن يُصرف من الخدمة العسكرية، سوف يجعله يلتفت برأسه بعيدًا في اشمئزاز. أسرح مُفكِّرَةً أين هو الآن. داهِن الذي يمتلك رُهابًا من العناكب، في القوات الخاصة حيث يجب عليه أن يحيا بمفرده في العراء لأيام! حتى بعد أن حصلت على عنوانه، واصلتُ الشروع في كتابة رسالة إليه من دون أن أكملها، قبل أن أتخلَّى عن تلك الفكرة تمامًا؛ لأنني لم أستطع أن أبدأ حتى في تخيُّل ما كان يمرُّ به. ثم وصلت رسالته الأولى قبل أن أنهي أي رسالة.

داهن.

لقد استلمتُ رسالتك. أتمنى أن التدريبات الليلية تسير على نحوٍ جيد.

أغلقت مُفكِّرتي غير متأكِّدة ممَّا يجب أن أكتبه بعد ذلك. كم مرة احتاج فيها داهِن خلال أسابيع التدريب الشاقة الثلاثة، إلى أن يتلو قصيدة ديكنسون على نفسه كي يتمكن من مواجهة عنكبوت؟ كنت على وشك أن أعيدَ رسالة داهِن إلى الدُّرج، لكنني توقفتُ وتأملتُ الرسائل الأخرى المكدَّسة بالداخل للحظة. أخرجتها جميعًا ووضعتها فوق المكتب. كانت تتضمَّن بطاقات رسائل وكروت بريدية عادية. عجزت عن تصديق أنني لم أكتب ردًّا إليه أبدًا على الرغم من المرَّات الكثيرة التي كتب فيها رسائل إليَّ. لفت انتباهي قصاصة ورق مُختلطة بالرسائل فسحبتها.

ابدئي القراءة من جديد... دَوِّي الكلمات الجديدة وتعريفاتها...
احفظي قصيدة كلَّ يوم... لا تذهبي إلى قَبْرِ أُمِّكَ قبل عطلة
التشوسوك⁽¹⁾... امشي حول المدينة ساعتين على الأقل كل يوم.

تذكَّرتُ أنني في أول مرة أتى فيها ميونجسو وميرو إلى هنا، جعلتهما
ينتظران في الخارج، ودخلت إلى الحجرة ونزعت قصاصة الورق من
على الجدار. لا بُدَّ أنها اختلَّطت برسائل داهِن. فَرَدْتُ الورقة وكَدَّسْتُ
الرسائل فوقها.

ومضت صورة داهِن في منطقة الانتظار أمام عينيَّ. لقد وصلنا
إلى مركز التدريب مبكرين ساعتين، ورحنا ننتظره. لأننا لم نرتب
ذلك اللقاء؛ فكرنا أنه قد يكون هنالك عددٌ كبير جداً من الناس،
وأنا قد لا نتمكَّن من رؤيته. لم يكن هنالك سوى عدد قليل من
الأشخاص سوانا في بادئ الأمر، لكن سرعان ما زاد العدد إلى تجمهر.
معظمهم كانوا أصدقاء لمجنِّدين جُدِّد. لو لم أكن أعلم أننا نقف
أمام مركز تدريب عسكري، لبَدَأنا ننتظر حفل موسيقي كي يبدأ.
لمح ميونجسو داهِن قبل أن أستطيع أنا ذلك. بينما أشخُص بعيني
بعيداً، نقر ميونجسو على كتفي وأشار إليه. نادى ميونجسو حتى
على داهِن قبلي. صُدِم داهِن لرؤيتنا. كان من الغريب أن أراه بقصَّة
شعر قصيرة جداً لدرجة أنني لم أستطع أن أتوقَّف عن التحديق إليها.
بَدَتْ فروة شَعْرِهِ وتحت ذقنه زرقاء حيث حُلِقَ الشَّعر حديثاً. حَدَّق
داهِن إليَّ للحظة ثم أخذ القِطَّة من بين يدي ميرو. أعتقد أن قول

(1) عيد التشوسوك: أو عيد الشكر الكوري. وتعني الكلمة ليلة الخريف أو أجمل ليلة من
ضوء القمر الخريفي. يحتفل به الكوريون في الفترة ما بين الثلاثين من سبتمبر والثاني من
أكتوبر من كل عام.

وداعًا يجعلنا نتواصل مع أولئك الذين كنا نتجاهلهم في الظروف العادية. ربما نهتم بهم أكثر أيضًا عندما يحين وقت الافتراق. أجلس داهن القطة بين ذراعيه وطاف بعينه بيننا. كان قد تحاشى الاقتراب من إيميلي عندما كنا نحن الأربعة نمكث في البيت القديم. لكن الآن، بدا الآن كأنها قَطُّته منذ البداية. لم يضعها داهن أرضًا طوال الوقت، ولا حتى حين ذهبنا إلى مقهى استغرقنا وقتًا طويلًا كي نجده، ولا حتى حين ناولته كتاب القصائد الشعرية وأخبرته أن يُدخله سرًّا إلى القاعدة العسكرية بطريقة أو بأخرى. أخيرًا قبل أن يعود أدراجه إلى مركز التدريب، ناول داهن إيميلي إلى ميرو. ثم مشى بعيدًا من دون أن ينظر إلى الوراء ولو مرةً واحدة. وَجَدْتُ نفسي أهتف: "التَفِثْ!" مَتَمَّ ميونجسو. "ذلك قاسٍ". رَكَضْتُ. كان داهن يسير أمام حشد من الرؤوس الحليقة الزرقاء البشرية عندما تَمَكَّنْتُ من اللحاق به.

"سوف أكتب إليك" أخبرته. "سوف آتي لزيارتك، أيضًا".

أخبرني داهن ألا أقلق بخصوص هذا، وابتسم. لاحقًا، أثناء جلوسي في الحمام في موقف استراحة في طريق العودة إلى المدينة، تصوَّرت داهن وهو يختفي في الزحام من دون أن ينظر إلى الوراء؛ فاضطرت إلى إغلاق عيني من الألم. ثم عندما ركبنا الحافلة ثانية، تذكَّرت تلك المرة قبل وقت طويل جدًّا حين اندفع قطار الليل ليتجاوزنا في تلك الليلة التي زُرنا فيها قبر أمي، فضغطت على عيني لأغلقهما بإحكام أكبر.

التقطت رسائله بعشوائية ورُحْتُ أقرؤها.

لقد تغيّر عنواني. هذه الرسالة التي أكتبها الآن لن تُرسل عبر خدمة البريد العسكري. لقد طلبتُ من صديق لي في قوات الدفاع المدني أن يرسلها إليك من مكتب بريد في البلدة. هكذا يمكنني أن أكتب إليك من دون القلق من الرقباء. لقد حدثت الكثير جداً من الأشياء لي. القوات الخاصة صعبةً إلى حدِّ ما. التدريب شاقٌّ بالقدر الكافي، لكن الحياة في الثكنات مُزرية. على الرغم من أنهم صارمون جداً بشأن الرُتَب والأقدمية، لكن الكثير من الشباب كانوا في عصابات قبل الانضمام للجيش، ويتشاجرون عندما تسقط قبعة أحدهم فحسب. يقذفون بعضهم البعض بالجاروف في ثكنات السكن. وأثناء التدريبات الليلية، قد يُسقط أحدهم الجنديَّ المجاور له على حين غرة بركلة واثبة جانبية. مرة أو مرتين في الأسبوع يستدعوننا جميعاً ليُذكِّرونا أن مثل هذه الأفعال التي تعكس سوء سلوك ممنوعة. يُوقظوننا في منتصف الليل ويجبروننا على الانحناء بأجسادنا ونحن نرتدي ثيابنا الداخلية فقط، ونحافظ على توازننا لأطول وقت ممكنٍ ونحن نقف على أطراف أصابعنا أو على رؤوسنا وأيدينا وراء ظهورنا. الرقيب يضرب العريف، والعريف يضرب عسكري الدرجة الأولى، وعسكري الدرجة الأولى يضرب العسكري الذي يضرب الآخرين الأقل منه رتبة. تلك شريعة الجيش. لا يُسمح لهم بضربنا رسمياً. العقاب الجسدي الوحيد المسموح به هو عقاب التحمُّل البدني. لكنهم يضربوننا طوال الوقت ويبرِّرون ذلك بأنه ضروري للحفاظ على النظام العسكري. لا يستطيع أصحاب القلوب الرقيقة من بين المجنَّدين الأعلى رتبة، حَمَل أنفسهم على ضربنا؛ لذا يثملون معاً أولاً ثم يضربوننا.

ذات يوم، جمعونا في منتصف الليل، لكن الهراوة التي أحضروها معهم لضربنا قد انكسرت؛ لذا جلبوا مقبض معولٍ بدلاً من ذلك. بينما أتلقَّى الضربات، هبطت الهراوة فوق أسفل ظهري بدلاً من

مؤخرتي. كان الألم مُبرحًا جدًّا، لدرجة أنني اعتقدت أنني أموت. صرخت وسقطت أرضًا لكن لَعَنَني المجددون الأعلى رتبة، ودعوني بـ "الطفل الباكي" وركلوني. في تلك اللحظة، آمنتُ حقًّا أنني سوف أموت. عندما استعدت وعيي، وَجَدْتُ نفسي في المشفى. بينما يفحص الطبيب عمودي الفقري، سمعته يقرقر بلسانه في صدمة، ثم قال: "أولئك الملاعين! لو عرفت الرُّتَب الأعلى بما حدث، فسوف يدفع الجميع -بما فيهم الضابط قائد الوحدة- ثَمَّنًا باهظًا. وسوف يُلقى العديد من الناس داخل السجن الحربي". تأكَّد الرقيب الأول من إعفائي من أداء كلِّ التمارين، وأرسلني إلى عيادةٍ خارج المجمع العسكري لأخضع لعلاج بالإبر الصينية. حملني جنديٌّ من نفس رُتَبتي على ظهره إلى العيادة كل يوم. بعد أكثر من شهر من العلاج، حين تمكَّنتُ أخيرًا من التحرُّك مُعتمِدًا على نفسي، أخبرني الرقيب الأول أنني لم أعد مؤهَّلًا للالتحاق بالقوات الخاصَّة، وأرسلني إلى هذه القاعدة في مهمَّةٍ مُؤقَّتة. هذا المكان ليس أفضل كثيرًا لكن مقارنةً بالمكان الأخير، أشعر كأنني في إجازة.

أنا مُتمركز على الساحل الغربي قريبًا من الخط الأمامي. كانت مهمَّتي الجديدة هي حراسة الساحل. أنام في مهجع السكن أثناء النهار، وأستيقظ في وقت متأخِّرٍ من بعد الظهر، ثم أنقل وقت الغسق إلى إحدى نقاط المراقبة المتناثرة بطول الشاطئ. أسهر الليل بطوله، والبحر ممتدُّ أمامي والأسلاك الشائكة ورائي. لأنني لا أقوم بأي تدريبات كتلك التي كنت أقوم بها في وحدة القوات الخاصة؛ فالأمر ليس مُرهقًا. لكن في المقابل التضحية التي تقوم بها هي أنك لا تحصل على أي إجازة حين تتمركز في الساحل. ولا يسمحون لك بالحركة طيلة الليل. في هذا المنفى المنعزل، أوَّجَّه سلاحي إلى عدوِّ غير مرئي قد يهاجم في أي لحظة.

أعتقد أنني تبنيتُ فكرةً خاطئةً وتصورًا مُعيَّنًا عن حياة الجيش قبل أن ألتحق به. اعتقدتُ أنه على الرغم من أن الجيش قد يكون مُتطلبًا جسمانيًا، لكن أن أصبح جزءًا من مُنظمة سوف يساعدي على تحرير نفسي من الخمول الذي أصاب حياتي. لكن في أول يوم لي في القاعدة العسكرية، أدركت كم كان هذا الافتراض ساذجًا. كان الرقيب المسؤول عن التدريبات والضباط الآخرون لا يكفون عن إلقاء الأوامر ودفعي هنا وهناك. أدركت كم كنتُ متوهّمًا. (لا تزال أذناي تطنان منذ عاملنا الضُّباط كأننا حيوانات وصرخوا: "ثمة جنود وثمة بشر! أنتم لستم بشرًا!")، ثم كان هنالك تدريبات القتال الفردي والجري -وأحيانًا الزحف على الأرض- من منطقة الانسحاب حتى خط إطلاق النار. كان الأمر في بادئ الأمر مُربكًا، ثم بات مُثيرًا للغضب. لكن غضبي هذا حلَّ محلَّ الاستسلام، والاكْتئاب وخيبة الأمل. بعد أن نجوت "مُجنَّدًا"، ثم فردًا في القوات الخاصة، أصارع البرد والحرمان من النوم والجوع، بدأت أشعر أنني لست إنسانًا حقًا. لم أتوقَّع أبدًا أنني سأشعر بأنني تائه هنا كما شعرت في الجامعة التي بذلت قصارى جهدي كي أنسجم فيها. أستطيع تحمُّل استبداد الجنود الأكبر رتبة والإرهاق الجسدي، لكن إدراك أن حقيقة أنني "أنا" -فكرة أنني ذو قيمة ما- محضُ تراب، ريح جوفاء، يملؤني بالأم مُبرَّحة تنخر في جسدي من الداخل. هنا في الجيش، أتعلم من الصُّفر ثانيةً أن البشر ليسوا سوى جردان في متاهة بلا مخرج، تجري في دوائر إلى الأبد. ربما ذلك هو سبب أنني أشعر بهذه الطريقة. في كل مرة أقف فيها أثناء مناوبة حراسة في ظلام الليل، أواجه الشاطئ الطيني الذي تتحركُ فوقه أضواء الكشافات، والبحر الجاثم على مسافة قصيرة منه، أشعر أنني أواجه الظلام الكامن بداخلي.

تطفو وجوه في ذهني كما لو كانت خلاصي من هذا العذاب. وجوه ضاحكة تلمع كالنجوم. أصوات مُحبَّة، وابتسامات مُشرقة.

وأحيانًا حتى وجه عابس... في كل مرة يرتطم بي نسيم المحيط البارد،
أناذي أسماء أحبّة بعيدين عني، اسمًا تلو الآخر، كما لو كنت أتلو
صلاة للرب.

يون.

بعد أن أصل إلى نقطة المراقبة الخاصة بي في حدود السادسة مساءً
وأنصب بندقيتي في خندق المراقبة، لا يكون هناك عادة سوى القليل
من الوقت المتبقي قبل أن تغرب الشمس تمامًا. أستخدم هذا الوقت
كي أدوّن أفكارني في عَجَالَةٍ، بما في ذلك الرسائل التي أرسلها إليك،
وأرسم رسومات للمحيط والجبال بالقلم الرصاص. يجلس جندي في
نفس فرقتي داخل خندق على مبعدة، يدخن سيجارة. أشعر كأنّ
هذه اللحظة حيث لا يوجد أي جندي أكبر رتبة مني أو ضابط
لأقلق بشأنه، ملكي تمامًا. أعتقد أن تلك اللحظات -حين أكون مُحاطًا
بالأمواج والرياح وأكتب إليك- هي أسعد لحظات حياتي الآن.

قبل أيام قليلة، فجرًا، قبل أن أنهى مناوبتي وأنسحب من موقعي
على الساحل، جمعنا القشّ الذي انتشر على أرضية الخنادق أثناء
الشتاء وأحرقناه. على الجانب الآخر من الكثبان الرملية، حيث
انحسر المدُّ، شاهدت الصيادين وأزواجهم في طريقهم إلى العمل. أبي
القشّ الباهتُ اللون الاحتراق أولًا، لكن سرعان ما التقطت بعضه
النار وتصادت منه الحرارة ودخان حمضيٌّ. وقفت برفقة خمسة أو
سته جنود آخرين وحدّقنا إلى النار المتوهجة لوقت طويل. في لحظة
انكماش اللهب وتحوّل إلى رماد أسود، وشعرت بجدران الحصن التي
احتلّت مكانًا بداخلي تنهار ببطء أيضًا.

استيقظت متأخرًا هذا الصباح. كان الجوّ ضبابيًّا ومُمطرًا في الخارج.
وقفت في الخارج لفترة، مستمتعًا بالشعور اللذيذ لمداعبة قطرات
المطر الرفيعة لبشريتي. حتى مع حلول بعد الظهر، كان الضباب لا

يزال كثيفًا جدًا لدرجة أن حافة الماء كانت مُجرّد هيكَل باهت بين أشجار الصنوبر. غاص البحر والسماء تحت غطاءٍ رمادي كئيب. لم يكن لديّ أي شيء لأفعله ولا شيء لأقرأه؛ لذا قضيت اليوم كله أفكر فيك. هل أصبح شاعرًا هكذا في كل مرة تُمطر فيها لأنني لا أزال عالقًا في مرحلة البلوغ من الناحية النفسية؟ في أيام الجامعة كلّما أمطرت، كنتُ أتجوّل في أرجاء المدينة طوال اليوم. كان هنالك مقهى اعتدت أن أذهب إليه حيث كان يقف منسق موسيقى يتلقّى طلبات أغاني من رواد المقهى. كنت أدلفُ إليه مُبلِّلاً بالمطر، وأطلب تشغيل أغنية هادئة الإيقاع ومنخفضة الصوت مثل: "يبدو أنه قد مضى وقت طويل جدًا يا نانسي" لليونارد كوهين⁽¹⁾ أو "التسجيلات القديمة لا تموت" لإيان هانتر⁽²⁾، أو "تحقيق سري" لفرقة داير سترايتس⁽³⁾. أضحى كل ذلك الآن ذكرى بعيدة. كان هنالك أغنية أخرى كنتُ أستمع إليها كثيرًا. لا أستطيع تذكُر اسم المغني لكن كان اسم الأغنية "الزمن في زجاجة"⁽⁴⁾. كم أتمنّى يا يون لو أستطيع حقًا أن أحفظ الزمن في زجاجة وأُخرجه كلّما احتجت إليه.

ليلة أمس، كنتُ في دوريةٍ حدوديةٍ عندما أوقف قائد الكتيبة سيارته الجيب. لحسن الحظ لم أكن نائمًا؛ لذا ألقيتُ عليه التحية العسكرية بالشكل اللائق. أجرى تفتيشًا وأعطاني بضع تلميحات مشجّعة، وكان على وشك أن يعود إلى سيارته الجيب عندما التفت

(1) ليونارد كوهين (1934-2016): مغنٌ وكاتب أغاني وشاعر وروائيٌّ شهير، كندي الأصل. تتناول أعماله موضوع الدين والسياسة والعزلة والجنسانية والفقْد والموت والعشق.

(2) إيان هانتر باترسون: مغنٌ وموسيقيٌّ بريطاني اشتهر في أواخر الستينات. كان المغنّي الرئيسي لفرقة الروك البريطانية "موت ذا هوبل".

(3) فرقة داير سترايتس: فرقة روك بريطانية تأسست في لندن 1977.

(4) الزمن في زجاجة: أغنية لمغني الروك الأمريكي جيم كروتش. كتبها سنة 1970، لكنها صدرت عام 1973 بعد موته في حادثة سقوط طائرة بسبب كلماتها التي تتعامل مع الموت والرغبة في امتلاك المزيد من الوقت قبل الرحيل.

فجأةً وسألني، "أمتلك حبيبةً يا مُجنَّد؟". ثمَّة قاعدة غير مُعلَّنة في الجيش أنه إذا سألك ضابط أعلى رتبة أو أي أحد مضى على وجوده في الخدمة مُدَّة أطول، إذا كنتُ تملك حبيبة أم لا، أن تكون إجابتك دائماً هي نعم، سواء كان ذلك صحيحاً أم لا. فكَّرتُ فيكِ وقلت: "أجل يا سيدي. أمتلك حبيبة يا سيدي!" سألني قائد الكتيبة: "هل تعتقد أنها مُخلِصة لك؟"، تردَّدتُ، ثم أعلنت بصوتٍ مُرتَفِع: "سوف تنتظرني حتى أخرج من الجيش يا سيدي!". حدَّق إليَّ لِلحِظَّةِ كما لو كان سيقول شيئاً، ما لكنه نعتني بـ "أحمق" قبل أن يقفز داخل سيارته الجيب. وقفت وراقبت السيارة حتى اختفت أضواؤها الخلفية في الظلام، وفكَّرتُ فيما قاله. لماذا سألني عن شيء طفولي وتافهٍ جدًّا ثم نعتني بالحمق؟ هل خطرت الكلمة في رأسه فقط بينما يحاول التفكير في شيء مُطمئن كي يقوله؟ الشيء الوحيد الذي كنتُ متأكِّداً منه أن محادثتنا المُقتضبة في الظلام أظهرت له مَنْ أنا حقًّا. مُجرَّد أحمق.

أمسك أحد الرجال الذين يعملون في المطبخ أربعة ثعابين قرب وحدتنا. تلك الثعابين التي تُدعى بـ "ثعبان الماموشي الصخري" أو "الثعبان الشريطي الأحمر"، تملك سُماً أصفر في ذيلها. قالوا إن الثعابين تزحف متسلِّلةً إلى داخل ثكنات النوم في الصيف. تخيَّلي ذلك. أن ترفعي غطاءك وتري ثعباناً يزحف خارجاً من تحته. عندما عُدتُ من الشاطئ هذا الصباح، أخبروني أن قائد الكتيبة وبعض الرجال الأكبر سنًّا قد شؤوا الثعابين وتناولوها مع مشروب السوجو. لم أشمِزَّ من ذلك. لقد فعلتُ أشياء أسوأ في وحدة القوات الخاصَّة. إذا أخبرتكِ بما يلجأ إليه الناس كي ينجو في الجبال، فلن ترغبي غالباً في رؤيتي ثانية. يأكل الناس ثعابين حيَّةً لا تزال تتلوَّى بعد أن ينزعوا جلودها كما لو كانت جوارب ويُخرجوا أمعاءها... لقد شاهدتُ وفعلت الكثير جدًّا من الأشياء الغريبة منذ التحاقني بالجيش.

كلّما نظرت إلى أسفل نحو المحيط من خلال نظارات الرؤية الليلية، أشعر أنني حيوانٌ ليليٌّ. البندقية زلّقة بين يديّ. تتكسر الأمواج مقابل الشاطئ، وتفتّت إلى رذاذ. حتى الآن في أحلامي، أجد نفسي أمشي حول أرض معسكر التدريب حتى يصيح أحدهم: "انتباه!" فأستيقظ.

إذا كان الشاطئ يبدو مُوحشًا جدًّا في الليل، فإنه يكون جميلًا في ضوء النهار. بالأمس، تجرّدت الفرقة كلها من ثيابها ما عدا سراويل الداخلية وركضنا بضعف سرعتنا إلى الشاطئ وسبحنا في البحر. كانت المياه باردةً بشكل مؤلمٍ باديء الأمر، لكن بينما نهتف ونصطدم ببعضنا البعض، أصبحت فاترةً تقريبًا. خطر ببالي أنه ربما لو استمرت الأشياء بهذه الطريقة لفترة أطول قليلًا فقط، فسوف أصبح كائنًا مستقرًا وبسيطًا، شخصًا سوف ينسجم مع وسم جنديٍّ أو مُجنّد، وسأمكّن من العودة إلى المجتمع. لم أعد أشعر بأنني مُتوتّر كما كنت عندما بدأت الجيش. أحب أن أتلو سطر الشُّعر المبتذل الذي يقول:

هذه الحياة تخدعك أحيانًا،

لذا لا تحزن أو تُجنّ منها.

كل هذا بينما أتساءل أنه ربما ليست الحياة من تخدعني، بل أنا من يخدعها.

يون.

السَّماء ملبّدة بالغيوم اليوم. التقطت معطف المطر تحسبًا إذا أمطرت، مع مُفكّرتي، ومَشّطت منطقة وقف إطلاق النار ثم شققت

طريقي وأنا ألهث، صاعدًا إلى قمّة الجرف. كان وجهي أحمر ومتورّدًا حين وصلت إلى هناك. جلست عند حافة الجرف ونظرت إلى أسفل نحو البحر المعتم. رسمت قاربًا صغيرًا منفردًا على مبعده، بدا كأنه يرسم خطأ عبر المياه بالأثر الذي يُخلّفه وراءه. أحببتُ الرّسمة؛ لذا سوف أرسلها إليك.

بدا أن داهن يقتل وقته في دوريّة خفر السواحل بالكتابة إليّ. طلب مني في إحدى رسائله أن آتي لزيارته. لقد تغيّر كثيرًا جدًّا. تأملتُ الرسالة لوقت طويل. لم أستطع أن أصدق أنه الشخص نفسه الذي رفض أن يتلقّى أي رسالة أو زيارة في بادئ الأمر. بدا وحيدًا ومنهزمًا، وفوق كل هذا، مُستنزف القوى. ذلك ما أحسسته من كلامه.

يون.

في الفترة الأخيرة، أصبح الجيش في حالة تأهبٍ دائم؛ لهذا الجميعُ تحت ضغطٍ عظيم. نتلقّى أوامرَ -مرّةً على الأقل كل يوم- أن نرفع درجات اليقظة. كل فرد أدنى من رتبة قائد الكتيبة كان عصبياً بشكل خاص بشأن التفيتيش العسكري الشامل في الشهر التالي. وفقاً للخطة الأصلية، كان من المفترض أن تنسحب كتيبتنا من على الساحل وتنضمّ إلى القوات الرئيسية، بينما تُرسل كتيبة أخرى إلى هنا لتحلّ محلّنا، لكن تواصلت تأجيل هذا. نتيجة لذلك؛ لم نحصل على إجازة حتى في أيام الإجازة الاعتيادية.

هل هنالك أي احتمال أن تستطيعي القدوم ورؤيتي في أحد أيام الأسبوع القادم؟ بالطبع لأننا يجب أن نتحرك إلى نقاط المراقبة على الشاطئ كل ليلة؛ فغير مسموح لنا بشكل رسمي أن نستقبل زوارًا. لكن لو استطعت القدوم، فسأحاول التسلُّل إلى الخارج ليوم. سأضطر إلى التذلل إلى هذا الرجل الأصغر مني سنًا لكنه أقدم مني هنا. لكنني مستعدٌّ لإهانة نفسي، لو كان ذلك يعني أنني سوف أرى وجهك، حتى لو كان ذلك لثوانٍ قليلة. الجبال ورائي مظلمة، وأمامي يلمع سطح الماء مثل قشور السمك في ضوء القمر. حملت بندقيّة محشوّة بالرصاص، وواصلت المراقبة طوال الليل وفكّرتُ فيك.

وَضَعْتُ وجهي على المكتب. تذكّرتُ تلك الليلة مع داهن بوضوح شديد.

فكّرتُ مليًا لعدة أيام إذا كان عليّ الذهاب أم لا. لقد تجنّب التّواصل معي حتى حين كان في إجازة؛ لأنه لم يرغب أن أراه برأس حليق. وكي أصل إلى مكان داهن، كان عليّ أن أستقلّ قطارًا وحافلتين مختلفتين.

في آخر موقف حافلات، التقيت بجندي في الدفاع المدني كان في طريقه إلى مناوَبةٍ ليلية في الوحدة على الساحل حيث كان داهن في دورية مراقبته. رافقني طوال الطريق إلى الوحدة حيث يتمركز داهن. اندفع داهن خارج مكمنه وبندقيته مُعلّقة فوق كتفه، وقنابل يدوية وحرية مثبتة على حزامه العسكري. مشيت وداهن المدجّج بالأسلحة في طريق وسط غابة تحدّه من الجانبين أشجار صنوبر مخروطية جافة. لم يكن هنالك أي أحد حولنا. هبطنا معبرًا بطول الجرف، وتبعنا خَطَّ وقف إطلاق النار الساحلي حتى غادرنا

طريق دورية مراقبته. مشينا إلى أسفل لمسافة طويلة جدًا في ذلك المعبر المظلم بمحاذاة الشاطئ. لم يكن لديّ أدنى فكرة أين كُنّا. بدا أننا نسير مبتعدين عن الماء لأن صوت الأمواج المتلاطمة يزداد خفوتًا. ومضت النجوم التي تنظر إلى أسفل نحونا، كأنها قد تسقط في أي لحظة. مشى داهن بجواري في صمت. لم أقل أي شيء أيضًا. بالنسبة إليّ، لم يكن هنالك أي شيء أغرب من أن أشاهد داهن وهو يرتدي كأنه قد يُرسل إلى معركة في أي لحظة. لم أستطع أن أفكر ماذا عليّ أن أقول لداهن الذي لم يُعد داهن، الشخص الذي عرفته، بل داهن، الجندي المجهول، في زي الجيش الكاكي اللون. واصلنا المشي من دون أن نصادف أبدًا أي شخص آخر. سألني داهن فجأة:

"أترغبين في سماع شيء مُرعب؟"

"رؤيتك مُدججًا بالأسلحة هكذا مُرعبٌ بالقدر الكافي". ضحك.

"اعتبر الآن قد هجرتُ موقعي" قال.

"ماذا تعني؟"

"لو اكتشفوا أنني معك، فسوف أحاكم محاكمة عسكرية".

"الأمر بذلك السوء؟" قلتُ بنبرة جادة؛ فضحك داهن ثانيةً.

"لا تقلقي. عندما تشتغلين في خفر السواحل وقتًا كافيًا، سوف تدركين أن الجميع يفعل ما بوسعه كي يرى عائلته أو حبيبته. نغض الطرف جميعًا. ربما يعرف قائد الكتيبة والرقيب الأوّل بلقائي لك. لم يُصدّقني أي أحد عندما قلت إنّ لديّ حبيبة، فتراهنوا على ذلك".

"تراهنوا عليّ؟"

"آسف".

"ماذا كان الرهان؟"

"قالوا إذا أتيتِ، فسوف يسمحون لي بقضاء الليل في الخارج".

"هذا خطير جداً. لا أريد أن يحدث أي شيء سيئ لك بسببي".

"سيئ؟ عمّ تتحدّثين؟ أنا سعيد جداً الآن. لا أستطيع أن أُصدّق أنّك هنا بجانبني".

كنت متوتّرة، لكن حديثي مع داهن جعلني أشعر أنني أفضل.

"ما القصة المخيفة التي أردت أن تخبرني بها؟ المزيد من العناكب؟".

"لم أعد أخاف من العناكب بعد الآن".

لم يكن هذا هو داهن نفسه الذي كان يرتدي كشاف رأس ليُرافقني إلى قبر أمي، داهن الذي ارتجف خوفاً من أن يطأ بقدمه فوق عنكبوت.

أخبرني أن خوفه من العناكب قد تلاشى أثناء تواجده في القوات الخاصّة. قال إنه بعد كل المشي والزحف والقفز وتسلق الجبال اليومي، وجد نفسه يُمسك العناكب بيديه العاريتين.

"حقاً؟ إذاً هنالك بعض الفائدة من الانضمام إلى الجيش!" بدت ضحكة داهن جوفاء. "إذاً ماذا كانت قصّتك المخيفة؟" سألته ثانية.

أشار داهن إلى بقعة ما في الظلام، كان صوت الموج يأتي منها. "يوجد كشك حراسة في الأسفل هناك، بين الخنادق، حيث ينام الجنود بالتناوب أثناء دورياتهم. يقولون إنّ ثمة جندياً قد وقع في حب فتاة من إحدى القرى المجاورة. كانت الفتاة تأتي من وقت إلى آخر وتقضي الليلة معه في الكشك. كلّما أتت للقائه، كانت تحضّر معها دائماً قدرًا من شعيريّة الراميون من أجله كوجبة خفيفة يتناولها في منتصف الليل. لكن عندما خرج الرجل من الخدمة العسكرية، رحل من دون أن يعطي الفتاة رقم هاتفه أو ينظر إلى الوراء حتى. كانت مُحطّمة القلب لدرجة أنها شنقت نفسها في سقف الكشك حيث كانا

ينامان معًا. اتّضح أنها كانت حامل منذ شهور عديدة. بعد فترة، تواترت الشائعات. كلما نام وافدٌ جديد داخل الكشك، حلم بامرأة شابة جميلة تفتح الباب وتبتسم وتدلف إلى داخل الكشك، وهي تحمل صينيّةً عليها قِدرٌ يتصاعدُ منه البخار...".

" ثم...؟".

"كان الجندي يتناول الصينية ويرفع الغطاء ليجد القِدر ممتلئًا بالراميون. راميون أحمر فاقِعٌ مَغليٌّ في الدم".

صرخت وتَشَبَّثُ بذراعه. "أهذه القصة حقيقية؟" سألته. "هل رأيتهَا أيضًا؟".

"بالطبع لا! إنها محض أسطورة تناقلها الجنود في وحدتنا. أسطورة شبح الراميون الدموية. اختلقها الجنود غالبًا ليحكوها لحبيباتهم عندما يأتين للزيارة كما هو الحال معك الآن. ترتعب الفتيات تمامًا كما فعلتِ للتوّ، ويمسكن بيد حبيبهنَّ أو يرمين بين ذراعيه".

"ماذا؟!".

إدًا فقد كان يحاول أن يخيفني أيضًا. حاولتُ أن أدفع ذراعه بعيدًا عني، لكنه سحبني ليُقَرِّبني منه وقال: "أنا مُمتنٌّ لوجودك هنا!".

مع اقتراب صوت الأمواج منَّا عبر الظلام، عبرنا حقل ذرة ومشينا في خطٍّ، يتقدّمني داهن، بطول نتوء بين حقلَي فلفل حتى وصلنا إلى منزل. قرّرنا أن نسأل ساكنيه إذا كان بإمكاننا قضاء الليلة هناك، حيث إننا لن نستطيع مواصلة المشي طوال الليل. لا بُدَّ أن المرأة التي تعيش هناك معتادة على زوّار الليل القادمين من القاعدة العسكرية؛ لأنها قد قادتنا مباشرةً إلى حجرة صَيِّقة لها شرفة في زاوية البيت. سألتها داهن إذا كان هنالك أي شيء يمكن تناوُلُه. كانت متفاجئةً أننا لم نتناول أي شيء بعد، وأخبرتنا أن ننتظر للحظة. عادت سريعًا مع

صينية ممتلئة بشرائح قرع مسحوقة ومقلية قليلاً، وباذنجان مُتبَّل ومطهوُّ بالبخار، وكيمتشي، وأرز، وحساء. وضعت الصينية على الشرفة. عندما التفتت لتغادر الحجرة، سألتها داهِن إذا كان هنالك أي سوجو. همَّت بأن تقول إنه لا يوجد أي منه، لكن سألتنا بعد ذلك إذا كُنَّا نريد زجاجة زَوْجِها نصف الفارغة. شكرها داهِن. عادت في الحال وهي تحمل زجاجة السوجو، وكأسي شرب، وطبقاً صغيراً يحتوي على توفو مقلِيّ قليلاً. أخبرت المرأة داهِن أن يخلع خوذته العسكرية وبندقِيّته. "ألا تخيف كل هذه الأشياء حبيبتَك؟" مَرَحَت ونظرت إليّ وهي تضحك. أخبرتنا أن الحُجْرَةَ ستدفاً خلال لحظات، ثم التفتت لترحل. تناولنا الطعام في الشرفة. كانت الأطباق قديمة، وفاحت من الباذنجان رائحة لاذعة وقوية كما لو أنها قد تُبَلَّت حديثاً بزيت السمسم. ملأ داهِن كأسه بالسوجو ونظر إليّ. بينما أهزُّ رأسي لأقول إنني لا أرغب في الشرب، لمحت شبكة عَنكبوت تتدلى فوق الشرفة. "عنكبوت!"

ألقي داهِن نظرةً ثم نهض. قبض على العنكبوت بأصابع يده العارية بينما يزحف فوق شبكته. ارتجف العنكبوت بين أصابعه في ضوء الحجرة قبل أن يقذفه داهِن إلى الفناء. "لا أخاف من العناكب بعد الآن" قال.

عاود داهِن الجلوس واحتسى مشروب السوجو. نظر إلى الكيمتشي والتوفو، لكن لم يلمس أيّاً منها. تناولتُ عِدَّةَ قضمات من الباذنجان، ثم أنزلت عيدان الأكل الخاصة بي. كنتُ جائعة، لكن لم أستطع تناول أكثر من ذلك. بينما يواصل داهِن الشرب، حدّقتُ إلى حذائه العسكري الطويل العنق وحذائي الرياضي حيث تركناها أمام الشرفة. فردتُ قدميَّ ودَسَسْتُهما داخل حذائه. كان واسعاً. نزلت من فوق الشرفة ومشيت بخطوات مُترنِّحة في أرجاء الحجرة. ضحك داهِن

بصوت مرتفع. "كيف ترتدي مثل هذا الشيء الثقيل؟!" سألته. خلعت الحذاء وفتحت باب الشرفة المؤدّي إلى الحجرة. على أرضية الحجرة المغطّاة بمشّمع أصفر، كان هنالك غطاء ان ووسادة مُسطّحة. لا بُدَّ أن الساعة قد تجاوزت منتصف الليل في الوقت الذي دخلنا فيه إلى الحجرة وفردنا المرتبة. رَقَدَت خوذة داهن على الأرضية بجوارنا. رقدنا جنبًا إلى جنب. كان داهن لا يزال يرتدي زيّه العسكري، ولا يزال يرتدي ثياب الخروج. عندما كُنَّا صغيرين، كُنَّا نذهب إلى بيت كُلِّ مِنَّا لنلعب سويًّا حتى ينتهي الأمر بنا وقد استغرقتنا في النوم. كانت أخته أو أمي تأتيان لتجدانا نائمَيْن فتحملانا إلى البيت على ظهريهما.

اندفع صوت الموح عبر النافذة الصغيرة وارتطم بحافّة أذني.

"لا بُدَّ أن المحيط قريبٌ جدًّا من هنا".

"الشاطئ فقط. المياها أبعد من ذلك. كيف حال ميرو وميونجسو؟ أهما بخير؟"

"بدأت ميرو في البحث مُجددًا عن الرجل الذي اختفى، بينما ميونجسو في كاتدرائية ميونجدونج أغلب الوقت، يتظاهر ضدّ الحكومة".

"عَمَّن تبحث ميرو؟"

ماذا كان يفترض أن أخبره؟ رغم أنني قد ذكرت الأمر، لم أمتلك الشجاعة لأخبره القصة بينما يبدو مكتئبًا جدًّا بالفعل. غيَّرتُ الموضوع. "تعرف البيت الذي مكثنا جميعًا فيه لبضعة أيام؟ والدا ميرو قد باعاه إلى شخص آخر".

"إذا لا يمكننا العودة إليه ثانية؟"

"لا... لم يعد بيت ميرو بعد الآن".

بعد أن تحطّم قلبها بسبب فقدان البيت، بدأت ميرو البحث عن حبيب أختها من جديد. كانت تأتي إلى شقّتي فجأة وهي تبدو مُحَبَّطَة ومُجَهَّدَة، وتمكث لأيام قليلة ثم تواصل بحثها. ذهبت لأبحث عنها لأرى إذا كانت ترغب في الذهاب معي لزيارة داهن، لكنها كانت قد رحلت.

"كيف حالك أنت؟" سألت داهن عن حياته أخيراً.

"أشعر أنني عالِقٌ في شبكة عنكبوت".

"ظننتُ أنك لم تُعُدْ تخاف من العناكب بعد الآن".

"لا أخاف منها. لا أقصد العناكب التي تعيش في الجبال. أعتقد أنني قد وجدت عنكبوتًا أكبر بكثير". بدا حزينًا. شعرت به يتحرّك تجاهي، ثم فجأة كان وجهه فوق وجهي مباشرة.

"أمقت صوت العيار الناري. وإحساس إصبعي فوق الزناد".

ملأت رائحة السوجو في نفّس داهن أنفي. حدّق إلى عينيّ بعمقٍ. ارتعشت عيناه ثم لامست شفتاه شفتي. ضغط رداؤه العسكري على ثيابي وانزلقت يده إلى داخل قميصي وفوق ثديي. عندما تثاقلت أنفاسه، دفعته بعيدًا عني. أمكنني الشعور بقوة يديه عندما أمسك بمعصمي.

"رجاء، يا داهن" شعرت بأنفاسه فوق بشرتي. "لا تفعل ذلك".

حاولتُ أن أدفعه بعيدًا لكنه لم يتوقّف. بينما أقاومه، لامست يدي خدّه، وشعرت بدموعه الحارة. انضغطت شفتاه في مقابل شفتي ثانية. حاول أن يفكّ أزرار قميصي.

"أنتِ المنفى الوحيد الذي رحلتُ عنه" قال.

كان الشيء التالي الذي عرفته هو قميصي وهو يُدفع إلى أعلى فوق صدري، ثم داهن وهو يحاول أن يفكّ زرّ بنطلوني. تلوّيتُ مُبتَعِدَةً

عنه، لكنه سعد فوقي وثبتني في مكاني. لا أدري إذا كان سبب ذلك هو دموعه فوق أطراف أصابعي، لكنني شعرت بالحيرة وفقدت كل قوة متبقية في جسدي. أدركت أن طيلة الوقت الذي كنت أفكر فيه كيف سأجيب على دعوة داهن، أنني علمت في أعماقي أن شيئاً كهذا سيحدث.

"أنتِ لا تحبينني" قال داهن أخيراً، وانقلب بجسده مبتعداً عني. "هو السبب، أليس كذلك؟" سألني. عرفت الشخص الذي يشير إليه. ميونجسو.

ربما لم ينعم أيُّ منَّا بأي قدر من النوم طيلة الليل بسبب حرجنا ممَّا حدث. مَدَدْتُ يدي وتحسست يد داهن لكنه لم يتحرك. عند نقطة مُعَيَّنَة، بدأت تُمطر. لو كان صوت المطر قابلاً للعدِّ، لرُبَّمَا عَدَدْتُ قطرات المطر وسط السكون المطبق الذي ساد بيننا. في الصباح التقت نظراتنا بينما نطوي الملاءات. كانت عيناه مُحْتَقِنَتَيْنِ بالدم. سلكنا الطريق نفسه الذي سلكناه في الليلة السابقة. شعرت بحزنٍ لا يمكنني وصفه. مشينا فوق أكواز الصنوبر التي بللها المطر الذي انهمر في الليلة السابقة، وشققنا طريقنا بطول طريق الغابة المهجور. وقفنا عند حافة الجُرف ونظرنا إلى أسفل نحو البحر. تحت الشمس الساطعة الجاثمة فوق الأفق، تهتز البواخر في الموج. بدا أن الشمس تشرق بسطوع أكبر بعد المطر. شقَّ جرَّارٌ طريقه حول قطع الخشب التي جرفها المدُّ إلى الشاطئ، وشباك الصيد المبعثرة بطول الشاطئ. ماذا يفعل جرَّارٌ على الشاطئ الطيني؟ كان مشهداً غير مألوفٍ بالنسبة إليَّ حيث كنت معتادةً أكثر على رؤية الفلاحين يتحركون ذهاباً وإياباً بين حقول الأرز. في كل مرة تهبُّ فيها الرياح، تندفع المياه وتلامس الضفاف الرملية، موجة تلو الأخرى. بدا صوت المحرَّكات البعيدة أشبه بشيء في حلم. دار سربٌ من طيور النورس في سماء الصباح.

"بخصوص ليلة الأمس" بدأ داهين الكلام، وقد عَلت وجهه نظرةً مُتجهِّمةً. سارعت بمقاطعته.

"لا تقلق بشأن هذا. أنا على ما يرام. سننسى كل شيء بخصوص هذا في غضون أيام قليلة".

"حسنًا" أوماً بجديَّة.

"إذا ألم تقبض على جاسوسٍ بعد؟".

اندفع السؤال من فمي قبل أن أستطيع كبح نفسي.

"لم يفعل أيُّ أحدٍ في وحدتي ذلك. لكن يقولون إنَّ أحدهم قد اصطاد حوتًا قبل عدة سنوات".

"حوتًا؟".

"لا تسبح الحيتان في البحر الغربي عادةً. لكن مرَّةً كُلَّ فترة، يشرد حوتٌ ويعبر البحر الجنوبي إلى هذا الجانب من شبه الجزيرة. يقولون إنَّ الحيتان تسبح تجاه الساحل في الظلام، فتبدو كغواصات تجسُّس كوريَّة شمالية مُتسلِّلة. اتَّبَع الجنديُّ الذي كان يحرس الساحل حينها، الإجراء المُتَّفَقَ عليه وأطلق شعلة تحذيرية، ثم أطلق قذيفة كلايمور وفتح نيران بندقيَّته الآلية. بعد أن أشرقت الشمس وسبحوا داخل المياه لُلقوا نظرة عن قرب، اكتشفوا أنه لم يكن جاسوسًا في النهاية، بل حوتًا ضخماً يطفو وبطنه إلى أعلى، وقد تمزَّق إلى أشلاء".

"حوت مسكين".

"أشاد العقيد بالجندي وكافأه بإذن إجازة سبعة أيام لأنَّه أدَّى مَهامَّ حراسته على النحو الأمثل من دون أن يغفو أثناء عمله".

بعد قصة الحوت الذي ظنَّ الجنديُّ أنه جاسوس، لم يكن لدينا أي شيء آخر لنقولهُ. كانت أول مرة نشعر فيها بالارتباك حول بعضنا البعض. سرنا عائدين بين حقل الذرة وحقل الفلفل الذي اجتزنناه ليلة

الأمس حتى وصلنا إلى وحدة داهن. أخبرته أنني يجب عليّ أن أبدأ رحلة العودة إلى المدينة، والتفتُّ لأرحل. بعد بضع خطوات، حدّقتُ إلى الورا لأراه لا يزال يقف هناك، مُتَسَمِّراً في البقعة ذاتها، يشاهدني أرحل. بعد بضع خطوات أخرى، التفتُّ من جديد فكان لا يزال هناك. أشرت إليه بأن يذهب ويدخل وحدته، لكنه لم يتحرّك. مَشَيْتُ لمسافةٍ أبعد، ثمَّ نظرتُ إلى الورا مُجدِّداً. كان رأسه يتدلَّى إلى أسفل.

يون.

السَّماءُ مُمَطَّرُ الآن. ضباب أزرق كثيف يغطِّي غابة الصنوبر والبحر. أستمِرُّ في تصوُّر الطريقة التي لم تتوقَّفي بها عن التحديق إلى الورا نحوي في اليوم الذي غادرتِ فيه. عندما أرقد تحت غطائي، تُدغِدِغُ أنفاسكِ وصوتكِ أذنيَّ. أتساءل ماذا تفعلين الآن. هل تنظرين أيضاً خارج النافذة نحو المطر المنهمر؟

بعد تلك الزيارة توقَّفتُ عن الرد على رسائله.

خَفَضْتُ رأسي حتى كادت ذقني تلامس الورقة وشرَعْتُ في الكتابة إليه.

أكثر مكان زُرته في هذه المدينة هو قصر جيونجبوكجونج⁽¹⁾ والمتحف في شارع سيجونج. في البداية كنتُ أستغرق ساعةً وعشر دقائق للوصول إلى هناك من الضاحية التي أسكن فيها. الآن يمكنني الوصول في خمسين دقيقة. لا أمشي بسرعة أكبر، بل أمسيت فقط أعرف الشوارع على نحوٍ أفضل. لكن لا أخطو إلى الداخل دائماً بمجرد أن أصل إلى هناك. لو كنتُ في طريقي إلى الجامعة، أعبّر أمامه وحسب. أحياناً أحب أن أمشي حول الجدار الخارجي للقصر بدلاً من أن أدخل. أمشي الطريق بأكمله حتى سامتشونج- دونج في الأيام التي تتراكم الأشياء التي لا أرغب في التفكير فيها بداخلي وتملاً رأسي بالضجيج.

الأمر غريب لكن دخول القصر أشبه بدخول عالم آخر. في اللحظة التي أخطو فيها عبر البوابة وأمشي فوق أراضي القصر، يتلاشى صخبُ العالم الخارجي، والسيارات المسرعة، وناطحات السحاب. أعتقد أن هذا هو سبب ذهابي هناك. عندما أكون داخل القصر، أنسى مَنْ أكون خارجه. أول مرة ذهبت فيها إلى هناك، بدا كل شيء مُنعشاً وجديداً جداً. شعرتُ بالغباء لأنني لم أدرك من قبل أبداً كم أعيش قريبة جداً من قصر ملكي. هل أخبرتك عن خطّتي بالمشي في أرجاء المدينة ساعتين على الأقل كل يوم؟ بدأت أفعل هذا كي أتعرّف على المدينة، وقد ساعدني ذلك حتى الآن على اكتشاف تلك الأماكن. يعيش كل ساكني المدينة تحت الأجنحة الحامية لهذا القصر؛ لذا لماذا لا يزورونه أكثر؟ الأمر غريب بالنسبة إليّ. لأنني فكّرتُ دائماً في بوابة جوانجهوامون كمجرد تقاطع طُرُق وليس البوابة الأمامية لقصر

(1) قصر جيونجبوكجونج: القصر الملكي الرئيسي في عهد مملكة جوسون الكورية. بُني سنة 1395.

جيونجبوكجونج، لم أُلقي نظرةً حتى على البوابة نفسها من قبل، إلى أن دخلت إلى داخل القصر. بالطبع خطر ببالي أن القصر والمتحف هما مكاناي المفضَّلان في المدينة الآن، فقط بينما أكتب إليك هذه الرسالة.

السبت الماضي، بدأت تُمطر رذاذًا في منتصف الليل. استيقظت مبكرًا ومشيئًا إلى قصر جيونجبوكجونج. حَمَلُ مظلةٍ معي بدا كعبٍ ثقيل؛ لذا اكتفيتُ بارتداء معطفٍ ذي قلنسوة. كان رذاذ المطر خفيفًا جدًّا. حين وصلت إلى هناك، كان شعري وثيابي مُبللًا. القصر مكتظُّ عادةً يوم الأحد، لكن لم يكن هنالك أي أحدٍ تقريبًا في ذلك اليوم؛ ربَّما بسبب الطقس. لم أخطِّط للدخول إلى القصر، لكنني غيَّرتُ تفكيري لأنه لم يكن هنالك طابور عند شبك التذاكر، وبدا القصر مهجورًا ووحيدًا. لقد زرت القصر من الداخل عدة مرات وظننتُ أنني أعرفه جيدًا. لكن بدت المباني القديمة مختلفة تمامًا في المطر مقارنةً بشكلها في الأيام المشمسة. حتى جبل بوجكسان الذي يمكنني رؤيته من قاعة جيونجبونج بَدَا جبلًا مختلفًا تمامًا. وسرادق هيانجوونجونج السُداسي الشكل على سطح الجزيرة في منتصف بركة اللوتس الواسعة حيث أذهب طيلة الوقت بدا جديدًا بالنسبة إليّ. ولم يكن ذلك كُلُّ شيء. بدا سرادق جيونجهوريو غامضًا جدًّا في المطر. كان مطرًا خفيفًا، مع هذا بدا كل شيء مختلفًا جدًّا. كلُّما توغَّلتُ أكثر في جنبات القصر، صادفتُ شيئًا جديدًا. في كل مرة أذهب إلى هناك، كنتُ أحرص على الذهاب إلى سرادق جيونجهوريو؛ لذا كنتُ أعرف المنطقة حوله جيدًا. لكن هذه المرة، لمحت سلَّمًا خشبيًا لم ألاحظه من قبل. تقود السلام إلى الطابق الثاني. كان هنالك لافتة "ممنوع الدخول"، لكنني صعدت إلى هناك على أية حال. كان السرادق مفتوحًا من كل الجوانب. صدمتني كل تلك المساحة المفتوحة الرَّحبة. كانت الصدمة قوية جدًّا لأنني لم أعر اهتمامًا سوى لمحيط السقف المُثمن (ثماني الأضلاع)، والذي بدا كأنه قد يطير في الهواء في أي ثانية، وزخارف القرميد التي

نُجِّتَ بصلصال رطب على شكل طيور فاغرة الفم قبل أن تُجفَّف وتُثَبَّتْ في نهاية حواف السطح. كانت أعمدة الطابق الأرضي حجرية؛ لذا ما كنتُ لأتصوّر أن أعمدة الطابق الثاني مصنوعة من الخشب. أتتذكّر كيف كُنَّا نذهب للتزلُّج على الجليد في الشتاء؟ أعني الطريق الجليدي بجوار السد حيث ينمو البقدونس المائي بسرعة ويخضُرُ في الربيع. كنا نرمي بحجر فوق الثلج قبل أن نركب الزلاجات. كنا نفعل ذلك كي نخترِبَ إذا كان الثلج سميكًا بالقدر الكافي كي يُدعِّمَ وزننا. أتتذكّر الوقت الذي رمينا فيه حَجَرًا فتشَقَّقَ الجليد الرفيع؛ بينما أصعد الدرج إلى الطابق الثاني للسرادق، اعتقدتُ أنني أسمع صوت تَصَدُّعِ الجليد في رأسي. صعدتُ بقية السلام مُسرِّعةً قبل أن أمكِّنَ من تهدئة نفسي بمجرد أن وصلت إلى الأعلى. كانت جبهتي تتصبَّبَ عَرَقًا، لكن سرعان ما سرى البرد في جسمي. وقفت هناك أشعر بالدوار. تألَّمتَ عيناى من كل ذلك الجمال المحيط بها. كانت الأرضية مُغطَّاةً بالوواح خشبية مختلفة الأطوال. شعرتُ أنني قد أمطت اللثام عن أحد أسرار المدينة. شعرتُ بإثارة شديدة من الانتصار الذي حقَّقته لدرجة أنني لم أستطع أن أكفَّ عن الضحك. أعرف الآن أنني إذا شاهدتُ لافتة "ممنوع الدخول" في أي وقت، فسوف أدخل وألقي نظرة، ضارِبَةً بالتحذير عرض الحائط. ربما كانت تلك اللافتة هي السبب الذي جعلني لا ألاحظ أبدًا السلام الخشبية رغم المرَّات الكثيرة التي مشيت فيها حول محيط السرادق أو جلست فيها أحدقُ إليه من مكان جلوسي فوق مقعد خشبي.

وقَفْتُ هناك لوقت طويل، ثم مشيت على أطراف أصابع أقدامي بحَذَرٍ فوق الأرضية الخشبية. مَشَيْتُ بأكبر قَدَرٍ من الخِفَّةِ، أزحف إلى الأمام خطوةً واحدةً في كل مرَّة. بدت بركة اللوتس خلابَةً من أعلى. تمايلت أزهار الخُرَّامَى الطافية فوق المياه في النسيم، وأحدتت قطرات الماء مَوجَاتٍ، كبيرة وصغيرة، تنتشر عبر المياه حتى تتلاشى. في

الأيام الصافية، يمكنك رؤية انعكاس السرادق فوق سطح البركة. كنت قد صعدت إلى جبال إنوانجسان وبوجكسان ونامسان من قبل. التراب الذي استخرج من الأرض عندما سُيِّدَت بركة اللوتس قد استُخدم في بناء حديقة أميسان خلف جناح الملكة. أمكنني رؤية كل ذلك أيضًا متجسِّدًا أمام عيني.

جَلَسْتُ بِحَدْرٍ في اللحظة التي فعلتُ فيها ذلك، تلاشى كلُّ التَّوْتُرِ الذي انتابني بسبب شعوري أنني قد تسلَّلتُ من دون إذن، وبدأت أسترخي. مَمَّلَكْنِي الغضب من نفسي لأنني لم أفي بالوعد الذي قطعته لميرو بأن أساعدها في البحث عن حبيب أختها، خاصَّةً وقد رحلت الآن بمفردها ثانية. لكن عندما جلست فوق الأرضية الخشبية للسرادق، بدا كأن الغضب أيضًا قد بدأ يُرْخِي قبضته عني قليلًا. بدا كأن ألواح الأرضية الخشبية تتحدَّث إليّ، كلماتها -المكتومة لمئات السنين- اختَرَقَت الصمت العميق وارتفعت في الهواء.

عزيزي داهن.

تتذكَّر كيف كان ليبت كلُّ منَّا حيث كبرنا شرفة خشبية ضيقة تلتفُّ حول جوانب المبنى؟ كانت أمي تبقي الخشب مُلمَّعًا دائمًا. أخبرتني أن أبي قد بنى الشرفة بنفسه، مستخدمًا أشجارًا جلبها من الجبل وراء منزلنا، سَقَطَت أثناء إعصار. قالت إن الخشب سوف يدوم ويحافظ على متانته لوقت طويل إذا اعتنينا به جيدًا وحرصنا على مسحه وتنظيفه وطبلي بالورنيش. هل تتذكَّر كيف اعتدنا على الاستلقاء على بطيننا، نقرأ الكتب على الشرفة، وكيف كنَّا نستغرق في النوم ووجهانا ملتصقان بالأرضية الخشبية بينما نوُدي واجباتنا المدرسية أو نلعب؟

لا تضحك.

ذلك اليوم استيقظت في الطابق الثاني لسرادق جيونجهوريو لأجد شخصاً يهزُّني. كان أحد حراس القصر. لا بُدَّ أنني نمتُ هناك لأربعين دقيقة. بعد أن تخرَجَ من الجيش، سوف أخبرك كيف تمكَّنتُ من التخلُّص من ذلك الحارس. سوف تكون تلك هي هديتي لك عند تسريحك من الجيش.

عزيزي داهن.

يوماً ما، يا داهن. يوماً ما. سوف آخذُك إلى هناك.

توقَّفتُ عن الكتابة. حدَّقتُ إلى العبارات التي فرغت من كتابتها للتو، ووجهي يكاد يلامس الورقة، ويدي تقبض على القلم الريشة. الحروف الصغيرة في كلمة "يوماً ما" أخذت تكبر وتكبر حتى ملأت مجال بصري، وأصبحت كل ما يمكنني رؤيته.

كم تمَّنيْتُ لو أستطيع أخذ داهن إلى الطابق الثاني من سرادق جيونجهوريو يوماً ما. لو أتى ذلك اليوم الذي ستمكَّن فيه من الذهاب إلى هناك معاً، فسوف أخبره ببيِّنة القصة. سأخبره أن الحارس قد هزَّنني، فانتفضت مُعتدلةً في جلستي حيث استغرقت في النوم ووجهي يلامس الأرضية الخشبيَّة. لم يكن أوَّل شيء يخطر ببالي هو "ماذا أفعل هنا؟" لكن "أين كنتُ بِحَقِّ الجحيم؟"، ثم تذكَّرتُ أنني كنت أمشي حول بركة اللوتس تحت المطر المنهمر قبل أن أرى لافتة "ممنوع الدخول" وأصعد السلم إلى الطابق الثاني. سوف أخبره كيف تواصل سقوطُ المطر. كيف كانت الأرضية الطينية لقصر جيونجبوكونج مُبللةً، وكيف غطَّى الضباب جبل إنوانجسان. سوف أخبره أن الحارس قد رمقني بنظرة قاسية ثم وبَّخني وسألني فيما كنتُ أفكِّر حين

قَرَّرْتُ النومَ في منطقةٍ محظورة، وكيف أنني قد انهرت على ركبتي في الحال وأقسمت للحارس أنني سوف أدعك وأمّع الألواح الخشبية بنفسِي، أنني سوف آتي كل يوم وأمّعها حتى تبرق من جديد. حدّق الحارس إليّ بوجه يشوبه النعاس، وأطلق ضحكةً صافية من القلب. قال إنني لا أستطيع تلميع الأرضية لأنه لا يفترض أن يصعد الزوار إلى هنا من دون تصرّيح، لكنني لا يجب أن أنسى وعدي. قال بجديّة: "لو أتى ذلك اليوم الذي سيُسمح فيه للناس بالقدوم والصعود إلى هنا كما يحلو لهم، فسوف تَفين بوعدي حينها، أليس كذلك؟"، ثمّ كَرَّر سؤاله ثانية وقد علّت وجهه نظرةً أرقّ هذه المرة. قبل أن أتمكّن من الإجابة حتى، قال: "طالما لن تنسي وعدي أبداً، طالما تعنين كل كلمة عندما تقولين إنك سوف تدعكين هذه الأرضية كل يوم، فسوف أسمح لك بالذهاب هذه المرة".

الكثير جدًّا من الوعود المنسيّة. وعود لم تُنفَّذ، وتبخّرت من الذاكرة منذ زمن طويل.

وَصَعْتُ سِنَّ قلمي الريشة تحت كلمة "يومًا ما يا داهن. يومًا ما سوف آخذُك إلى هناك". وتأهّبْتُ لكتابة آخر سطر في الرسالة، لكنني جلست هناك في مكاني من دون أن أتحرك. كل ما رغبت في كتابته هو كلمة ختامية مثل المخلصة يون لكن شعرت أنني قد حشرت نفسي في زاويةٍ ما مثل شخص يتلعثم بحثًا عن الكلمات لأنه قد وصل إلى نهايةٍ مسدودة لكنّه مُضطرٌّ إلى قَوْلِ شيءٍ ما. كتبت، اعتنّ بنفسيك قبل أن أشطب عليها. كتبت "ابقِ قويًّا". ثم شطبت عليها أيضًا. ثم كتبت "سوف أكتب إليك ثانية". ثم شطبتها كذلك. ومضت آخر صورة لداهن وهو يقف هناك ورأسه مَحنيٌّ إلى أسفل

فوق الحروف المشطوبة للكلماتي الوداعية الأخيرة إليه. انتشرت زُرْقَةٌ رأسه الحليقة في ذهني كالحرير. عَضَضْتُ شفتي وشَطَبْتُ كلمات: يوماً ما يا داهِن. يوماً ما سأخذك إلى هناك. كتبتها ثانية ثم محوتها ثانية. كتبتها ومحوتها ثم أَعَدْتُ كتابتها. أضحت الورقة بُقَعَةً حبرٍ كبيرة من كثرة الشُّطْبِ.

"يون!"

كنتُ مستغرقة في النوم على مكتبي عندما سمعت أحدهم يناديني. رفعت رأسي من فوق المفكِّرة المَبَقَّعة، وَأَنْصَتُ بحرص إلى الصوت القادم من خارج الباب.

"يون!"

كانت ابنة عمي. نهضت وفتحت الباب. بدا وجه ابنة عمي الحامل المليء بالنمش مسروراً لرؤيتي. كانت تحمل حاوية مليئة بالكيمتشي.

"لماذا لا تجيبين على الهاتف؟" سألتني.

هل رنَّ الهاتف؟ وَضَعْتَ ابنة عمي الكيمتشي في المطبخ ونظرت إليّ.

"قال أبوك إنه قد حاول الاتصال بكِ هذا الصباح" قالت.

هل فَعَلَ حقاً؟

اتَّصل بي أبي في وقت مُبَكَّر من الصباح قبل ستة شهور ليخبرني عن داهِن. قال إنه اعتقد أن من الأفضل لي أن أسمع الأخبار منه بدلاً من شخص آخر. اعتقد أنه لا يزال يمشي إلى قبر أمي كل يوم عند شروق وغروب الشمس. عندما يشتدُّ البرد، يلفُّ القش حول قاعدة شجرة تمرٍ حِنَّة التي وضعها بجوار قبر أمي ليحميها من البرد.

وعندما يحين الربيع، فإن أول ما يفعله هو أن يزيل القش. تَمْتَدُّ الأغصان إلى الخارج كمْظَلَّةٍ في الأيام المشمسة والمُمْطِرَة. لا يبدو أنها قد اجْتُنَّتْ من فناء منزلنا وأعيد غرسها، بل كأنها كانت هناك دائماً. "طلب مني أن آتي إلى هنا وأتفقَدِكِ؛ لأنه يحاول الاتصال بكِ منذ يومين. أيمكنك توفِّع متى اتصل بي اليوم؟".

نظرت إليها من دون أن أجيب.

"السادسة صباحاً. لا بُدَّ أنه قد سهر الليل ينتظر شروق الشمس كي يتَّصَلَ بي. لماذا لم تَرُدِّي على الهاتف؟".

"لم أسمع رنين الهاتف".

"حاولتُ الاتصال بكِ بدَوْرِي عِدَّة مرَّات".

رَفَعْتُ عيني ونظرت إلى الهاتف. لقد أحضر أبي الهاتف إلى هنا بنفسه وركَّبه كي يستطيع تَفْقُّدَ أحوالي في المدينة.

"هل سَلَكَ الهاتف منزوع؟" سألتني وهي تُمرِّرُ سلك الهاتف عبر يدها لتفحصه. "يبدو على ما يرام بالنسبة إليّ. إذاً لماذا لم تسمعيه يَرِنُ؟".

بعد يوم الأحد الممطر عندما مشيت على أقدامي كل الطريق حتى قصر جيونجوكجونج ثم عُدْتُ إلى البيت، مكثت في حجرتي عِدَّة أَيَّامٍ من دون أن أخرج. كلما أصبَحَت الحجرة خانقة، أخرج إلى السطح وأنظر إلى أسفل نحو المدينة. أتأمَّلُ طويلاً برج نامسان الذي يلمع في البقعة نفسها دائماً كأنه رَمَزٌ من نوع ما. متى آخر مرة غادرت فيها الحجرة؟ أعتقد أنه ذلك اليوم الذي انتَعَلْتُ فيه حذائي الرياضي ومشيت إلى الجامعة كما أفعل دائماً، وعرفت بشأن الأستاذ يون. ذهبت للبحث عن ميونجسو، الذي أصبح بالكاد

يأتي إلى الجامعة لأنه منشغلٌ في المشاركة في الإضراب الجماعي عن الطعام المُقام في كاتدرائية ميونجدونج. أخبرته أن الأستاذ يون قد تقدّم بخطاب استقالته إلى الجامعة. استقال بمحض إرادته. السبب الذي أرفقه بخطاب الاستقالة هو أنه لا يستطيع مواصلة التدريس بينما الكثير من زملائه في الجامعة قد فُصلوا لأسباب سياسية. لم يبدُ ميونجسو متفاجئًا. حتى حين أعطيته نسخة من خطاب الأستاذ يون -الخطاب الذي يبدأ بـ "إلى تلاميذي"- أخذه ميونجسو مني بهدوء وقال: "أعتقد أن ميرو لن تعود إلى الجامعة بعد الآن". حتى حين أخبرته أن الأستاذ يون سوف يغادر المدينة وينتقل للحياة في الريف، كان كل ما قاله هو: "يبدو ذلك شيئًا قد يفعله الأستاذ يون". بالفعل بعد أن أُلغيت محاضرات الأستاذ يون، توقفت ميرو عن القدوم إلى الجامعة. بعد أن بيع بيتها القديم، كانت تأتي أحيانًا إلى منزلي وتنظر إلى أسفل نحو البيت القديم. ذات مرة تمتمت: "يقومون بإصلاحه". افترضت أنها قد مرّت على البيت حديثًا. بعد أن انتقل السُكّان الجُدُد إلى البيت وأمسى يُضاء ثانية ليلاً، قالت ميرو: "أتمنى أن يكونوا سعداء هناك". كان من الغريب أن أسمع تلك الكلمات تخرج من فمها بعد أن تشاجرت بضراوةٍ مع والديها بشأن بيع المنزل. حدقتُ إلى وجهها الذي يلمع في أضواء المدينة. بدت حزينةً. سألتني عن أحوال داهن. أخبرتها: "على ما يُرام في الأغلب".

"ما الخطب يا يون؟" سألتني وأنا أحدقُ إلى الهاتف. بدا أن النمش قد غزا وجهها الذي كان أبيضَ البشرة، منذ آخر مرة رأيتها فيه. انجذبت عيناى إلى بطنها الضخمة.

"أنا ضخمة، أليس كذلك؟" ابتسمت وأراحت يدها فوق قِمة بطنها. "يقولون إذا برزت بطنكِ لأعلى فالمولود بنت".

حرَّكَت يدها إلى أسفل لتسند بطنها بفعل غريزة الحماية التي مَتَلِكْهَا أَيُّ أُمَّ حُبْلِى تَجَاهَ طِفْلَهَا غَيْرَ الْمَوْلُودِ بَعْدَ. لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَصْدُقْ أَنَّهَا قَدْ مَشَتْ صَاعِدَةَ السَّلَامِ حَتَّى حَجَرْتِي فَوْقَ السُّطْحِ، وَهِيَ تَحْمَلُ حَاوِيَةً كَبِيرَةً مِنَ الْكَيْمَتَشِيِّ، وَتَمْسِكُ بَطْنَهَا، وَوَجْهَهَا مَلِيءٌ بِالنَّمَشِ.

"لَا بُدَّ أَنْبِي كَنْتُ نَائِمَةً" قَلْتُ.

"لَكِنْ كَيْفَ اسْتَطَعْتَ النَّوْمَ خِلَالَ كُلِّ هَذَا الرَّنِينِ الْمُتَوَاصِلِ؟"

"لَقَدْ مَشَيْتُ كَثِيرًا بِالْأَمْسِ". الْحَقِيقَةُ أَنَّي قَضَيْتُ الْيَوْمَ السَّابِقَ فِي حَجَرْتِي وَلَمْ أُخْرَجْ، لَكِنْ لَمْ أَعْرِفْ مَاذَا أَقُولُ لَهَا غَيْرَ ذَلِكَ.

"لَا زِلْتِ تَقُومِينَ بِتِلْكَ الْجَوْلَاتِ؟" بَدَتِ قَلْقَةً. "مَنْ الْأَفْضَلُ أَنْ تَتَّصِلِي بِأَبِيكَ".

فَعَلْتُ كَمَا أَخْبَرْتَنِي، وَاتَّصَلْتُ بِهِ فِي الْحَالِ. لَا أَمْتَلِكُ أَيَّ ذَكَرَى عَنِ سَمَاعِ رَنِينِ الْهَاتِفِ فِي اللَّيْلَةِ السَّابِقَةِ. لَا أَتَذَكَّرُ حَتَّى سَمَاعِهِ فِي الصَّبَاحِ حِينَ كَنْتُ نَائِمَةً عَلَى الْمَكْتَبِ. التَّقَطَّتْ سَمَاعَةُ الْهَاتِفِ وَوَضَعْتَهَا عَلَى أُذُنِي وَاتَّصَلْتُ بِرَقْمِ أَبِي بِيَدٍ وَاحِدَةٍ، بَيْنَمَا أَغْلَقُ الْمِفْكْرَةَ حَيْثُ وَضَعْتُ رِسَالَتِي إِلَى دَاهِنَ بَيْنَ دَفْتَيْهَا، بِالْيَدِ الْآخَرَى. مَلَأَتْ السُّطُورَ الْمَشْطُوبَةَ عَيْنِي. سَقَطَتِ الرِّسَائِلُ عَلَى الْأَرْضِيَّةِ. بَيْنَمَا يَجِيبُ أَبِي عَلَى مَكَامَلَتِي، شَرَعَتْ ابْنَةُ عَمِي فِي التَّقَاطُطِ الرِّسَائِلِ وَوَضَعَهَا فَوْقَ الْمَكْتَبِ. أَرَا حَتَّى يَدِيهَا فَوْقَ بَطْنِهَا وَحَدَّقَتْ إِلَى الرِّسَائِلِ. لَمْ تُزِحْ عَيْنِيهَا بَعِيدًا عَنْهَا.

"أَنَا عَلَى مَا يِرَامُ يَا أَبِي. لَا بُدَّ أَنْبِي قَدْ اسْتَغْرَقْتَ فِي النَّوْمِ لَيْلَةَ الْأَمْسِ، وَلَمْ أَسْمَعْ رَنِينَ الْهَاتِفِ. كَيْفَ حَالُكَ؟"

"أَنَا عَلَى مَا يِرَامُ أَيْضًا".

تَرَدَّدَ صَدَى تِلْكَ الْكَلِمَاتِ بَدَاخِلِي مِثْلَ جَرَسٍ. لَمْ أَعْتَقِدْ أَبَدًا أَنْ مِثْلَ هَذِهِ الْعِبَارَةِ الْعَادِيَّةِ "أَنَا عَلَى مَا يِرَامُ أَيْضًا" سَوْفَ تَعْصَفُ بِي بِمِثْلِ هَذِهِ الْقُوَّةِ. لَوْ أَسْتَطِيعُ فَقَطْ سَمَاعَ الْكَلِمَاتِ ذَاتَهَا مِنْ مَيْرُو،

التي توقفت عن الاتصال بي. لو أمكنتني سماعها من ميونجسو الذي يزداد جسمه نحولاً مع مُضيِّ كُلِّ يوم. أمسكت السماعة واستمعت إلى صوت تَنفُّس أبي. لو أستطيع فقط سماع تلك الكلمات العادية من داهن.

"يون؟ ألا تزالين هناك؟"

"أجل" قلتُ أخيراً.

"إذا كانت الأمور صعبةً عليك، عودي إلى البيت وحسب".

فكرتُ في ذلك العام الذي قضيته في البيت برفقة أبي بعد موت والدتي.

ذلك العام الذي قضيته أتجوّل حول بيتنا الريفي. العشاء الهادئ مع أبي كل يوم. صوت أبي وهو ينادي عليّ في طريقه إلى البوابة الأمامية. الصمت الذي يُغلف المنزل من جديد بعد أن أجيبه من حجرتي أو المطبخ. رغم أننا لم نفعل أي شيء مُحدّد من أجل الآخر سوى إثبات وجودنا فقط، ربما من خلال النداء والرّد على الآخر، إلا أنّ كلاً منا قد ساعد الآخر على أن يتقبّل ببطء غياب أمي. عندما كُنّا صغيرين، اعتاد داهن على أن ينادي على اسمي من الرُّفاق قبل أن يصل إلى بوابة البيت ويخطو داخل الفناء. كلّما وجد داهن طيراً ميتاً أو رأى ثعباناً دهسه قطار، كان داهن يمسك بيدي ويأخذني لرؤيته. لا بُدّ أنني ناديتُ على اسمه بدوري مرّاتٍ لا حصر لها. كلما انزلقْتُ على الثلج أو سقطتُ في حفرة، كان اسمه هو الاسم الذي أهتف به؛ لأنه كان دائماً هناك بجانبني أو يسير أمامي.

"أموري جيّدة يا أبي".

عندما وضعتُ السماعة، كانت عينا ابنة عمي مثبتّتين عليّ.

"يون". بدت مثل أبي تمامًا. التقطت الرسائل برقة من فوق المكتب. بدا أنها تمتلك شيئًا لتقوله أو لتسأله. لم يتحدث أي منّا للحظة.

"لماذا لا تأتين وتقييمين معي لفترة" قالت. "سيطير زوجي إلى أوروبا." يعني ذلك أن زوجها الطيار سوف يغيب لبضعة أيام. "سأكون بخير".

انحنيت إلى أسفل ببطء ثم جلست على الأرض. فرددت ساقها واستندت إلى الحائط، لكن في لحظة كانت تتمدد على الأرضية. معدتها المستديرة بارزة إلى أعلى تجاه السقف. خطر ببالي كتاب الشعر الذي أعطاني إياه داهن في الليلة التي غادرت فيها قريتي إلى المدينة أول مرة. بسبب الاقتباس الذي كتبه في أول صفحة -بدأت في المشي بنعومة.. البشر المساكين لا يجب أن يُزعجوا عندما يستغرقون في التفكير- كان أول كتاب اشتريه في المدينة هو مفكرات لوريدس بريجي. الفصل الأول من الكتاب يصف امرأة حُبلى تدفع جسدها بطول جدار مستشفى. الإهداء المكتوب يقول:

أجمل امرأة في العالم هي امرأة حُبلى بحياة جديدة.

استمرت يدا ابنة عمي في التحرك فوق بطنها. امتد نمشها فوق خديها وعظام وجنتها حتى صدغيها. لم يكن الجو حارًا، لكن تصببت قطرات العرق فوق جبهتها. في كل مرة تأخذ فيها نفسها، ترتفع بطنها المستديرة ثم تنخفض. ذهبت إليها وركدت بجانبها. اعتدنا على النوم معًا عندما كنتُ أعيش معها. ابتسمت فامتد نمشها إلى أعلى تجاه أذنيها. أبعدت يدها اليسرى عن معدتها ومدتها إلى الأمام لتربت على خدي. سرى الدفء في وجهي.

"أَتَعِدِنِنِي بِشَيْءٍ مَا؟" سَأَلْتَنِي. نَظَرْتُ إِلَيْهَا. "عِدِنِي أَنْكِ لَنْ تَغْطِي نَافِذَتِكَ بِوَرَقِ أَسْوَدٍ ثَانِيَةٍ".

لَمْ أَتَفَوَّهُ بِكَلِمَةٍ.

"أَحْبَبْتُ دَائِمًا إِقَامَتِكَ مَعِي، إِلَّا الْفِتْرَةَ الَّتِي غَطَّيْتَ فِيهَا النِّوَافِذَ وَاعْتَكَفْتِ فِي حَجْرَتِكَ وَلَمْ تَخْرُجِي مِنْهَا".

"كَيْفَ كُنْتُ أَبْدُو حِينَهَا؟".

"كُنْتُ شَخْصًا مُخْتَلَفًا. بَدَأَ كَأَنَّكَ كُنْتَ تَصَارَعِينَ شَيْئًا مَا، أَنْكِ تَائِهَةٌ، أَنْكِ لَنْ تَخْرُجِي مِنْ تِلْكَ الْحِجْرَةِ ثَانِيَةً أَبَدًا".

"كُلُّ مَا رَغَبْتُ فِيهِ فِي تِلْكَ الْفِتْرَةِ هُوَ أَنْ أَرَى أُمِّي، الَّتِي أَرْسَلْتَنِي بَعِيدًا عَنْهَا عِنْدَمَا تَدْهَوُرُ مَرْضَاهَا. كُلُّ مَا أَرَدْتَهُ هُوَ التَّوَاجُّدُ إِلَى جَانِبِهَا".

"أَتَمَنَّى أَلَّا تَغْطِي تِلْكَ النِّوَافِذَ ثَانِيَةً". عَبَّرَتْ نَظْرَةً قَلِقَةً وَجْهَهَا. "عِدِنِي أَلَّا تَفْعَلِي ذَلِكَ. إِذَا وَعَدْتَنِي، فَلَنْ أَضْغَطَ عَلَيْكَ كِي تَأْتِي لِلْإِقَامَةِ مَعِي".

"أَعِدُّكَ يَا أُخْتِي".

حِينَ نَادَيْتُهَا بِأُخْتِي، دَاهَمَنِي النِّعَاسُ إِذْ فَجَأَةً.

"لَقَدْ وَعَدْتَنِي!" هَتَفَتْ.

أَوْمَأْتُ، ثُمَّ وَضَعْتُ يَدِي بِرِقَّةٍ فَوْقَ بَطْنِهَا الَّتِي رَاحَتْ تَرْتَفِعُ وَتَنْخَفِضُ مَعَ الرِّكَالَاتِ الْقَوِيَّةِ لِلْجَنِينِ.

مَلَأْتُ الْأَفْكَارُ رَأْسِي: عَلِيٌّ أَنْ أَقَابِلَ الْأُسْتَاذَ يُون. عَلِيٌّ أَنْ أُرَافِقَ ابْنَةَ عَمِّي إِلَى بَيْتِهَا. عَلِيٌّ الذَّهَابَ إِلَى الْجَامِعَةِ. عَلِيٌّ أَنْ أَخْذَ مَعْطَفًا إِلَى مِيُونَجَسُو فِي مَوْقِعِ الْإِضْرَابِ. مَعَ هَذَا طَغَى عَلِيٌّ النِّعَاسَ وَعَجَزَتْ عَنِ الْإِبْقَاءِ عَلَى عَيْنِي مَفْتُوحَتَيْنِ.

مذكرات ميونجسو

المفخرة البنية "8"

-1-

كانت ميرو تتجادل مع والدَيْها كلَّ يوم منذ اكتشفت أن بيتها القديم قد عُرض للبيع في السوق، وألصقَ إعلانُ بيعِه فوق نافذة كل مكتب عقارات في الحي. كانت تشعر بالاستياء الشديد أيضًا لأن يون أخبرتني أنها ندمت على قرارها، وقالت لو أنها كانت تعرف أن هذا سوف يحدث، ما كانت لتوافق أبدًا. تطلب منها الأمر وقتًا طويلًا كي تقبل دعوة ميرو بالانتقال إلى البيت، وأنها فعلت ذلك بشرط أن تكف ميرو عن ارتداء تنورة أختها الفضفاضة. كان شرطي أنا أن تتوقف ميرو عن البحث عن حبيب أختها. المنحنى الذي أخذته الأحداث تركنا جميعًا مذهولين. ظلَّ البيت خاليًا منذ موت ميراي،

لكن بيع في غضون أيام قليلة فقط بعد أن وافقت يون على الانتقال إليه.

عندما ذكّرت يون تُنورة ميرو، توتّرت. للمحافظة على التقاليد؛ جمع والدا ميرو كُلاً مُتعلّقات ميراى في فناء بيتهم بعد عدّة شهور من جنازتها، وأحرقاها. تشبّثت ميرو بتلك التُنورة بعنادٍ، وأبّت أن تتخلّى عنها. بعد ذلك، أمست ترتديها طيلة العام ولا تخلعها أبداً. مع هذا، أنصتت إلى ما قالته يون، وأشرق وجهها على الفور.

"ذلك هو الأمر؟" سألتها قبل أن تستطرد: "في اليوم الذي سننتقل فيه للحياة معاً، سوف أخلعها ولن أرتديها ثانية أبداً".

كيف تستطيع النساء أن يصبحن مُقرباتٍ من بعضهن البعض في فترة وجيزة سيظلُّ لغزاً بالنسبة إليّ.

توسّلت ميرو إلى أبيها ألا يبيع البيت، لكنه كان مُصمّماً. أخبرها أنه سوف يشتري بيتاً آخر لها. قالت إنها لا تريد سوى ذلك البيت. رفض كُلاً منهما أن يتراجع عن موقفه. أتفهّم لماذا باع أبوها البيت. ذلك البيت يحمل بداخله ذكريات مؤلمة خلّفها ميراى وراءها، وكل ما يفعله هو تذكيرهم بوجع فقدان ابنة. ما الذي يمكنه تعويضهم عن ذلك الألم؟

اتّصل والد ميرو بي وطلب مني أن أحاول تهدئتها. لكن لم تهدأ ميرو. هاجمت أباهَا وصرخت في وجهه. صفعها أبوها، لكنها رفضت أن تخضع له. كانت صدمة بالنسبة إليّ أن أراها عنيدهً هكذا.

بمجرّد أن يبيع البيت، قطعت كل اتصالاتها بوالديها، وبعد أن استأنفت بحثها عن حبيب أختها، توقّفت عن الاتصال بي أيضاً.

قَابَلْتُ ابْنَةَ عَمِّ يُون فِي كَاتَدْرَائِيَّة مِيُونَجِدُونَج.

اتَّصَلْتُ بِي فِي بَيْتِ عَمِّي. لَمْ أَدْرِكْ أَنَّهَا فِي شَهْرِ الْحَمْلِ الْأَخِيرَةِ-
بِالطَّبْع لَا يُمْكِنُنِي مَعْرِفَةُ هَذَا عِبْرَ الْهَاتِفِ. بَدَتْ صَغِيرَةً جَدًّا.

"أَوَدُّ أَنْ أَقَابِلَكَ مِنْ دُونِ أَنْ تَعْلَمَ يُون" قَالَتْ لِي.

تَسَاءَلْتُ لِمَاذَا تَرُغِبُ فِي لِقَائِي. تَحَدَّثْتُ يُون عَنْ ابْنَةِ عَمِّهَا مِنْ
حِينَ إِلَى آخِرٍ. أَخْبَرْتَنِي أَنَّهَا عَاشَتْ مَعَهَا عِنْدَمَا انْتَقَلْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ أَوَّلَ
مَرَّةٍ.

"أَرْجُوكِ، لَا تُخَيِّرِي يُون" قَالَتْ.

شَعَرْتُ بِالْفَزَعِ، وَسَارَعْتُ إِلَى سُؤْلِهَا إِذَا كَانَ قَدْ حَدَثَ شَيْءٌ لِيُون. لَمْ
أُرْهَا مِنْذُ قَرَابَةِ عَشْرَةِ أَيَّامٍ.

"هَلْ يُمْكِنُنَا الْلِقَاءُ فِي كَاتَدْرَائِيَّة مِيُونَجِدُونَج؟" سَأَلْتَنِي. "لَقَدْ سَمِعْتُ
أَنَّكَ مُتَوَاجِدٌ هُنَاكَ كُلَّ يَوْمٍ تَقْرِيْبًا. يُمْكِنُنِي التَّوَجُّهُ إِلَى هُنَاكَ الْآنَ."

الآن؟ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ؟ تَفَقَّدْتُ سَاعَتِي. كَانَتْ الثَّامِنَةُ صَبَاحًا. عَلَى
الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهَا صَاغَتْ الْجُمْلَةَ فِي صُورَةِ سُؤَالٍ، لَكِنْ نَبْرَتُهَا أَوْحَتْ
بِوَضُوحٍ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَسْأَلُ حَقًّا. أَخْبَرْتَنِي أَيْنَ أَقَابِلُهَا. لَقَدْ قَرَّرْتُ
بِالْفِعْلِ بِالنِّيَابَةِ عَنِّي: سَوْفَ تَجْلِسُ فِي الْمَقْعَدِ الْعَاشِرِ مِنَ الْخَلْفِ فِي
حَرَمِ الْقُدَّاسِ دَاخِلَ الْكَنِيسَةِ. قَبْلَ أَنْ أَغَادِرَ لِلْقَائِهَا، حَاوَلْتُ الْإِتِّصَالَ
بِيُون. رَنَّ الْهَاتِفُ عَلَى نَحْوِ مُتَوَاصِلٍ، لَكِنِهَا لَمْ تَرُدْ. وَضَعْتُ السَّمَاعَةَ
وَعَادَرْتُ إِلَى مِيُونَجِدُونَج.

عِنْدَمَا فَتَحْتُ بَابَ الْحَرَمِ، اعْتَقَدْتُ أَنَّ الْمَكَانَ خَالٍ تَمَامًا. ذَهَبْتُ
إِلَى الْمَقْعَدِ الْخَشْبِيِّ الْعَاشِرِ مِنَ الْخَلْفِ. لَمَحَتْ امْرَأَةٌ حُبْلَى، بَطْنُهَا
ضَخْمَةٌ، تَجْلِسُ فِي النِّهَايَةِ الْآخِرَى لِلْمَقْعَدِ الطَّوِيلِ. لَسَبَبٍ مَا، لَمْ أَدْرِكْ
أَنَّهَا ابْنَةُ عَمِّ يُون. كَانَتْ تَجْلِسُ فِي تَأْمُلٍ هَادِيٍّ، لَكِنِهَا نَظَّرَتْ إِلَى أَعْلَى

وابتسمت إليّ عندما جلست. نَهَضت وبدأت تمشي بطول المقعد لتقترب مني فسارعتُ إلى الوقوف وتوجّهتُ إليها. عاودت الجلوس عندما رأته أقترب منها.

مكتبة

t.me/t_pdf

تَرَدَّدتُ فبادرتُ هي بالكلام أولاً.

"أنت ميونجسو؟"

"أجل يا سيّدي."

"لا بُدَّ أنكَ تَفاجأتَ لأنني اتّصلتُ بك. أرجوك، اجلس. آسفة لأنني قد اتصلت بك في وقت مُبكر جداً. لم أنتبه إلى الوقت."

لم أتحمّل الانتظار؛ فسألتهُ مُجددًا إذا كان قد حدث شيء ليون. نظرتُ إليّ للحظة وحرّكت يدها من فوق ظهر المقعد إلى بطنها المستديرة.

"المشكلة لا تتعلق بيون، بل داهن."

داهن. تنفّستُ الصُّعداء عندما سمعت أن يون بخير. لكن ماذا حدث لداهن؟ لم أسمع أي شيء عنه من يون بعد أن زرناه ثلاثتنا في مركز التدريب. كلما سألتها عنه، كانت تخبرني أنه بخير غالبًا.

سرحتُ بأفكاري في الوقت الذي قضيناه معًا في ذلك البيت القديم. اعتادت يون أن تحدّق إليّ وإلى ميرو وقد علّت وجهها نظرة مُبهمة. حين سألتها إلى ماذا تُحدّق، قالت: "أشعر أنكما تتشاركان شيئًا بينكما لا يمكنني أن أكون جزءًا منه". خلال الفترة التي قضيناها معًا في ذلك البيت، أدركتُ ما تقصده. عندما تخوض يون وداهن محادثة عميقة بينما يُهدبان الحشائش في الفناء، أو يستلقيان فوق سطح المركب القديم في الفناء يقرآن الكتب أو يحتسيان البيرة، أو يطبخان الأرز أو يُتبلان الخضراوات في المطبخ، لا أستطيع أنا ولا ميرو التّدخل بينهما. كانا في عالم خاص بهما ويعرفان بعضهما البعض من

الداخل والخارج. بمجرد أن أخذنا يتدكّران ذكريات طفولتهما، لم أستطع وميرو متابعة نسق حديثهما. أحياناً، أجد نفسي أنظر إلى يون وداهن بالطريقة نفسها التي تنظر يون إليّ وميرو. كانت يون تسألني إلى ماذا أنظر، وكنْتُ أَمْنَحُها الجواب نفسه: يبدو أنكما تتشاركان شيئاً لا يمكنني أن أكون جزءاً منه أبداً.

نَظَرْتُ ابنة عم يون إلى أعلى نحوي والتَقَّتْ نظراتنا للحظة. كان خَدَّاهَا هزِيلَيْن، وهو ما جعل عيناها تبدو غائِرَتَيْنِ أكثر. لَاحَظْتُ أن لديها نَمَشًا. تَمْتَلِكُ أنفًا مستقيماً وشفَتَيْنِ مُحدَدَتَيْنِ بوضوح، وبشرتها داكنة أكثر من بشرة يون، لكن ربما ذلك بسبب النمش. بالكاد تَحَرَّكَ جانِبًا فمها، لكن زوايا عينيها الخارجية ارتفعت لترسم ابتسامة. ذكرت يون عيني ابنة عمها كثيراً عندما كانت تتحدّث عنها. قالت إنهما تبتسمان حتى حين تكون غاضِبَةً. بَدَأَ وجهها كما تخيلتُه إلى حَدِّ بعيد.

"أخبرتني يون الكثير عنك". قالت وهي تستخدم نبرة رسمية: "سوف تتفاجأ يون غالباً إذا عَلِمَتْ أنني قابلتُك بهذه الطريقة".

أخبرتها أنها لا تحتاج إلى أن تكون رسمية جدًّا معي، لكنها أشارت أنه لقاءنا الأول. رغم أن عينيها ظلَّتَا ودودتين، كان واضحاً من حركة فمها أنه من الصعب عليها أن تواصل التَّبَسُّم. ثم بدا أنها قد تخلَّت عن المحاولة. اسوَدَّت عيناها، وحرَّكت يديها أسفل بطنها. لا يمكننا توقُّع حدوث مثل هذه الأمور: كان من الصعب أن أصدِّق أنني أجلس الآن في الحرم المعتمِّم لكاتدرائية ميونخدونج، التي لم تشهد يوماً واحداً من دون مظاهرات مؤخِّراً... استنتجتُ أنها لا تحمل أخباراً جيدة؛ لهذا لم أحنُّها على الكلام. جلسْتُ أنظر أمامي مباشرةً مثل رجل مذب ينتظر النُطق بالحُكم عليه. ملأ صَفُّ المقاعد الطويلة عيني.

"أخبرونا أنهم كانوا يتركزون على الشاطئ قرابة الرابعة صباحًا من أجل تمارين تصويبٍ حَيٍّ " بدأت الحديث. "كان يتركز جنديُّ أكبر سنًا يكاد ينتهي من خدمته العسكرية أمام بندقية آلية، وكان داهن بجواره يُمسك ببندقية إم 16 عندما قالوا إنهم سمعوا داهن يصرخ. سمّوا ما حدث (خطأ عارضٌ في إطلاق النار أثناء تمارين تصويب ليلية)، لكن لا يبدو هذا منطقيًّا". طأطأت رأسها إلى أسفل، واندفعت الكلمات خارج فمها مرّةً واحدة كما لو كانت تُسمّعها. "داهن ميّت" قالت.

اعتقدتُ أنني قد سمعت صوت باب الكاتدرائية الثقيل يفتح بدويًّا، ثم ينغلق ثانية بضجّة. أحسستُ كأنّ شيئًا أشبه بحصان أسود رفسني من الخلف، ثم قفز فوق المقاعد الطويلة الفارغة، ثم اندفع مخترقًا السقف.

"لا أستوعب الأمر. شيء يبدو غير صحيح".

الشيء غير الصحيح هو أنني قد وجدت نفسي الآن جالسًا في هذه الكاتدرائية أتلقّى هذا الخبر. أكان هذا هو الثمن الذي علينا أن ندفعه نظير تلك الأيام الهائلة التي قضيناها في ذلك البيت قبل أن يذهب داهن إلى الجيش؟ كان داهن يبقى في البيت ليرسم في كراسة رسوماته كلّما خرجتُ وميرو ويون. في كل مرة أراه فيها مُنغمسًا في الرسم، لم أكن أستطيع حمّل نفسي على مُقاطعتِهِ. افترضتُ -بناءً على ملاحظتي لقدرته على التركيز- أنه سوف يصبح فنّانًا ذات يوم. كان من الغريب أن أعود بالذاكرة إلى الورا إلى تلك اللحظات الآن: داهن يطهو شيئًا في المطبخ لتتناوله، ثم يضعه على المائدة: توفو وكيمتشي وكعك من البصل الأخضر، وخنة الكيمتشي التي يُعدّها مستخدمًا أي شيء يجده في الثلاجة. ابتسامته المريحة. والطريقة التي كان يقول بها: "أمزج كل شيء معًا وحسب"، عندما أداعبه سائلًا أي

نوع من الرجال يطهو جيداً هكذا. داهِن وهو يقول: "انحوني سبع دقائق أخرى فقط!" كلُّما اشتكينَا أننا جوعى وهو يُخرج الشعيرية أو البببمباب ليظوه. اللحظات التي كان أربعتنا نضحك فيها ببهجة وملتهم الطعام حتى آخر قضة. بقدر ما استمتعت بقضاء الوقت مع ميرو، كان الأمر أحسنَ عندما انضمت يون إلينا، وأحسن أكثر عندما كان داهِن متواجداً معنا. هل كان الأمر مثاليًا جدًّا، وكان علينا أن نعاني من أجله؟

"ليسوا مُتَيَقِّنِينَ من سبب الوفاة" تابعت ابنة عم يون الحديث. "إذا كان انتحارًا أم حادثًا عرضيًا، أم أنه كان يتشاجر مع زميله في الرماية... الوحدات المتمركزة على الشاطئ تؤدِّي تدريبات تصويب بشكل منتظم. يؤديها الجنود بمفردهم من دون وجود ضابط أو حتى ضابط صف؛ لذا يدعون أن حدوث مثل هذه الأخطاء مُمكنٌ بسبب الإهمال. حتى خطأ بسيط قد يكون مُميّتا. على الرغم من أن داهِن كان هناك فقط لفترة مؤقتة، فإنهم يقولون إنه كان جنديًا مُنضبطًا، وكان يتعامل بودٍّ مع الآخرين في وحدته؛ لذا لم يبدُ موته انتحارًا أو حادثًا مقصودة. يقولون إنه مجرد حظٌ عاثر. لم يتلقَ قائد الكتيبة وقائد الوحدة وقائد الفصيلة ورؤساء داهِن الآخرين المباشرين سوى توبيخ على إهمالهم. لكن المشكلة هي موضع وزاوية الجرح الذي خلّفته الرصاصة، والذي لا يتوافق مع ملابس إطلاق عيار ناري بالخطأ أثناء تدريبات تصويب رصاص حيّ. أثبت التشريح الجنائي أن الرصاصة التي أصابته قد خرجت من بندقيّته".

لم أعرف ما عليّ قوله. نظرنا إلى أعلى نحو تمثال المسيح المثبت إلى الصليب. مشت امرأتان مُسنّتان يبدو أنهما صديقتان ببطء لتتجاوزانا وتجلسا على مبعدةٍ عِدَّة مقاعد أماننا. وأخرجتا حجابيّ مُصلّى أبيضين ووضعتاهما فوق رأسيهما. اخترق شعاع من ضوء الشمس النافذة

الزجاجية الملوّنة وانحرف عابراً الكاتدرائية. بدا الضوء الملوّن مثل لطفة لا يمكن إزالتها.

"أتيْتُ للقائك بسبب... " قالت ابنة عم يون. حدّقت إلى الأمام مباشرة ولم تنظر إليّ. "بسبب يون" قالت أخيراً. "صُدِمْتُ وحزنتُ لسماح خبر موت داهِن. لقد عرفته وعرفت أسرته جيّداً. رغم قلقي كيف سيتعاملون مع الخبر، فإن يون هي أوّل مَنْ خطر ببالي. أعتقد أن هذه أنانيّةٌ مني. لقد مضى ستة شهور بالفعل على موته، مع هذا تبدو يون هادئةً جدّاً بشكل غريب. ارتحت في بادئ الأمر ظنّاً مني أن هذا يعني أنها قد تجاوزت الأمر سريعاً. لكن مؤخّراً تتصرّف يون بغرابة. كما لو أنها قد بدأت تدرك الآن فقط أنه قد رحل. أو على النقيض من ذلك، تتصرّف كما لو أنها قد نسيّت ما حدث".

مات داهِن منذ ستة شهور؟ دَعَكْتُ أذنيّ. بدا أن صوت ابنة عم يون قد تضخّم كما لو أنها تصرخ في أذني مباشرة، قبل أن يخفت ويتحوّل إلى صدّى بعيدٍ، ثم أزيزٍ، لدرجة أنني لم أستطع أن أفهم كلمة واحدة. تعرف يون أن داهِن ميّت منذ ستة شهور؟! توقّفتُ عن دعك أذني ورحت أدعك عينيّ بدلاً من ذلك. شعرت كأن طبلتّي أذني تنفجران ومُقلّتي عيني تبرزان إلى الخارج. في كل مرة كنتُ أسأل فيها يون عن داهِن، كانت تقول: "هو بخير غالباً"، حتى حين سألت إذا كان يجب أن نزوره، كانت توافق في البداية ثم تتردّد وتُغيّر رأيها. كنتُ أنظر إليها كأنني أقول: "ما ذلك الرّد؟" فتقول: "لا أعتقد أن داهِن سيرغب في استقبال أي زوّار". ذات مرة أخبرتني أنه لا يرغب في رؤية أي مَدَنِيّ حتى تنتهي خدمته العسكرية، ثم في مرة أخرى وافقت، وقالت يجب أن نذهب لرؤيته. اعتقدتُ أنها لا تستطيع أن تستقرّ على قرار وحسب.

"لقد مَرَرْتُ على يون قبل عدَّة أيام" استطردهت ابنة عم يون،
"كانت تكتب رسالة إلى داهن. قرأتها أثناء نومها. كان ردًّا على رسالة
أرسلها داهن إليها قبل سنة. كَتَبْتَ أن عليهما الذهاب إلى سراق
جيونجهوريو معًا يومًا ما والصعود إلى الطابق الثاني... غاص قلبي
في مكانه عندما قرأتُ ذلك. أعرف ما تشعر به - لا يمكنها أن تتقبَّل
حقيقة أنه ميت. لقد شاهدتُ كيف كانا مُقَرَّبَيْنِ منذ كانا صغيرَيْن.
بعض الأشخاص يكونون مُقَرَّبَيْنِ جدًّا من بعضهم بتلك الطريقة".
أعرف ما تقصده.

عندما أتى داهن ليرى يون، واكتشفتُ ميرو أنه لا يملك أي مكان
آخر للنوم فيه، فَجَرَّتْنا جميعًا معها إلى ذلك البيت القديم. أعرف أن
صداقتهما كانت تمامًا مثل صداقتي مع ميرو.

"سوف ألدُ طفلي في أي يوم الآن" قالت ابنة عم يون وهي تضع
يديها على بطنها ثانية. "أرغب في مساعدتها، لكن لا أعتقد أنها
ستسمح لي بذلك؛ لهذا أتيتُ لمقابلتك. لم يكن العثور على رقم هاتفك
سهلًا، وقد وجدت صعوبة في الوصول إليك؛ لهذا استغرق الأمر وقتًا
طويلاً. بمجرد أن نَجَحْتُ في تجاوز آلام هذا الصباح، كان لقاءك بأسرع
وقتٍ مُمكنٍ هو كل ما استطعت التفكير فيه. أنا أكبر قليلًا منكما...
لهذا أتمنى ألا تُمانِعَ إذا تحدَّثْتُ معك بصراحة. أعتقد أن الناس يعانون
أعظم معاناة عندما لا يمتلكون أيَّ أحد بجانبهم. تتشارك يون وداهن
رابطةً لا يمكن أن تنكسر أبدًا، سواء كانا معًا جسديًا أم لم يكونا".

"ماذا يجب أن أفعل؟" كنتُ مُتلهِّفًا لسماع نصيحتها.

"لا تتركْ جانبها" قالت.

"وجودي معها يمنحني القوة".

أشرق وجهها، وانتشرت ابتسامة دافئة عبر خديها المنمّشين.
تفحصت عيناها وجهي.

"أنا سعيدة لسماع ذلك" قالت. "لا بُدَّ أن سماع خبر موت داهن
مني بهذه الطريقة كان صادمًا إلى حدِّ ما".

شكرتها على إخباري. عَينْتُ ذلك. لو لم تكن ابنة عم يون برفقتي،
لَكُنْتُ قد غادرتُ في الحال ورَكَضْتُ لأكون بجانب يون.

-9-

لو عانقنا مائة غريبٍ

إلى تلاميذي.

أخرج ميونجسو الخطاب الذي تركه الأستاذ يون لنا قبل أن يستقيل، وقرأ السّطر الأول بصوت عالٍ ثم ناوَلَه إليّ. وُزَعَتْ نسخًا من الخطاب المكتوب بخطّ اليد على كلّ منّا. مضى وقت طويلٍ على آخر مرّة شاهدتُ فيها خطّ الأستاذ يون، الذي أمسيْتُ معتادةً عليه منذ نسختُ كتابه "نحن نتنفّس". لم أفهم لماذا ناولني ميونجسو الخطاب فنظرت إليه.

"اقرئيه لي" قال.

"لا تزال تحمله معك في كل مكان؟".

"أخرجه من جيبي وأقرؤه كلما شعرت بالتوتر" قال مبتسمًا.

"إِذَا لَا بُدَّ أَنْكَ تَحْفَظُهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِ الْآنَ... لِمَاذَا تَحْتَاجُ أَنْ أَقْرَأَهُ لَكَ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ؟".

"لا تَسْنَحْ لِي الْفُرْصَةَ لِلِاسْتِمَاعِ إِلَى صَوْتِكَ هَذِهِ الْأَيَّامَ. أَرْجُوكَ، اقْرَأْهُ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ مِنْ أَجْلِي".

لَا بُدَّ أَنَّهُ قَدْ قَرَأَ السُّطْرَ الْأَوَّلَ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ لِيَشْجَعَنِي عَلَى قِرَاءَةِ بَقِيَّةِ الْخُطَابِ. فَرَدَّتِ الْوَرَقَةَ وَتَصَوَّرْتُ عَيْنِي الْأَسْتَاذَ يُونُ، كَيْفَ كَانَتْ تَلْمَعَانِ وَرَاءَ نِظَارَاتِهِ.

"اقْرَأْهُ" قَالَ مِيونْجِسُو، بَيْنَمَا يَرْقُدُ عَلَى الْمَقْعَدِ الْخَشْبِيِّ. أَرَّاحَ رَأْسَهُ فَوْقَ حَضَنِي. كَانَ طَوِيلًا جَدًّا، لِدَرْجَةٍ أَنْ سَاقِيهِ قَدْ تَدَلَّتَا مِنْ فَوْقِ حَافَةِ الْمَقْعَدِ وَمَلَسَتْ قَدَمَاهُ الْأَرْضَ. أَصَابَ الْفَرْعَ طَائِرِي سِمَّانٍ يَجْلِسَانِ قُرْبَنَا فَحَلَّقَا بَعِيدًا فِي السَّمَاءِ. اسْتَغْرَقَ صَعُودَ جَبَلِ نَامَسَانَ عَلَى الْأَقْدَامِ حَتَّى قَاعِدَةَ الْبَرَجِ الَّذِي كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ شَقَّتِي فَقَطَّ حَتَّى هَذِهِ اللَّحْظَةَ سَاعَتَيْنِ؛ لِذَا لَا بُدَّ أَنْ مِيونْجِسُو كَانَ يَشْعُرُ بِالتَّعَبِ. رَفَرَفَتِ بَتَلَاتُ زَهْوَرٍ بِيضَاءٍ مِنْ شَجَرَةٍ أَكَّاسِيَا عَلَى مَقْرَبَةٍ مِّنَّا قَبْلَ أَنْ تَهْبِطَ فَوْقَ وَجْهِهِ.

"اقْرَأْهُ" قَالَ ثَانِيَةً.

ارْتَفَعَ حَاجِبَاهُ، وَأَغْمَضَ عَيْنَيْهِ. نَظَرْتُ إِلَى أَسْفَلٍ نَحْوِ حَاجِبِيهِ السُّودَاوِينِ لِلْحِظَّةِ. مَدَّ يَدَهُ وَلَفَّهَا حَوْلَ يَدِي بَيْنَمَا أَمْسَكَ الْخُطَابَ. مَتَى آخِرَ مَرَّةٍ قَرَأْتَ فِيهَا أَيَّ شَيْءٍ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ؟ أَخَذَ قَلْبِي يَخْفِقُ بِسُرْعَةٍ فَجْأَةً، فَأَخَذَتْ نَفْسًا عَمِيقًا، لَكِنْ لَمْ يَسَاعِدْنِي ذَلِكَ. شَعَرْتُ بِالْخَجَلِ فَأَزْحَمْتُ الْبَتَلَاتِ الَّتِي هَبَطَتْ عَلَى وَجْهِهِ، بِرِقَّةٍ. فَتَحَّ عَيْنَيْهِ لِلْحِظَّةِ كَيْ يَنْظُرَ إِلَيَّ ثُمَّ أَغْمَضَهُمَا ثَانِيَةً. تَنَحَّحْتُ قَبْلَ أَنْ أَبْدَأَ الْقِرَاءَةَ.

لا شك أنكم تعلمون جميعًا بالأمر الآن، لكنني قد قررتُ أن أستقيل من مناصبي في هذه الجامعة حيث درّستُ لسنوات عديدة. تلك الظروف الخائفة وصحّتي المتدهورة يجعلان مواصّلتني الصعود إلى منصّة التدريس أمرًا شاقًّا عليّ. لقد تقدّمتُ بالفعل بخطاب استقالتي إلى رئيس الجامعة، وبعد أن أرسلت خطابًا مُنفصلًا مقتضبًا إلى مجلس المُدراء في المؤسسة التي تُموّل الجامعة، ها أنا أكتب إليكم الآن.

بينما أغادر هذا المنصب حيث خدّمتُ لسنوات، والذي اعتبرته ندائي ورسالتي، فمن البديهي فقط أن ينتابني عددٌ من المشاعر والأفكار المتصارعة. لكن أكثر ما يشغل بالي في هذه اللحظة هو رأيكم جميعًا فيّ. نظراتكم كانت تُشكّل ضغطًا عليّ من زاوية مختلفة عن نظرات عائلتي وأقراني. تحوي عيونكم لومًا واستهجانًا، مطالبات صامتة تحثني أن أبقى قويًا، أو تُفضّل أن آخذ خطوة للأمام وأواجهه وأفعل شيئًا.

بالنسبة إليّ، شاعر اختار أن تكون مهنته هي أن يتعامل مع الكلمات، ويصارعها؛ فإن عصرنا هذا كان عصر معاناة ومِحْنٍ في هذا العصر الذي فقدت فيه الكلمة قيمتها، هذا العصر الذي باتت تسيطر عليه كلمات العنف، كلمات ضخّمها وشوّهها الجوع واليأس، فقدت الإرادة لقول المزيد من الكلمات. فقداني الأمل في الكلمات ليس اعترافًا بهزيمتي في الحياة. على الرغم من أنني أتحنّى عن منصّة التدريس، فسوف أواصل العمل بجِدِّ والاعتناء بصحتي، والأهم من كل ذلك، سوف أتابع كتابة الشّعْر الذي انقطعُ عنه لوقت طويل جدًا. أقبل بكون هذا هو المهمة الممنوحة لي، وندائي ورسالتي في الحياة.

لكن لا تفكروا في كبحارٍ يرمي استقالته كدليل على مقاومة الوضع الذي آلت إليه الأحداث الآن. ولا كناسِكٍ عَدَمِيٍّ يرفض القِيمَ العالمية، ويزدريها وينطلق في رحلة البحث عن نُبلٍ مُنْعَزِلٍ. رغم أنني أغادر الجامعة، فسأبقى معكم بروحي، ورغم أنني قد أكون مُحِبِّطًا من لغة هذا العصر، فسوف أسعى بكل قوتي لأواصل إبداع الشعر. أتمنى أن تأخذوا قراري بمغادرة الجامعة كعلامةٍ على رغبتني في أن أراكم جميعًا يومًا ما في مكان آخر، وفي صورةٍ أخرى.

بتلك الروح، أسألكم أن تتأملوا مَلِيًّا مرَّةً أخيرةً في القصة التي أخبرتكم بها من قبل عن عبور القديس كريستوفر النهر.

الآن أنا وأنتم نعبر نهرًا مُظلمًا عميقًا. في كل مرة يضغط علينا وزنٌ مهول، وترتفع مياه النهر حتى حناجرنا، ونرغب في الاستسلام، والانزلاق تحت سطح الماء، تذكُّروا أن العالم الذي نمشي فيه لا يَقِلُّ ثِقَلًا عن الحمل فوق كتفنا. الكائنات الأرضية لا تستطيع للأسف التحرُّر من الجاذبية. تتطلَّب الحياة مَنًا تضحية مستمرة وقرارات صعبة في كل لحظة. الحياة لا تعني عبور فراغ من العدم، بل اجتياز شبكة من العلاقات المتشعبة بين كائنات، كلُّ له وزنه وحجمه وشكله. وطالما لا يكفُّ كل شيء عن التَّغَيُّرِ، فإن شعورنا بالأمل لا يجب أن يموت أبدًا. بناء على هذا، أغادركم جميعًا بفكرةٍ واحدةٍ أخيرة: عيشوا. عيشوا حتى آخر نَفْسٍ لكم. اعشقوا وقَاتِلُوا واغضبوا وتألَّموا، وعيشوا.

شعَّ الدفء من رأس ميونجسو فوق حضني. أعدتُ قراءة السطر الأخير بصوتٍ مرتفع. حملت الرياح إلينا عاصفة من بتلات زهور الأكاسيا. نهضنا من مكاننا وغادرنا غابة الأكاسيا. بينما نمشي تجاه البرج، مَتَمَّتْ بالجملة الأخيرة في رسالة الأستاذ يون إلى نفسي عدَّة مرَّات.

"في فناء البيت الذي كُبرْتُ فيه" بدأتُ أتكلّم "كان هنالك بئر. المياه داخل ذلك البئر هي أوّل مياه أتذكّر أنني شربتها في حياتي".

تطرّقتُ إلى موضوع البئر على نحوٍ مفاجئ، فاكتفى ميونجسو بالتحديق إليّ بنظرات جامدة. مشينا أسفل المزيد من أشجار الأكاسيا. بينما نقترّب من البرج، تطايّرت المزيد من زهور الأكاسيا تجاهنا، وطفت في الهواء أمام عيوننا، والتصقت بوجهينا.

"كان الصباح يبدأ كل يوم عند ذلك البئر" قلتُ. "تستيقظ أُمي فجرًا وتسحب المياه من البئر. يغسل أبي وجوهنا ويفرش أسناننا بالقرب منه. هجرت القرية برمتها الآبار الآن، وتحوّلت إلى مياه الصنبور. غطّي البئر في فناء بيتنا. لكن كلّما عدتُ إلى البيت، كنت أرفع الغطاء وألقي نظرة داخل البئر. لا يزال ممتلئًا بالماء. يُشعّرنِي رؤية المياه بداخله بالسعادة في كل مرة. من المطمئن أن أعرف أن أوّل مياه تذوّقتها لم تجفّ بعد".

استمع ميونجسو إليّ بهدوءٍ بينما أتكلّم.

"أحبك بقدر حبي النظر داخل ذلك البئر".

توقّف في مكانه متفاجئًا من اعترافي غير المتوقع. أدرك متأخرًا أنني أحاول محاكاة قصته عن العصفور التي أخبرني بها أمام جدار الحصن منذ وقت طويل، فضحك بصوت مرتفع.

"عندما كان كلُّ بيت يستخدم مياه الآبار" قلتُ. "كانت أنابيب الصرف مدفونةً تحت فناء البيت كي تسحب الفائض من المياه بعيدًا عن البيت. في أي ساعة من النهار أو الليل، يمكنك سماع خرير الماء. كان الماء ينتقل عبر قنوات خارج البيوت، إلى مصرف مياه يجري خارج البوابات الأمامية. بسبب كل تلك المياه؛ ازدهرت زهور صفراء تشبه زهور النرجس في الأزقة كل ربيع. حتى بعد أن تتساقط البتلات، تُخلّف وراءها مُستعمرةً كثيفة من عيدان خضراء. على مدار السنة

باستثناء الشتاء، كانت الأزقة تعجُّ بالزهور الصفراء والعيدان الخضراء. كان بيتنا في منتصف القرية تمامًا. كانت المياه التي تفيض من بيتنا بداية مجرى المياه الصغير ذاك. بينما تتبَّع مساره، تنضمُّ إليه المياه الفائضة من البيت التالي وهَلَمَّ جرًّا. بينما تواصل تتبَّعه، تتجمَّع المياه كلها في أخدود أكبر، يتدفَّق في النهاية داخل قناة. لكن لا تُفكِّر أن المياه كانت قَدِرَةً لأنها تخرج من كل تلك البيوت. كانت أغلب مياه البئر تُسحبُ وتستخدم في أعمال المطبخ. لأن كل ما نفعله عند البئر هو غسل وجوهنا ونقع الخضراوات؛ كانت المياه نظيفة. قد لا تبدو كمية المياه كبيرة، لكن كان تُضاف إليها أيضًا مياه المطر المتساقط في موسم الأمطار الموسمية في الصيف. تساءلتُ ذات مرَّة: (أين تذهب المياه؟)، وحاولتُ أن أتبَّعها حتى النهاية. قادتني عبر الحقول وقضبان السكة الحديدية، ثم المزيد من الحقول التي امتدَّت إلى ما لا نهاية".

توقَّف ميونجسو عن المشي والتفتَ لينظر إليّ.

"أحبُّكَ بقدر تلك المياه التي لا نهاية لها" قلتُ له قبل أن أتابع:

"اعتدت على التساؤل من أين تتبع المياه في ذلك الأخدود الضخم، فكُنْتُ أسير بمحاذاة السدِّ لأرى إلى أين يقودني الأخدود. كان بلا نهاية حرفيًّا. لكن أينما ذهبت في القرية في رحلة بحثي تلك، لم أكن وحيدة أبدًا. كان داهن بجانبني دائمًا. كُنَّا نسير بمحاذاة الأخدود حتى نصل إلى مكان كانوا يدعونهُ مجرى المياه الأعلى. بدا أنه المكان حيث تبدأ المياه. عندما حدَّقنا إلى حيث تتفجَّر المياه، كل ما أمكننا رؤيته هو قناة مُعتمَة طويلة. لم تتوقَّف المياه عن التدفُّق خارجةً منها. لم نستطع أن نذهب أبعد من ذلك، ولم نكتشف أبدًا مصدر المياه بالتحديد. لم تتوقَّف المياه أبدًا عن التدفُّق عابرةً قرية تلو الأخرى، ومتجاوزةً مصارف المياه حيث تغسل النساء الثياب فوق الصخور،

بمحاذاة حقول الأرز، حتى تصل إلى القناة حيث تُتابع الجريان من دون نهاية. أتذكّر تتبّعي تيار المياه بحثًا عن فردة حذاء رياضي انجرف بعيدًا في المياه فقط كي يعود إلى البيت مُجددًا في النهاية. مَمَلَكَنِي الغضب، وبكيت لأنني لم أعرف أين تنتهي المياه. رغم أنني أستطيع سماع خريير المياه بمجرد أن أخطو خارج البوابة الأمامية، لم أستطع أن أعرف أبدًا أين تبدأ أو أين تنتهي. كل ما عرفته أن المياه تدفقت وتدفقت من دون عائق".

قبل أن ندرك ذلك، كُنَّا قد وصلنا إلى قاعدة البرج.

"في الربيع بعد أن تُنثر البذور في الحقول، ويهطل المطر، تغمر السَّعَادَةُ الفلَّاحين. هل شاهدت وجوه الفلاحين في تلك اللحظة من قبل؟"

"لا" قال، وابتسم آسِفًا.

"عندما يَحُلُّ الجفاف في الربيع، كان الناس يصعدون إلى الجبال، حاملين حاويات المياه فوق أكتافهم، كي يرشوها فوق المنحدرات. كان مصدر المياه في تلك الأيام أمطارَ الربيع. عندما يأتي الربيع، يمشي الناس تحت المطر، من دون مظلاتٍ. لا يقولون إنها تُمَطِّرُ فحسبُ، بل يقولون: المطر قد أنعم علينا. حتى الآن، حين تُمَطِّرُ في الربيع، تجتاحني رغبة عارمة كي أجمع مياه المطر. كان هذا ما نفعله كل سنة عندما كُنَّا صغيرين. كلُّما أعدتُ أمي صلصة الصويا، كانت تجمع مياه المطر في إناء ضخم من الفخار يَسَعُ شخصين بالغين. كانت تترك الإناء مكشوفًا عندما يكون الطقس جيدًا كي تجمع الطاقة الإيجابية وتغلقه بإحكام عندما يكون الطقس سيئًا كي تمنع دخول الطاقة السلبية. وعلى الرغم من أن الوقت كان مبكرًا جدًا لزراعة الشتلات في حقول الأرز، كان أبي يبني مصارف المياه حول الحقول كي

تتدفَّق إليها مياه المطر على أية حال. كان يقول إن مطر الربيع ثمينٌ جدًّا كي يدَّعه يمضي هباءً وحسب. حتى تعريشات العنب التي كانت تجفُّ وتبدو ميتة في ذلك الوقت من السنة، كانت تنمو منها براعم خضراء عندما تلمسها أمطار الربيع. تخضَّرُ براعم الشعير، وحتى السبانخ تنمو بكثافة كالحشائش في بداية الربيع".

"ماذا كنتِ تفعلين بمياه المطر التي كنت تجمعيها؟".

"لم أكن أجمع الكثير، كمية بالكاد تكفي لترطيب لسان كلب عطشان كان يرقد تحت إحدى الشرفات".

"دعينا نجمع مياه المطر التي تتقاطر من المزاريب يومًا ما" قال مبتسمًا .

"يومًا ما؟".

"أجل، يومًا ما".

في يومٍ ما -ليس يومًا لم يأتِ بعدُ، بل يومٌ مضى عليه وقت طويل- وضَعْتُ وداهِن طست غسيل تحت المزاريب لنجمع مطر الربيع. تصوَّرْتُ المشهد: داهن يروي بمياه المطر التي ملأت الطُّسْتِ حتى حافَّتِه، أجمة الورد وشجرة الكاكي. مياه الربيع التي أعادت أشياء بَدَت مَيِّتَةً، إلى الحياة من جديد. النُّسْغ يرتفع في الربيع- سرعان ما فهمت وداهِن تلك الكلمات. ذات مرة، قبل أن يحلَّ الربيع بشكل كامل، وقفت وداهِن أمام شجرة، ونزعنا بعضًا من لحائها، كي نعرف اللحظة التي يبدأ فيها نُسْغُ الشجرة يرتفع.

شعرت بحُمَّى تسري في وجهي إذ فجأة.

"دعنا نصعد إلى أعلى البرج" قُلْتُ، ثم مشيت أمامه. ناداني ميونجسو مندهشًا. بدا صوته خافتًا.

"ما الخطب؟" سألني.

لماذا كان على داهن أن يموت؟ اختنقت الكلمات بداخلي لدرجة أنني قد شعرت برغبة في الصراخ. هل يمتلك أيُّ أحدٍ إجابةً على هذا السؤال؟

وقفنا أمام الدرايزين في قِمة البُرج، ونظرنا إلى المدينة في الأسفل. واصل البشر الخروج من الغابة والتوجُّه إلى البرج.

"يون".

"ماذا؟".

"لديّ فكرة".

نظرتُ إليه، ويدي تمسكان بالدرايزين. "دعينا نقف هنا ونعد الأشخاص".

لم يكن يشير إلى طريق الغابة في الأسفل، بل إلى السلام على الجانب الآخر.

"عندما نصل إلى الشخص رقم عشرة وعشرين وثلاثين وهلمَّ جرًّا، دعينا نركض ونعانق ذلك الشخص".

"نعانقه؟".

"أجل".

"نُعانقُ غُرباء؟".

"أجل".

لم أفهم إلى ماذا يرمي؛ لذا اكتفيت بالتحديق إليه.
"سيعتقدون أننا مجنونان، أليس كذلك؟" قال ما رغبت في قوله.

نظرت إلى أسفل نحو المدينة وتساءلتُ فيمَ يفكّر بحقّ الجحيم.
هل يرغب حقًا في عناق مجموعة من الغرباء؟! شعرت في بادئ الأمر
بالدهشة من اقتراحه، ثم شعرت بعد ذلك بدفقة من الغضب تتنامى
بداخلي. هل سيعيد ذلك داهن إلي؟! شعرت برغبة في ضرب ميونجسو
بقبضتي. هل سيعيد ذلك داهن إلى الحياة؟! رغبت في هزّ الأشجار
فوق جبل نامسان. أردتُ أن أخربش وجوه أولئك الناس المبتسمين.
بينما ينفجر غضبي، شعرت ببرودة في أعماقي جعلتني أقشعر.

"أنتِ بخير؟" سألني ميونجسو.

أومأت. ضغطت بقدمي بقوة على الأرض كي أتوقّف عن الارتجاف.

عندما أخذت إجازة من الجامعة، وعُدتُ للحياة مع أبي في المنزل،
قضيت فترة في المستشفى. أصابت جسدي حمى شديدة. كانت تظهر
بقع حمراء - أشبه بزهور من نار - على جلدي كل نصف ساعة.
عندما تلاشت في النهاية، أعقبها قشعريرة باردة. كان من الصعب
عليّ أن أتحمّل الحمى المتزايدة أكثر من نوبة القشعريرة. لم أستطع
فتح عينيّ، وشعرت أن أظافر أصابعي ثقيلة. تصبّب العرق بغزارة
من جبهتي، وكنت أتأرجح بين الوعي واللاوعي. عندما أضحت يداي
أشبه بسلطعون مغلي، حملني أبي ووضعني على ظهر درأجته، رغم
احتجاجاتي، وقادها إلى المستشفى حيث تمّ إدخالني. تواصلت دورة
الحمى التي تعقبها قشعريرة باردة داخل المستشفى. بدا جسدي
ككرة من نار، وهو مغطى ببقع حمراء ضئيلة بحجم حبوب الدخن.
في ليلتي الثانية في المستشفى، كنت مصابة بدوارٍ شديد بسبب الحمى،
وتائهة من شدة الألم، حين شعرت بشخص يضع يده فوق جبهتي.
كانت تلك اليد باردة ومُنعشة كالثلج. قد يبدو الأمر كذبة، لكن
بعد أن لمست اليد جبهتي، انحسرت الحمى الشديدة التي دامت
لأيام، في لحظة. استعدتُ تركيزي فشهدتُ أبي ينام فوق كرسي قابلٍ

للطَّيِّ. في الصباح سألته إذا كان قد لمس جبهتي في منتصف الليل. قال، لا. سألتُ الممرضة أيضًا وقد اعتقدتُ أنها لا بُدَّ مَنْ لمستني. قالت لا بدورها. لا أمتلك أدنى فكرة لمن كانت تلك اليد التي بدت باردةً جدًا فوق بشرتي وكيف بعد أن لمستني، تلاشت الحمى والقشعريرة. لو أستطيع فقط الشعور بتلك اليدِ فوق جبهتي مرة أخرى.

"هلاً بدأنا إذًا؟" سألني.

"تريدِ فعلَ هذا حقًا؟".

"نعم".

نظرتُ إليه في صمت.

"ربّما لو عانقنا مائة غريب" قال "فسوف يتغيّر شيءٌ ما".

أبقى عينيه على السلام المؤدّية إلى أعلى البرج، وبدأ يعدُّ الأشخاص الصاعدين: واحد، اثنان، ثلاثة... هبّت نسمة باردة من الغابة، وشعّت شعره. ارتفع حاجباه الداكنان إلى أعلى في كل مرّة ينطق فيها رقمًا آخر. بعد أن وصل إلى العدد تسعة، برز طفلٌ يركض صاعدًا الدّرج. كانت أمّه تجري وراءه، متخلّفةً عنه ببضع سلام. همّ ميونجسو بالنهوض والاندفاع نحو الصبي. قبل أن يستطيع عدّ الرقم عشرة، رميتُ ذراعيّ حوله، وتشبّثُ به بقوة.

مُذْكَرَات مِيونَجَسُو

المفخرة البنيّة "9"

-1-

رَنُّ الهاتف في منتصف الليل. واصل الرنين من دون توقُّف، لكن عندما رفعت السماعة، توقَّف.

أخبرتُ يون عن تلك المكالمات الليلية فجمحت عينها.

"أتلقي مثل تلك المكالمات أيضًا" قالت.

"حقًا؟".

قالت إن المتصل يضع السماعة بمجرد أن تجيب. تبادلنا النظرات، وتعكّر مزاجنا. خيم الصمت على كلينا قبل أن تسألني يون: "هل تعتقد أنها ميرو؟".

"لماذا ستغلق ميرو السَّماعة في وجهنا؟".

"هذا صحيح".

سألتني إذا كنتُ قد انقطعتُ عن التواصل مع ميرو لوقتٍ طويل هكذا من قبل.

حاولتُ الاتصال بوالديها، على الرغم من أنني أعرف أنه من المستحيل أن تذهب ميرو إليهما. من النبرة التي قالت بها أمُّها اسمي، استَطَعْتُ أن أستشِفَّ أنها لم تسمع أي شيء عن ميرو أيضًا، وكانت تأملُ أن أحمل أنا الأخبار إليها.

-2-

نقف الآن في وجه العاصفة.

أصبحتُ أنزل إلى الشارع كل يوم تقريبًا للانضمام إلى المتظاهرين. لا أستطيع أن أترك يون بمفردها؛ لذا كانت تذهب معي. مشينا في مسيرة مع المتظاهرين إلى قاعة المدينة، يتأبطُ كُلُّ مِنَّا ذراع الآخر، نحو مجمّع شينسيجاي التجاري.

"عندما نعمل سويًا بهذه الطريقة" قالت يون "أشعر أننا نستطيع أن نُحدِثَ تغييرًا، ولا يبدو الأمر غريبًا جدًّا أن تُمسك بأيدي غرباء".

كلِّمًا دُفَعْنَا بعيدًا، واضطُررْتُ إلى التخلِّي عن يد يون، أمد يدي بسرعة وأمسك يدها من جديد.

أردتُ أن أُحدِّدَ قِيَمِي بوضوح، وأن أتوقَّفَ عن الانتقال من مذهب إلى آخر. الآن أَسْتَمِدُّ قُوَّتِي من شعور التَّضامُنِ هذا. عندما أنزل إلى الشوارع، يبدو أن الضباب في رأسي، وحتى هذا اليأس الذي لا قاع له، ينقشع.

فلنتذكَّر هذا إلى الأبد.

-3-

تفوح رائحة شوكولاتة من يون.

كانت توجد حفرة في السياج الخلفي لسور الجامعة تكفي ليتسلَّل شخصٌ خلالها، وعلى الجانب الآخر من السياج ثمة متجر صغير. لم أشعر برغبة في المذاكرة؛ لهذا فَوَّتُّ وأصدقائي الجامعة، وتسلَّلنا عبر الحفرة. بينما نمشي أمام المتجر، هتف أحدهم: "شوكولاتة"، كان نوعًا من الحلوى لم أره من قبل أبدًا معروضًا، كل قطعة منها في مقصورةٍ صغيرة خاصَّة بها. سعر إحدى قطع الشوكولاتة يساوي ثمن كيس كامل من الحلوى العادية. أحصينا المال الذي معنا، واشترينا عدَّة قطع منها، وقسَّمناها بيننا، ثم تذوَّقناها. كُنَّا جميعًا مشدودين ومتلهِّفين لأن الشخص الذي لاحظ أنها شوكولاتة قال إن مذاقها سيكون رائعًا. ذابت الحلوى بسلاسة وسهولة داخل فمي. لم أعرف أي شيء في العالم يمكن أن يكون له المذاق نفسه. خطر ببالي فجأة أنني سأتحوَّل إلى حجر في تلك اللحظة وفي ذلك المكان.

على متن الحافلة، تنبعث من الراديو أغنية "أمنيّتي الوحيدة" لفرقة التّنين الأزرق. التّنين الأزرق فرقة جامعيّة فازت بجائزة على هذه الأغنية بعد أن أدّت الأغنية في أحد البرامج الموسيقية التي تُعرّض على شاشة التلفاز- مهرجان موسيقى الشاطئ أو ربما مهرجان موسيقى الجامعات، شيء كهذا. عندما أتى داهن إلى المدينة لزيارة يون، وأثناء المذاكرة معاً في البيت القديم، كُنّا نُغني نحن الأربعة هذه الأغنية معاً، بينما تعزف ميرو على جيتار أختها ميري القديم. أَرَحْتُ جبهتي على نافذة الحافلة وَغَنَيْتُ مع الأغنية.

أمنيّتي الوحيدة أن أعود إلى المحيط في سكون الغَسَقِ،

أن أنام بهدوء قرب الغابة.

سما زرقاء صافية فوق بحر بلا حدود.

لا حاجة إلى أعلامٍ مُلوّنة

ولا بيت رائع.

كل ما أطلبه هو سرير منسوج من أغصان صغيرة.

لا أحد يبكي تحت مخدّتي،

وكل ما يهمس عبر الأوراق الجافّة

هو صوت نسيم الخريف.

بَدَتِ الأغنية رومانسيّةً وشاعريّةً عندما غنيناها معاً في البيت القديم. لكن الآن ربما بسبب ما حدث لداهن، ذكّرني بالموت. لم أستطع مواصلة الغناء. التفكير في حقيقة أن تحت ذلك اللحن الجميل

والرقيق، يكمن الإغواء البارد للموت. أعتقد أن بوسع المرء أن يغنيها
بجمالٍ وحنينٍ فقط لو لم يكن قد عرف مأساة الموت حقًا، ولم يختبر
تهديده أبدًا.

-5-

أنجبت ابنة عمّ يون طفلةً. سوف يحتفلون بمرور مائة يوم على
مولدها قريبًا.

-6-

استيقظت من حلم.

لم أعرف أين كنت، لكنني كنت أقف بجوار نهر. كان عليّ أن
أعبر النهر للوصول إلى الجانب الآخر. كان الضباب كثيفًا جدًا لدرجة
أنني لم أستطع رؤية أي شيء. كنت أمشي ذهابًا وإيابًا، غير متأكدٍ
كيف يمكنني اجتياز النهر، عندما لمحت بيتًا.

كان ثمة مركب مربوط في المسافة بين البيت والنهر. استنتجت
أن مالك المركب يعيش في البيت فطَرَقْتُ على الباب مبتهجًا، لكن لم
يَرِدْ أيُّ أحد. هتفت لكن لا مُجيبَ. دَفَعْتُ الباب فانفتح. دَلَفْتُ إلى
الداخل لكن لم أشاهد أي أحد. يرقد على الأرض كتابٌ بدا كأن شخصًا
كان يقرؤه. التقطته وفتحته. أعلم أنني قرأته في حلمي، لكن بعد
أن استيقظت، لم أتذكر ما قرأته. انتظرتُ لوقتٍ طويل، لكن لم يظهر
مالكُ المركب؛ لذا صعدت داخل المركب وبدأت أجذف. تفرقت المياه
وانزلق القارب إلى الأمام. بينما أخذ المركب يعبر النهر، بدأ الضباب

ينقشع شيئًا فشيئًا. بدأ أنني مَن يدفع الضباب بعيدًا. كان الضباب كثيفًا جدًا لدرجة أنني كنت بالكاد أشاهد شبرًا واحدًا أمامي، لكن عندما وصلتُ إلى منتصف النهر، انزاح الضباب كُليًا تقريبًا. كان الأمر غريبًا. بعد أن انقشع الضباب، رفض القارب أن يتزحزح من مكانه، مهما جَدَفْتُ بقوةٍ. بدأ أنه قد عَلِقَ بسطح الماء. في تلك اللحظة سمعت هتافًا. بدأ الصوت يائسًا. نظرت حولي، وشاهدت شخصًا يلوِّح لي من على المرسى. نادى عليّ. كان الشخص بعيدًا عني؛ فلم أستطع أن أرى وجهه بوضوح، لكن الشخص راح يصيح متوسلًا إياي كي أساعده على عبور النهر. كنت قد قَطَعْتُ نصف الطريق ولم أستطع الدوران بالمركب والعودة. لو لم يتوقَّف المركب، ما كنت قد التفتُّ إلى الوراء حتى للنظر إليه. حاولتُ مواصلة التجديف، لكن لا يزال المركب لا يتزحزح من مكانه. عاجزًا، توقَّفْتُ عن محاولة التجديف إلى الأمام، وعودًا عن ذلك جَدَفْتُ مستسلمًا إلى الوراء لالتقط الشخص على المرسى. حينها فقط بدأ القارب يتحرَّك عبر التيار بسلاسة.

-7-

أحيانًا أتصلُ بمنزل والديّ ميرو. مضت ثمانية شهور من دون أن أتلقَى مكالمة هاتفية أو بطاقة بريدية منها. لا يجيب أيُّ أحدٍ عادةً، لكن أحيانًا ترفع أُمُّها السماعة. مع هذا لا نتحدَّث أبدًا. قبل أن أستطيع قولَ "مرحبًا" حتى، ينقطع الخطُّ. لا بُدَّ أن ثمة عُطلًا ما في هاتفهما. أعيد الاتصال فينقطع الخطُّ ثانية. أنتظر قليلًا ثم أتصلُ مجددًا، لكن الشيء نفسه يتكرَّر. ذات مرة، اتصلت بهما فضلًا الخط يَرنُّ ويَرنُّ من دون أن يجيب أيُّ أحد.

الشوارع هادئة الآن. كل الحماس أننا سوف نُحقِّق شيئاً، قد تلاشى. مُحاوَلتُنا لُصنع تغيير قد وصلت إلى طريق مسدود. حتى تضامُننا مع بعضنا البعض قد أُمسى مجردَ ظاهرةٍ أخرى انتهت. البشر الذين ساروا في مسيرة معاً، قد تفرَّقوا وتشتَّتوا جميعاً من دون أن يُغيِّروا أي شيء.

بدأتُ العمل بدوامٍ مؤقتٍ في مجلةٍ حيث كان شقيق ناك سوجانج رئيس التحرير. تنشر المجلة مراجعاتٍ للكتب ومعلومات عن الإصدارات الأدبية الجديدة. أحياناً أخذ كاميرتي وأذهب إلى متاجر الكتب لأصوِّر أغلفة الكتب كجزء من عملي. مبنى المجلة بعيدٌ عن بيت عمي حيث كنتُ أقيم؛ لذا أبقيتُ حقيبة نوم في زاوية المكتب. سألني شقيق ناك سوجانج إذا كنتُ أخطُّط إلى النوم هناك. أومأتُ، فنظر إليَّ بشفقة كأنه يقول: "سوف نرى كم من الوقت ستستطيع احتمال النوم بتلك الطريقة"، ثم ربَّت على كتفي.

اليوم مَرَرْتُ بقاعة المدينة وجلست مع يون في الميدان لبعض الوقت.

أشارت يون إلى ماسورة صرف طويلة مثبتة إلى جدار قاعة المدينة وسألتنني: "هل تتذكّر ذلك الرجل الذي تسلّق الماسورة؟" كنتُ أتذكّر ذلك. عندما وصل المتظاهرون إلى قاعة المدينة ذات يوم، كانت الأبواب مُقفلَةً. لم أملك أدنى فكرة من ذلك الرجل. شاهدت في الجريدة في اليوم التالي صورة له وهو يتسلّق الماسورة. لم نعرف مَنْ هو، لكن كنت ويون هناك عندما حدث ذلك. انتشرت أجواء من الإثارة في المكان جعلته يبدو لنا شخصًا يمكننا الإيمان به. تسلّق الماسورة بمرونة وسط تهليل الناس المتجمّهرين في الميدان، ثم صعد فوق سطح مبنى قاعة المدينة. كتم الجميع أنفاسهم. راقبناه بتوتّر شديد. في اللحظة التي وضع فيها قدميه فوق السطح، تنفّس الجميع الصعداء وهلّلوا بصوت مرتفع. هتف الرجل بشعارات ردّدها وراءه المتظاهرون، بما فيهم أنا ويون، وكل الأشخاص فوق الجدار الصخري خارج قصر ديوكسو، وعلى السلام المؤدّية إلى محطة قطار الأنفاق، وعلى أغصان أشجار الجنكة المزروعة بمحاذاة الشوارع.

أين اختفى كل أولئك الناس؟!

-11-

في اللحظة التي أخبرتني فيها يون أن والدة ميرو كانت تغلق الخَطَّ في وجهها قبل أن تستطيع الانتهاء من قول "مرحبًا"، شعرتُ كأنني قد تلقَّيتُ خبطةً على رأسي. قالت إنه من الواضح أن والدة ميرو تغلق الخط في وجهها عمدًا. كنتُ أفكّر طيلة ذلك الوقت بأنّ ممةً عُطلاً في هاتف والدَي ميرو، أو أنهما كانا غائبين عن البيت أثناء مكالماتي. لماذا لم يخطر ببالي أبدًا أن والدة ميرو تغلق الخط في وجهي عمدًا، وأنه لا يوجد أي عُطلٍ في خطِّ الهاتف؟

-12-

ذَهَبْتُ يوم الأحد إلى الحجرة أسفل السُّلم التي عاشت فيها ميرو. لا أعرف لماذا استغرقني الأمر وقتًا طويلًا للتفكير في الذهاب إلى هناك. كان شخصٌ آخر قد انتقل إلى الحجرة. امرأة في الأربعين من عمرها تعرج. بدا أنها تعيش هناك بمفردها. لم تسمع المرأة -التي تمتلك الكثير من التجاجيد حول عينيها- باسم ميرو أبدًا. قالت إن الحجرة كانت فارغةً عندما أتت لتلقي نظرة عليها، وأنها وقَّعت على عقد الإيجار وانتقلت إلى هنا مباشرة. حدث كل ذلك في الربيع الماضي.

"هل كانت تمتلك قطة؟" سألتني.

"أجل، اسمها إيميلي".

"لا زلت أعرّ على شَعْر قطة في الحجرة من وقت إلى آخر" قالت.

لم يَبْدُ أن ذلك يزعجها، فأخبرتها أنها كانت قِطَّةً كثيفة الشَّعر. بعد أن غادرتُ، سعدت السلام ووقفت هناك، أحدقُ إلى الفراغ الممتدِّ في

بئر السلم. أين ذهبت ميرو مع إيميلي؟ كيف أمكنها الرحيل من دون أن نخبرنا بكلمة عن الأمر؟ شعرتُ أنني غريبٌ عنها. صعدت المرأة إلى أعلى ببطء وهي تحمل القمامة.

"لا تزال هنا" قالت. أنزَلتُ أكياس القمامة وسألت: "هل زَرَعْتَ ميرو تلك النباتات؟"،

أشارت إلى سيقان الزنبق الخضراء النامية بشكل مُفرطٍ في الفناء. كانت في مستوى الأرض، لكنني زَرَعْتُها كي تستطيع ميرو رؤيتها من داخل حجرتها. عندما انتقلت إلى الحجرة لأول مرة، كان المكان مظلمًا جدًّا، لدرجة أنني قد قَرَرْتُ أن أزرع الزهور في الفناء من أجلها.

"أرجوك أخيرٌ صديقَتك أنني سوف أعتني بزهورها جيدًا. عندما انتقلت إلى الحجرة في الربيع الماضي، كانت تلك الزنابق تضيء الحجرة. تساءلتُ مَنْ زرعها. شعرت بسعادة غامرة طوال الفترة التي كانت فيها الزهور متفتحة. سألت المالكَةَ وقالت إن الساكنة السابقة قد زرعتها. إذًا هذه هي ميرو!".

أومأت المرأة بأدب إليَّ كما لو كنتُ أنا ميرو نفسها.

-13-

يرنُّ هاتف المكتب كثيرًا في منتصف الليل. أحيانًا يوقظني رنينه ولا أستطيع النوم ثانية. عندما أفتح سَحَاب حقيبة نومي، يتردّد الصوت في أذني بصدًى مألوف. يواصل الهاتف الرنين طوال الوقت الذي أنزلق فيه خارج حقيبة نومي مثل ثعبان ينسلخ من جلده قبل أن أمشي إلى الهاتف.

بمجرد أن رفعت السماعة، قال صوت أنثوي شاباً: "يجب أن أعثر على جيسو".

"اعذريني؟".

"جيسو" بدا صوتها مُستعجلاً "قُلْتُ إن عليّ العثور على جيسو".

لماذا تتصل بِحَقِّ الجحيم بمقرِّ مَجَلَّةٍ في منتصف الليل لتقول إنها تحتاج أن تعثر على جيسو؟ خَمَنْتُ أنها قد اتصلت برقم خاطئ، لكن بدت مُلِحَةً ويائسة للغاية، لدرجة أنني لم أستطع أن أغلق الخطَّ في وجهها. كِدْتُ أخبرها أنني لا أعرف أي شخص يدعى جيسو، لكن سمعت صفير انقطاع الخطِّ. لقد وَضَعَت السَّمَاعَةَ.

وَضَعْتُ سماعة الهاتف في موضعها. هَمَمْتُ بالعودة إلى حقيبة نومي عندما رَنَّ الهاتف من جديد. فَكَّرْتُ أنه من واجبي على الأقل أن أخبرها أنني لا أعرف مَنْ هو جيسو. التَّقَطُّتُ السماعة، لكن انغلق الخطُّ على الفور هذه المرة. خَمَنْتُ أن ميرو لم تكن الوحيدة. الكثير من الناس تبحث عن شخص ما. فَكَّرْتُ أنه ربما في أماكن أخرى، أماكن لم أسمع عنها أبداً، ثَمَّة هواتف أخرى لا تتوقَّف عن الرنين بحثاً عن شخص مفقود.

-14-

رَنَّ الهاتف مُجدِّداً، فاعتقدتُ أنها المرأة ذات النبرة اليائسة- المرأة التي تبحث عن جيسو. لم أغادر حقيبة نومي، وتركت الهاتف يرنُّ. ظَنَنْتُ أنه سيتوقف في النهاية، لكن لم يفعل. عبست، وانزلقت خارج حقيبة النوم، ورفعت السماعة. كانت يون.

"أَيُمْكِنُنِي القدوم إليك؟" سألتني بهدوء.

كنتُ عادةً مَنْ يقول ذلك إليها. نظرت في ساعتِي. كانت الثالثة صباحًا. أستطيع سماع صوت تنفُّسها عبر الهاتف. لم أتحدَّث معها طيلة اليوم. حاولتُ الاتصال بها بعد منتصف اليوم بضع مرات لكنها لم تردَّ.

"هل حدث شيء ما؟" سألتها "سوف أكون هناك".

"لا" قالت "سوف آتي إليك".

صدمتني كلماتها وشعرت كأن الرياح قد طرحتنِي أرضًا.

"لا أستطيع الإبقاء على الأمر سرًّا" قالت "سوف أخبرك بكل شيء".

بدأت يداي تتعرقان. لم أضطر إلى سؤالها. عرفت أنها تتصلُّ لتُخبرني عن ميرو.

-10-

داخل النار

تغيّرت الإشارة فعبرت الشارع. تساقط وابلٌ من المطر على الإسفلت وقَمَم السيارات بصوتٍ يشبه تهشُّم الزجاج. على الجانب الآخر، احتشد الناس أسفل مظلة موقف الحافلات. تلاشت النظرات الجوفاء على وجوههم في اللحظة نفسها. كما لو أنه يسخر منهم، بعد أن أجبرهم على الوقوف هناك متجمّدين في أماكنهم وقد علاهم التوتر، هدأ وابل المطر فجأةً قبل أن يتوقّف تمامًا. أتى المطر وذهب في لحظة، مثل حلم سريع أثناء غفوة قصيرة. شكّت أشعة شمس الشتاء طريقها إلى أسفل من جديد بين الأبنية كأنها لم تمطر على الإطلاق. لكن لم يتزحزح الناس من أماكنهم عند موقف الحافلات. رفعوا عيونهم إلى أعلى نحو السماء في شكٍّ، ورمقوني بنظراتهم بينما أعبّر أمامهم.

كانت الجامعة خاليةً. بدأت عطلة الشتاء وكان الطقس باردًا جدًا. كان ميونجسو هناك بالفعل، ينتظرنى أمام قاعة المحاضرة. لا بُدَّ أنه يرتجف بردًا، لأن وجهه كان شاحبًا كالموتى. لم يكن يرتدي وشاحًا أو قفازات.

"هل حصلتَ عليه؟" سألتُه.

أوماً. "لكن لماذا نحتاج مفتاح مكتب الأستاذ يون؟".

"أحضرتُ مُفكِّرةً يوميةً ميرو".

كان يسارع عادةً إلى الابتسام في وجهي، لكن هذه المرة نظر إليّ نظرةً مُجرِّدةً من أي تعبير. استجمعتُ قوَّتي. لقد وَعَدْتُ نفسي ألا أتجلجج عندما أخبره عن ميرو.

"دعنا نذهب إلى مكتب الأستاذ يون أولاً".

بدأ يمشي أمامي، لكنني تَعَلَّقْتُ بذراعه. لم يستطع أن يخرج يديه من جيوبه. خلعت قفازي ووضعتَه في حقيبتى، ودَسَسْتُ يدي في جيب معطفه. عندما أَمَسَكْتُ يده، بدا أنه قد جفل.

"اتَّصلتُ بكِ ثانيةً ليلة الأمس، أليس كذلك؟" سألني.

صَغَطْتُ على يده بدلاً من أن أجيئه. أردت أن أخبره أنه لا بأس في ذلك، لكنني قد قلتُ له تلك الكلمات مرَّات عديدة من قبل. لا بأس أنه قد اتَّصل بي. يمكنه أن يتَّصل بي في أي وقت، وفي أي ساعة من النهار أو الليل طالما أعرف المكان الذي يتصل بي منه. لكن عندما أسأله أين هو، كثيرًا ما لا يستطيع ميونجسو الإجابة. أحيانًا يبدو لي أنه سوف يقول شيئًا ما لكن ينقطع الخَطُّ فجأةً. متى سنصبح بخير ثانية؟ كانت يدي صغيرة جدًا كي تلتفَّ حَوْلَ يده.

في طريقنا إلى مكتب الأستاذ يون، التفت ميونجسو ونظر إلى الورااء نحو شجرة الزلكوفا. التفتُّ إلى الورااء بدوري. وقَفَّت الشَّجرة -التي

كانت عادةً مُحاطَةً بِالطُّلَابِ- وحيدةً في هواء الشتاء. تذكَّرتُ اليوم الذي وقفتُ فيه في هذه البقعة ذاتها ونظرت إلى الورا لَأرى ميرو تمشي تحت الشجرة، وحقيبتها فوق كتفها، وكتاب في يدها. كانت تسير محنيَّةَ الظهر، وكتفاها إلى الداخل كما لو كانت تحدِّقُ إلى قلبها. معطفها القطني الأبيض وتُورثها الفضفاضة المزخرفة بزهور بيضاء فوق خلفية زرقاء داكنة. ومضت في رأسي ذكرى تُورثها الطافية إلى أعلى في النسيم، فضغطت على يد ميونجسو بشدَّة. ربما كان يفكِّر فيها في تلك اللحظة أيضًا.

أبقيتُ يدي داخل جيبه حتى وصلنا إلى مكتب الأستاذ يون، واحتاج أن يُخرج المفتاح. على الرغم من أنني أعرف أن المكتب فارغ، طرقتُ على الباب على أيَّة حال بينما يضع ميونجسو المفتاح داخل القفل.

عندما حَطَّونا داخل المكتب، ارتطمت بنا رائحةٌ عَفِنَةٌ. غَمَرْنَا هواءُ الشتاء البارد والرطوبة في بادئ الأمر. أغلق ميونجسو الباب وأضاء النور. كما لو أن ستارةً قد انزاحت عن نافذة، أُضيئت الحجرة القائمة، واتَّضحت معالم الكتب. حدَّقتُ الكتب إلينا بنظرات جوفاء. رفعتُ عيني نحو مكتب الأستاذ يون على الجانب الآخر من كومة الكتب. لا زلتُ أستطيع سماع صوته يقول: "ادخلي"، بالنبرة نفسها التي قالها لأوَّل مرة حين طرقتُ فيها على باب مكتبه قبل وقت طويل. لو فقط أطلَّ الأستاذ يون في تلك اللحظة برأسه إلى الخارج من وراء الجانب الآخر من الكتب وقال: "اجلسي على المقعد هناك..." لو.

"لا أحد هنا" مَتَمَّ ميونجسو رغم معرفته ذلك فور دخولنا المكتب.

مشيت إلى المكتب. المكتب الذي كان مُغطَّى بالكتب المفتوحة والمخطوطات عادةً، فارغٌ تمامًا الآن. تصوَّرتُ الأستاذ يون يعدُّل أشياءه،

ثم مَرَّرْتُ يدي فوق سطحه. غطى الغبار كَفِّي. قصدت أن ألمس المكتب وحسب، لكنني شرعت أنفض الغبار عنه بدلاً من ذلك. لم يكن هذا كافيًا، فالتقطت منديلًا ورقيًا. تصاعدت سُحُبٌ من الغبار من داخل علبة المناديل. ذهب ميونجسو إلى الحوض المثبت في إحدى زوايا المكتب وفتح الصنبور. صرَّ الصنبور غير المستعمل منذ مدة طويلة. أغلق ميونجسو الصنبور ثم فتحه ثانية بقوة أكبر. تفجَّرت المياه خارجه. تراجع ميونجسو إلى الورا، وهو يمسح قطرات المياه التي تناثرت على ثيابه، وانحنى بجسده. أسفل الحوض يوجد دلو يحتوي على قطعة قماش جافة بداخله. أمسك ميونجسو القماشة تحت الصنبور المفتوح، ثم عصر المياه منها، وأتى إلى مكاني. من دون أن يتفوّه بكلمة، راح يمسح المكتب الذي كنتُ أنفض عنه الغبار بيدي.

"أعطيها لي" قلتُ "سأقوم أنا بذلك".

تجاهلني، وركَّز على تنظيف مكتب الأستاذ يون، كأنه قد أتى خصيصًا كي ينظف المكتب. راقبته بينما تصبح قطعة القماش البيضاء مُغبرةً تمامًا، ثم أمسكتُ مصرعيّ النافذة لأفتحها. اندفع نسيم بارد بهدير مكتوم.

"من الجيد أنهم قد تركوا مكتبه من دون أن يلمسوه" قلتُ.

"قد يعود يومًا ما" قال "سمعت أنهم لم يقبلوا استقالته بعد".

يومًا ما... تمتتُ بالكلمة إلى نفسي.

انتهى من تنظيف المكتب ونزع بطانة المقعد ونظفه أيضًا. نفض الغبار عن البطانة ثم أعادها فوق المقعد قبل أن يضرب عليها بكفِّه عدَّة ضربات قوية. بدا مُنهكًا. اتَّصلَ بي ليلة الأمس، بعد الساعة الرابعة صباحًا. لا بُدَّ أنه كان مُملًا؛ لأنني بالكاد فهمتُ كلامه. سألته أين هو، لكن لم أستطع استيعاب إجابته. تكررَّ الشيء نفسه كثيرًا في

الآونة الأخيرة. لم أكن أستطيع حمل نفسي على سؤاله في اليوم التالي، ماذا حدث. أحيانًا كان يقول فقط إن آخر شيء يتذكّره هو صعوده على متن قطار الأنفاق، وأنه لا بُدَّ قد استغرق في النوم.

"ألا تشعرين بالبرد؟".

"جدًّا".

بعد أن فرغ من مسح الغبار عن مكتب ومقعد الأستاذ يون، أغلق النافذة التي فتحها منذ لحظات واختلس نظرة من بين الستائر. لا أحد هناك في الخارج.

سألني وظهره يواجهني: "لماذا أحضرتني إلى هنا؟".

"كي أضع مُفكِّرة ميرو على رَفِّ الكُتُب".

فَتَحْتُ حقيبتني وأخرجت مُفكِّرة ميرو السميكة، وذهبت إلى رَفِّ الكتب، حيث وُضِعَت الكتب وظهرها يواجه الداخل. حرَّرت الستائر من بين يديه ونظر إليّ.

أول شيء جذب انتباهي عندما زُرْتُ المكتب لأول مرة كانت تلك الكتب العتيقة التي بدا كأن ورقها سيتفتَّت مع أقل لمسة. كُتِبَ لِكُتَّابٍ ماتوا في عُمُرٍ صغير، قبل الثالثة والثلاثين. مَرَّرْتُ يدي فوق الكتب بينما أمسك بمفكِّرة ميرو. لا تزال مرصوفةً وظهرها إلى الحائط بحيث لا يمكن رؤية اسم المؤلف أو عنوان الكتاب. شعرت كأنَّ الكتب تتحدَّث إليّ، لكن ما استطعت فهمَ أي كلمة ممَّا تقول. تذكَّرتُ كيف سألني الأستاذ يون ذاك اليوم: "هل تتساءلين لماذا رَصَّصْتُ الكتب بتلك الطريقة على رَفِّ الكتب؟". التفتُّ غريزيًّا لألقي نظرة على المكتب الفارغ. وقف ميونجسو هناك وعيناه عليّ، ووجهه جامد من البرد.

"هل ترغب في القيام بذلك؟" سألته.

تحرّكت نظراته نحو مفكّرة ميرو في يدي.

"كانت معكِ طيلة الوقت؟"

"ذهبت إلى بيت جدّة ميرو. تتذكّر حين حاولت الاتصال بي في منتصف الليل ولم أكن في البيت. ذهبت إليه في ذلك اليوم."

"كيف وجدّ البيت؟"

"لقد قابلتُ والدة ميرو وذهبتُ برُفقتيها".

t.me/t_pdf

وقف هناك هادئًا.

"أسفة لأنني لم أُخبركِ". لم أستطع أن أخبره بذلك؛ لذا ذهبتُ للقائها بمفردي. بعد أن عدتُ من زيارتي لبيت جدّة ميرو، جلست أمام الهاتف حتى وقت متأخّر من الليل قبل أن أستسلم وأتصل به أخيرًا. كان ميونجسو وميرو مثل توأمين. لقد فقدتُ داهن، وفقد هو ميرو الآن.

أتى إليّ وأخذ مُفكّرتها. ربما كان كلانا يتخيّل يديها في ذهنه. يداها المشوّهتان بالندبات اللتان سجّلنا ما كانت تأكله ميرو بدقّة متناهية من دون أن تنسيا أي شيء. تخيّلْتُ نفسي كأنني كائنٌ آخر كليًا، أحدّقُ بافتتان إلى ميرو وهي تكتب في مفكّرتها، أنا التي لم أر من قبل أبدًا أي شخص يُدوّن كل شيء يأكله بمثل هذا التفاني. كل تلك الأيام التي قضيناها في كتابة القصص في يومياتها. كلما كُنّا معًا، كانت وجوهنا تتورّد بالحب الذي يُكنّهُ كلٌّ مِنّا للآخر. عندما بدأت ميرو تملأ صفحات مفكّرتها بقصص أشخاص مختلفين، كان يجدر بنا أن نولي الأمر اهتمامًا أكبر. كانت تلك القصص هي صرخات الألم الذي يعذب ميرو.

تصفّح ميونجسو المفكّرة بسرعة، ومَرّرَ يده فوق صفحاتها قبل أن يعيدها إليّ.

"افعلي أنتِ هذا" قال.

لا بُدَّ أن مفكرة ميرو كانت السبب الذي دفع والدة ميرو إلى عدم إغلاق الخطِّ في وجهي ذلك الصباح الذي اتَّصلتُ فيه بها. كانت تغلق السماعة عادةً في اللحظة التي أنطق فيها اسم ميرو. لم يُحجمني هذا عن الاتصال ببيت والدَي ميرو كلما خطَّرت ميرو ببالي. أعرف أن والديها لا يرغبان في الحديث مع أي أحد عن ابنتهما، لكن لم أعرف ماذا يجب أن أفعل غير مواصلة الاتصال بهما. ثم ذات صباح بعد عدَّة شهور من آخر محاولة فاشلة للاتصال بهما، حاولتُ ثانية. في اللحظة التي سمعت فيها صوت والدة ميرو تقول مرحبًا، سارعتُ قائلةً: "لا تُغلقي الخطُّ!".

"أرجوكِ لا تغلقي الخطِّ" تَوَسَّلْتُ إليها. خلال الصمت الذي تبع ذلك، شعرتُ كأن أصابعي تتفكَّك.

"مَن معي؟".

قطعتُ والدة ميرو الصمت أخيرًا.

"اسمي جونج يون".

"جونج يون؟".

"نعم" قلتُ بسرعة.

"إذا أنتِ جونج يون".

جلستُ على ركبتي، وأنا أمسك سماعة الهاتف بين يدي. "لقد قرأتُ يومياتكم التي كتَّبتها ثلاثتكم" قالت. أشارت إلى اليوميات بـ "يومياتكم" لا "يوميات ميرو".

"لقد وجدتها في بيت جدتها" أضافت.

"أرجوكِ، دعيني أتحدِّث مع ميرو".

خارت قواي كلها. بدا كأنني أعرف بداخلي بالفعل أنني لن أسمع صوتَ ميرو ثانية أبداً.

"أرجوك، أعطي السماعَةَ إلى ميرو" تَرَجَّيْتُهَا.
تَنَهَّدَتِ أُمُّهَا تَنَهْدَةً عَمِيقَةً.

"أين هي؟" سألتها. ساد الصمت على الطرف الآخر من الخَطِّ.
"أرجوك، لا تغلقي الخطَّ."

"ميرو مَيِّتَةٌ."

لم أعِ كلماتها في البداية.

"لقد جَوَّعَتِ نفسها حتى ماتت."

أخيراً اسْتَوَعَبْتُ الحَقِيقَةَ.

"هل تسمعيني؟" قالت "لقد رَحَلَتْ إلى الأبد."

حَدَّقْتُ بتعبيرٍ جامد خارج النافذة إلى برج نامسان على مبعدة.

شعرت كأن البرج ينهار فوقي. قالت والدة ميرو إنها لم تمتلك أدنى فكرة أن ميرو قد ذهبت للعيش في البيت المهجور الذي تَرَكْتَهُ جَدَّتُهَا لها. انشغلتُ وميونجسو في سُعار التظاهرات الذي اجتاح الشوارع، عن معرفة أين كانت ميرو. وبينما كُنَّا نسأل الجميع إذا كان أي أحد يعرف أي شيء عن ميرو، كانت وحدها في بيت جدَّتِها. أردت أن أسمع المزيد، لكن قالت أمها: "أصبح كل شيء جزءاً من الماضي الآن"، ثم أغلقت الخط. بعد عِدَّةِ أيام، اتصلت والدة ميرو بي. عندما أجبت على الهاتف، خاطبتني بحنانٍ لا اصطناعَ فيه. أخبرتني أنها سوف تذهب إلى بيت جدَّةِ ميرو، وسألتنني إذا كنت أرغب في مرافقتها. ذهبت إلى المحطة في المدينة حيث تعيش أسرة ميرو كما أرشدتني أمُّها. أتى إليَّ رَجُلٌ بدا أنه سائقٌ خاصٌ وسألني إذا كنتُ جونج يون.

تَبِعْتُهُ إِلَى حَيْثُ كَانَتْ وَالِدَةُ مِيروُ تَجْلِسُ دَاخِلَ سَيَارَةِ فِضِيَّةِ اللَّوْنِ. كَانَتْ تَرْتَدِي ثِيَابًا سَوْدَاءَ بِالْكَامِلِ. هَمَمْتُ بِالْجُلُوسِ فِي الْمَقْعَدِ الْأَمَامِيِّ، لَكِنَّهَا طَلَبَتْ مِنِّي الْإِنْضِمَامَ إِلَيْهَا فِي الْمَقْعَدِ الْخَلْفِيِّ. تَمَدَّدَتْ إِيمِيلِي عَلَى لَوْحَةِ السَّيَارَةِ الْخَلْفِيَّةِ، لَكِنْ لَمْ يَبْدُ عَلَيْهَا أَنَّهَا تَتَذَكَّرُنِي. لَمْ أَقُلْ وَوَالِدَةُ مِيروُ أَيَّ كَلِمَةٍ فِي الطَّرِيقِ إِلَى الرَّيْفِ. فَقَطْ عِنْدَمَا دَارَتْ السَّيَارَةُ فِي مَنحَنِ حَادٍ، نَظَرْتُ وَالِدَةَ مِيروُ فِي عَيْنِي. قَدْ تَكُونُ ثِيَابَهَا سَوْدَاءَ، لَكِنْ وَجْهَهَا شَا حَبِ. أَمَسَّكَتُ بِيَدِي - كُنْتُ أَتَشَبَّهُتُ بِقُوَّةِ مَقْعَدِ السَّيَارَةِ كِي أَمْنَعُ جَسَدِي مِنَ الْإِنْزِلَاقِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ تَسْلُكُ السَّيَارَةُ مَنعَطًا آخَرَ. كَانَتْ وَجْهَهَا مُجَرَّدًا مِنْ أَيِّ تَعْبِيرٍ، لَكِنِّي اسْتَطَعْتُ أَنْ أَسْتَشْعِرَ الدَّفْعَ وَالْقُوَّةَ وَهِيَ تَحَاوَلُ أَنْ تَحْمِينِي. حَدَّقْتُ إِلَى الْأَمَامِ مَبَاشَرَةً. رَغِمَ أَنْنِي لَمْ أَحَدِّقْ إِلَيْهَا مَبَاشَرَةً، أَمَكِنِّي أَنْ أَرَى مَلَامِحَ مِيروُ فِي جَانِبِ وَجْهَهَا الَّذِي يَمَكِنُنِي رُؤْيَتَهُ مِنْ مَوْضِعِي: نَفْسَ الْأَنْفِ وَالْجِبْهَةِ وَالشَّفَتَيْنِ. الْعُنُقُ الْهَيْفَاءُ الطَّوِيلَةُ. بَدَأْتُ كَأَنَّي أَلْقِي نَظْرَةً عَلَى نَسْخَةٍ أَكْبَرَ فِي السَّنِّ مِنْ مِيروُ. عِنْدَمَا اسْتَقَامَ الطَّرِيقُ الْجَبَلِيُّ كَثِيرَ الْمَنحِنِيَّاتِ آخِرًا، حَرَّرْتُ يَدِي بَرَقَةً. تَأَمَّلْتُنِي بَيْنَ الْفِينَةِ وَالْآخَرِي، لَكِنْ مَعْظَمَ الْوَقْتِ كَانَتْ تَشْخَصُ بِبَصَرِهَا خَارِجَ النَّافِذَةِ حَتَّى وَصَلْنَا إِلَى بَيْتِ جَدَّةِ مِيروُ. كَانِ الْبَيْتُ يَرِبُضُ عِنْدَ قَدَمِ جَبَلٍ. الْقَرْيَةُ صَغِيرَةٌ جَدًّا - لَا تَحْوِي سِوَى ثَلَاثَةِ بِيُوتٍ مَتَنَاثِرَةٍ.

"أَعْتَقِدُ أَنَّهَا رَغِبَتْ فِي الْحَيَاةِ هُنَا مِثْلَ جَدَّتِهَا" تَحَدَّثْتُ وَالِدَةَ مِيروُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ مَنذُ غَادَرْنَا الْمَحْطَةَ. "أَخْبَرْنِي أَحَدَ الْجِيرَانِ أَنَّهُمْ شَاهَدُواهَا تَرْتَدِي قَبْعَةً وَبِنَطْلُونًا فِضْفَاضًا، وَتَحْمَلُ جَارُوقًا، وَتَعْمَلُ فِي الْفِنَاءِ وَبِسْتَانَ الْخَضْرَاوَاتِ. صُدِّمُوا فِي الْبَدَايَةِ؛ اعْتَقَدُوا أَنَّهَا شَبِحَتْ جَدَّتِهَا".

كَانَ الْبَيْتُ كَمَا وَصَفْتَهُ مِيروُ تَمَامًا. كَانَ مَأْلُوفًا لِي كَأَنَّي كُنْتُ هُنَا مِنْ قَبْلِ. فِي الْفِنَاءِ تَقِفُ أَشْجَارُ الْكََاكِي وَالْبَرْقُوقِ وَشَجَرَةُ الْكَرْزِ، وَفِي الْخَزَانَةِ تَوْجَدُ الْأَطْبَاقُ وَالْمَلَاعِقُ وَعِيدَانُ الْأَكْلِ النَّحَاسِيَّةِ. فِي السَّقِيفَةِ،

رُبِّتْ مُعَدَّاتٍ وَأَدَوَاتِ الْفِلاحةِ بِنظامٍ، وَعُلِّقْ عَلَى الْجِدَارِ كُلِّ الْأَشْيَاءِ الَّتِي اسْتخدمْتَهَا أَوْ ارْتدَّتْهَا جَدَّةُ مِيرو أثنَاءَ حَيَاتِهَا: قُبْعَتِهَا وَحِذَاؤُهَا الْمَطاطِي طَوِيلِ الرِّقْبَةِ، وَمَعطَفِ الْمَطَرِ الْخَاصِ بِهَا. هَذَا هُوَ الْبَيْتُ الَّذِي شَيَّدَتْهُ جَدَّةُ مِيرو عِنْدَمَا أَتَتْ إِلَى الْجَنُوبِ أثنَاءَ الْحَرْبِ وَهِيَ تَحْمَلُ عَلَى ظَهْرِهَا وَالِدَةَ مِيرو حَديثَةَ الْوِلادَةِ آنذاك. الْبَيْتُ الَّذِي بَدَأَ أَشْبَهَ بِمَنْزِلِ طِفْولَةٍ لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَعُودَ إِلَيْهِ مِيرو أَبَدًا. الْبَيْتُ حَيْثُ جَرَحَتْ شَقِيقَةَ مِيرو الْكَبْرَى مِيْرَاي رُكْبَتِهَا وَعَجَزَتْ عَنِ الرِّقْصِ ثَانِيَةَ بَعْدِهَا. وَحَيْثُ قَضَتْ مِيرو أَيامَهَا الْأَخِيرَةَ وَحَدَهَا. حَدَّقْتُ إِلَى جَذَعِ شَجَرَةِ الْبَرْقُوقِ. هُنَاكَ حَيْثُ أَمْسَكَتْ شَقِيقَةَ مِيرو بِغِصْنٍ، وَتَظَاهَرَتْ أَنَّهُ قَضِيبٌ بِأَلِيهِ وَرَقَصَتْ رَقِصَتَهَا الْأَخِيرَةَ فِي يَوْمِ الْحَادِثِ.

"سَوْفَ يُهْدَمُ الْبَيْتُ" طَفَأَ صَوْتُ وَالِدَةِ مِيرو الْأَجُوفِ فِي الْهَوَاءِ. "لِهَذَا طَلَبْتُ مِنْكَ أَنْ تَأْتِي. أَرَدْتُ أَنْ تَرِيَهُ لِأَنَّ مِيرو قَضَتْ أَيامَهَا الْأَخِيرَةَ هُنَا".

تَخَيَّلْتُ مِيرو الطِفْلةَ وَهِيَ تَضَعُ كُلَّ جِسمٍ مُدْبَّبٍ تَسْتَطِيعُ الْعَثُورَ عَلَيْهِ فِي فَتْحَةِ الْقَفْلِ وَتَهْتَفُ: افْتَحْ، افْتَحْ، افْتَحْ!

فَتَحَتْ وَالِدَةُ مِيرو الْبَابَ الْأَمَامِي لِلْبَيْتِ الْفَارِغِ، وَالتَّفْتَّتْ لِنَظَرِ إِلَيَّ. بَيْنَمَا أَبْعَدُ نَاطِرِيَّ عَنِ شَجَرَةِ الْبَرْقُوقِ، وَأَبْدَأُ فِي الْمَشْيِ نَحْوَهَا، خَطَّتْ وَالِدَةُ مِيرو إِلَى الْدَاخِلِ.

"عَانَتْ مِيرو مِنْ اضْطِرَابٍ فِي الْأَكْلِ" مَتَمَّتْ وَالِدَةُ مِيرو "لَمْ تَكْفُ مِيرو عَنِ لُومِ نَفْسِهَا عَلَى حَقِيقَةِ أَنَّ أُخْتَهَا صَارَتْ عَاجِزَةً عَنِ مِمَارَسَةِ الْبَالِيَةِ. أَصَابَهَا اضْطِرَابٌ فِقْدَانِ الشَّهِيَةِ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ عِنْدَمَا امْتَنَعَتْ عَنِ تَنَاوُلِ الطَّعَامِ حَتَّى تَخْرُجَ أُخْتَهَا مِنَ الْمَسْتَشْفَى".

تَخَيَّلْتُ كَيْفَ كَانَتْ مِيرو تُدَوِّنُ كُلَّ شَيْءٍ تَتَنَاوَلُهُ.

"بِمَجْرَدِ أَنْ يَبْدَأَ اضْطِرَابُ فِقْدَانِ الشَّهِيَةِ، لَا يُمْكِنُكَ أَنْ تَوْقِفِيهِ. حَتَّى حِينَ أَصْبَحَتْ مِيرو رَفِيعَةً كَعُودِ الْبَامْبُو، كَانَتْ تَشْرَعُ فِي الْبِكَاءِ

والصراخ من دون توقّف، رافضةً أن تتناول أي طعام. لا أعرف من أين استمدّت القوة. كان صراخها يرجُّ الجدران. كانت تتحسّن لفترة ثم يداهما المرض من جديد. حتى بعد أن دخلت المدرسة المتوسطة، كانت لا تزال تخضع للعلاج. أحيانًا كنّا نُطعمها بالإكراه عبر أنبوب من خلال أنفها حين كانت ترفض تناول الطعام. عندما بلغت سن الخامسة عشرة، توقّفت عن الانتكاسة؛ فظننّا أنها قد شُفيت".

صُدِمْتُ. لم أملك أيّ فكرة عن مرضها. أضحي لكل شيء بعدُ آخر. تساءلت إذا كان تسجيل كل ما تتناوله هو طريقتها لمحاربة ذلك الجزء منها الذي رفض الطعام. خَطَّت والدة ميرو داخل حجرة في الجانب البعيد من حجرة المعيشة. ألقى نظرة داخلها. الأرضية مليئة بالخدوش، وورق الحائط ممزّق، وخزانة الثياب متصدّعة، وعتبة النافذة مكسورة.

"هنا"، جثت والدة ميرو على رُكبتَيْها وتبّعت بأصابعها آثار الخدوش.

"فعلت إيميلي هذا".

سرى الخَدْرُ في جسدي، غير قادرة على استيعاب ما حدث لميرو، لكن حين أشارت أمها إلى آثار مخلب القطة، انفجرت باكية. هل كانت إيميلي كل ما امتلكته ميرو بينما تحتضر بمفردها هنا؟ خَطَوْتُ داخل الحجرة وتحسّستُ خزانة الثياب المخدوشة. بعض الآثار واضحة وغائرة، والبعض الآخر باهتة. بعضها طويلة جدًّا، والبعض قصيرة تكاد لا تُرى. تصوّرتُ مخالب القطة الضئيلة. إيميلي. كفكفتُ دموعي بسرعة ووقفت بجوار والدة ميرو. حدّقنا إلى أسفل نحو الأرضية المليئة بالخدوش.

"لم نمتلك أدنى فكرة أن ميرو قد تكون هنا في هذا المكان المهمَل. اقترفتُ خطأ. ما كان عليّ أن أبيع ذلك البيت في المدينة. توسّلت ميرو

إلينا كي نسمح لها بالعيش هناك معكما. لم نفكر حينها أنه سيكون في صالحها. اعتقدت في ذلك الوقت أنها إذا انتقلت للعيش في ذلك البيت ثانية، فلن تتمكن أبدًا من تجاوز ما حدث لأختها. كنت في ألم شديد، لدرجة عجزتُ معها عن استجماع شتات نفسي. لم يتبقَّ لديَّ أي قوة للاعتناء بميرو. بعد أن بعنا البيت، لم نتكلم ميرو معنا أبدًا.... قلت إن اسمك جونج يون؟".

بَدَت عينا والدة ميرو زائغَتَيْن. استخدمت اسمي بالكامل كأنها قد عرَفَت اسمي لأول مرة الآن، ولم تخاطبني به بحنان كما فعلت عندما هاتفتني.
" أجل " قلتُ.

"لقد كنتُ أمًّا سيئة. خاصة لميرو" اعترفت لي.
فتحت خزانة الثياب، وأنزلت صندوقًا من فوق الرفِّ.
"هذا الصندوق ملك لميرو".

يحوي الصندوق مفكِّرةً يوميَّاتها وحزمة من الرسائل المطوية مُغلَّقة بقصاصات من شريط لاصق. "نزعنا كل شيء ألصقته ميرو على الحائط".

كانت رسائل كتبها ميرو إليَّ وإلى ميونجسو والأستاذ يون ولم ترسلها إلينا أبدًا.

"هَلَّا أخذتها؟" رمقتني والدة ميرو بنظرات هادئة. عَضَضْتُ على شفتي وأومأت. لم يَكُن بوسعي فعل أي شيء سوى الوقوف هناك ومشاهدة والدة ميرو وهي تلفُّ الصندوق في حقيبة قماشية.

في طريق رجوعنا إلى المدينة، قالت والدة ميرو فجأة: "أحرقنا جُثَّتْها ونثرنا رمادها هناك".

استمرت في ربط وفك عُقْدَة الحقيبة القماشية. لم أستطع أن أستنتج أين "هناك". أخبرتني أن جسد ميرو عندما اكتشفوا جُثَّتْها كان قد أضحى شديد النحافة لدرجة أن جسدها كان بالكاد يشبه جسد إنسان. التفتُّ لأنظر خارج النافذة. لم يكن هنالك أي شيء في الأفق سوى الجبال.

"كان جسدها خفيفًا كندْفَة ثلج" قالت. أضحى صوتها خافتًا في أذني. صارت رؤيتي ضبابيَّةً وتَشَوَّشَتْ صورة الأشجار على جانبي التلال. بينما كانت ميرو وحيدة في ذلك البيت الفارغ، بينما كانت ترفض تناول الطعام، بينما كانت إيميلي تخدش الأرضية، ماذا كنتُ أفعل؟ عندما أعود بذاكرتي إلى الورااء الآن، أتذكَّر أنني كنتُ أجري في شوارع المدينة مع ميونجسو كل يوم، خدَّاي أحمران من الإثارة، تائهة وسط بحر من ملايين البشر. بينما فمتزج بالغرباء، نتأبَّط أذرع بعضنا البعض ونغني ونمشي في مسيرةٍ نحو قاعة المدينة، كانت ميرو هَشَّةً كورقة شجر، ووحيدة في هذا البيت الفارغ عند قدم الجبل، تكتب الرسائل إلينا من دون توقُّف، وتلصقها على الجدران.

عندما وصلنا إلى المحطة مُجدِّدًا، لم تتجَلَّ والدة ميرو من السيارة. لم تنظر إليَّ حتى. نزلتُ من السيارة، غير قادرة على سؤالها إذا كان بإمكانني أخذ إيميلي معي. قرَّبت الصندوق الذي يحوي مفكرة ميرو من صدري وتوجَّهتُ إلى المحطة، لكنني واصلت النظر إلى الورااء نحو السيارة المتوقِّفة. لم تُظهر أي إشارة على أنها ستغادر مكانها. مشيتُ بضع خطوات أخرى قبل أن ألتفت مُجدِّدًا. كانت لا تزال هناك. خطر ببالي وجهُ أمي في تلك اللحظة. أمي التي شعرت بالأسف لأنها ستموت. أمي التي أرسلتني بعيدًا عندما اكتشفت أنها مريضة جدًّا. التفتُّ وركضتُ عائدة إلى السيارة، وأنا أتعثَّر بسبب استعجالي للوصول إليها، فَلَفَّةً من أن تنطلق قبل أن أمكِّن من بلوغها. طرقتُ

على نافذة السيارة. فقط حين أخذ زجاج النافذة ينزلق إلى أسفل، بدأت أتَنفَس من جديد.

"أرجوكِ، افتحي الباب" قلتُ.

نظرتُ والدة ميرو إليَّ بعينها الخاويتين.

"أرجوكِ" قلتُ. دفعت الباب لتفتحه. وضعتُ الصندوق على الأرض ثم انحنيتُ إلى الداخل وعانقتُها. لامس خُدَّها الجافُ خدي. "أنا متأكّدة أن ميرو كانت آسفةً جدًّا" قلتُ "أنا متأكّدة أنها كانت ستخبركِ بذلك لو استطاعت".

"شكرًا" ربّتت على ظهري "شكرًا لأنكِ لم تسأليني لماذا هَجَرْتها هناك؟".

عَضَضْتُ على شفتي. لم يكن من حَقِّي أن أطرح عليها ذلك السؤال. لقد هَجَرْتُ ميرو أيضًا.

"اذهبي الآن" دَفَعْتَنِي بعيدًا "دعينا لا نرى بعضنا البعض ثا...".

تَحَشَّرَجَت حنجرتها ولم تستطع أن تُكْمَل آخر كلمة. صارعت كي تستعيد قدرتها على الكلام. دخلتُ السيارة وأغلقت الباب ورائي. أحزنني التفكير في أنه هناك بعض العلاقات مثل هذه. علاقات مثل العلاقة بيني وبين والدة ميرو حيث نعجز عن فعل أي شي سوى أن نقول "دعينا لا نرى بعضنا البعض ثانية"، رغم أننا التقينا اليوم لأول مرة فقط. جلسنا داخل السيارة لوقت طويل، عاجزتين عن الافتراق. عندما لم أغادر السيارة، استعاد السائق الصندوق الثقيل من بين يدي. تجاهلنا النظرات المنزعجة للمارة الذين اضطروا للمشحي حول السيارة التي تسدُّ الطريق إلى المحطة. أخيرًا كسرتُ والدة ميرو الصمت وسألتني: "هلأ أخذتِ القطة؟".

تَنَحَّحْتُ ثُمَّ ضَغَطْتُ الْكُتُبَ مَعًا لِأَصْنَعُ مَسَاحَةَ عَلَى الرَّفِّ.
هَمَمْتُ بِدَسِّ الْمَفْكَرَةِ بَيْنَ الْكُتُبِ عِنْدَمَا قَالَ مِيونَجْسُو الَّذِي كَانَ
يَقِفُ هُنَاكَ يِرَاقِبُنِي: "انْتَظِرِي يَا يُون".

تَوَقَّفْتُ وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ. أَخْرَجَ شَيْئًا مِنْ دَاخِلِ جَيْبِ مَعْطَفِهِ. كَانَتْ
رِسَالَةً مَطْوِيَةً.

"دَعِينَا نَضَعُ هَذِهِ الْوَرَقَةَ دَاخِلَ الْمَفْكَرَةِ أَيْضًا".

حَدَّقْتُ إِلَى الرِّسَالَةِ. هَلْ أُرْسَلْتُ مِيرو رِسَالَةً إِلَيْهِ؟ قَالَ وَقَدْ بَدَأَ
أَنَّهُ خَمَّنَ مَا يَدُورُ فِي رَأْسِي: "أَنَا مِنْ كُتُبِهَا".

فَكَّرْتُ كَيْفَ أَنْبِي قَدْ كَتَبْتُ رِسَالَةً إِلَى دَاهِنٍ بَعْدَ مَعْرِفَتِي بِمَوْتِهِ
بِسِتَّةِ شُهُورٍ. فِي الرِّسَالَةِ، دَعَوْتُ دَاهِنَ لِمُشَاهَدَةِ السَّرَادِقِ فِي قِصْرِ
جِيونَجْبوكجونج مَعِي. لَمْ يَقُلْ مِيونَجْسُو أَيَّ كَلِمَةٍ عَنِ مِيرو بَعْدَ أَنْ
عَرَفَ بِمَوْتِهَا. كُلُّ مَا فَعَلَهُ مُؤَخَّرًا هُوَ الثَّمَالَةُ إِلَى أَنْ يَغِيبَ عَنِ الْوَعْيِ
فِي أَمَاكِنِ عَشَوَائِيَّةٍ قَبْلَ أَنْ يَتَّصَلَ بِمِنْ هَاتِفِ مَدْفُوعِ الثَّمَنِ فِي
مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ. شَعَرْتُ بِبَعْضِ الْارْتِيَاكِ لِأَنَّهُ كَتَبَ رِسَالَةً إِلَيْهَا. فَتَحْتُ
الْمَفْكَرَةَ كَيْ يَسْتَطِيعَ مِيونَجْسُو وَضَعُ رِسَالَةٍ وَدَاعِهِ إِلَى مِيرو بِدَاخِلِهَا.
"أَتُودِّينَ قِرَاءَتَهَا؟" سَأَلَنِي.

"لا". لَا بُدَّ أَنْبِي بَدَوْتُ حَازِمَةً جَدًّا. حَدَّقْتُ إِلَيَّْ لِلْحِظَّةِ. "لَقَدْ كَتَبْتُ
الرِّسَالَةَ إِلَى مِيرو" قُلْتُ.

"مَا هَذِهِ؟" بَعْدَ أَنْ دَسَّ رِسَالَتَهُ دَاخِلَ مُفْكَرَتِهَا، نَظَرَ إِلَى الرِّسَائِلِ
الْمَلْصُوقَةِ فَوْقَ صَفْحَاتِ الْمَفْكَرَةِ. كَانَتْ مَلْصُوقَةً فِي بَادئِ الْأَمْرِ عَلَى
جِدْرَانِ الْحِجْرَةِ فِي بَيْتِ جَدَّةِ مِيرو. رِسَائِلُ كُتُبَتِهَا إِلَيْنَا لَكِنْ لَمْ تُرْسَلْهَا
أَبَدًا. رِسَائِلُ أَلْصَقَتِهَا رِسَالَةً تَلُو الْأُخْرَى دَاخِلَ صَفْحَاتِ مَفْكَرَةِ مِيرو
الْفَارِغَةِ. كَانَتْ الصَّفْحَةُ الَّتِي فَتَحَهَا بِشَكْلِ عَشَوَائِيَّةٍ تَحْتَوِي عَلَى بَطَاقَةِ
بَرِيدِيَّةٍ مُوجَّهَةٍ إِلَى الْأُسْتَاذِ يُون. أَلْصَقْتُ بِالْغُرَاءِ وَرَقَةً وَاحِدَةً بَاهِتَةً

على ظهر البطاقة البريدية. يظهر خيال الصورة فوق البطاقة البريدية عبر الورقة. أمعن ميونجسو النظر إلى خط يد ميرو.

"لا يجدر بك قراءتها" قلتُ. نظر ميونجسو إليّ. "كانت لترسلها إلينا إذا كانت ترغب أن نقرأها".

فكّرتُ مَليًا قبل أن ألصق كل رسالة وبطاقة بريدية كتبتها ميرو خلال تواجدها في ذلك البيت، داخل صفحات مفكّرتها. في بادئ الأمر بدا أن التصرف الصحيح هو أن أعطي الرسائل إلى ميونجسو والأستاذ يون، وأن أقرأ الرسائل الموجهة إليّ. لكن فكّرتُ أنها لم ترسلها أبدًا، وبات من المستحيل الآن أن أعرف إذا كانت ميرو قد قصدت أن نقرأها أم لا. تركت الصندوق الذي أعطته والدة ميرو لي فوق مكتبي لشهر. من حينٍ إلى آخر، كنتُ أمرُّ يدي فوق البطاقات البريدية والرسائل التي كتبتها إلى ثلاثتنا. ثم في وقت متأخر من إحدى الليالي قرّرتُ أن أضُمَّها إلى المفكّرة التي كانت ميرو تحملها معها في كل مكان، وألصقت الرسائل فوق الصفحات الفارغة. بينما أفعل ذلك، عرفت أن عليّ أن أضع المفكرة في النهاية فوق رفِّ كُتُب الأستاذ يون، الرفِّ الذي يحمل مجموعة الكتب التي كتبها كُتَّابُ شُبَّان ماتوا قبل عمر الثالثة والثلاثين. كان من الصعب عليّ ألا أقرأ الرسائل بينما ألمس كل واحدة منها بالتتابع كي ألصقها. حامت عباراتها أمام عيني. اعتقدت أنني قد لمحت شيئًا عن زراعة بذور البطاطس في الأرض. احتوت الرسائل الموجهة إليّ على اسم داهن. كنتُ أبدأ في القراءة لا إرادياً قبل أن أشيخ بوجهي بعيداً بسرعة، وأفرد الغراء فوق ظهر الرسالة ثم ألصقتها على الصفحة. مع هذا، قرأتُ بالصدفة عبارة "أنا آسفة لأنني لم أحافظ على وعدي"، وعبارات قليلة عن الأيام التي قضيناها نتجول في أرجاء المدينة. أشارت رسالة تبدأ بـ "عزيزي ميونجسو"، إلى ركوب زلاجة ذات شتاء والسقوط داخل نهر. شاهدت سطوراً بدا أنها مقتبسة من كتب قد قرأتها.

"كانت حياته اليومية معاناة شخص يحب دواخل النفس. الكتابة شكل من أشكال الصلاة من أجل الخلاص". كافكا.

"ألقى نظرة باردة/ على الحياة، وعلى الموت/ أيها الفارس، امض في طريقك". بيتس⁽¹⁾.

"عشتُ، وكتبْتُ، وعشقتُ". ستندال.

كُتبت على إحدى البطاقات البريدية قصيدة لجول سوبرفيل⁽²⁾:

خلف ثلاثة جدران وبابين/ لا تفكّرني فيّ أبداً./ لا الحجارة ولا الحرارة ولا البرد/ ولا حتى أنتِ تستطيعين أن تُوقفيني،/ بينما أهدمكِ وأعيد تشكيلكِ/ كما أشاء، عميقاً بداخلي،/ تماماً كما تشكّل الفصول الغابات،/ على سطح الأرض.

كانت إحدى الرسائل أشبه باعتذار إلى الأستاذ يون.

وضع ميونجسو رسالة وداعه إلى ميرو داخل مفكّرتها بهدوءٍ ومن دون أي كلمة. أغلقت المفكّرة ووضعتها على الرّفّ بين الكتب الأخرى، وظهرها إلى الخارج. ربّت ميونجسو على المفكرة. وقفنا هناك للحظة

(1) ويليام بيتس (-1865 1939): شاعر إنجليزي وكاتب مسرح. عُرف عنه إيمانه بالأشباح والجنّيات والسحر. حاز على جائزة نوبل في الآداب سنة 1923.

(2) جول سوبرفيل (1884-1960): شاعر وكاتب أوروغوياني فرنسي. رُشح لجائزة نوبل عدّة مرّات.

ننظر إلى مفكرة ميرو التي اختلطت بالكتب الأخرى. وضع يده في جيبه. وضعت يدي في جيبي بدوري. رفع يده اليسرى ليحك رأسه. رفعت يدي اليسرى وحككت رأسي. نظر إلى الأرض وداس على الأرض بقدميه مرتين. نظرت إلى الأرض ودست على الأرض بقدمي مرتين. نظر إليّ أخيراً.

"لماذا تُقلديني؟" سألني.

"كي أضحكك" لكنه لم يضحك، واكتفى بالتحديق إليّ.

"جونج يون" قال "لا تحاولي أكثر من اللازم".

"لا، يجب أن نحاول" قلتُ بإصرار "علينا أن نحاول".

وقف وظهره إلى رفّ الكتب. وقفت وراءه وظهري إلى الرفّ أيضاً.

"انتقل للعيش معي" قلتُ.

هامت كلماتي وسط رفوف الكتب ثم عادت إليّ كصدى. لم يقل أي شيء.

رَنّ هاتفي في الثالثة صباحاً قبل ليلتين. رَوّع اهتزاز الهاتف إيميلي التي كانت تستلقي بجوار الهاتف، وسارعت إلى الاختباء تحت المكتب. كانت المكالمة من ميونجسو. سألتُ أين هو، فقال إنه لا يعرف. كان ثملاً وكان من الصعب فهم ما يقول. من دون أن أقصد ذلك، صرختُ في وجهه كي يفيق ويعثر على مبنى أو معلّم قريب في الجوار. آخر شيء سمعته يقوله هو "جامعة هونجيك". طبقتُ بعض الثياب وكنتُ في طريقي إلى خارج الحجره عندما تبعتني إيميلي إلى الباب. أخبرتها أنني سوف أعود سريعاً ودفعتها إلى الداخل. أمكنني سماع خربشتها على الباب بينما أنحني وأحكم ربط رباط الحذاء. كانت درجة الحرارة تحت الصفر، والرياح باردةً بشدة. لَففتُ الوشاح حول عنقي وارتديت قفّازي وهبطت الدَرَج. أوقفت سيارة أجرة. افترضت

أنه أتصل من مكان قرب حرم الجامعة. طلبتُ من السائق أن يقود ببطء حول الطريق الرئيسي أمام الجامعة. كانت الحانات لا تزال مفتوحةً. أنوارها متوهجةً، والناس يمشون بتخبُّطٍ خارجين إلى الشوارع قبل أن يوقفوا سيارات أجرة. لماذا ذهب ميونجسو إلى هناك؟ لم أستطع أن أعرّ عليه في الشارع الرئيسي؛ لذا ترجّلتُ من سيارة الأجرة. اخترت منطقة معيَّنة وبدأت أسير في كل زقاقٍ. لكن حتى بعد أن بحثت في كل زقاق مضاء بنور ساطع، لم أستطع أن أجده. تجولتُ في الشوارع وأنا أهتف باسمه بينما قطط الزقاق تجري وتختبئ عند سماعها صوت خطوات أقدامي تقترب منها، والقمامة تتطاير في كل مكان بفعل الرياح.

لا بُدَّ أنني مشطتُ تلك الشوارع لأكثر من ساعة. عثرت عليه أخيراً وراء بئر سلم معتم قرب مسرح سونووليم. كان هنالك كابينة هاتف. مشيت حتى وصلت إليه، لكنه لم يتعرّف عليّ. ثمّة دمّ على جبهته كما لو كان قد ارتطم بشيء ما، وظهر يده مجروح. كان من المستحيل أن يشمل هكذا بمفرده، مع هذا كان هناك وحيداً. لم أملك أدنى فكرة كيف نجح في الاتصال برقمي بحالته هذه. كان جسمه متجمّداً من شدة البرد، مع هذا استطاع الاستغراق في النوم. بئر السلم مُغطّى بطبقة سميكة من الجليد. تدلّلت كتل الثلج فوق رأسه. بدا كأنه قد يغيب عن الوعي ولا يستيقظ أبداً. كان عليّ أن أساعده على النهوض بطريقة ما وركوب سيارة أجرة، لكن الزقاق مُختفٍ عن الأنظار، وميونجسو يتمدّد على الأرض؛ وهو ما جعل التعامل معه صعباً. فكّرتُ كيف عثر عليّ ذات يوم حافية القدمين في وسط المدينة. وقد فقّدتُ حذائي وحقيبتني خلال عاصفة المظاهرات، وحملني بسهولة على ظهره. خلعت وشاحي ولففته حول عنقه ثم غطيتُ جسده بمعطفي. دَعَكْتُ يديه الباردتين كي أمنعهما من

التجمُّد، ثم انتظرت مرور أي شخص كي أطلب مساعدته. بينما أنتظر، فكَرْتُ: يجب أن نبقى سويًا ولا نفترق أبدًا، ولا حتى ليلاً.

نَجَحْتُ في إعادته إلى حجرتي، لكنه لم يفق من ثمَّالته مع حلول بعد الظهر حتى. أعطَيْته شيئًا ليتناولَه لكنَّه تَقِيَّأه على الفور. التفتُ إيميلي ككُورَة وأبقت عينيها علينا. لم يستعد رُشدَه قبل المساء. سألني ماذا يفعل في حجرتي. بدلًا من أجيبه، قلتُ له: "انتَقِلْ للعيش معي". تذكَّرْتُ ما قلته لميرو عندما طلبتُ مني أن أعيش معها. أخبرتها أنني أحتاج إلى بعض الوقت للتفكير في الأمر. تخيلتُ نظرة الإحباط التي علَّت وجهها. حدَّق ميونجسو في ظهر يده المجروحة ولم يَقُل شيئًا.

خطا ميونجسو بعيدًا عن رَفِّ الكتب.

"دعينا نخرج من هنا" قال.

"ونذهب إلى أين؟".

"نذهب لرؤية الأستاذ يون".

"الآن؟".

"لقد طلب منَّا أن نأتي لرؤيته".

عندما بدأ يسير مبتعدًا، أمسكت بذراعه. استند على رَفِّ الكتب من جديد. مفكرة ميرو وراءنا تمامًا. صعد أحدهم السلام في الرواق في الخارج ومشى بسرعة متجاوزًا المكتب. استمعنا لوقع حذائه يبتعد. مهما كان هذا الشخص، لم يكن يعلم أنني وميونجسو نقف داخل مكتب الأستاذ يون المغلق. ولا أن مفكرة ميرو قد وُضعت على رف الكتب هناك.

"انْتَقِلْ للعيش معي" قُلْتُ مُجَدِّدًا.

نظر إلى يدي الممسكة بذراعه.

"يجب أن نعيش معًا" قُلْتُ بإصرار "علينا ذلك".

كتم أنفاسه.

"دعنا نعيش معًا. فلنَعِشْ إيميلي معنا أيضًا. نتناول الطعام معًا... نُفَرِّشُ أسناننا معًا... نستيقظ في الصباح معًا... نقرأ معًا... نخلد إلى النوم معًا...".

واصَلْتُ حديثي. بينما أذكر الأشياء التي يجب أن نفعَلها سويًا، ومضت ذكريات الأيام الخالية أمام عيني. تلاشت كل القوة في يدي. أمسك ميونجسو بيدي أثناء سقوطها. لقد حدثت تلك الأيام لنا بالصدفة من دون إنذار ومن دون توقُّعات. بدا أنه يفكر أيضًا في تلك الأيام التي قضيناها معًا في ذلك البيت الفارغ بصحبة داهن وميرو. كتب داهن أن ذكرى تلك الفترة ستبقى معه إلى الأبد، وأنه سيستطيع دائمًا أن يجد طريقه إلى البيت ثانية من دون أن يتوه. وأن هذا دليلٌ على أنها لم تكن حلمًا. قال أيضًا إنه اتَّفَق مع ميرو كي يرسم رسومات تُعبِّر عن القِصص في مُفكِّرتها.

أحيانًا أفكِّر في ذلك الوعد الذي قطعته وميرو على نفسي. سوف يأتي ذلك اليوم. أعني يومًا ما. يومًا ما عندما نلتقي مُجدِّدًا، سوف أُرسم رسومات للقِصص التي كتبها ثلاثتكم.

غادرنا الجامعة ومشينا إلى شارع جونجو -3 كا؛ كي نلحق بالحافلة إلى بيت الأستاذ يون. سرنا في صمت. عندما هبَّت علينا نسمة باردة، أخرج يده من جيبه وعدَّل وضعيته وشاحي، ثم دعَكَ كَفِّيه معًا لبيث الدفء فيهما، ثم أحاط بهما خدِّي.

عندما وصلنا إلى محطة تشونجنيانجني، انتقلنا إلى حافلة مُتَّجِهَة إلى ديوكسو حيث وجدنا مقعديّن في نهاية الحافلة. بدأ ثلجٌ خفيفٌ في الهطول.

"لا أستطيع انتظار مرور السنين يا جونج يون" قال بصوتٍ أجوف "لا أطيع انتظار أن أشيخ، لا أطيع انتظار الوقت الذي سوف أفهم فيه حتى لو لم أستطع أن أغفر وأسامح. لا أستطيع الانتظار الوقت الذي سوف أصبح فيه قويًّا".

مُذَكَّرَات مِيونَجَسُو

المفخرة البنيّة "10"

كانت القرية -حيث عاش الأستاذ يون- بيضاء وقد كساها الثلج، أشبه بصورة على بطاقة معايدة بالكريسماس. لا بُدَّ أنَّ الثلج قد هطل طيلة الوقت الذي كنتُ وميونجسو على متن الحافلة، وتوقَّفت قبل لحظات فقط من نزولنا منها. بدأنا نسير إلى القرية حين بدأ الثلج ينهمر مُجدِّدًا. لم يكن هنالك أي آثار أقدام على الثلج. تأبَّطت يون ذراعي وسألني إذا كنتُ أعرف أين يعيش الأستاذ. حصلتُ على وصف للطريق إليه من كلا من ناك سوجانج والأستاذ يون عبر الهاتف، لكن كانت أول مرة أذهب إلى هناك. ساوَرَ القَلَقُ يون إذا كُنَّا سنتمكَّن من العثور على البيت وسط كل ذلك الثلج. انسحق الثلج تحت أقدامنا مع كل خطوة. وعدتها أننا سنعثر عليه، فابتسمت.

"ينسحق الثلج حقًا" قالت وهي تدوس عليه لتسمع الصوت الذي يُحدِّثه كما لو كانت لم تمش فوق الثلج من قبل. "استمع... انسحق! انسحق! انسحق!". مشيت أمامي كي أستطيع سماعه، تسير آثار أقدامها وراءها في الثلج قبل أن تتوقَّف وتنتظرني لألحق بها. "انظر" قالت. كانت تشير إلى آثار الأقدام التي خَلَّفناها وراءنا للثَّوِّ. آثار أقدامي ضخمة بينما آثار أقدامها صغيرة. أَحَبَّبْتُ المشي في الثلج معها وترك آثار أقدامنا عليه. لا مانع لديَّ في أن أسير معها في أي مكان في العالم. مع تَرَدُّد صوت انسحاق الثلج في أذنيننا، شَقَّقْنَا طريقنا نحو معبرٍ ملتوٍ. تراكَمَت كومة كثيفة من الثلج فوق شجرة عتيقة سقطت أرضًا خلال العاصفة الأخيرة. حَلَّقَت الطيور التي حطَّت فوق الأغصان المثلثلة بالثلج، مُرْفِرَةً بأجنحتها بعيدًا، عند اقترابنا منها.

"أشعر كأننا نتوغَّل أكثر داخل الجبال فحسب" قالت يون.

كنتُ أفكر للثَّوِّ في الشيء نفسه، لكنني طَمَأَنْتُهَا قَائِلًا: "البيت أبعد قليلًا من هنا".

بينما ندور حول منعطف آخر، بدأ القلق يتسلَّل إليَّ أيضًا. لكن حينها تجلَّت القرية تحتنا. بدا بقية الطريق كأن أحدهم قد أزال الثلج عنه حديثًا. كانت القرية مُحاطَةً بالجبال ومُغَطَّاة تَمَامًا بالثلج. لم يكن هنالك سوى القليل من البيوت. تحوَّل العالم برُمَّته إلى الأبيض. تواصل الطريق كخَطٍّ يَمْتَدُّ فوق خريطة. تتبَّعناه بعيوننا. كان الطريق يتلوَّى بطول الجبل ثم إلى داخل القرية، يتَّسِع ثم يضيق مُجَدِّدًا. برز الطريق الممسوح حديثًا بجلاءٍ مقابل المنظر الثلجي. انتهى الطريق أمام بيت.

"هذا هو" قالت يون "لا بُدَّ أنه يعيش هنا".

سَرْنَا في الطريق إلى أسفل الذي يقود إلى القرية. تَمَامًا كما توقَّعت يون، كان البيت في نهايته هو بيت الأستاذ. البوَابَةُ الأمامية مفتوحة

والأستاذ يقف في فناء البيت. تراكمت طبقة سميكة من الثلج داخل الفناء أيضاً. ارتفعت الأشجار المغطاة بالثلج والتي تساقطت أوراقها، فوق رؤوسنا. في الجانب الداخلي من البوابة، وقفت مقشّة متينة من البامبو. لا بُدَّ أنها المقشّة التي استُخدمت لكنس الطريق الذي مشينا فوقه منذ لحظات. راقبنا الأستاذ في صمتٍ بينما ندنو منه. عندما أصبحنا أمامه، أتى كلب مندفعاً من بيت كلاب على الجانب الآخر من الفناء. كان كلباً أصفرَ ضخماً. قبل أن تحيي الأستاذ حتى، مدّت يونها وهدأ ومسدّت ظهر الكلب الذي راح يهزُّ ذيله. خفض الكلب أذنيه وتحرك ليقف بجانب الأستاذ.

"إنه ودودٌ جداً رغم ضخامته".

مدَّ الأستاذ يده وربّت على كتف يونها، لكنها انهارت فوق الثلج فجأة. ظننتُ في بادئ الأمر أنها قد تعثرت في شيء ما. ارتجف كتفاها قبل أن تنفجر باكية. حاولتُ مساعدتها للنهوض وقد صدمني ما حدث. قال الأستاذ: "دعها".

ذات مرة منذ فترة طويلة، (الآن وأنا أكتب تلك الكلمات "منذ فترة طويلة"، تبدو لي الذكرى قديمة جداً) في إيونج، شاهدتُ يونها تبكي. بدا كأنها قد غمست وجهها في النهر منذ قليل. بمجرد أن تبدأ دموعها في التدفق، كان يصعب على يونها أن تتوقّف عن البكاء، لدرجة تجعلني أتساءل كيف استطاعت حبس هذه الدموع كل هذا الوقت. انتفخت عيناها في لحظة.

كان الأستاذ يعرف ما حدث لميرو بالفعل. لم أتكبّد عناء سؤاله كيف عرف. أمثني لو أن كل ما حدث لنا كان من قبيل الأشياء التي يمكن أن تُطرح فيها أسئلة "كيف" و"لماذا". قال إنه تلقى رسالة من والدة ميرو. رفضت والدة ميرو لقائي. أخذت يونها إلى بيت جدّة ميرو، وكتبت رسالة إلى الأستاذ، لكنها لم تتصل بي حتى.

عندما اتَّصَلْتُ به لأحصل على مفتاح مكتبه، لا بُدَّ أنه كان يعرف حينها بموت ميرو، ولا بُدَّ أن ذلك هو السبب الذي دفعه لأن يطلب مني القدوم للقائه وأن أحضر يون معي. حين توقَّفت يون عن البكاء ودلفنا داخل البيت، كان الظلام قد أخذ يَعْمُ. أُثِّت بيت الأستاذ ببساطة: مقعد ومنضدة قهوة في حجرة المعيشة، ومائدة وأربعة مقاعد في المطبخ، ومكتب ومقعد في حجرة النوم.

جَلَسْتُ على المقعد الخشبي الطويل أسفل النافذة، ونظرت إلى الخارج نحو آثار أقدامنا في الفناء المغطَّى بالثلج. ذهب الأستاذ إلي المطبخ، وأحضر ثُرْمَسًا وسكب كوبًا كبيرًا من شاي السفرجل ليون وكوبًا آخر لي. ألقى نظرةً خارج النافذة ثم سأل يون إذا كانت قد فرغت من البكاء. أحاطت يون الكوب بيديها وأومأت.

"أحضرت لي تلك الشجرة" قال الأستاذ. استنتجت أنه يتحدث عن ميرو. "زرعناها معًا. قالت إنها شجرة تفاح برِّي".

خطر ببالي أن الأستاذ يون ربما آخر شخص قد قابلته ميرو قبل أن تذهب إلى بيت جدتها.

"تفتَّح الزهور في الربيع" قال "وبعد أن تتساقط الأوراق، تبدأ ثمار التفاح في الظهور. إذا كانت الشجرة لا تزال حيَّةً مع نهاية الصيف، فسوف نرى بعض التفاح البرِّي الأحمر قبل الخريف".

جَلَسْتُ ويون متجاورين ونظرنا نحو الشجرة في الخارج. لمع الثلج فوق فروعها.

"عندما كنت في عشريناتي، حين كنت في مثل عمركما الآن" قال الأستاذ "تلقيتُ رسالة...". استند بظهره على الأريكة، وعيناها مثبتتان على ندف الثلج التي تتدلى من شجرة التفاح البرِّي خارج النافذة. "كانت الرسالة من امرأة كنت أعرفها".

التفت لينظر إلينا. ارتعشت عيناه الصلبتان للحظة. أنزلت يون كوبها فوق المائدة.

"كان يوجد مفتاح داخل المظروف. لم أر تلك المرأة منذ سنوات عديدة؛ لهذا كنت محتارًا جدًا. لُفَّت قطعة ورق حول المفتاح. فردتها لأجد تاريخًا وخريطة مرسومة باليد. كان هذا في منتصف الشتاء مثل الآن. لم أتعرف على الموقع على الخريطة. في ذلك الوقت، كنت قد أنهيت خدمتي العسكرية في الجيش، ثم سافرت إلى أمريكا لعدة أشهر لألتحق ببرنامج كتابة في جامعة هناك. بعد عودتي، كنت أقضي الشتاء في بيت والدي في الريف. لم يملك الجميع هاتفًا في ذلك الوقت. لم أمتلك أي فكرة عن مغزى المفتاح والرسالة. رحلت أفكر مليًا في الأمر لعدة أيام. أعتقد أنني قد كتبت حتى ردًا يعجُّ بالأسئلة، لكن الثلج كان كثيفًا جدًا فمنعني من الوصول إلى مكتب البريد وإرساله. في تلك الأثناء أتى التاريخ في الرسالة، وذهب. فقط بعد عدة أيام من توقُّف الثلج، أدركت أنه كان عليَّ أن أذهب للقائها في ذلك التاريخ. عدتُ إلى رُشدي، وشققتُ طريقي عبر الطريق المغطى بالثلج، وركبت القطار إلى المدينة. قادتني الخريطة إلى أوكسو- دونج. لم أذهب إلى ذلك الجزء من المدينة من قبل. تجوَّلتُ في الأرجاء لفترة، محاولًا العثور على البيت المحدد على الخريطة. كانت الأرض متجمدةً والهواء قارس البرودة. لا أتذكر عدد المرات التي تعثرتُ فيها فوق تلك الشوارع الزلقة شديدة الانحدار. عند نقطة معينة، لم أشعر بقدمي تحتي، وسقطت على ظهري. غاص قلبي في مكانه. تساءلتُ لماذا تعيش في مثل هذه الضاحية الفقيرة؟ عندما قابلتها أول مرة، كانت تعيش في ضاحية هانام- دونج الثرية. دعنتني إلى منزلها ذات مرة. بعد ذلك بدأنا نفقد اهتمامنا ببعضنا البعض. لأكن صادقًا، كانت لا تزال تُحبُّني، لكنني من فُقدتُ الاهتمام بها. لا يمكنني أن أشرح السبب بالتحديد. أعتقد أنني فُكرتُ أننا ننتمي إلى عالمين مختلفين. عندما

بدأت تجنّدي في الجيش، لم أهتم بإخبارها. لم أردَ أيضًا على أيّ من رسائلها. حاولت أن تزورني مرة عندما كنت في الخدمة، لكنني كنت في إجازة. بعد بضع محاولات فاشلة للقاء، انقطعت أخبارها عني. لذا كان من المحزن أن أكتشف أنها تعيش في أحد تلك الأحياء الفقيرة على جانب تلّ شديد الانحدار. بدأت أسرع في بحثي. تمكّنتُ أخيرًا من أن أعرّ على البيت الموجود على الخريطة. كانت بناية سكنية صغيرة مكتنّظة بالعائلات في نهاية زقاق ضيق في قمة التل. ضغطت على جرس الباب ثم طرقت عليه لكن لم يُجِبي أي أحد. أخرجت المفتاح من المظروف ووضعتَه في فتحة القفل - تطابق المفتاح مع فتحة القفل. فتحت الباب وألقيت نظرة في الداخل. رُصّت الأحذية بنظام بجانب الباب، وكل شيء آخر في مكانه، لكن لم يَبْدُ أن أي أحد في المنزل. لم يرد أيُّ أحدٍ على نداءي؛ لذا خلعت حذاءي ودلفت إلى الداخل. ناديت مجددًا.

تَرَدَّدَ صدى صوتي في أرجاء البيت الفارغ. جرّبتُ فتح كل الأبواب، بابًا تلو الآخر. كان هنالك حجرتان، كبيرة وصغيرة. فتحت باب الحمام، الذي بدا كأنه لم يُستعمل منذ فترة. لا أحد هنا. البيت فارغ تمامًا ما عدا البرد القارس في الهواء. لم أستطع أن أواصل التجوّل في بيت غريب أكثر من هذا فغادرت. أقفلتُ الباب خلفي وخرجت إلى الزُّقاق. كان الطقس شديد البرودة، لكنني بدأت أتصبّب عرقًا باردًا وقد خطر شيء ببالي. فكّرتُ أن ذلك مستحيل. ركضت عائدًا صاعدًا الزقاق. انزلقْتُ طوال الطريق محاولًا الحفاظ على توازني، وأنا أدعو أن أكون مُخطئًا.

توقّف الأستاذ عن الكلام. عيناه حمراوان ومنتفختان. بدا أنه لا يرغب في إنهاء القصة. حدّق إلينا مليًا، قبل أن يومئ ويواصل الحديث.

"عُدْتُ إلى البيت وفتحت الباب بالمفتاح، لكن كل ما أردت أن أفعله هو الرحيل. وقفت عند مدخل البيت للحظة وحدّقت إلى باب الحجرة الكبيرة. عندما فتحت باب الحجرة من قبل، بدا مختلفًا عن الأبواب الأخرى. لم يُفتح بشكل كاملٍ كأنَّ شيئًا ما خلفه يعوق فتحه. كنت أمدُّ رأسي داخل الحجرات وألقي نظرة سريعة من دون أن أدخلها. لم أكن متأكدًا أنه بيتهما حتى، ولم تكن حقيقة أن المفتاح الذي أرسلته إليّ قد فتح قفل الباب تعني أنني أستطيع اقتحام حجرة نوم شخص آخر. تساءلتُ ثانية إذا كان ينبغي عليّ الرحيل. اعتراني الخوف. تَنَحَّحْتُ وخطوتُ داخل حجرة النوم بخطوات متثاقلة من دون أن أخلع حذائي. لم يفارقني التردُّد لحظةً. لكن أخيرًا وكى لا أترجع عن ذلك، دَفَعْتُ الباب بسرعة لأفتحه وأنظر وراءه. كنتُ مُحِجًّا؛ فقد ارتطم الباب بشيء ما. لا أستطيع تصديق أنني أخبركم بهذا لكن كانت هي على الجدار خلف الباب مباشرة، وقد شنقت نفسها".

لم يَقُلْ أيُّ أحدٍ أيَّ شيءٍ للحظة. شاهدنا فناء البيت المغطى بالثلج يُظَلِّم. استطرده الأستاذ يون.

"لن أنسى أبدًا ما شاهدته ذلك اليوم. أعتقد أن ذلك كان السبب الذي جعلني لا أتزوَّج أبدًا. بهتت الذكرى لكن لم تختفِ أبدًا. لهذا لن أخبركما أن تتجاوزا الأشياء التي مررتما بها. عليكم أن تفكِّرا فيها ثم عندما تفرغان من التفكير، فكِّرا فيها أكثر. فكِّرا فيها حتى لا تستطيعا التفكير فيها بعد الآن. لا تكفِّا عن مساءلة ما هو ظالم ومُحيرٌ. ربما لو ذهبْتُ إلى هناك في التاريخ الذي كتبته في الرسالة أو قبله، لكننُ أنقذتُها. لكن مجددًا ربما كانت قد خطَّطت للانتحار قبل ذلك، وكل ما أرادته أن أجد جُثَّتْها. البشر غير مثاليين. نحن مُعقِّدون ولا يمكن تفسير سلوكنا وفقًا لأي معيار أخلاقي أو مقولة

حكيمه. تأنيب الضمير، تساؤلي الدائم عن الخطأ الذي ربما قد ارتكبته، سوف يلاحقني طوال حياتي كظلي. كلما أحببتُ شخصاً أكثر، كلما زاد ذلك الشعور بالذنب قُوَّةً. لكن لو لم نَقنَط ونُحَبَط بسبب الأشياء التي فقدناها فما معنى كل هذا؟ لكن... لكن لا أودُّ أن يُدمَّر ذلك القنوط والإحباط روحَيْكما".

خرج الكلب من بيته إلى الفناء وجلس في الثلج أسفل النافذة. فتح الأستاذ النافذة ومدَّ يده ليربت على عنق الكلب. لمسته رقيقة. ثم جلس معتدلاً كما لو أن شيئاً ما قد خطر بباله. قال: "انهضا. دعونا نذهب إلى الجبال".

انتشر الغسق. لماذا الجبال في تلك الساعة المتأخرة؟ نظرت إليّ يون نظرة جانبية. بدا أنها تتساءل عن الشيء ذاته. التقط الأستاذ بعض العصي الطويلة التي كانت مسنودةً على الجدار بجوار البوابة الأمامية. أعطى كلاً مِنَّا عصاً. التقط عصاً لنفسه، ثم قاد الطريق. بينما نمشي خارج البوابة الأمامية نحمل العصي، بدونا مثيرين للضحك، لكن مُصممين. القرية برمتها مُغطاة بالثلج. ربض عددٌ قليل من البيوت الفارغة هنا وهناك. في الطريق خارج القرية وإلى الجبال، لم نشاهد أي إشارة على وجود أي إنسان في الخارج. غاصت سيقاننا عميقاً داخل الثلج بينما نتبع الأستاذ. توقَّف الأستاذ في منطقة من الغابة مليئة بأشجار الصنوبر العتيقة. لم أرَ شيئاً كهذا من قبل. وقفت الأشجار المغطاة بالثلج في الظلام أشبه بأشخاص ترمقنا بنظراتها. كان مشهداً خلّاباً جداً، لدرجة أنني شعرت برغبة في الركوع أمامه. نفّض الأستاذ الثلج عن فرع ملامس للأرض. وقفت يون أسفل شجرة عجوز ارتفاعها أطول من ذراعين، ثم أمالت رأسها إلى الورا لتتنظر إلى أعلى. "ساعِداني على إزاحة الثلج" قال الأستاذ "منذ بدأت أقضي الشتاء هنا، تعلّمتُ أنه إذا هطل الثلج ثانيةً والأفرع لا تزال مُغطاة بالثلج،

فلن تتحمّل الأفرع ثِقَلَ الثلج فوقها وسوف تنكسر في الحال. دعونا نعمل سويًا لإزالة الثلج عن الأفرع قبل أن يهطل الثلج مجددًا".

بعض الأفرع كانت مُحطّمة بالفعل. رفع عصاه ليحرك غصنًا متدليًا. على الرغم أنه بالكاد هزّه بعصاه، تدفّق الثلج إلى أسفل وسقطت ندف الثلج فوق رؤوسنا. حَدَوْتُ ويون حَدَوَهُ ورفعنا عصوينا نحو الأفرع لنسقط الثلج عنها. تحرّكنا بتردّدٍ في بادئ الأمر، لكن سرعان ما انغمسنا في المهمة. انسدل الظلام تمامًا، مع هذا كان الثلج يعكس قدرًا من الضوء يكفي لأن نرى. في كل مرة ننتهي من إزالة الثلج عن إحدى أشجار الصنوبر الشائبة، كانت الأفرع المرنة ترتدّ إلى أعلى وقد تحرّرت من ثقلها. بعض الأفرع أسقطت الثلج عن الأفرع الأعلى عند ارتدادها. وهكذا على الرغم من البرد، أخذ العرق يتصبّب على جبهتي وينحدر على جانبي وجهي.

أخذ الأستاذ يجمع الأفرع المتكسّرة المدفونة في الثلج. شَقَقْتُ طريقي إلى الأمام خطوةً تلو الأخرى منهمكًا في العمل حتى اختفت يون من مجال بصري. عندما التفت إلى الوراء، وجدتها تعمل بجدّ، تهزّ الأفرع وقد نَسِيَتْ وجودي. واصل الأستاذ العمل خلفنا لفترة قبل أن يتوقّف ويكتفي بمراقبتنا في الظلام. تَبَلَّل جسدي كله بالعرق. لم أملك أدنى فكرة كم مضى على عملنا هنا. ارتفعت الأشجار التي كانت مُنْحَنِيّة تحت ثِقَل الثلج في سماء الليل. كانت يون تلهث مع هذا واصلت التحرك من شجرة إلى أخرى. رَدَدَت الجبال صدى عملنا. توقّفت لأنظر إلى أعلى. ومضت النجوم في سماء الليل المتجمّد.

كم مضى على رفعي عينيّ إلى أعلى لأنظر إلى النجوم؟ لا بُدّ أن الوقت قد تجاوز منتصف الليل. أبعدت عينيّ عن السماء فلم أشاهد الأستاذ. نظرت حولي ولم أره. توقّفت وهبطت التّل وقد ساورني القلق. عمودي الفقري لَزَجْ بسبب العرق. وجدت الأستاذ يون يجلس تحت

شجرة صنوبر عجوز نُفّض الثلج عنها، سألته إذا كان بخير. ابتسم بشحوب. جلست بجانبه، واستمعت إلى صوت تنفّس يون الثقيل القادم من بعيد وهي تهزُّ الأفرع المثقلة بالثلج. تَرَدَّد صوت عصاها وهي ترتطم بالشجر في جنبات الجبال.

هَمَمْتُ بأن أنادي عليها لكن أوقفني الأستاذ.

"دعها" قال "سوف تتوقّف عندما تكون مُسْتَعِدَّة".

الخاتمة

سأكون هناك

هل يستطيع أي أحد أن يخبرني
ما أبعد مدّي يمكن أن تصله حياتي؟

هل سأظلُّ أتجوّل في العاصفة
وأعيش كموجةٍ في برّكة؟

هل سأظلُّ مُجرّدَ شجرة بتول شاحبة
متجمّدة في برد بداية الربيع؟

رينيه ماريا ريلكه (حياتي- من كتاب الساعات).

"أرغبُ في أن أخبركم بقصة رجل يُدعى كريستوفر".

أرفعُ نظارتي إلى أعلى وأطوف بعيني في أرجاء قاعة المحاضرة داخل كنيسة الجامعة. عيون الطالبات المتقِدة مُبْتَتة جميعًا عليّ. دُعيتُ لألقي محاضرة في كنيسة جامعة نساية. خلعت نظارتي ووضعتها فوق المنضدة. تشوّشت صورة عيونهن المتقِدة أمامي. استحالت الطالبات في الصف الأخير إلى مجردَ ظلال. يمكنني أن أستشِفَّ أَنَّهُنَّ يتساءلن "مَن كريستوفر هذا؟"، تمامًا كما تساءلنا جميعًا حين أخبرنا الأستاذ يون بالقصة. تأملتُ الوجوه الحائرة وابتسمت إلى نفسي. أشعر أنني أشيخ كلما سحرتني الشباب. لكن أن يشيخ المرء أمرٌ ليس سيئًا. أن أشيخ يعني أن الحسد المستتر الذي أشعر به نحو الأشخاص الذين يجتازون مرحلة الشباب، وموجات الفقد التي تغمري عندما أرى الطريقة التي يبدو أنهم يتوهَّجون بها، سوف تنحسر ولا تُخَلِّف وراءها سوى الأمل في أن يشقُّوا طريقهم الخاص إلى الأمام بحرية من دون أن يعوقهم أي شيء.

"هل سمع أي منكم عن القديس كريستوفر؟".

التقطت نظارتي من فوق المنضدة وارتديتها ثانية. مَلَأَت العيون اللامعة عيني من جديد.

عندما اتصل ميونجسو ليخبرني أن الأستاذ يون يحتضر، لم أذهب إلى المستشفى لثلاثة أيام. كنتُ مستعدةً لمغادرة البيت عندما رنَّ الهاتف ثانية. كان ناك سوجانج. سافر ناك سوجانج بعد التخرج من الجامعة إلى أمريكا لدراسة الهندسة المعمارية في جامعة في بنسلفانيا، حيث يقع بيت المياه المتساوقة الأصلي. بعدها عاد إلى البلاد وأضحى يدير شركةً تصمِّم معماريًّا غير بعيدة عن منزلي. لا بُدَّ أنه

قد سمع عن الأخبار الخاصة بالأستاذ يون من شخصٍ آخر واتفق ليخبرني بها. لا بُدَّ أن هواتف الجميع - أولئك الذين ترابطت حياتهم من خلال الأستاذ يون - قد رنَّت من دون توقُّف. عندما سمعتُ أن الأستاذ يون يحتضر مُجدِّدًا من ناك سوجانج، استوعبت الخبر أخيرًا. اقترح ناك سوجانج أن نذهب معًا إلى المستشفى، وعرض عليَّ أن يَمُرَّ عليَّ ليصحبني بسيارته، لكنني أخبرته أن ضيفًا قد أتاني في اللحظة التي كنت أستعدُّ فيها للمغادرة إلى المستشفى، وأنني سوف أذهب في وقتٍ لاحق. همَّ بالسؤال عن "ضيفي"، لكن بدلًا من ذلك قال إنه سيراني هناك. بعد أن انتهت المكالمة، جلست على مكثبي فيما تبقى من الليل. حدِّقتُ إلى السطح النظيف للمكتب لبرهة قبل أن أفرد الوثائق التي جمعتها منذ وقت طويل كي أرسلها إلى شقيقة داهن الكبرى. تصفَّحتها عن كثب. كانت من مُنظَّمة غير حكومية تتولَّى التحقيق في حوادث الموت المرعبة. القراءة عن أشخاص ماتوا قبل أوانهم كان مؤلمًا. كيف يمكن تقبُّل حقيقة أن الكثير جدًّا من الأشخاص قد لقوا حتفهم بطريقة مُفاجئة وغامضة؟ التقطتُ الوثائق المتعلقة بحالات الموت غير المُفسَّرة في الجيش، وقصَّيتُ اليوم التالي في تصويرها لأرسلها إليها. كانت خُطَّتي أن أقنع عائلة داهن الذين عجزوا حتى الآن عن تجاوز صدمة وألم فقدانه، ولا يزالوا يرفضون الحديث عن موته، أن يكتبوا التماسًا لإعادة فتح التحقيق في موته.

على الرغم من أن تأجيل زيارتي لرؤية الأستاذ يون في المستشفى لن يُغيِّر أي شيء، تجنَّبتُ الذهاب على أية حال. لم يبدُ الأمر لي أنه في المستشفى يحتضر، بل كأنه يناولني ورقة بيضاء ويسألني: "ماذا سوف تفعلين بحياتكِ؟". فَمَعْتُ إحساس الذنب الذي تنامي بداخلي، وفَعَلْتُ كل شيء بوسعي كي أوَجِّل زيارته. عرفت أنني في اللحظة التي سأذهب فيها، سأقبل أن موت الأستاذ يون حقيقة محتومة. لا يزال الثلج ينهمر خارج النافذة. أردت أن يدير الأستاذ يون ظهره للموت

ويعود إلينا، بالطريقة نفسها التي أدّرتُ ظهري في انهزامٍ بينما أشقُّ طريقي عبر عاصفة ثلجية لأزوره. قضيتُ يومين مقتنعة بذلك. في اليوم الثالث، بدأت أعصابي المشدودة تتراخى وسرى بداخلي إحساسٌ غريب بالارتياح. ثم في مساء اليوم الرابع، تلقّيتُ اتصالاً آخر كان بمثابة محاولة لهزيمة رغبتني في السماح للوقت بأن يمضي من دون أن أسمع أن الأستاذ يون قد مات. بمجرد أن رن الهاتف، عرفت أنه ميونجسو، وعرفت ماذا سيقول.

"لن ينجو الليلة. سيموت غالباً قبل صباح الغد."

قال الأستاذ يون ذات مرة إن معرفة أنك حيٌّ تعني معرفتك بأنك سوف تتحوّل قريباً إلى صورة مختلفة. لا يكفُ الإنسان عن التغيُّر، وذلك هو مصدر أملنا. كل الكائنات من البشر -حتى أتفه الكائنات- تمرُّ بلحظة من التوهُّج بين الولادة والموت. لحظة نسمّيها "الشباب". عندما اتّصل بي ميونجسو للمرة الثانية خلال ثمانية أعوام وأخبرني أن الأستاذ يون لن ينجو الليلة، عندما نطق اسمي ثم لا شيء بعد ذلك، اندفَعَت إليّ ذكرى تلك الكلمات التي نسيتها منذ زمن طويل، دعينا نتذكّر هذا اليوم للأبد، مثل قطيع من أسماك السلمون تسبح إلى أعلى ضد التيار وسط شلال.

ركبتُ المصعد إلى العنبر حيثُ أدخِلُ الأستاذ يون، ومشيت نحو حجرته، يتردّد وقعُ خطوات أقدامي بصوت مرتفع في الرواق. بمجرد أن بدأت أنتبه إليها، أخذت طقطقة حذائي على الأرض تتعالى حتى ملأت أذني، ولم أستطع سماع أي شيء آخر. كان الأمر لا يُطاق لدرجة أنني اضطررتُ إلى التوقُّف في مكاني للحظة. على الجانب الآخر من الرُّواق، استند شخص على الجدار. اعتدل في وقفته عندما رأي. كان

ميونجسو. تعرّفْتُ عليه على الفور حتى من على مبعده. حَطَوْتُ تجاهه خطوة واحدة قبل أن أتردّد وأحدّق إليه بدلاً من ذلك. حدّق إليّ بدوره. بدأنا في المشي ببطء تجاه بعضنا البعض، حتى وقفنا وجهاً لوجه في منتصف الرواق.

"لقد أتيت" قال.

كان يرتدي بدلة. عيناه مُثَبَّتَتان على وجهي. بادلته النظرات. عَبَر شريط ذكريات لقائي الأول به بسرعة أمام عينيّ، فاعتدلت في وقفتي أكثر، ومَرَرْتُ عينيّ على ربطة عنقه وقميصه البيج وقد أغلق زِرَّهُ العلوي، الذي ارتداه تحت معطف البدلة الأزرق الغامق. الصور التي شاهدتها له في الجرائد والمجلات تُظهِره دائماً مُمَسِّكاً بكاميرا. أصبح ميونجسو مُصَوِّراً صحفياً. عَلِمْتُ -سواء من صحيفة مُشترَكة فيها أو من مقالة صادفتُها عشوائياً في مجلة- أنه قد دخل مجال التصوير بدلاً من الكتابة. كان هنالك لقاء صحفي معه عن رحلة بالقطار قام بها برفقة فنان تنصيبي⁽¹⁾ عبر الساحل الشمالي للولايات المتحدة الأمريكية. في الصورة المرفقة باللقاء، ركع ميونجسو على ركبته وهو يلتقط صوراً. بجانبه حقيبة ظهر بحجم طفل صغير. قال الصحفي إنه حاول رفع حقيبة ظهر ميونجسو، لكنها كانت ثقيلة جداً عليه كي يرفعها. وصف الصحفي كيف ركض ميونجسو بسرعة نَمْرٍ، صاعداً أرضاً مرتفعة وهو يحمل حقيبته الثقيلة على كتفيه كي يتمكن من التقاط صورة لقطار قادم أثناء انطلاقه. تذكّر المقالة حتى أن الندبة على ركبتيه والتي تكوَّنت بسبب سنوات من ملامسة ركبتيه الأرض أثناء التقاطه الصور، كانت صلبةً كطبقة سميكة من الطين. لم أستطع أن أبعِدَ عينيّ عن الصفحة أوّل مرّة صادفتُ فيها صورته في الجرائد،

(1) الفن التنصيبي أو فنُّ التجهيز في الفراغ: أحد تيارات الفن المعاصر، حيث يقوم الفنان بتنظيم مكان أو غرفة، سواء برسمه أو تزيينه أو إضافة مواد جاهزة بوضعها أو تغليفها في الفراغ، ويستطيع المشاهد الدخول إلى المكان والتجوّل فيه كما لو كان جزءاً منه.

لكن مع مرور الوقت، اعتدت على رؤيته. في صورته، يبدو ميونجسو دائماً كأنه في حالة حركة مستمرة؛ وربما لهذا بدا غريباً جداً بالنسبة إليّ أن أراه الآن يرتدي بدلة.

"دعينا نذهب" قال ميونجسو.

تقدّمَني. عندما انعطفت عند الزاوية، رأيت وجوهاً مألوفة لأصدقاء قدامي، وقفوا جميعاً في أزواج أو مجموعات، بينما وقف أحدهم بمفرده، شاردًا في أفكاره، ويحدّق إلى حدائه. رحب بي معظمهم بإيماءة، بينما امتدّت أيدي الآخرين لترتّب على كتفي. سألني أحدهم لأمًا: "لماذا استغرقتِ كل هذا الوقت لتأتي؟". استمرّ ميونجسو في المشي أمامي، يُرشدني إلى حجرة الأستاذ يون. التفت أمام الباب لينظر إليّ. أخرج يديه من جيوبه وأراحهما على كتفيّ.

"جَهْزِي نَفْسِكِ".

بدأ يتحدث أنه سينتظر خارج الباب قبل أن يُغيّر رأيه ويقترح أن ندخل معًا. في اللحظة التي دخلت الحجرة، فهمت لماذا. أمسكت بيدي ميونجسو. كان جسد الأستاذ يون مُغلّفًا داخل رثة حديدية، أحد جانبيها من الزجاج. يرقد وجهه وذراعه خارج الزجاج. تتدلى أنابيب التَّنْفُوس والتغذية من أنفه وحنجرته. جسمه منتفخ جدًا لدرجة تلاشى معها كلُّ أثرٍ لصورة الأستاذ يون القديمة، الذي كان دائماً رفيعًا كهيكل عظمي من البلاستيك. حدّقتُ إلى ذراعيه اللّتين ترقدان خارج جسمه المنتفخ، وإلى يديه الساكنتين في نهايتي ذراعيه وقد امتلأت بأثار الحقن، لدرجة لم يتبقَّ أي مكان يصلح لإدخال إبرة. فقط يده كانتا كما أتذكرهما. بشرة يديه خشنّة، لكن في الضوء كانت شفّافة كبشرة طفل. أصابعه رفيعة. تلهّفت يدي للامسة يد الأستاذ يون، لكن بدلاً من ذلك وَجَدْتُ نَفْسِي أَتَشَبَّثُ بِيَدِ ميونجسو بِقُوَّة.

"تحدّثي إليه" قال ميونجسو وعيناه مثبّتتان على وجه الأستاذ.
"يستطيع الاستماع إليك".

لا يزال يستطيع أن يفهمنا بحالته هذه؟ لم أتحرك، لكن ميونجسو ذهب إلى جانب الأستاذ يون وقال: "جونج يون هنا يا أستاذ". لم تَبْدُر عن الأستاذ أي ردّة فعلٍ، وظلّ وجهه جامدًا. من الصعب تصديق أنه يتنفس حتى. عيناه اللتان كانتا حادّتين، لكن طبيّبتين ذات يوم، ظلّتا مغمضتين. دفع أحدهم الباب برفق وأشار إلى الممرضة بجانب الأستاذ يون. غادرت الممرضة وأضحينا نحن الثلاثة وحدنا في سكون حجرة المستشفى الهادئة. مددتُ يدي وأمسكت بيد الأستاذ يون. ملّمسها ليّ ودافئ.

"افتحي كفك" قال ميونجسو بهدوء.

اعتقدت أنني قد شعرت بأصابع الأستاذ يون تتحرك. فعلتُ كما قال لي ميونجسو، وفتحت يدي تحت يد الأستاذ يون الدابّلة. تلوّت أصابعه وتحركت برقّة فوق كفي. كل... الأشياء... يجب... جحظت عيناى وحدقتُ في أصابعه التي تحوّلت إلى قلم يكتب على يدي. كتب على كفي: كل الأشياء يجب أن تنتهي.

أتى المزيد من الأصدقاء القدامى إلى المستشفى لرؤية الأستاذ يون، ومكثوا في المستشفى بدلًا من العودة إلى بيوتهم. مكثت وميونجسو أيضًا. استقللت سيارة أجرة إلى البيت في المساء لأعيد ملء صحن الطعام والماء الخاصة بإيميلي ثم عدتُ بسرعة إلى المستشفى، لكن ميونجسو لم يغادر حدود حجرة الأستاذ يون ولو للحظة. تناوبتُ بين البقاء بجانب ميونجسو، والانضمام إلى الآخرين الذين تجمّعوا في كافيتريا المستشفى ومقهى بالقرب منها. أبقىّت يديّ في جيوبي،

وتمنيتُ أن يبدأ أحدهم في الحديث ولا يتوقّف. طلبنا طعامًا وتركناه حتى برد، واحتسينا الكحول على معدة فارغة.

بعد ثلاثة أيام، مات الأستاذ يون. كانت السماء مُلبّدةً بالغيوم ذلك اليوم، وهبّت عاصفة ثلجية قرب العَسَق. غطّت نُدْف الثلج قُبُعات وأكتاف زائري المستشفى. وقفت خارج حجرة المستشفى مع ناك سوجانج الذي كان يمرُّ كل صباح ومساء لتفقد حالة الأستاذ يون، عندما أخبرونا أن الأستاذ يون قد رحل. مشيتُ في الرواق الطويل بعيدًا عن حجرته، كعبا حذائي يقطقان، وركبت المصعد إلى الطابق الأرضي، ومشيت خلف مبنى المستشفى. شعرت بأن رُكبتي قد تنهاران في أي لحظة. وقفت في بقعة بعيدة عن عيون الناس، ثم استندت على الجدار وحدّقت إلى حذائي. علمت أن الأستاذ يون لم يسمح لأي أحد بالاقتراب منه خلال السنوات الثلاث الأولى من مرضه، ثم بعد ذلك حين استشعر الأستاذ يون أن موته وشيكٌ اتّصل بشقيقته الكبرى وطلب منها أن تأخذه إلى المستشفى. قالوا إنه حتى بعد أن دخل المستشفى، أراد أن يبقى وحيدًا. فقط بعد أن بات من الصعب جدًا عليه أن يتحدّث، سمح بأن يتمّ إخطارنا بمرضه. على الرغم من أنه نصف واعٍ فقط، استطاع أن يترك رسائل على أكفّ جميع مَنْ زاره.

كتب: تمامًا كما أتيتُ إلى الوجود، يجب أن أمضي خارجه، على يدِ الشخص الذي رآه قبلي. و"هناك حيث النجوم". على يد ناك سوجانج، "ألا تتفتّح الزهور وتذبل؟" على يد الشخص الذي حاول زيارة الأستاذ في بيته ذات ليلة، لكنه قاد سيارته في دوائر بدلاً من ذلك، وأنها تتلأأ دائماً هناك، على يد ميونجسو. ماذا كان ليكتب على يد ميرو وداهن لو كانا هناك؟ كانت آخر كلماته التي رسمها بأصابعه هي: ادفنوا رُفاقي تحت الشجرة.

بعد أن استقال الأستاذ يون من منصبه في الجامعة، لم يُعد للتدريس أبدًا. خَمَّنَا أنه قد استمر في كتابة الشُّعر، لكن لم يُنشر له أي شيء. قضى وقته في بيته الريفي يعتني بالأشجار في الجبال، ويزرع أشياء في الأرض، ويقدم لنا الفاكهة التي زرعها بيده كلما زرناه. كان طلبه الأخير هو أن يُدفن "تحت الشجرة"، لكنه لم يَقُل أي شجرة، ولم يُحدّد حتى نوع الشجرة. نتيجة لذلك؛ أكثر ما تحدّثنا فيه في آخر ثلاثة أيام من حياته كان لدهشتنا جميعًا هو الأشجار. ذُكِرَت في النقاش شجرة بلوط شرقية في يولجين على الساحل الشرقي، وشجرة صنوبر بيضاء عمرها ستمائة سنة في هيوجا- دونج في سول. أخبرنا ناك سوجانج أن تلك الشجرة لم تُعد هناك؛ سقطت في إحدى السنوات خلال عاصفة. قال إن الناس في الحي قد بذلوا قصارى جهدهم لإنقاذ الشجرة، لكن من دون جدوى. بعد أن أُزيلت الشجرة، زُرِعَت أشجار صنوبر أخرى حول المكان الذي كانت تحتلّه طوال تلك السنوات. عدّنا قائمة بأسماء حدائق الأشجار حول العالم. كان لدى كل شخص شجرة مميزة بالنسبة إليه: شجر الصنوبر وشجر البلوط وشجر الكرز البري، وشجر التورية اليابانية، وشجر المظلة الصينية. تهامسنا بأسماء الشجر، شجرة تلو الأخرى طيلة الجنازة. وصف شخص شجرة ماجنوليا فضيَّة عملاقة تنمو في حقلٍ يُطلُّ على المياها في قرية صغيرة في نامهي على الساحل الجنوبي. ذات يوم، قبل خمسمائة سنة، اصطاد صيادٌ من القرية أضخم سمكة يمكن أن يراها أي أحد. وجد الصياد بذورًا داخل أحشاء السمكة، ومن دون أن يعرف نوعها، زرعها في تربة مجاورة للمياها. في الربيع، مَتَّ البذور إلى شجرة الماجنوليا الفضية الضخمة. كلما تحدّثنا أكثر عن الأشجار، كلُّما اكتشفنا أننا نعرف الأشجار نفسها لكن بأسماء مختلفة حسب مكان ولادتنا وترعرعنا. عندما ذكر ذلك الصديق الماجنوليا الفضية، قال ناك سوجانج: "هل تقصد شجرة ماجنوليا يابانية؟". أحضر حتى كتابًا ليُجادلّه. أشجار

الماجنوليا الفضية شائعة قُربَ المدينة الجنوبية التي نشأ فيها ذلك الصديق. أولئك الذين زرعوا شجراً من قبل لكن لم يَرَوْا شجرة ماجنوليا فضية من قَبْلُ أضافوا للحيرة التي سَرَت بيننا بأن نادوها ماجنوليا يابانية أيضاً. انغمسنا في النقاش لدرجة أننا نسينا أننا في جنازة. بعد أن ذكر أحدهم شجرة بلوط شرقية في يولجين، ذكر آخر شجرة بلوط شرقية في إندونج. قال إنه إذا حطَّت بومة فوق هذه الشجرة في إندونج في الربيع ونعبت، فإن ذلك تبشيراً بموسم حصاد جيد في ذلك العام، وقال آخر إن شجرة البلوط الشرقية في يولجين قد مَتَّت من سيف غرسه جنرال من مملكة جوريو القديمة في الأرض بعد أن خسر معركة. كانت جنازة الأستاذ يون أشبه بمحاضرة عن الأشجار تعجُّ بالتلاميذ. استمرَّ النقاش: شجرة جنبه الرباط، وشجرة التوت البري، وشجرة الطقسوس اليابانية والتُّوب الكورية. تخيلتُ شجرة التمر حِنَّة بجانب قبر أمي. امتدَّت أفرع الشجرة الطويلة لتتجاوز قبرها، وعندما تفتَّح زهورها القرمزية، تستطيع أن تحدّد المكان الذي دُفِنَتْ فيه أمي من على مسافة بعيدة حتى.

في النهاية دُفِنَ الأستاذ يون في الجبال قرب بيته الريفي حيث قضى أيامه الأخيرة. كان لكلِّ مِنَّا رأيٌ مختلف، لكن هذه هي البقعة التي اتفقنا عليها. دُفِنَاهُ تحت شجرة صنوبر عمرها يزيد عن المائتي عام. ربما كانت إحدى تلك الأشجار التي أزلت وميونجسو الثلج عنها حتى انهار كلانا من شِدَّة الإرهاق. حينها، كان الوقت مُظْلِماً جداً كي أرى أي شيء، لكن عندما طُفَّت بعيني في وضح النهار، لاحظتُ أن الغابة تُطلُّ على نهرٍ يقود إلى بحر. في المؤخِّرة، يحيط بالمنطقة مثل جدار، صَفٌّ كثيف من أشجار الصنوبر الكورية وقرانيا يابانية. دُفِنَتْ الجَرَّة التي تحوي رفات الأستاذ يون في التربة تحت الشجرة. تناوَبنا على نثر حفنات من التراب فوقها. عندما حان دوري، في اللحظة التي

أغَلَقْتُ يدي على حفنة التربة الباردة، حَذَلْتُني كل الكلمات، فلم أجد شيئاً لأقوله سوى: وداعاً.

بعد انتهاء مراسم الدفن، اجتمعنا في حانّةٍ حتى الفجر، نحتسى الشراب بلا هدف. بدأنا في تجميع الكلمات التي تركها الأستاذ يون على أَكْفُنَا. تَجَادَلْنَا حتى وقتٍ مُتَأخَّرٍ من الليل حول أي العبارات يجب أن تسبق الأخرى، وأيها يجب أن تأتي لاحقاً. سقط أحدهم نائمًا في مكانه في الحانة ووجهه يلامس المائدة. عندما وضعنا كلمات الأستاذ يون الأخيرة بالترتيب، كانت كالآتي:

أيُّها القديسون كريستوفر، شكرًا لأنكم كنتم جزءًا من حياتي. لا تبكوني. كل شيء يجب أن ينتهي - الشباب والألم والشغف والفرغ والحرب والعنف. ألا تفتتح الزهور وتذبل؟ تمامًا كما أتيت إلى الوجود، يجب أن أمضي خارجه. انظروا إلى السماء. هناك حيث النجوم. إنها تتلألأ هناك دائماً، سواء حدّقنا إليها أو نسينا ذلك، وستظل تتلألأ طويلاً بعد موتنا. أتمنّى أن يصبح كلُّ واحد منكم أحد تلك النجوم المتلألئة.

عندما انتهيت من حكاية قصة القديس كريستوفر، رفَعَت إحدى الطالبات يدها. لأن الوقت المتاح لي قصير؛ لم أخطط لاستقبال أي أسئلة، وكنْتُ أستعدُّ للنزول عن المنصة. مع هذا ارتديت نظاراتي ثانية وأومأت إلى الطالبة التي رفعت يدها.

"شكرًا على مشاركة القصة معنا. إذًا هل هذا يعني أننا القديس كريستوفر أم أننا الطفل الذي يحمله؟".

سألنا الأستاذ يون السؤال نفسه منذ زمن بعيد. كلما وجدت نفسي في إحدى تلك اللحظات حيث يبدو أن الماضي يكرّر نفسه في الحاضر؛ أتوقّف عن التفكير في الزمن كشيء يتحرّك في خطّ مستقيم. جلست يوسيون بنت ابنة عمي بجوار الفتاة التي طرّحت السؤال. عندما كان ثلاثتنا نتناول العشاء يوم الأحد الماضي، توقّفت يوسيون أثناء التقاط ورقة بيريلّا بعصويّ أكلها وقالت:

"هنالك إعلان في جامعتنا أنّك ستحلّين ضيفاً لتلقّي محاضرة في كنيسة الجامعة. أهذا صحيح؟"

قالت ابنة عمّي: "إذا أعلنوا ذلك، فإنه صحيح بالطبع!".

أمالت يوسيون -التي كانت نسخةً طبق الأصل من ابنة عمي- رأسها جانباً. استطعت أن أستشّف أنها لم تُصدّق أن عمّتها -التي تذهب إلى الحمّام العمومي معها، وتُفوّت مواعيدها مع طبيب الأسنان؛ لأنها تكره الذهاب، وتتلقّى مكالمات هاتفية من الممرضة باستمرار، وتسارع دائماً إلى التقاط آخر قطعة فاكهة متبقية في الطبق عندما نتناول الطعام معاً- قد دُعيت للحديث في كنيسة جامعتها. قالت يوسيون: "ذلك غريب. يدعون عادةً المشهورين فقط..."، ثم أضافت: "أكره الذهاب إلى الكنيسة. عادةً أفوّت الذهاب إلى الدروس هناك. أتمانعين إذا لم أذهب؟"؛ لهذا افترضت أنها لن تكون هناك. عندما رأيتها تجلس هناك، وقد اتّقدت عيناها في تركيزٍ بجوار الفتاة التي سألتني ذلك السؤال، شعرت بقليل من الحرج. بالنسبة إليها، كنتُ مجردة عمّة تُصفّف شعرها من أجلها، أو تتقايض معها الثياب. الفتاة التي تعثّرت وانزلقت فوق المشمّع أثناء هرولتها لمساعدتي في تشذيب مخالِب إيميلي، قد بدت ناضجةً جدّاً وهي تجلس وسط طالبات الجامعة الأخريات. بالحُكم على الطريقة التي ابتسمت كلُّ

منهما في وجه الأخرى؛ افترضت أنها والفتاة التي طرحت الأسئلة، صديقتان.

اعتدلتُ في وقفتي أكثر، واستعددت للإجابة.

اليوم الذي ذهبت فيه برفقة ميونجسو والأستاذ يون إلى الجبال لإزاحة الثلج من الشجر، هطل الثلج مُجدِّدًا في وقت ما من الليل. غادرتُ وميونجسو القرية في الصباح التالي لأجد أن الأشجار في الجبال التي أزلنا عنها الثلج ليلة أمس، قد أضحت مغطاةً بالثلج مُجدِّدًا. على متن حافلة العودة إلى المدينة، قال ميونجسو إنه سوف ينتقل للعيش معي. عندما عدتُ إلى البيت، نَقَلْتُ أشياءي لأصنع مساحة من أجله ليضع فيها حاجياته. لكنه لم يأتِ أبدًا. توقَّف حتى عن الاتصال بي في منتصف الليل كلِّما ثمل وانهار أثناء تجواله في المدينة كما كان يفعل. عندما سئمتُ من انتظار أن يتَّصل بي، وذهبت إلى مقرِّ المجلة حيث كان يعمل بدوامٍ جزئيٍّ، أتى مسرعًا إلى الخارج للقاءي. لم تظهر عليه أي علامة اعتذار بالنسبة لشخص لم يتَّصل ولم يفِ بوعدِه. كانت البناية التي تضمُّ مقرَّ المجلة التي يعمل فيها هي أول بناية من عشرة طوابق تُشيِّد في جانجنام، الحي الجديد جنوب نهر الهان. في هذه الأيام، مبنى من عشرة طوابق لم يُعد شيئًا استثنائيًّا، لكن في ذلك الوقت كان أطولَ مبنى في الأنحاء. بالقرب من المبنى، كانت هنالك مقبرة ملكيَّة مُحاطة بأشجار الصنوبر. اتَّصلتُ به من كابينة هاتف عند مدخل المبنى. ظهر بسرعة جدًّا، لدرجة أنه كان من الصعب أن أقول إذا كنت قد وضعت السَّماعة وخرجت من الكابينة أولًا، أم أنه خرج من المبنى وهتف باسمي من على مبعده أولًا. ألقى ذراعيه حولي قبل أن تصبح الأمور مُحرجةً بيننا. مشينا حول المقبرة

الملكية ثلاث مرات. لم أتطرق إلى الأمر، لكنّه كَرَّر وعده بالانتقال للعيش معي. قال إنه سيجلب أغراضه خلال ثلاثة أيام.

مضت الثلاثة أيام ولم يأتِ أبدًا. قال أربع مرات إنه سوف ينتقل للعيش معي، فقط كي يُخِلِفَ ذلك الوعد. في كل مرة أذهب إلى مبنى المجلّة، يندفع خارجًا ويعانقني. يطول عناقه لي في كل مرة. في الليلة التي أخلفَ فيها وعده آخر مرة، أتى إلى شقتي. تلك المرة لم يعانقني. اكتفى بالتحديق في صمتٍ إلى قدميه. تأملنا معًا برج نامسان الذي يلعب كالعادة على مبعده. فكَّرتُ أن أسأله عمّا يُخِيفه. تفاجأت من إجابته.

"لو عشنا معًا، فسوف نجرح بعضنا البعض فقط. وسيصبح الأمر قبيحًا".

فَهَمْتُ ما قصده بأننا قد نجرح بعضنا البعض، لكن لم أعرف ما قصده بـ "قبيحًا". فكَّرتُ أنني قد أخطأتُ السمع، وطلَّبتُ منه أن يُكرِّر ما قاله.

"لو بدأنا بهذه الطريقة، فلن تَصِلِ إلى أي مكان أبدًا، ولن تُحقِّقي أي شيء أبدًا بسببي".
"لا أفهم" قلتُ.

"سوف أعزلكِ عن الآخرين. سوف تصبحين مثل جزيرة منفصلة عن الآخرين. سوف ينتهي بي الأمر وقد فعَلْتُ ذلك بكِ لدرجة أن الناس لن يستطيعوا أن يعرفوكِ إلا من خلالي. لن أرغب في أن تَمْتَلِكِي أي علاقات أخرى وسوف أبذل كل ما بوسعي لأُبقِيكِ بجانبِي، وسوف يُشَوِّهنا ذلك".

"إدًا لماذا وافقتَ على الانتقال للعيش معي؟".

"لأنني أرغب في العيش معكِ أيضًا". ارتبجتُ من البرد وحدقتُ إلى أضواء البرج. حينها لم أفهم، ولم أرغب في فهم ما كان يقوله لي.

كلّما أشرتُ إلى زمن مُحدّد بـ "منذ وقت طويل"، أشعر كأنني أمشي في مكان ما. ربما تلك الأشياء التي ندرکها فقط بعد مرور الكثير من الوقت ونصّفها بـ "منذ وقت طويل" هي التي تُشكّلنا حقًا.

في تلك الليلة منذ وقت طويل، بدا الفتى الذي ظننتُ أنني أعرفه أكثر من أيّ أحد آخر غريبًا عني تمامًا. شعرتُ كأنه قد رحل وأمسيّتُ أقف وحيدة. عَضّضت على شفّتي وأدرکت أنني لن أستطيع أبدًا أن أسبر أغوار قلبه. شعرت بالبؤس. كنتُ أعتقد أنه كلُّ ما أحتاج إليه. نطق باسمي، لكنني لم أزدُ. مَدَّ يَدَهُ إِلَيَّ لكنني لم أمسكها. هل كان يحاول أن يقول لي إن وجوده معي قد صار قبيحًا بالفعل؟ تصدّع قلبي وتشكّلت طبقةٌ من الجليد فوقه.

أدارني لأنظر إليه بينما أهدقُ إلى البرج، وحاول أن يقول شيئًا ما لي، لكن لم أستمع إليه. غادرتُه فوق السطح البارد العاصف بالرياح ودخلتُ إلى داخل حجرتي. مَنْ كان منّا مُحِقًّا؟ سمعته ينادي على اسمي ويطرق على الباب، لكنني بذلت ما بوسعي لأتجاهله. جلست على المكتب وقاومتُ الرغبة في الذهاب إلى الخارج. يرقد كتاب القصائد الذي وجدناه في المتجر الذي لُذنا إليه هربًا من رجال شرطة مكافحة الشغب خلال مظاهرة، مفتوحًا ومقلوبًا على المكتب. أدرتُه وقلّبتُ في صفحاته غير مُكترّثة بصوت طرّقه على الباب. قرأتُ القصائد شطرًا تلو الآخر، التي كنتُ قد حفظتها عن ظهر قلب بعد قراءات كثيرة. قرأتها بصوتٍ عالٍ لأغطي على دويّ صوته. لم أعرف

مكتبة t.me/t_pdf

متى رحل أخيراً. استغرقتُ في النوم ورأسي فوق المكتب، وقد سقط كتاب القوائد على الأرض.

خَطَرَ ميونجسو ببالي فور استيقاظي. عندما فَتَحْتُ الباب وخطوت إلى الخارج، كان السطح مُغَطَّى بالثلج. فَكَّرْتُ أنه قد رحل.

عندما أدركت أنه قد رحل، كادت ركبتي تنهاران. نظرت حولي بحثاً عن أي أثر له. وجدت آثار أقدامه مُتداخِلةً فوق بعضها البعض أمام الباب. لا بُدَّ أنه مشى ذهاباً وإياباً أمام الشِّقَّة بينما واصل الثلج الهطول. وضعت قدمي داخل آثار أقدامه المنسحقة وتتبعْتُ الآثار. قادتني عبر السطح إلى السلام. عند مدخل البناية، تتداخل آثار أقدامه مُجدِّداً. انخفض سطح الثلج وأصبح صلباً ولامعاً كما لو أن ميونجسو قد مشى فوقه ذهاباً وإياباً لفترة طويلة. استمرت خطوات الأقدام بطول التلُّ للأسفل. قادتني في اتجاه بيت ميرو القديم. قرب البيت، تقاطعت آثار أقدامه مُجدِّداً قبل أن تستدير مبتعدة. ربما وقف هناك سارحاً في أفكاره أو حدِّق مَلِيّاً إلى البيت الذي بات يشغله الآن أشخاص آخرون.

وقَفْتُ فوق آثار أقدامه ونظرت إلى أعلى نحو البيت في ضوء الصباح، ثم استدرت كما فعل. ظننْتُ أنني إذا تتبَّعتُ آثاره حتى النهاية، فسوف أستطيع أن أجده، لكن أصبح من المستحيل تتبُّعها بعد فترة. كانت آثاره الوحيدة في الطريق في بادئ الأمر لكن مع تقدُّم الصباح، بدأ أشخاص آخرون يتركون آثارهم أيضاً، حتى مرَّت شاحنة قمامة أخيراً، ومَحَّتْها كلها بآثار إطاراتها. حدِّقْتُ طويلاً إلى البقعة حيث محت الشاحنة آثار أقدامه، ثم توجَّهْتُ عائدة إلى البيت. في البيت، قذفت بعض الأغراض في حقيبة واستقللت القطار إلى منزل أبي في الريف. قضيت ما تبقى من الشتاء هناك بجانب أبي.

لكن لم يَنْتَهِ الأمر بيني وبين ميونجسو بعدُ.

في أحد الأيام حيث تراكم الثلج الذي واصل الهطول لأكثر من أسبوع من دون توقُّف، ليصل إلى ارتفاع رَجُلٍ بالغ، أتى ميونجسو إلى منزل أبي. مشى الطريق كله من المدينة إلى هناك. كانت أصابع أقدامه مُتورِّمة من شِدَّة الصقيع، وخذاه متقرِّحَيْن. سألته: "لماذا فعلت ذلك؟"، تَلَقَّى توبيخي من دون أي كلمة. "يمكنك أن تسير كل هذه المسافة لتراني لكنك لن تنتقل للعيش معي؟" لم يُجب. مَكَّتْ معنا في بيت أبي لثلاثة أيام. ذهب إلى الجبال ليزيح الثلج عن أشجار الصنوبر تمامًا كما فعلنا في الجبال قرب بيت الأستاذ يون الريفي، ولعب الجانجي⁽¹⁾ مع أبي، ورافقه حتى إلى قبر أمي. عندما غادر، اشتريتُ تذكرة قطار له ورافقته حتى المحطة خوفًا من أن يحاول أن يمشي عائداً إلى المدينة. نادى ميونجسو الذي لم يتفوه بكلمة طوال الوقت الذي جلسنا فيه في حجرة الانتظار، على اسمي من مكان وقوفه عند الباب الدَّوَّار حيث يتفقد الموظف تذكَّرتَه. نظرت إليه، فقال لي إنه بعد أن أعود إلى المدينة، يجب أن ننهي ما بدأناه فوق برج نامسان. سألته ماذا يقصد، فتمتم، "نعانق الغرباء...".

ذات يوم بعد أن مضى الشتاء وأتى الربيع، شاهدته يقف أمام كاتدرائية ميونجدونج. كان يُمسك لافتةً مكتوبٌ عليها "عناقٌ مَجَّاني". لم أتصوَّر أنه سوف يذهب بعيداً هكذا لدرجة أن يصنع لافتة. ربَّنا لِلقاء هناك، لكنني لم أستطع حمل نفسي على الاقتراب منه. كانت حُطَّتنا أن نعانق مائة غريب أوَّلًا، ثم نعيد التفكير فيما سوف نفعله بحياتنا. اتَّفَقنا على أن نبدأ عند كاتدرائية ميونجدونج. ذهبْتُ إلى

(1) الجانجي أو الشطرنج الكوري: لعبة لوح استراتيجية كوريَّة.

هناك مرّاتٍ عديدة للبحث عنه من قبل خلال إضرابه عن الطعام. انتظرتُ وراقبته من على مبعدة. حتى اليوم، لا أستطيع أن أفسّر لماذا تردّدتُ بدلاً من أن أُسرِعَ وأنضمَّ إليه. بماذا يجب أن أسمي المقاومة الغربية التي سرّت بداخلي عندما شاهدتُ لأول مرة لافتةً "عناق مجاني"؟ رَمَقَ الناس ميونجسو ولافتته بنظرات جانبية بينما يمشون بجانبه. توقّف البعض حتى، وحدّقوا إليه. لم يعانق ميونجسو أيّ أحدٍ فقط بل شعر أيضًا بالارتباك، لدرجة أنه لم يعرف ماذا يفعل. مشى أجنبيّ - كان قد تجاوزَه - عائداً إليه وعانقه. عندما عانقه الرجل، ظلّ ذراعاً ميونجسو مُتدلّيتين بجانبه بشكل أخرق. وقف ميونجسو في البقعة نفسها لثلاث أو أربع ساعات. بعد الأجنبي، لم يقترب منه أيُّ أحد، ولم يقترب هو من أيّ أحد. لكن لم يبدُ عليه أنه ينتظرنِي. عندما شاهدته يُنزل لافتته في انهزام، رحلتُ.

كم كنتُ أتمنى بشدة أن يخبرني أحدهم أنني سوف أتمكّن يوماً ما من تقبّل كل شيء حدث لنا، من دون ألم.

حتى بعد أن زارني في منزل أبي، لم نفصل بشكل مباشر. واصلنا إعطاء الوعود، والتخطيط لرؤية بعضنا حتى قبل ثمانية أعوام. كما لو أننا لم نستطع التوقّف عن إعطاء الوعود. الكثير جدّاً من الوعود، التي لم تُنفذها أبداً، ولا نتذكرها. وعد يُقطّع بخمولٍ فوق كومة من الوعود التي لم تُنفذ. ببساطة كُنّا نؤجّل انفصالنا بأن نُكرّر وعدنا لبعضنا البعض بأننا سنلتقي مُجدداً.

بعد أن اكتشف ميونجسو ما حدث لميرو، استأنف عادةً الاتصال بي في منتصف الليل وهو لا يعرف أين هو وكيف وصل إلى هناك.

كنتُ أتلقَّى مكالماتٍ منه كل ليلة. أعتقد أن أول شيءٍ كنتُ أسأله عليه في كل مرة هو "أين أنت؟". مرة واحدة فقط، ذكر اسم بلدةٍ معروفةٍ بنموِّ أشجار التفاح فيها. توجَّهتُ إلى موقف الحافلات وانتظرتُ أول حافلة تغادر المدينة كي أستطيع الإسراع إلى حيث كان ميونجسو. هناك استأجرنا دراجتَيْن وقدناهما في طريق ضيق بجانب بستان تفاح. مددنا أيدينا لنقطف ثمار التفاح المبلَّلة بندى الصباح. قضمنا ثمار التفاح الطازجة وضحكنا. ذلك اليوم، لم نعبأ بأي شيءٍ كما لو أننا سنمضي دائماً إلى الأمام معاً. لكن لم يدُم ذلك. لم يمض وقت طويل قبل أن يعود إلى عجزه عن تحديد المكان الذي يتصل منه. كنتُ أخرج للبحث عنه. أحياناً أجده وأحياناً لا أجده. ذات يوم حين وجدته بصعوبة، جعلته يضحك عندما أخبرته أن من يتصل في الرابعة صباحاً لا بُدَّ أنه جاسوس كوري شمالي. ثم ذات يوم تلقَّيتُ مكالمة ليست منه، بل من رجل غريب. قال الرجل عبر الهاتف إن ميونجسو قد تسلق سور بيته واستغرق في النوم في فناء البيت. قال إن ميونجسو لا يبدو خطيراً؛ لهذا هزَّه ليوقطه وطرح عليه عدَّة أسئلة حتى استطاع أن يحصل على رقم هاتف منه. قال إنه حصل على رقمي بهذه الطريقة. قال إنني لو لم آتِ وأخذ ميونجسو في الحال، فسوف يضطرُّ إلى الاتصال بالشرطة. سألتُه أين يعيش. كان يعيش في بيت ميرو القديم. ركضتُ في هواء الفجر لأحضر ميونجسو. عندما وقَّعت عيناه عليّ، ناداني بـ "ميرو". رغم أنني لا أستطيع تذكر ذلك، لكنني متأكَّدة أنه ثمة مرَّات كنتُ أناديه فيها بـ "داهن" أيضاً عندما أنظر إليه. ربما كانت تلك الليلة هي الليلة التي توقَّفنا فيها عن إعطاء المزيد من الوعود لبعضنا البعض. الليلة التي توقَّفنا فيها عن قول: سأكون هناك.

قبل عدّة أيام، ذهبت لزيارة أبي في دار المُسنّين. على متن الحافلة في الطريق إلى محطة القطار، كان الشخص الجالس بجواري يُمسك بجريدة مفتوحة على صفحة بها صورة ميونجسو. كانت مقالةً عن أحد معارض صورهِ. لأنني لم أستطع أن أبعد عينيّ عن الجريدة؛ ناوَلتني الشخص الجريدةَ عندما نزل من الحافلة. فتحتها وغمغمتُ: "تلك صور عظيمة يا إيميلي" كما لو كانت القطة جالسةً بجواري مباشرة. عنوان المعرض هو عانِقُ شبَابِك". كانت الصور لشُبَّان يتعانقون في دول في كل أنحاء العالم، بما في ذلك مارّة في شارع أربات في موسكو. تذكر المقالة أنه قضى ثلاثة شهور على الطريق ليلتقط ألف صورةٍ لشُبَّان يتعانقون. لا بُدَّ أنه غادر مباشرة بعد جنازة الأستاذ يون. ردًّا على سؤال الصحفي: "لماذا اخترت أن تُصوِّر الشُبَّان يتعانقون من بين كل الأشياء؟"؛ أجاب ميونجسو: "أحيانًا تطاردني نزعةٌ لتدمير الذات، لكن رؤية الشباب يتعانقون يساعدي على التَّغلب على مثل تلك الأفكار"، أضاف أن سُكَّان موسكو أقلُّ الناس ميلًا للابتسامة من بين كل شعوب العالم لكن حتى سُكَّان موسكو لم يستطيعوا مُقاومة الابتسامة عندما شاهدوا الشباب يتعانقون في شارع أربات، وأنه نفسه قد عانق مائة شاب لم يعرفهم في ذلك الشارع أيضًا.

هل أحسّ بالشعور نفسه مثلي؟

أحيانًا أشعر أنني أنهار كما لو أنني سأنفجر. أدفع الخوف جانبًا، وأشقُّ طريقي ببطء إلى مكتبي وأكتب كي أحارب التوتُّر الغامض الذي يشلُّ حواسي. أحدِّق إلى صورته في ذاكرتي، صورته وهو يقول إنه سوف يُعانِقُ مائة غريب. وتحدِّق إليّ أشباحنا من الماضي، ونحن نتسكَّع في أرجاء المدينة حاملين معنا وحدثنا، وأحلامنا بـ "يوم ما".

ذلك اليوم في كنيسة الجامعة، رفعت طالبة أخرى يدها. سألتني: "عندما تنظرين إلى الورا إلى عشريناتِك، ما أكثر شيء ترغبين في قوله إلينا نحن اللاتي نخوض عشريناتنا الآن؟".

تلاقت عيناى للحظة بعينَي يوسيون التي تجلس وسط الطالبات الأخريات بينما أنظر إلى الطالبة التي طرحت السؤال. لا بُدَّ أنها كانت خجولاً؛ لأن صوتها كان يرتعش. قلتُ من دون أن أحتاج إلى التفكُّر في الإجابة حتى: "أتمنى أن تمتلكن جميعاً شخصاً يجعلكنَّ ترغبنَ دائماً في أن تقلن: (فلتتذكّر هذا اليوم إلى الأبد)". تعالَّت آهات الإعجاب من الطالبات قبل أن يضحكن من رِدَّة فعل بعضهنَّ البعض. شاركتهنَّ الضحك. "وأتمنى أيضاً..." ظننَّ أنني قد أنهيتُ إجابتي، لكنهنَّ سَكَنَ مُجدِّداً. "أتمنى أيضاً ألا تتردَّدنَ في قول: (سأكون هناك)".

في اليوم التالي لليوم الذي أخبرني فيه الطبيبة البيطرية، أن إميلي التي كانت عجوزاً جداً وبالكد تستطيع الحركة، تعاني من سرطان في المعدة غير قابل للاستئصال بالجراحة، أيقظني في منتصف الليل الصوت الخافت لرنين الهاتف. بدا أن الرنين الخافت يتعالى، كما لو كان يحفر داخل طبلي أذني. مددتُ يدي وقربت السَّماعة من أذني. سألني صوت غير مألوف إذا كانت جونج- مين هناك. قلتُ لا، لكنَّ الرجل الشاب قد انفجر باكياً إذ فجأة، وترجَّاني أن أعطي السماعه إلى جونج- مين. أنزلت السماعه من دون أن أُغلق الخطَّ. بعد بُرهة، التَّقطتها من جديد، وكان الشاب لا يزال يبكي. لم يبدُ أنه يهتم إذا كنتُ أستمع إليه أم لا. احتاج فقط أن يبكي في الهاتف. بمجرد أن يتوقَّف عن البكاء، فسوف يشعر بشيء من التحسُّن حيال الموقف مع جونج- مين. نهَضت إميلي حيث كانت تلتفُّ حول نفسها ككُرة فوق وسادة نومها، وتسَلَّقت ببطء فوق معدتي، وتمدَّدت. بات

تنظيفها والاعتناء بشعرها حتى صعبًا عليها. عندما سألتُ الطبيبة البيطريَّة إذا كان هنالك أي احتمال أن تنجو إيميلي من الجراحة، قالت إن إيميلي قد عاشت بالفعل حياةً طويلةً بشكل مُدهش بالنسبة لقطعة، ثم سألتني، إذا كانت هنالك ضرورة لوضعها خلال كل ذلك؟ فأخذتُ إيميلي إلى البيت. مَسَدْتُ مؤخَّرَةَ عُنُقِهَا حتى سمعت صفير الهاتف -إمَّا أن الشاب قد توقَّف عن البكاء أو أن الخَطَّ قد انقطع- فَوَضَعْتُ السَّمَاعَةَ في موضعها. لم أستطع العودة إلى النوم؛ لذا عملت على مكتبي لبرهة قبل أن أفتح الدرج السفلي. أخرجت مظاريف ومطبوعات مختلفة وقاموس حروفٍ صينية، حتى وصلت إلى الصندوق في قاع الدرج الذي يحتوي على يوميات ميونجسو. كنتُ قد وضعت اليوميات داخل ذلك الصندوق بينما أحاول تَقَبُّلَ غيابه. فتحت الصندوق وأخرجت يومياته.

كم تَمَنَيْتُ لو اتَّخَذْتُ قراراتٍ مختلفة. دقائق من الندم -ماذا لو- قد طارَدَتْنِي عند كل منعطف في الحياة. الفهم المفاجئ لمشاعر قديمة في ظروف غير متوقَّعة وغير مرتبطة بها. أشياء سوف تظلُّ غيرَ مفهومةٍ ومن دون أجوبة، بغضِّ النظر عمَّا ينتظرني في المستقبل. هل سيأتي اليوم الذي سأستطيع فيه أن أخبر ميونجسو أنني قد ذهبت أخيراً إلى بازل، وبيرو؟ أنني قد وَقَفْتُ أمام لوحة جزيرة الموتى الأصلية لأرنولد بوكلن في متحف الفن في بازل، وهَمَسْتُ باسم ميرو أمامها، والتفتُّ حولي بجنون لأنني أعتقدت أنني سمعتها تقول، نعم؟

حُفِرَت أشكال هندسية مُبَهِّمَةٌ على الأرض في سهول صحراء نازكا أسفل جبال الأنديز في بيرو، لا يمكن رؤيتها في مستوى العين البشرية. يمكن رؤيتها فقط من السماء. عليك أن تكون على ارتفاع ثلاثمائة متر في الهواء كي تتمكَّن من رؤيتها على نحو كامل. يُقال إن تلك الصور

قد رسمها سُكَّانُ نازكا الأصليُّون قبل ألف وخمسمائة سنة. لأنهم لم يستأنسوا أيَّ حيوان، نحت سُكَّانُ النازكا تلك الرسوم الرمزية كلها بأيديهم فقط من دون أي مساعدة. تتضمَّن الأشكال مئات الخطوط الطويلة التي تشكَّلت عن طريق إزالة قِطْعٍ من الحصى لتعريه الرَّمْلِ الأَخْفُ تحتها: طيور عملاقة مُجَنَّحة، أجنحتها ضخمة جدًّا، لدرجة أنها بدت نابضةً بالحياة، كما لو كانت تُحَلِّق. غَطَّت ظلالُ كائنات غريبة وبديعة -لا يمكنني التعرفُ عليها- مُعظَمَ مساحة السهل. كانت منحوتة في السهل مثل شفراتِ خَرَبَشَتِّها أصابعُ شخص ما. كيف ترك سكان النازكا تلك الرسوم الضخمة قبل أن يُخترع أي شيء يمكنهم من الارتفاع في الهواء والنظر إلى أسفل؟ يُعتقد أن الصور التي عمرها ألف وخمسمائة سنة، استطاعت البقاء كل هذا الزمن؛ لأن المنطقة رغم وجودها على ارتفاع قد تتوقَّع معه وجود نباتات استوائية وفيرة فيه، كانت على خلاف المتوقع، جافَّة جدًّا. لم تُمطر السماء هنا في آخر عشرة آلاف سنة. لم أستطع استيعاب تلك الفترة الزمنية. كانت كلمة "جافَّة" قليلة لوصف مكان لم يَرِ المطر منذ عشرة آلاف سنة. شاهدت ورفقاء رحلتي، تلك المنحوتات من على ظهر هيلوكوبتر: خطوط مُتعرِّجة ونجوم ونباتات، وقضبان بأحجام لا يمكن قياسها، ودوائر ومثلثات ومُرَبَّعات وأشباه منحرف- استمرت الرسومات من دون نهاية. لم تُعْطَ فقط سهول النازكا الشاسعة والمنعزلة، بل امتدَّت لما أبعد من ذلك عبر الجُرُز، متجاوزة أوديَّة عميقة وجداول مياه، وملقَّة حول منحنيات جبال الأنديز. مئات ومئات الخطوط المتصلة. ثمَّة مثلثٌ عملاقٌ رأسه مبتورة، وطائر بدا كأنه يطير جنوبًا. ثم لفت انتباهي بشكل خاصَّ نحتٌ يُجسِّد عنكبوتًا طوله خمسون مترًا منحوتًا في الرمال.

هل كنت لأخمن من قبل أنني يومًا ما سأحدِّق إلى أسفل نحو عنكبوت عمره ألف وخمسمائة سنة مرسومٍ في الصحراء؟ أمام رسمة

العنكبوت في سهل النازكا في جبال الأنديز التي وصلتُ إليها بعد رحلة طيران لثمانى ساعات، ثم تغييرى الطائرة فى لوس أنجلوس، وركوبى طائرة أخرى لنحو عشرين ساعة أخرى، عادت صورة داهن إليّ، نابضةً بالحياة كأي شيء آخر. داهن الذى رافقنى ذات مرة طوال الطريق إلى قبر أمى رغم رُهابه من العناكب. فى تلك اللحظة تشققت زاوية فى قلبى كانت مُظلمةً وباردة كالثلج إذ فجأة، واندفع شعاع ضوء من نجم صباحى داخلى وأضاءها. شعرت بالدفاع. همست باسمه بهدوء بحيث لا يسمعنى أى أحد. طفا وجه داهن فوق العنكبوت ذى الألف وخمسائة سنة المنحوت فى أرضية الصحراء. تمتمتُ إلى نفسى: "لا تخافى"، ثم همستُ: "لن أنساك أبدًا". حينها أدركتُ أخيراً أنني لست مصنوعةً من ذاتى فقط. كل شيء أراه وكل شيء أشعر به كان جزءًا منه داهن، وجزءًا آخر منه ميرو. وجزءًا ثالثًا هو زمنهما غير المنتهى الذى أعيشه أنا.

امتدَّ ضوء النهار فوق مكتبى بينما أقلب صفحات يوميات ميونجسو. استجمعتُ إيميلى قوتها لتقفز فوق المكتب، وتلتفَّ حول نفسها بجوارى بينما أقرأ. غمغمتُ: "لا تقلقى يا إيميلى" غير متأكدةً ما الذى أخبرها ألا تقلق منه، ثم داعبتُها خلف أذنها. حدقتُ إليّ للحظة ثم تمطت مثل بركةٍ صغيرة فوق المكتب. ظلَّت يوميات ميونجسو موضوعة داخل الصندوق المغلق أغلب الفترة التى كُنَّا فيها مُنفصلين. بدا كل شيء جديدًا. رغم أنني قرأتها كثيرًا لدرجة أنني ظننتُ أنني قد حفظت صفحاتها عن ظهر قلب، شعرت كأننى أقرأها أول مرة. قلبتُ الصفحة الأخيرة وأخرجت المفكرة البنية من غلافها الأسود المُترب. ذكرى آخر مرة فعلت فيها ذلك - حين أغلقت المفكرة ووضعتها فى الصندوق قبل ثمانية أعوام تقريبًا- لا تزال واضحة فى ذاكرتى. دَسستُ داخل الغلاف الرسائل التى أرسلها داهن إليّ، والردود التى كتبتها بعد موته ولم يكن بمقدورى إرسالها إلى أى مكان،

وَكُتِبَ قِصَائِدُ فِرَانْسِيْسِ جِيْمِسِ الَّذِي قَرَأْتَهُ وَمِيُوْنَجْسُو مَعًا ذَاتَ يَوْمٍ فِي مَتَجَرِ كِتَابٍ أَثْنَاءَ مَظَاهِرَةِ اجْتَاْحَتِ الشَّوَارِعِ. لَمْ يَتَّسِعِ الْغِلَافُ لِكُلِّ ذَلِكَ. أُخْرِجَتِ الْكِتَابُ، وَقَرَدَتْ الرِّسَالُ، وَبَدَأَتْ أَدُسُّهَا بَيْنَ صَفْحَاتِ الْيَوْمِيَّاتِ بَدَلًا مِنْ ذَلِكَ، لَكِنْ بَعْدَ لِحْظَةٍ، جَلَسْتُ هُنَاكَ وَحَسْبُ، وَقَدْ دَاهَمَتْنِي الْحَيْرَةُ. تَسَاءَلْتُ أَيْنَ مُفَكِّرَةُ مِيُوْ التِّي وَضَعْتَهَا عَلَي الرِّقْفِ فِي مَكْتَبِ الْأَسْتَاذِ يُونِ مَعَ كِتَابِ الْكُتَّابِ الَّذِيْنَ مَاتُوا قَبْلَ الثَّلَاثَةِ وَالثَّلَاثِيْنَ، الْآنَ؟ مَنْ يَقْرَأُ كِتَابَ قِصَائِدِ إِيْمِيْلِي دِيكِنْسُونِ الَّذِي سَرَّبَهُ دَاهِنٌ إِلَى دَاخِلِ الْقَاعَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ؟ كَلَّ مَا أَعْرَفَهُ أَنَّهَا فِي مَكَانٍ لَا أُسْتَطِيعُ أَنْ أَجِدَهَا فِيهِ. أَغْلَقْتُ يَوْمِيَّاتِ مِيُوْنَجْسُو كِي أُعِيدَ وَضَعَهَا دَاخِلَ الْغِلَافِ الْمُتْرَبِّ قَبْلَ أَنْ أُتَوَقَّفَ. كَانَ ثَمَّةُ شَيْءٍ مَكْتُوبٍ فِي آخِرِ الْيَوْمِيَّاتِ، لَمْ أَلْحِظْهُ مِنْ قَبْلِ. اعْتَدَلْتُ فِي جِلْسَتِي بَيْنَمَا أَقْرَأُ الْمَكْتُوبَ: أَرُغِبُ فِي أَنْ أُشِيْخَ مَعَ جُوْنَجِ يُونِ. كَانَ خَطُّ يَدِ مِيُوْنَجْسُو. هَلْ كَانَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ مَكْتُوبَةً هُنَا طَوَالَ هَذَا الْوَقْتِ؟ لَقَدْ انْغَلَقَتْ الْيَوْمِيَّاتُ عَلَي تِلْكَ الْكَلِمَاتِ خِلَالَ السَّنَوَاتِ الثَّمَانِيَّاتِ الْمَاضِيَّةِ. وَضَعْتُ الْيَوْمِيَّاتُ عَلَي الْمَكْتَبِ وَجَلَسْتُ سَاكِنَةً بَيْنَمَا تَنْهِي أَشْعَةَ شَمْسِ الصَّبَاحِ رِحْلَتَهَا عِبْرَ مَكْتَبِي. فَتَحْتُ إِيْمِيْلِي عَيْنِيهَا وَنَظَرْتُ إِلَيَّ. لَا تَزَالُ عَيْنَاهَا زَرْقَاوِيْنَ رَغْمَ كِبَرِ سِنِّهَا.

"لَا تَقْلِقِي يَا إِيْمِيْلِي... " مَتَّمْتُ وَأَنَا أَمْلَأُ قَلَمِي الرِّيْشَةَ بِالْحَبْرِ وَأَرُدُّ عَلَي الْجُمْلَةَ التِّي اسْتَغْرَقْنِي الْعَثُورُ عَلَيْهَا ثَمَانِيَّةَ أَعْوَامٍ:
سَأَكُونُ هُنَاكَ.

مكتبة
t.me/t_pdf

تعقيب الكاتبة

سأكون هناك قصة عن شباب يعيشون في زمن مأساوي. وهي أيضًا قصة أشخاص يجدون أنفسهم متفرقين، رغم الحب الذي يُكِنُّه كلُّ منهم إلى الآخر؛ لأنهم يحملون بداخلهم جروحًا عميقة جدًا كي يتجاوزوها. أشخاص يصارعون كي يكونوا معًا ثانية. تدور قصتهم في فترة الثمانينات وأوائل التسعينات في كوريا الجنوبية، وهي الفترة نفسها التي كنت أخوض فيها غمار عشريناتي وأوائل الثلاثينيات. انهارت ديكتاتورية "بارك تشونج هي" التي دامت طويلًا، لكن ما حَلَّت محلَّها لم تكن الحرِّيَّة، بل ديكتاتورية جديدة يقودها الجنرال تشون دو هوان. في تلك الفترة، تظاهر شباب كوريا الجنوبية بما في ذلك طُلابُ الجامعة في الشوارع، حيث هُوجِموا بقنابل الغاز المسيل للدموع كلُّ يوم تقريبًا في سعيهم من أجل الديمقراطية والحرية. دامت تلك الفترة من الاضطرابات قُرابةَ العشر سنوات. يخرج الشباب للتظاهر ضد الحكومة ذات يوم فقط كي يختفوا بشكل غامض في اليوم التالي، بينما ينتحر آخرون في الشوارع للتعبير عن احتجاجهم. مات

شُبَّان قَادُوا المَظَاهِرَات بِشكَلٍ مَثِيرٍ لِلرِيبَةِ فِي الجِيشِ أَثناءِ أَدَائِهِمُ التَّجْنِيدَ الإِلزَامِي. لَوْلَا تَضْحِيَةٌ هَؤُلاءِ الشَّبَابِ -الَّذِينَ قَاتَلُوا وَكَافَحُوا مِنْ أَجْلِ التَّغْيِيرِ- مَا كَانَتْ كُورِيَا الجَنُوبِيَّةُ مَا هِيَ عَلَيْهِ الآنَ. هَذَا التَّارِيخُ هُوَ مَا شَكَّلَ أَجْوَاءَ رِوَايَةِ "سَاكُونُ هُنَاكَ".

لَكِنْ فِي هَذِهِ الرِوَايَةِ، تَعَمَّدْتُ أَلَّا أَكْشِفَ الحَقِيقَةَ الَّتِي تَدُورُ فِيهَا أَوْ أُسْتَفِيضُ فِي شَرَحِ مَلَابَسَاتِ المَوْقِفِ السِّيَاسِيِّ الكُورِيِّ فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ. كَانِ قَرَارًا مُتَعَمَّدًا مِنِّي كَكَاتِبَةٍ؛ لِأَنَّي أُوْمِنُ أَنَّ مَا يَحْدُثُ لِشَخْصِيَّاتِ "سَاكُونُ هُنَاكَ" لَا يَقتَصِرُ عَلَى كُورِيَا الجَنُوبِيَّةِ. كُلُّ شَيْءٍ يَحْدُثُ فِي هَذِهِ الرِوَايَةِ قَدْ يَحْدُثُ فِي أَيِّ بَلَدٍ وَفِي أَيِّ جِيلٍ. أُوْمِنُ أَنَّهُ مَهْمَا أَضْحَى العَالَمُ قَاسِيًا، سَيَكُونُ هُنَاكَ دَائِمًا مُعَلِّمُونَ وَطُلَّابٌ يَتَعَلَّمُونَ مِنْ بَعْضِهِمُ البَعْضَ، وَأَنَّهُ حَتَّى حِينَ تَعْوِقُ قُوى العَنفِ وَالوَحْشِيَّةِ حَرِيَّتَهُمْ، سَيَكُونُ هُنَاكَ دَائِمًا حُبٌّ أَوَّلُ صَادِقٍ وَمُفَعَّمٌ بِالعَاطِفَةِ، وَصَدَاقَاتٌ تُؤَلِّدُ مِنْ رَحْمِ الحَيَاةِ. بَيْنَمَا أَكْتُبُ هَذِهِ الرِوَايَةَ، رَكَّزْتُ وَانغَمَسْتُ فِي مَنَاحِ صَوْتٍ لِتِلْكَ اللِّحْظَاتِ. أُوْمِنُ أَنَّ تِلْكَ اللِّحْظَاتِ هِيَ الَّتِي تُحَدِّدُ حَيَاتِنَا. قَدْ نَكُونُ ضَحَايَا مَأسَاتِنَا، لَكِنَّنَا فِي الوَقْتِ نَفْسُهُ أَبطَالٌ تَجَارِبُنَا الأَكْثَرَ جَمَالًا وَإِثَارَةً.

كيونج سوك شين

مكتبة
t.me/t_pdf

نبذة عن الكاتبة

كيونج سوك شين:

إحدى أشهر الكاتبات الكوريات الجنوبيات. وُلِدَت سنة 1963. كتبت أكثر من سبعة عشر كتابًا. فازت بالعديد من الجوائز الأدبية: جائزة المان بوكر الآسيوية 2011 عن رواية "أرجوك اعْتَنِ بِأَمِّي"، وجائزة المانهي، وجائزة "دونج- إن" الأدبية، وجائزة "لي سانج"، وجائزة أفضل رواية مترجمة إلى الفرنسية عن روايتها "حجرة اسمها الوحدة"، وجائزة "هو- إم" في الفنون عن مُجمَلِ أعمالها؛ لمساهمتها في تعزيز الثقافة والفنون الكورية. تُرجمت أعمالها إلى أكثر من ثلاثين لغة، وباعت أكثر من مليون نسخة.

نبذة عن المترجم

محمد نجيب:

طبيب ومُترجم عن الكورية والإنجليزية وكاتب مصري من مواليد المنصورة عام 1992.

من أعماله المترجمة:

- الكتاب الأبيض لهان كانج
- أفعال بَشْرِيَّة لهان كانج
- أرجوك اعْتَنِ بِأَمِّي لكيونج سوك شين
- حجرة اسمها الوحدة لكيونج سوك شين
- راقصة البلاط لكيونج سوك شين
- دماغ مُشْتَعِل لسوزانا كهالان

telegram @t_pdf

"الآن أنا وأنتم نعبّر نهرًا مظلمًا عميقًا.
في كل مرة يضغط علينا وزن مهول،
وترتفع مياه النهر حتى حناجرنا، ونرغب
في الاستسلام، والانزلاق تحت سطح
الماء، تذكروا أن العالم الذي نمشي فيه
لا يقل ثقلًا عن الحمل فوق كتفنا.
الكائنات الأرضية لا تستطيع للأسف
التحرر من الجاذبية. تتطلب الحياة منا
تضحية مستمرة وقرارات صعبة في كل
لحظة. الحياة لا تعني عبور فراغ من
العدم، بل اجتياز شبكة من العلاقات
المتشعبة بين كائنات، كل له وزنه
وحجمه وشكله. وطالما لا يكف كل
شيء عن التغيير، فإن شعورنا بالأمل لا
يجب أن يموت أبدًا. وعلى هذا،
أغادركم جميعًا بفكرة واحدة أخيرة:
عيشوا.. عيشوا حتى آخر نفس لكم..
اعشقوا وقاتلوا واغضبوا وتألموا،
وعيشوا"

سأكون هناك

" سأكون هناك رواية ستجبرك
على قراءتها حتى النهاية.
موهبة شين في السرد
استثنائية"

New York Times
Book Review

الغلاف عبر محطتي

ISBN 978-977-313-845-5



9 789773 138455



مركز
المحرسة

للنشر و الخدمات المحفزة و المعلومات